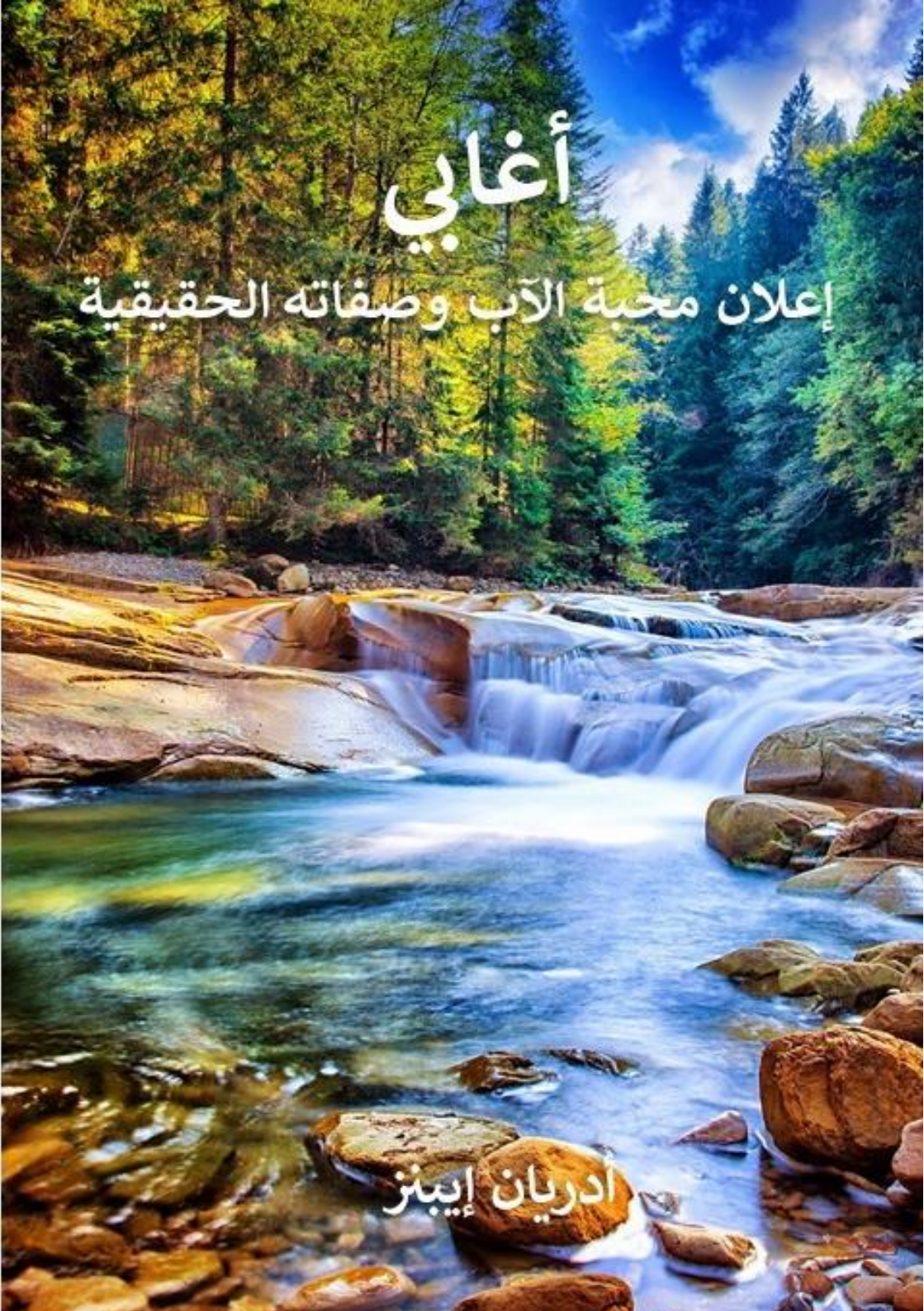
أغابي
إعلان محبة الآب وصفاته الحقيقية
أدريان إيبنز

أغابي

إعلان محبة الآب وصفاته الحقيقية

إهداء لإخوتي الأعزاء في الطريق الضيق:

الشيخ كريج جاكوبسون، والشيخ إيدي بيريز، والشيخ كريج جونز،

والشيخ كولين نيكولسون والشيخ جافين ديفلين

شكر خاص لزوجتي العزيزة لوريل والإخوة:

دانوتاسن براون والأخ توني بيس وزوجته آنا،

والأخ غاري هولكويست والأخ فرانك كلين.

للمزيد من المعلومات قم بزيارة موقعنا

fatheroflove.info

adrian@life-matters.org

خدمة ماران آثا للإنتاج الإعلامي

ديسمبر 2017

Copyright © Adrian Ebens, 2018

First published 2018

ISBN: 978-0-6482290-4-9

جميع الحقوق محفوظة. لا يجوز استنساخ أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزينه في نظام استرجاع المعلومات، أو نقله بأي شكل أو بأية وسيلة، إلكترونية أو ميكانيكية أو بالنسخ التصويري أو التسجيل أو غير ذلك، دون الحصول على إذن كتابي مسبق من الناشر

الفهرس

مقدمة 5
1. إعلان الآب 7
2. كَيْفَ تَقْرَأُ؟ 13
3. موت الصليب 22
4. ابني الحبيب 31
5. أحبوا أعداءكم 36
6. نارٌ من السماء 43
7. لاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ 53
8. سبب الأمر برجم الخطاة 65
9. الناموس بصفته مرآة 76
10. الخوف الذي يضعه الله فيك 87
11. غضب الرب 94
12. رد سيفك إلى مكانه 104
13. إكليل الشوك 117
14. سلطان الموت 128
15. وصايا أبي 139
16. الغني ولعازر في المرآة 153
17. الملائكة المُهلكة 165
18. عبارات صريحة 181
19. مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا 191
20. الصليب يفضح الحيَّة 205
21. العهد الأبدي وخدمة الموت 229
22. موسى الرجل الحليم المتواضع جدًا 245
23. إيليا والجزء الأخير من ضلالات الشيطان 263
24. إبراهيم ورجسة الخراب 278

مقدمة

لقد أثبتت الأبحاث والدراسات حقيقة أن الأطفال يتبنون العديد، إن لم يكن كل، سمات والديهم. فمن خلال الملاحظة والتفاعل الاجتماعي عادةً ما تنعكس خصائص وصفات الأب والأم، سواء كانت جيدة أو سيئة، في حياة الطفل. وهذا ما يُعرَف بقانون الوراثة.

إن العالم مليء بالعنف والقسوة والأعمال الوحشية حتى وهو يدعو إلى زيادة الأمن. وغالبًا ما تؤدي روح العداء حيال التهديدات والمخاطر، سواء كانت حقيقية أو ملموسة، إلى تبرير قتل الحياة البشرية وتدميرها.

داخل كل واحد منا توجد رغبة في السلام وراحة البال والتأكد من حب الآخرين. فكيف يمكن للجنس البشري الاقتراب من تحقيق هذه الرغبة المثالية؟ فرغم كل ما أحرزناه من تقدم في العلوم والتكنولوجيا، نجد أن عالمنا ينحدر إلى أعماق الأنانية والعنف.

تقدم لنا حياة المسيح الذي سار على الأرض منذ ألفي عام نموذجًا لمحبة أغابي غير الأنانية، وهي المحبة التي جلبت السلام لعدد لا يُحصَى من البشر. إلا أن هذا النموذج الجميل للحياة قد تعرَّض للتشويه بسبب الفهم الخاطئ للعديد من القصص المسجَّلة في صفحات الكتاب المقدس التي توضح بالتفصيل تفاعلات الله مع البشر عبر تاريخ البشرية.

في بعض الأوقات يظهر الله وكأنه مليء جدًا بالعنف والقسوة والرغبة في القتل والإبادة الجماعية، فنراه لا يأمر بقتل جنود الأعداء فحسب، بل أيضًا بقتل أبنائهم الرُضَع. والكتاب المقدس يُظهِر لنا بصورة منتظمة ومخيفة أن الله هو إله منتقم ممتلئ غضبًا. علاوة على ذلك، فقد أصبح موت المسيح على الصليب بالنسبة للكثيرين ملوثًا ومشوهًا بالاعتقاد الخاطئ بأن الله يطلب موت أولئك الذين يعصون أوامره.

وللأسف فهذه الأفكار والآراء تجد مكانتها البارزة في معظم ديانات العالم بما في ذلك الإلحاد الذي مهَّدت الثورة الفرنسية لظهوره مؤخرًا بسبب تعرض مئات الآلاف من الناس للقتل.

وللمهتمين بدراسة كلمة الله، فإن الفرق بين أوصاف الله التي جاءت في الكتاب المقدس وحياة السيّد المسيح قد أدى إلى صعوبة بالغة في فهم بعض التصريحات التي قالها السيّد المسيح. إلا إن الرب

يسوع في إحدى اللحظات المؤثرة التي كان يتحدث فيها مع أحد تابعيه قال: "اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ".

كيف يعقل هذا؟ وهل يمكن أن يكون الله بالفعل إله رحيم ورؤوف وكثير الإحسان كما أظهرته حياة الرب يسوع؟ إن وصية "لا تقتل" هي في صميم ناموس الله. فهل هذه الوصية انعكاس لشخصية الله وصفاته؟ أم إنها عبارة عن وصية تخص الخلائق الدنيا وليس لها أي صلة بأولي الأمر، أي الله؟ وما أثر ذلك على القادة الذين يسيرون على هذا المنهاج؟ هل سيظن هؤلاء القادة أن القوانين لا تنطبق عليهم فور صعودهم إلى سدة الحكم وأن بإمكانهم أن يفعلوا ما يحلو لهم؟

يحتوي هذا الكتاب على ملخص ستة عشر عامًا من الدراسة والبحث عن نورٍ يجيب على هذه التساؤلات. بدأت الرحلة عندما كنت أستذكر ميلاد ابني الأول، فتذكرت اللحظة التي حملته فيها بين ذراعيَّ وشعوري العميق بالحب له. لقد دفعني تذوق هذه المشاعر الإلهية إلى التقابل الشخصي مع الله، وهو ما جعلني أفكر وأؤمن أن المشاعر التي كان لديَّ تجاه ابني كانت تعبيرًا عن محبة الله لابنه، ومحبته أيضًا لجميع أبنائه المولودين على الأرض.

كانت الرحلة طويلة ومُرهِقة في بعض الأحيان، وفي أحيانٍ أخرى كنت أجد صعوبة بالغة في فهم التناقضات الواضحة التي وُضِعت أمامي عند قراءتي ودراستي للكتاب المقدس.

أعرض عليك، عزيزي القارئ، في هذا الكتاب ملخص البحث الذي قمت به. وخلال الفترة التي كنت أقوم فيها بهذا البحث، سافرت إلى العديد من البلدان وتقابلت مع إخوة آخرين يقومون بنفس البحث والدراسة، وقد حصلنا جميعًا على بركة عظيمة بسبب ذلك.

أشهد لكم أن الله هو حقًا محبة، وهو ليس إله عنف أو دماء، ولا يُرهِب ابنائه الضالين بتعذيبهم وشويهم في الجحيم إلى الأبد كما يعتقد الملايين.

أعلم جيدًا أن الكثيرين غير مقتنعين، ولكني أدعوك أن تصطحبني في هذه الرحلة وأن ترى بنفسك وتكتشف حقيقة أن الله محبة.

1. إعلان الآب

"الله محبة" كلمات كتبها يوحنا الرسول بعد العلاقة الوثيقة التي جمعته بالرب يسوع وهو يعمل هنا على الأرض (يوحنا الأولى 4: 16). فعندما كان يجلس على الجبل ليسمعه وهو يعظ، وعندما كان يشاهده وهو يفتح أعين العميان، وعندما كان يرآه وهو يوبخ المخطئين والدموع في عينيه، استطاع يوحنا أن يفهم المهمة الحقيقية التي جاء الرب يسوع من أجلها.

"اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ" (يوحنا 1: 18).

إن صفات الله كما هي معلنة في حياة الرب يسوع تتناقض تناقضًا صارخًا مع الصفات التي كانت في أذهان البشر سابقًا. بينما كان الرب يسوع وتلاميذه يسيرون، رأوا رجلاً أعمى فسأله التلاميذ:

"يَا مُعَلِّمُ، مَنْ أَخْطَأَ: هذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟" (يوحنا 9: 2).

لقد كشف تساؤلهم اعتقاد البشر الخاطئ أن الله هو ديكتاتور قاس يعاقب من يخالفه ويعصيه. فنرى أن الإمبراطوريات التي نشأت والإمبراطوريات التي سقطت حتى زمن المسيح كانت تقوم على إراقة الدماء، وكانت تحكم بفرض قبضتها الحديدية، مما كان يعكس الأفكار البشرية عن الصفات الإلهية، فالبشر كانوا يعتبرون أن الله هو إله جبار ومنتقم ويخلو من الرحمة والشفقة.

إلا أنه كان هناك شهود يعلنون رسالة مختلفة. فالجمال الذي نراه في الطبيعة، ورائحة الورود الجميلة، والطيور الشجية التي تملأ الهواء بصوت أغانيها، والأشجار الضخمة التي تكسوها الأوراق الخضراء، كلها كانت تشهد على عظمة وروعة الخالق ومحبة الآب. كما إن حب الوالدين الشديد والصادق لأبنائهما، والعلاقة الحميمة التي تربط الزوج بزوجته كانت أيضًا تتحدث عن حنو قلب الخالق ورحمته.

وقبل ذلك بـ 1500 سنة كان موسى يحاول أن يفهم خالقه، فطلب من الله أن يُظهِر له مجده.

"فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي السَّحَابِ، فَوَقَفَ عِنْدَهُ هُنَاكَ **وَنَادَى بِاسْمِ الرَّبِّ**. فَاجْتَازَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ، وَنَادَى الرَّبُّ: الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ" (خروج 34: 5 و6).

ولكن على الرغم من هذه الأدلة والعديد من الأدلة الأخرى، فقد كان الرأي السائد هو أن الله هو إله قاسٍ وصارمٍ ويرغب بشدة في معاقبة أولئك الذين يسيئون في حقه.

لماذا كان هذا الرأي سائدًا ومنتشرًا؟ لأن الشيطان جعل الناس يشكون في محبة الله منذ البدء.

"فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: لَنْ تَمُوتَا! بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ" (تكوين 3: 4 و5).

أقنع الشيطان آدم وحواء أن الله لم يرد لهما الخير، وأقنعهما أنه لا يمكن الوثوق بالله. فعندما أخبر الشيطان آدم وحواء أنهما لن يموتا إذا أكلا من ثمر الشجرة، فقد مهَّد ذلك الطريق لأن يُفهَم تحذير الله، المُعطَى لهما بمحبة، بصورة مختلفة تمامًا.

"وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" (تكوين 2: 17).

لو كان الأكل من الشجرة المُحرَّمة، حسب إدعاء الشيطان، لن يؤدي إلى موت آدم وحواء، فما هو الشيء الذي سيؤدي إلى ذلك؟ الاستنتاج الوحيد الذي يمكن استخلاصه هو أن الله هو مَنْ سيقتلهم، والثمار أو النتائج المترتبة على هذا التفكير والاعتقاد الخاطئ يمكننا رؤيتها عندما سمع آدم صوت الله في الجنة.

"فَقَالَ: سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ" (تكوين 3: 10).

لماذا خاف آدم من الله؟ لأنه خاف من الموت، وأن الله سيقتله بسبب عصيانه. لقد كان هذا الخوف من الموت بسبب اعتقادهما بأن الله سيقتلهما هو ما جعلهما تحت عبودية الشيطان. لكن الله حاول أن:

"يُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ- خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ- كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ" (عبرانيين 2: 15).

لقد لمَّح الشيطان لأبوينا الأولين أن الله هو منفذ القصاص، وأنه سيقتل أولئك الذين يخالفونه ويعصونه، وأن الله كان يكذب عندما أخبرهما أنهما إذا أكلا من ثمر شجرة المعرفة فسوف يموتان. إلا أن هذه الصفات لم تكن إلا صفات الشيطان نفسه، وقد عبَّر الرب يسوع عن هذه الصفات أثناء حديثه مع الفريسيين للإشارة إلى أفعالهم وتصرفاتهم:

"أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ" (يوحنا 8: 44).

لقد استعبد الشيطان العالم بهذه الأكاذيب والضلالات، وقد حرَّف صفات الله وشوَّها لكي يُبعِدها عنه، لكن ابن الله جاء من السماء ليعلن صفات أبيه الحقيقية، وجاء ليزيل غمامة الشك وسوء الفهم عن أعيننا وليعلن لنا شخصية الآب وصفاته الحقيقية التي شوَّهها الشيطان. وعندما طلب أحد التلاميذ من الرب يسوع أن يريهم الآب، أجاب بالقول:

"أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟" (يوحنا 14: 8 و9).

كما قال الرب يسوع في وصفه لمُرسَلِيَّته على الأرض:

"رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ" (لوقا 4: 18).

بخيال مقدس نرى وجه أرملة نايين عندما اعترض الرب يسوع موكب الجنازة وأعاد ابنها للحياة مرة أخرى. وقلوبنا تتأثر عندما نتأمل في قصة يايرس ومقدار الفرح الذي شعر به عوضًا عن

الحزن والألم والحسرة حينما أقام الرب يسوع ابنته من الموت. لقد كان الرب يسوع يجتاز قرى بأكملها ولا يستبقي مريض إلا ويشفيه. فلقد أشبع 5000 نفسًا على الجبل بدافع محبته وتحننه عليهم، وأخبرهم عن محبة الآب لهم.

وكم كان حضور الرب يسوع جذابًا ومؤثرًا فى الجمع حتى أن الأمهات كانت تحضرن أطفالهن ليضع الرب يسوع يده عليهم ويباركهم. لقد كان مجد الآب يُرَى في كل أفعاله وتصرفاته. وكانت قوى الظلام التي تقيد العالم في عبوديتها تتبدد بنور مجده في كل كلمة كان ينطق بها. لم يستخدم الرب يسوع قوة التفكير الإيجابي أو التملق والإطراء، بل كان دائمًا يقول الحق بمحبة، ولم يخشى فضح الكذب والشِرك بالله. لكن الدموع كانت في صوته وهو يوبخ المخطئين. لقد عاش حياته في خدمة الآخرين، وكانت لكل نفس قيمة غير عادية وغير محدودة في عينيه.

إن صفات المسيح على الأرض تُعلِن لنا صفات الله. قال المسيح أنه لا يعمل من نفسه شيئًا، فقد كان الله في المسيح مُصالحًا العالم لنفسه (كورنثوس الثانية 5: 19)، وقد أُعلِنت صفات الآب كلها في ابنه، والرب يسوع هو رسم جوهر الآب وأعلن شخصيته وهو على الأرض.

> "لأَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ. وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ وَصِيَّتَهُ هِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. فَمَا أَتَكَلَّمُ أَنَا بِهِ، فَكَمَا قَالَ لِي الآبُ هكَذَا أَتَكَلَّمُ" (يوحنا 12: 49 و50).

وإذ كان يصلّي بلجاجة إلى أبيه، قال الرب يسوع هذه الكلمات:

> "وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ. أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ. وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ. أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَالَمِ. كَانُوا لَكَ وَأَعْطَيْتَهُمْ لِي، وَقَدْ حَفِظُوا كَلاَمَكَ" (يوحنا 17: 3 – 6).

يخبرنا الرب يسوع أنه مجَّد الآب على الأرض. إن مجد الآب هو شخصيته وصفاته، وهذا ما أعلنه لنا الرب يسوع في خدمته على الأرض. ويُخبِر أبيه أيضًا أنه أعلن اسم الآب أو صفاته للتلاميذ الذين كانوا معه. وهذا هو السبب الذي جعل الرب يسوع يقول لفيلبس بكل ثقة أنك إذا رأيتني فقد

رأيت الآب. لم يحتاج فيلبس لأن يرى كل الأعمال التي قام بها الرب يسوع عبر التاريخ ليتعرف على صفات الآب الحقيقية. ففي خلال فترة لم تتعدَ الثلاث سنوات أعلن لنا الرب يسوع شخصية الآب وصفاته من كل الجوانب.

والإعلان العظيم لهذه المحبة قد تجلَّى في الصليب:

"بِهذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا: أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ. فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا. أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، إِنْ كَانَ اللهُ قَدْ أَحَبَّنَا هكَذَا، يَنْبَغِي لَنَا أَيْضًا أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا" (يوحنا الأولى 4: 9 – 11).

إذا وقع الرب يسوع ضحية للتجربة التي وجهها ضده الشيطان، لهَلَكَ إلى الأبد، ولَهلكَ الجنس البشري بأكمله نتيجة لذلك. إن الآب السماوي لم يُقرض ابنه للعالم لمدة ثلاثة وثلاثين سنة فقط، بل أعطاه لنا وبذله من أجلنا. كان هناك خطر ضياع كل شيء وهلاك الجميع، ومع ذلك كان الآب في محبته الكبيرة للعالم على استعداد للتخلي عن ابنه الوحيد ليخلصنا.

"اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟" (رومية 8: 32).

يظهر هذا الخطر في صلاة الرب يسوع لأبيه في البستان، فقد كان هناك تخوف من عدم قدرته على الصمود أمام ذلك الامتحان، لكنه وثق في إرادة أبيه من غير اعتبار للتكلفة أو الثمن.

"ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلًا وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلًا: يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ، وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ" (متى 26: 39).

كيف يمكننا أن نفهم عمق هذه المحبة؟ أية كلمات يمكنها أن تعبر عن روعة محبة الله؟ آدم لم يكن على استعداد للتضحية بالغالي الذي كان لديه، لكن الآب كان مستعدًا، إذ يقول الكتاب أنه لم يُشفِق على ابنه.

لقد تحمَّل الرب يسوع بصمت الضرب والاستهزاء والسخرية من قاتليه الذين كانوا فرحين ومسرورين بألمه ومعاناته. لقد حاول بكل أمانة أن يحمل صليبه حتى أصبح الحمل ثقيلاً جدًا عليه. وطلب من يوحنا أن يعتني بأمه وهو على الصليب وطلب من أبيه أن يغفر لقاتليه وسافكي دماه.

لم يشهد الكون محبة مثل هذه من قبل. لقد كانت صفات الآب تشع من ابنه بنور مجيد وعظيم. فالآب حقًا يحب أعدائه ويغفر لمن يريدون الهلاك له، وقد تجلّى كل هذا في شخصية ابن الله. فبالموت، كشف ابن الله حقيقة صفات الشيطان وأعمال الحيَّة، وعلى الصليب انكشف القاتل والمقتول بكل وضوح. والروح التي دفعت قايين لقتل أخيه هابيل تجلّت بنور كامل على الصليب، واستطاع العالم السماوي أن يرى بوضوح وللمرة الأولى أن الشيطان هو بالفعل كذاب وقاتل. وتأثيره في السماء سقط كسقوط البرق، ولم يعد له مكانًا في السماء أو في قلوب الملائكة.

في بداية هذه الرحلة يجب علينا أن نرتدي النظارات الصحيحة حتى نتمكن من قراءة القصص الواردة في الكتاب المقدس وفهمها فهمًا صحيحًا. فصفات الله التي كانت تملأنا من قبل بالخوف في العهد القديم تصبح جميلة وجذابة في نور الصليب. والرحمة والحنان والمحبة الأبوية تمتزج بالقداسة والعدل والقوة والسلطان. من خلال دراسة قصص العهد الجديد والفهم الجيد لها، سنتمكن من فهم أعمال الدينونة والقصاص التي وقعت أحداثها في العهد القديم. وهذا هو هدف هذه السلسلة الدراسية – أن نُظهِر أن حياة الرب يسوع على الأرض هي هي أمسًا واليوم وإلى الأبد، وأن هذه هي صفات أبينا الحقيقية.

2. كَيْفَ تَقْرَأُ؟

إن الرب يسوع هو أعظم وأروع معلّم. فعندما سُئِل الخدّام الذين أُرسلهم قادة اليهود للقبض على يسوع أن يشرحوا لماذا لم يأتوا به، لم يستطيعوا الرد إلا على النحو التالي:

"... لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ إِنْسَانٌ هكَذَا مِثْلَ هذَا الإِنْسَانِ!" (يوحنا 7: 46).

ولكن على الرغم من هذه الحقيقة، فإن العهد الجديد يبين أن معظم الناس لم يكونوا قادرين على فهمها.

وعندما كان يكلّم اليهود عن موته وقيامته، قال: "انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ" (يوحنا 2: 19). ظنوا أنه يتحدث عن الهيكل الذي يوجد في أورشليم، لكنه كان يتحدث عن هيكل جسده. قال الرب يسوع لنيقوديموس أنه ينبغي أن يُولَد ثانيةً، فظن نيقوديموس أن الرب يسوع يتحدث عن الميلاد الجسدي، لكن الرب يسوع كان يتحدث عن الميلاد الروحي. وعندما قدَّم الرب يسوع للمرآة التي تقابل معها عند البئر الماء الحي، ظنت أنه يقصد الماء الجسدي لكنه كان يقصد الماء الروحي. وفي مرة أخرى حذَّر الرب يسوع تلاميذه من خمير الفريسيين، فظنوا أنه يتحدث عن الخبز الجسدي، فقال لهم الرب يسوع:

"كَيْفَ لاَ تَفْهَمُونَ أَنِّي لَيْسَ عَنِ الْخُبْزِ قُلْتُ لَكُمْ أَنْ تَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ؟" (متى 16: 11).

عندما أشبع الرب يسوع الـ 5000 نفسًا، بدأ يشرح لهم معنى هذه المعجزة التي أجراها، موضحًا أن الخبز هو رمز لحياته التي يحتاج العالم للتأمل والتفكر فيها. فقال لهم:

"مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ" (يوحنا 6: 54).

لقد اندهش سامعيه اندهاشًا شديدًا بسبب هذه الكلمات، وكانوا يدمدمون فيما بينهم قائلين: "هذا قول صعب، من يستطيع سماعه؟" وكثيرون ممن كان لديهم اهتمام بخدمته، ابتعدوا عنه ولم يعودوا يتبعونه.

"كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ. إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ" (يوحنا 1: 10 و11).

كل هذه الأشياء كانت إتمامًا لنبوة النبي إشعياء:

"مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا، وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟ نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْقٍ مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ، لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ. **مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ**، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ" (إشعياء 53: 1 – 3).

إن استجابة قلب البشر الطبيعية لابن الله هي رفضه ورفض تعاليمه.

"وَلكِنَّ الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ، وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيًّا" (كورنثوس الأولى 2: 14).

عندما يقرأ الإنسان الطبيعي كلمة الله، لا يفهمها. يخبرنا الكتاب المقدس:

"أَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ" (إشعياء 55: 8 و9).

ما لم نُولَد ثانيةً من روح الله ونأتي إلى الكتاب المقدس بكل تواضع وخضوع طالبين الفهم والإرشاد، فسوف نسيء فهم ما تقوله كلمة الله لنا.

"فَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ يَعْرِفُ شَيْئًا، فَإِنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ شَيْئًا بَعْدُ كَمَا يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ!" (كورنثوس الأولى 8: 2).

"إِذًا يَا إِخْوَتِي الأَحِبَّاءَ، لِيَكُنْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُسْرِعًا فِي الاسْتِمَاعِ، مُبْطِئًا فِي التَّكَلُّمِ، مُبْطِئًا فِي الْغَضَبِ" (يعقوب 1: 19).

"مَنْ يُجِيبُ عَنْ أَمْرٍ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَهُ، فَلَهُ حَمَاقَةٌ وَعَارٌ" (أمثال 18: 13).

من السهل جدًا الإجابة عن أمرٍ قبل سماعه. تأمل في المثال التالي:

"ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «حِينَ أَرْسَلْتُكُمْ بِلاَ كِيسٍ وَلاَ مِزْوَدٍ وَلاَ أَحْذِيَةٍ، هَلْ أَعْوَزَكُمْ شَيْءٌ؟» فَقَالُوا: «لاَ». فَقَالَ لَهُمْ: لكِنِ الآنَ، مَنْ لَهُ كِيسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِزْوَدٌ كَذلِكَ. وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفًا" (لوقا 22: 35 و36).

ولكن على ما يبدو أنه غيَّر رأيه فيما بعد. أليس كذلك؟

"فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!" (متى 26: 52).

هل طلب الرب يسوع من تلاميذه أن يشتروا سيفًا؟ وعندما حاول بطرس استخدامه وبخَّه؟ هل حاول بطرس استخدامه في المناسبة الخاطئة؟ وإذا كان الأمر كذلك، هل أخبره الرب يسوع متى ينبغي استخدامه ومتى لا ينبغي استخدامه؟ إن الكلمات التي نطق بها الرب يسوع، "لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ"، تبدو عامة وشمولية. نضيف البُعد التالي لمساعدتنا على فهم هذه الكلمات التي نطق بها الرب يسوع:

"حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ تُرْسَ الإِيمَانِ، الَّذِي بِهِ تَقْدِرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سِهَامِ الشِّرِّيرِ الْمُلْتَهِبَةِ" (أفسس 6: 17).

"لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ" (عبرانيين 4: 12).

"وَمَعَهُ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى سَبْعَةُ كَوَاكِبَ، وَسَيْفٌ مَاضٍ ذُو حَدَّيْنِ يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ، وَوَجْهُهُ كَالشَّمْسِ وَهِيَ تُضِيءُ فِي قُوَّتِهَا" (رؤيا 1: 16).

يستخدم الكتاب المقدس كلمة "سيف" للإشارة إلى كلمة الله. كيف نعرف متى يجب علينا أن نستخدم هذا المعنى ومتى نفهم أن الإشارة هي إلى سيف حرفي؟ تأمل مرة أخرى في مثال النار.

"فَأَجَابَ إِيلِيَّا وَقَالَ لِرَئِيسِ الْخَمْسِينَ: «إِنْ كُنْتُ أَنَا رَجُلَ اللهِ، فَلْتَنْزِلْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَتَأْكُلْكَ أَنْتَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَكَ». فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُ هُوَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ" (ملوك الثاني 1: 10).

"وَحِينَ تَمَّتِ الأَيَّامُ لارْتِفَاعِهِ ثَبَّتَ وَجْهَهُ لِيَنْطَلِقَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَرْسَلَ أَمَامَ وَجْهِهِ رُسُلًا، فَذَهَبُوا وَدَخَلُوا قَرْيَةً لِلسَّامِرِيِّينَ حَتَّى يُعِدُّوا لَهُ. فَلَمْ يَقْبَلُوهُ لأَنَّ وَجْهَهُ كَانَ مُتَّجِهًا نَحْوَ أُورُشَلِيمَ. فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ تِلْمِيذَاهُ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا، قَالاَ: «يَا رَبُّ، أَتُرِيدُ أَنْ نَقُولَ أَنْ تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُفْنِيَهُمْ، كَمَا فَعَلَ إِيلِيَّا أَيْضًا؟» فَالْتَفَتَ وَانْتَهَرَهُمَا وَقَالَ: لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا! لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّصَ" (لوقا 9: 51 – 56).

هل كان الرب يسوع بتوبيخه للتلاميذ يوبّخ أيضًا إيليا؟ هل الأمر ببساطة هو أنهم لم يعرفوا الوقت المناسب الذي يطلبون فيه أن تنزل نارًا؟ مرة أخرى كلمات الرب يسوع عامة وشمولية، إذ قال أنه لم يأتِ ليُهلِك أنفس الناس، بل ليُخلّص. فهل ينطبق هذا على الوقت الذي كان موجودًا فيه على الأرض فقط؟ ولكنه بعد ذلك سيُهلك أنفس الناس؟

هذه هي بعض الأسئلة الكثيرة التي تبدأ في الظهور عندما نقرأ الكتاب المقدس. وهذا يضع أمامنا سؤال حاسم طرحه الرب يسوع على الناموسي الذي جاء ليُجرّبه.

"فَقَالَ لَهُ: مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي النَّامُوسِ. كَيْفَ تَقْرَأُ؟" (لوقا 10: 26).

لم يسأل الرب يسوع الرجل ماذا تقرأ، بل كيف تقرأ الناموس؟ ما هي المبادئ التي تستخدمها عندما تقرأ كلمة الله؟ يحتاج هذا السؤال المهم إلى إجابة إذا كنا نريد أن نوفّق بين هذه النصوص التي تبدو متناقضة في ظاهرها.

حاول رجلٌ التصدي لهذا السؤال في أوائل القرن التاسع عشر، وهو الذي قاد واحدة من أكبر النهضات المسيحية في أمريكا الشمالية. لم يكترث ويليام ميلر في بداية حياته بدراسة الكتاب المقدس، بل رفضه رفضًا تامًا، ووصل للاستنتاج أنه كتاب مليء بالتناقضات. ولكنه بعد أن شَهِدَ الانتصار

الأمريكي المذهل على القوات البريطانية – هذا الانتصار الذي كان من السهل على القوات البريطانية تحقيقه – اقتنع ميلر أن هناك قوة أعظم من قوة الإنسان تعمل، وقرر العودة مرة أخرى لدراسة الكتاب المقدس. كان هذا أمرًا صعبًا جدًا بالنسبة له، لأنه اعتاد أن يسخر من العديد من المسيحيين بسبب التناقضات الواضحة في الكتاب المقدس والتي لم يتمكنوا من الإجابة عليها. وعندما جدَّد اهتمامه بالكتاب المقدس، واجه نفس الأسئلة التي كان يتحدَّى بها الآخرون.

"بعد وقت قصير من نبذه لعقيدة الربوبية (أي الإيمان بالله وحده دون الوحي)، وأثناء حديثه مع صديق بخصوص رجاء الأبدية المجيدة باستحقاقات المسيح وشفاعته، سُئِل كيف يعرف أن هناك مخلّص كهذا. فأجاب قائلاً: "الكتاب المقدس يعلن ذلك". فجاءه الرد: "ولكن كيف يمكنك التأكد من مصداقية الكتاب المقدس؟" تكرارًا لتصريحاته السابقة التي أعلن فيها أن الكتاب المقدس مليء بالتناقضات والخرافات. شعر السيد ميلر بهذه التعليقات الساخرة بكامل قوتها. كان في البداية متحيرًا، ولكنه بدأ يفكّر ورأى أنه إذا كان الكتاب المقدس وحيًا من الله، فيجب ألا يعارض نفسه، ويجب أن تتوافق جميع أجزائه وتنسجم، ويجب أن يكون نافعًا لتعليم الإنسان، وبالتالي لا بد أن يكون ملائمًا لفهمه. لذلك قال: "أعطني الوقت، وسوف أقوم بتوفيق جميع التناقضات الواضحة بطريقة ترضيني، وإلا سأموت معتنقًا منهج الربوبية". ثم كرَّس نفسه لقراءة الكلمة بروح الصلاة. ووضَعَ جانبًا جميع تفسيرات الكتاب المقدس التي كانت معه، واستخدم فقط المراجع الهامشية وقاموسه كوسائل لمساعدته على دراسة الكتاب المقدس. ورأى أنه لابد أن يميّز بين الكتاب المقدس وجميع التفسيرات الخاصة بالفرق والطوائف الأخرى. فالكتاب المقدس أقدم منها جميعًا، ولا بد أن يوضع فوق كل واحدٍ منها، وبالفعل وضعه في ذلك المكان. ورأى أن الكتاب المقدس ينبغي أن يصحّح كل التفسيرات الشائعة، وأن الكتاب بنوره الناصع المنبعث منه سيزيل الغشاوة والضباب الذي وضعته التقاليد والأفكار الشائعة فيه. وقرَّر أن يتخلَّى عن أفكاره وآرائه المسبقة وأن يقبل المعنى الطبيعي والصريح للكتاب المقدس بتواضع وكبساطة الأطفال" (سلفيستر بليس، ذكريات وليام ميلر، 1853، صفحة 68).

وهذا هو بالضبط ما فعله. ففي غضون سنتين درس الكتاب المقدس من أوله لآخره.

"وإذ حاول أن يلقي جانبًا الآراء المعروفة من قبل ويستغني عن التفاسير جعل يقارن أقوال الكتاب بعضها ببعض بمساعدة الشواهد وفهرس الكتاب. وقد تابع دراسته على نحو منظم منهجي مبتدئًا من سفر التكوين، فكان يقرأ آية فآية، ولم يتعجل، قاصرًا دراسته على بضع فقرات حتى يتضح له المعنى ولا تسبب له أي ارتباك. وعندما كان يجد شيئاً ملتبسًا أو غامضًا كان معتادًا أن يقارنه بكل آية أخرى لها صلة بالمسألة التي هي موضوع تفكيره. ولقد جعل لكل كلمة علاقة خاصة بموضوع الآية، فإذا كان رأيه فيها متفقًا مع نص موازٍ آخر تكف عن أن تُعتبر مشكلة بعد ذلك. وعندما كان يأتي إلى فصل يصعب فهمه كان يجد له تفسيرًا في فصل آخر من الكتاب. وإذ كان يدرس مصليًا بحرارة في طلب الإنارة الإلهية، فما كان يبدو غامضًا على فهمه من قبل كان يتضح أمامه الآن" (الصراع العظيم، صفحة 356).

خلال هذه الفترة صمَّم نظامًا من القواعد والقوانين تمكن من خلالها التوفيق بين كل التناقضات التي واجهها من قبل. فيما يلي ملخص تلك القواعد والقوانين التي استخدمها:

1. يجب أن تكون لكل كلمة صلة ملائمة بالموضوع الذي يتحدث عنه الكتاب المقدس.
2. الكتاب المقدس كله ضروري، ويمكن فهمه وذلك بالمواظبة على تطبيقه ودراسته.
3. لا شيء معلن في أسفار الوحي المقدسة يمكنه أن يُخفَى عن الذين يطلبون بإيمان غير مرتابين البتة.
4. لفهم العقيدة، ادرس كل ما تقوله أسفار الكتاب المقدس عن الموضوع الذي ترغب في التعرف عليه. وبعد ذلك اجعل لكل كلمة علاقة خاصة بموضوع الآية، فإذا كان رأيك فيها متفقًا مع نص موازٍ آخر، فلا يمكنك أن تكون مخطئًا.
5. ينبغي أن يفسِّر الكتاب المقدس نفسه بنفسه، إذ أنه قاعدة وقانون في حد ذاته. فإن كنت أعتمد على معلم ليشرح لي الكتاب المقدس، وهذا المعلم يخمِّن معنى ما تقوله الآيات، أو يرغب في تطويع الآيات لتتناسب أو تتماشى مع عقيدة مذهبه، أو يريد أن يكون حكيمًا في أعين الناس، فإن تخمينه أو رغباته أو مذهبه أو حكمته هي لي لأحكم عليها، وليس الكتاب المقدس.

6. إذا كانت الكلمة منطقية أو لها معنى جيد كما هي، ولا تتعارض مع قوانين الطبيعة البسيطة، فيجب فهمها حرفيًا، إلا إذا كان من الضروري فهمها مجازيًا.
7. أما أهم قانون من بين جميع القوانين فهو أنه ينبغي علينا التعامل مع كلمة الله بإيمان. وهذا الإيمان لا بد أن يتطلب التضحية، وإذا ما جُرِّب، سيكون على استعداد بالتضحية بأعز شيء على الأرض، وبالعالم وكل شهواته، والصفات، والمعيشة، والمهنة، والأصدقاء، والبيوت، ووسائل الراحة، والتكريم الدنيوي. فإذا أعاق أي شيء من هذه الأشياء إيماننا بأي جزء من كلمة الله، فهذا يعني أن إيماننا باطل، ولا يمكننا أبدًا أن نصدق أو نؤمن ما دامت هذه الدوافع والرغبات كامنة داخل قلوبنا. ينبغي أن نؤمن أن كلمة الله لن ترجع إليه فارغة، وأن نثق أن ذاك الذي لا يُخفَى عنه سقوط العصفور على الأرض، ويعلم حتى عدد شعور رؤوسنا، سيحفظ ترجمة كلمته ويسيّج حولها ويمنع أولئك الذين يتوكلون بأمانة وإخلاص على الله ويثقون ثقة تامة في كلمته، من الانحراف عن الحق.

وقد أدت هذه القواعد والقوانين المختصة بتفسير الكتاب المقدس إلى تمهيد الطريق لحدوث واحدة من أعظم النهضات الدينية التي شهدها العالم على الإطلاق.

الشيء المهم الذي يجب ملاحظته هو أنه لكي يتسنى لنا فهم تعليمٍ ما أو عقيدة معينة، لابد أن نأتي بكل الآيات الكتابية التي تتحدث عن هذا التعليم أو العقيدة ونضعها معًا قبل أن نتوصل إلى استنتاج معين. ويجب أن يكون لكل كلمة مكانها وتأثيرها المناسب. وهذا ليس أمرًا سهلاً بالنسبة لكثير من الناس لأننا نريد الحصول على إجابات بسرعة، لكن الأمر يتطلب مجهودًا وتكريسًا وانضباطًا للبحث في كل النصوص التي تتحدث عن نقطة معينة. فعلى سبيل المثال الكلمة "مونوجينيس" اليونانية تترجم باللغة العربية "منبثق" أو "مولود" للإشارة إلى ابن الله الوحيد في يوحنا 3: 16. كثيرون يعتقدون أن هذه الكلمة تعني "فريد"، ولكن ماذا يقول الكتاب المقدس؟ لندعه يفسّر نفسه بنفسه.

"فَلَمَّا اقْتَرَبَ إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ، إِذَا مَيْتٌ مَحْمُولٌ، ابْنٌ **وَحِيدٌ** لأُمِّهِ" (لوقا 7: 12).	ابن وحيد مولود
"لأَنَّهُ كَانَ لَهُ **بِنْتٌ وَحِيدَةٌ** لَهَا نَحْوُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَتْ فِي حَالِ الْمَوْتِ" (لوقا 8: 42).	بنت وحيدة مولودة

"وَإِذَا رَجُلٌ مِنَ الْجَمْعِ صَرَخَ قَائِلًا: يَا مُعَلِّمُ، أَطْلُبُ إِلَيْكَ. اُنْظُرْ إِلَى ابْنِي، فَإِنَّهُ **وَحِيدٌ** لِي" (لوقا 9: 38).	ابن وحيد مولود
"وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا **لِوَحِيدٍ مِنَ** الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا" (يوحنا 1: 14).	ابن وحيد مولود
"اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. **اَلابْنُ الْوَحِيدُ** الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ" (يوحنا 1: 18).	ابن وحيد مولود
"لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ **ابْنَهُ الْوَحِيدَ**، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا 3: 16).	ابن وحيد مولود
"اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ **ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ**" (يوحنا 3: 18).	ابن وحيد مولود
"بِالإِيمَانِ قَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ وَهُوَ مُجَرَّبٌ. قَدَّمَ الَّذِي قَبِلَ الْمَوَاعِيدَ، **وَحِيدَهُ**" (عبرانيين 11: 17).	ابنه الوحيد المولود من زوجته الحقيقية الشرعية.
"بِهذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا: أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ **ابْنَهُ الْوَحِيدَ** إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ" (يوحنا الأولى 4: 9).	ابن وحيد مولود

لا يوجد سوى خمسة أشخاص ذكروا في العهد الجديد على أنهم "مونوجينيس" أو وحيدين. خمسة نصوص تشير إلى الرب يسوع بصفته ابن الله، وإشارة واحدة لإسحاق. أما باقي النصوص فتشير إلى أطفال وحيدين في أسرهم شفاهم الرب يسوع، وفي هذه الحالات التي تُستخَدم فيها هذه الكلمة فالمعنى واضح وصريح إذ إنها تشير إلى الابن الوحيد المولود أو الابنة الوحيدة المولودة. أما إسحاق فنعلم أنه لم يكن ابن إبراهيم الوحيد، لكنه كان ابن سارة الوحيد الذي نال المواعيد مع إبراهيم. فعندما

نضع كل هذه النصوص والآيات مع بعضها، سنرى أن هذه الكلمة عندما تُستَخدَم للإشارة إلى الرب يسوع فينبغي أنها تعني نفس الشيء أيضًا، أي ابن الآب الوحيد المولود منه.

وأضيف على ذلك القاعدة أو القانون رقم 6 أعلاه الذي يقول أنه إذا كانت الكلمة منطقية أو لها معنى جيد كما هي، ولا تتعارض مع قوانين الطبيعة البسيطة، فيجب فهمها حرفيًا، إلا إذا كان من الضروري فهمها مجازيًا. فعندما نقول أن الرب يسوع هو ابن الآب الوحيد المولود منه، فذلك لا يُحدِث ضررًا ولا يتعارض مع قوانين الطبيعة البسيطة. وبهذه الطريقة يمكننا تحديد معنى كلمة "مونوجينيس" دون البحث عن تعريف للكلمة في أحد المراجع أو التفسيرات أو من شخص آخر. فالكتاب المقدس يفسّر نفسه بنفسه.

سوف نحتاج لأن نطبق هذه القواعد والقوانين عندما نقوم بدراسة قصص العهد القديم الممتلئة بالعنف والدماء، والتوفيق بينها وبين حياة الرب يسوع وصفات الآب التي أعلنتها حياته. سوف يتطلب الأمر جهدًا صادقًا وجادًا لإثبات مصداقية وصحة ما يقوله الكتاب المقدس: أن يسوع هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد (عبرانيين 13: 8). فمعنى ذلك أنه لا يتغير، ولذلك فأثناء خدمته على الأرض، جسَّد صفات أبيه وأعلنها إعلانًا كاملاً.

3. موت الصليب

إن عمل ابن الله على الأرض ومهمته كانا يتمثلان في إعلان شخصية أبيه وصفاته. ويا له من شيء ثمين وعظيم أن نقرأ عن هذا المخلص المحب الرؤوف الذي كان يريح المتعبين والثقيلي الأحمال، الذي كان يشفي الأمراض بمختلف أنواعها، الذي كان يلمس قلوب الرجال والنساء والأطفال. لقد كانت لدى الأمهات رغبة شديدة للإتيان بأولادهم إليه كي يضع يده عليهم ويباركهم. لم يشهد العالم هذه المحبة الباذلة المضحية من قبل. لقد كانت صورة أبيه تستعيد جمالها الأصلي الذي كانت عليه في عدن في كل ساعة كان يعيشها على الأرض. وقد كان وجه الرب يسوع هو الوجه الأول الذي رآه الكثير من الناس عندما فتح عيونهم. وكان الصوت الأول الذي سمعه الصُمُّ الذين شفاهم هو صوت ابن الله العذب الممتلئ نعمة وحقًا.

لقد كانت الصورة الرائعة التي رسمها الرب يسوع لنا تتطابق بشكل تام مع الكلمات التي قيلت لموسى قبل ذلك بما يقرب بـ 1500 سنة.

> "فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي السَّحَابِ، فَوَقَفَ عِنْدَهُ هُنَاكَ وَنَادَى بِاسْمِ الرَّبِّ. فَاجْتَازَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ، وَنَادَى الرَّبُّ: الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ" (خروج 34: 5 و6).

إلا إن حياة الرب يسوع قد رُسِمَت على لوحة ملطخة بالدماء. عندما وقف الصبي يسوع وهو يبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة في الهيكل ليشاهد الحَمَل وهو يُذبَح، كان يعلم أن هذا سيكون مصيره.

وعندما أعلنه يوحنا المعمدان إلى العالم، أطلق عليه لقب "حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يوحنا 1: 29). فأجرة الخطية ينبغي أن تُدفَع، والعدالة لا بد أن تأخذ مجراها كما يقول الكتاب المقدس.

"مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ، لإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ. لإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ" (رومية 3: 24 – 26).

هل طلب الله الصليب؟ وهل كان هو الوسيلة التي استخدمها لمعاقبة مخالفي شريعته؟ هذه الأسئلة مهمة للغاية. إذا كان غضب الله قد أُشبِع وأُرضي بموت ابنه وكان هذا الموت شيئًا حدده الله بنفسه، فإن الصورة الجميلة التي رسمها الرب يسوع عن أبيه تصير ملطخة بدم طفل بريء. والكلمات التي نطق بها السيّد المسيح على الصليب "قد أُكمِل" لما أكملت الصورة الجميلة التي رسمها عن أبيه وعن محبته، بل كانت ستشوه إلى الأبد وتغرس في عقول البشر الاعتقاد الخاطئ بأن الله طلب الموت حتى يشبع ويرضي غضبه ضد الخطية. وهو ما كان سيجعله خالق الموت ومنشئه، وأيضًا محرّضًا على الانتقام والعنف.

تحدث النبي إشعياء عن صليب المسيح قبل أن يُصلَب المسيح بـ 700 سنة، وكشف استجابتنا البشرية له إذ نقرأ:

"مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا، وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟ نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْق مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ، لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ. **مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ. لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولًا.** وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا" (إشعياء 53: 1 – 5).

عندما جاء السيّد المسيح ليخلص البشرية، كانت استجابتنا الطبيعية المشتركة هي رفضه. لقد جاء ليقدّم لنا حياةً أبديةً، لكن البشر احتقروا هذا العرض.

"فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ" (يوحنا 1: 4 و5).

لقد كان ابن الله يحمل خطايانا على عاتقه، إلا إن استجابتنا كانت تتمثل في الاعتقاد بأن الله هو الذي يضربه. إن الكلمات المُستَخدَمة للدلالة على الإصابة والضرب توحي بالعنف والقسوة الشديدة اللذين يؤديان إلى القتل. لكن الله لم يضرب ابنه بعنفٍ ولم يوجه له الضربة القاضية على الصليب، فهذا هو ما يؤمن به الإنسان، لكن الحقيقة عكس ذلك. إذا فما الذي أدى إلى موت ابن الله على الصليب؟ لقد وُضِع النموذج في البدء عندما سُئِل آدم عما إذ كان قد أكل من شجرة معرفة الخير والشر.

"فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ». فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟» فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ»" (تكوين 3: 9 – 12).

لم يطلب آدم الرحمة أو الغفران من الله، فقد أعمت خطيته تفكيره لدرجة أنه لم يفكر في طلب ذلك. وبدلاً من قبول ذنبه وطلب الرحمة والمغفرة، وضع اللوم على الله لأنه خلق حواء التي أوقعته في التجربة فيما بعد. لقد ظنَّ أن الله هو إله قاسٍ ومنتقم بطبيعته، فاختفت عنه شخصية الله وصفاته الحقيقية بسبب هذا الفكر الباطل المضلل. ونرى أن نفس المبدأ قد حدث أيضًا في قصة قايين.

فقال قايين للرب: عقوبتي أعظم من أن تستحق الغفران" (تكوين 4: 13 – ترجمة ويكلف، راجع أيضًا الترجمة اللوثرية لسنة 1912).

رفض قايين التوبة لأنه كان يظن أن الله لن يغفر له. هذه هي قوة الخطية على الجنس البشري، فهي تجعل الإنسان يعتقد أن الله لا يستطيع أن يغفر الخطايا. وحتى الابن الضال لم يطلب الغفران، بل كان يحاول دفع ثمن أفعاله بالأعمال.

"أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. اِجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ" (لوقا 15: 18 و19).

إن الطريقة الوحيدة لتوبة الإنسان هي أن تحل فيه روح المسيح فيناله كهبة مجانية، مما يمكنه من مد يديه والتماس الغفران من عند الرب ونيله.

"إِلهُ آبَائِنَا أَقَامَ يَسُوعَ الَّذِي أَنْتُمْ قَتَلْتُمُوهُ مُعَلِّقِينَ إِيَّاهُ عَلَى خَشَبَةٍ. هذَا رَفَّعَهُ اللهُ بِيَمِينِهِ رَئِيسًا وَمُخَلِّصًا، **لِيُعْطِيَ إِسْرَائِيلَ التَّوْبَةَ وَغُفْرَانَ الْخَطَايَا**" (أعمال 5: 30 و31).

عندما أخطأ آدم تولدت فيه رغبات عدائية تجاه الله. فقد أصبح قلبه في حرب معه، لأننا نقرأ:

"لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ مَوْتٌ، وَلكِنَّ اهْتِمَامَ الرُّوحِ هُوَ حَيَاةٌ وَسَلاَمٌ. **لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ للهِ**، إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعًا لِنَامُوسِ اللهِ، لأَنَّهُ أَيْضًا لاَ يَسْتَطِيعُ" (رومية 8: 6 و7).

ولكي يعطي الله القدرة لآدم أن يتوب ويلتمس الغفران، فقد أرسل روح ابنه إلى قلب آدم لكي يصرخ قائلاً: "يَا أَبَا الآبُ". إن روح يسوع الذي كان في آدم منحه النعمة حتى يصرخ بهذه الصرخة، ولا سواه.

"ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: «يَا أَبَا الآبُ»" (غلاطية 4: 6).

عندما جاء المسيح لآدم رغم خوفه الشديد منه وعدم رغبته التامة في الحديث معه، كان مضطرًا لتحمل العداوة التي كانت في قلب آدم ليمنحه نعمةً. وهذه العداوة تجرح قلب المسيح وتسبب له آلامًا رهيبة.

"وَقَدْ قَالَ حَقًّا: «إِنَّهُمْ شَعْبِي، بَنُونَ لاَ يَخُونُونَ». فَصَارَ لَهُمْ مُخَلِّصًا. فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ تَضَايَقَ، **وَمَلاَكُ حَضْرَتِهِ خَلَّصَهُمْ. بِمَحَبَّتِهِ وَرَأْفَتِهِ هُوَ فَكَّهُمْ وَرَفَعَهُمْ وَحَمَلَهُمْ كُلَّ الأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ**" (إشعياء 63: 8 و9).

وبهذا المعنى يكون المسيح هو الحمل المذبوح منذ تأسيس العالم (رؤيا 13: 8). فلكي يمنح البشر الرحمة والغفران، كان على الرب يسوع أن يتحمَّل عذاب رفض البشر وكرههم له، فهو محتقرٌ ومخذولٌ من الناس، رجلُ أوجاعٍ ومختبرُ الحزن. وفي كل مرة يرفض فيها البشر دعوة المسيح ويقاومون توسلاته للقلب، فهذا الرفض يخترق أعماق محبته لهم. وأي استعلان للشر من قلوب البشر يسبب حزنًا لا يُوصَف للمسيح لأجل الجاني والضحية على حدٍ سواء. ومن هذا المنظور فقد كان حقًا السيّد المسيح مُحتقرًا ومخذولاً من الناس في الوقت الذي كتب فيه النبي إشعياء هذه الكلمات قبل ظهور المسيح على الأرض بسبعمائة سنة. ولذلك فهو اليوم يحمل نفس الحزن كصليب على

كتفيه ليمنح البشرية مزيدًا من الوقت للابتعاد عن طرقهم القاسية والردية والتعرف على صفات أبيه الحقيقية.

لقد قرر الجنس البشري ألا يؤمن أو يصدق أن باستطاعة الله الغفران، فاضطر السيّد المسيح أن يدفع هذا الثمن ليفتدي الجنس البشري. ولكي يأخذ مكاننا كان عليه أن يموت كما يموت الناس، واختبر الموت الذي يؤمن فيه الخاطئ بأن الله لن يغفر له. فكذبة الشيطان أن الله لا يستطيع الغفران هي ما تجعل للشيطان سلطان الموت. ولذلك لم يستطع المسيح هزيمة الشيطان إلا من خلال الموت.

"فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ **بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ**" (عبرانيين 2: 14).

إن موت الصليب هو الموت الذي تتطلبه الخطية وليس الله. عندما ينغمس شخص ما في الخطية متجاوزًا كل الخطوط الحمراء، فرجوعه يكون مستحيلاً، إذ أن ذهنه أصبح خاليًا من معرفة الرحمة والنعمة، والنتيجة الوحيدة الممكنة هي الموت. عندما ينظر الإنسان إلى شريعة الله الكاملة كمرآة ويحاول أن يُنسِب الموت إلى الله، فالانعكاس يرجع في الحال إلى الإنسان ويُهلِكه.

"لأَنَّهُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ سَامِعًا لِلْكَلِمَةِ وَلَيْسَ عَامِلًا، فَذَاكَ **يُشْبِهُ رَجُلًا نَاظِرًا وَجْهَ خِلْقَتِهِ فِي مِرْآةٍ**" (يعقوب 1: 23).

"لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ" (متى 7: 2).

عندما أكل أدم من ثمر الشجرة المُحرَّمة، اختار أن يؤمن بأن الله لا يهتم بمصلحته ولا يريد خيره. اختار أن يصدق الحيَّة – الشيطان – وإتهم الله بأنه كذاب وأناني. وعندما عُرِضت هذه الأفكار الكاذبة التي كانت في ذهنه على مرآة شريعة الله الكاملة، عادت إليه مباشرةً وحكمت عليه بما كان يفهم ويدرك. فتصوره الخاطئ عن الله يبَّس تمامًا يديه التي كان ينبغي أن يمدها طلبًا للرحمة والنعمة. وكان من المستحيل عليه أن يعود من هذا الوضع، فالموت لابد أن يكون النتيجة، لأن هذه هي العقوبة التي حددها هو بنفسه.

ولكي يُظهِر هذه المبادئ للعالم، جاء السيّد المسيح ليعلن لنا الصليب وحتى نتمكن نحن من تمييز الطبيعة الحقيقية للخطية. لقد نطق الرب يسوع بكلام الإنسان المثقَّل والمُحمَّل بالخطية:

وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟" (متى 27: 46).

لم يترك الله ابنه على الإطلاق. ولكن عندما حَمَلَ المسيح خطايانا في جسده، فقد مات موت الإنسان الذي لا يمكن أن يُغفَر له لأن هذه هي إرادة الإنسان – الإنسان الذي، عندما تضغط عليه خطاياه، يظن أنه لا يمكن أن يحصل على الغفران، ولا يوجد لديه يقين نواله الغفران، فيشعر أن الله قد تخلّى عنه وتركه. إننا نرى في كلمات المسيح هذه لعنة الخطية التي حلَّت عليه، اللعنة التي عبَّر عنها قايين عندما قال:

"إِنَّكَ قَدْ طَرَدْتَنِي الْيَوْمَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، وَمِنْ وَجْهِكَ أَخْتَفِي وَأَكُونُ **تَائِهًا** وَهَارِبًا فِي الأَرْضِ ..." (تكوين 4: 14). والترجمة التفسيرية لهذه الآية تقول: "ها أنت اليوم قد طردتني عن وجه الأرض، ومن أمام حضرتك أختفي، وأكون **شريدًا طريدًا** في الأرض".

إن كلمة "تائهًا" أو "طريدًا" يمكنها أن تعني "يترنح" و "يهتز". لقد أوضح السيّد المسيح أنه حمل لعنة قايين، وأحسَّ أن وجه الله قد احتجب، فاهتز بسبب إحساسه بخطايانا وحمله عارنا. يكشف لنا الكتاب المقدس ما هو الشيء الذي يحجب وجه الآب.

"لأَنِّي مِنْ أَجْلِكَ احْتَمَلْتُ الْعَارَ. غَطَّى الْخَجَلُ وَجْهِي" (مزمور 69: 7).

"بَلْ آثَامُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلهِكُمْ، وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ" (إشعياء 59: 2).

فإذ كان المسيح مثقلاً ومُحمَّلاً بالخطايا صرخ قائلاً:

"لأَنَّ شُرُورًا لاَ تُحْصَى قَدِ اكْتَنَفَتْنِي. **حَاقَتْ بِي آثَامِي، وَلاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُبْصِرَ.** كَثُرَتْ أَكْثَرَ مِنْ شَعْرِ رَأْسِي، وَقَلْبِي قَدْ تَرَكَنِي" (مزمور 40: 2).

كما نقرأ في إشارة إلى الآب:

"لأَنَّهُ لَمْ يَحْتَقِرْ وَلَمْ يُرْذِلْ مَسْكَنَةَ الْمِسْكِينِ، وَلَمْ يَحْجُبْ وَجْهَهُ عَنْهُ، بَلْ عِنْدَ صُرَاخِهِ إِلَيْهِ اسْتَمَعَ" (مزمور 22: 24).

لقد غطّى عار خطايانا وجه يسوع حتى لا يرى وجه الآب. والموت الذي واجهه هو الموت الذي سيواجهه كل الخطاة في ختام الصراع العظيم. لقد شعر المسيح بجمر النار في نفسه.

حِبَالُ الْهَاوِيَةِ حَاقَتْ بِي. أَشْرَاكُ الْمَوْتِ انْتَشَبَتْ بِي (أطبقت عليَّ). فِي ضِيقِي دَعَوْتُ الرَّبَّ، وَإِلَى إِلهِي صَرَخْتُ، فَسَمِعَ مِنْ هَيْكَلِهِ صَوْتِي، وَصُرَاخِي قُدَّامَهُ دَخَلَ أُذُنَيْهِ. فَارْتَجَّتِ الأَرْضُ وَارْتَعَشَتْ، أُسُسُ الْجِبَالِ ارْتَعَدَتْ وَارْتَجَّتْ لأَنَّهُ غَضِبَ. صَعِدَ دُخَانٌ مِنْ أَنْفِهِ، وَنَارٌ مِنْ فَمِهِ أَكَلَتْ. جَمْرٌ اشْتَعَلَتْ مِنْهُ" (مزمور 18: 5 – 8).

لقد اختبر السيّد المسيح موت الأشرار، إذ خرجت نارٌ من وسط أحشائه وأكلته. فخطايانا التي حملها المسيح جعلته يعاني ويتألم مثلما سيعاني الشيطان وكل الأشرار ويتألمون في النهاية.

"قَدْ نَجَّسْتَ مَقَادِسَكَ بِكَثْرَةِ آثَامِكَ بِظُلْمِ تِجَارَتِكَ، فَأُخْرِجُ نَارًا مِنْ وَسْطِكَ فَتَأْكُلُكَ" (حزقيال 28: 18).

لقد تنجَّس مَقدِس المسيح أو هيكل جسده بكثرة آثامنا حيث أنه أخذ مكاننا وصار بديلنا. فهو جُرح لأجل معاصينا، وسُحِق لأجل آثامنا. إن الموت الرهيب الذي سيواجهه الشيطان قد اختبره السيّد المسيح بالفعل على الصليب. لقد انفجر قلب المسيح من النار التي اندلعت من وسطه، فخرج من هناك دم وماء. لقد مات المسيح في نيران جحيمٍ حي، وهذا هو بالضبط ما سيحدث للأشرار والطريقة التي سيهلكون بها. ولكن كما أن الآب لم يترك ابنه أبدًا، بل تألم معه من خلال موته على الصليب، كذلك أيضًا سيكون الآب السماوي والمخلّص الحبيب حاضرين مع الأشرار يتألمان معهم في نيران الجحيم تلك. وهذا شيء يستحق أن أتوقف وأتأمل فيه. يخبرنا الكتاب المقدس:

"فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ تَضَايَقَ ... " (إشعياء 63: 9).

لا يمكن لأي أب أن يفرح بفقدان أو موت أحد أبنائه، فهذا يسبب ألمًا وعذابًا شديدًا له. وكذلك الآب السماوي وابنه سيختبران مرةً أخرى آلام ومعاناة الصليب مع الأشرار في موتهم. وإذ يقف الأبرار على أسوار صهيون ويرون أولئك الذين يحبونهم وهم في لهيب النار، سيساعدهم المخلّص على اجتياز ذلك الاختبار المؤلم، وسوف يستغرق الأمر ألف سنة لإعدادهم لهذا الحدث. ومثل مريم والتلاميذ الذين بكوا من شدة الألم والعذاب عندما كانوا ينظرون إلى ابن الله وهو على الصليب، كذلك أيضًا الأبرار سيتألمون بسبب فقدانهم أحبائهم إلى الأبد الذين رفضوا نعمة الله. حينئذ فقط سيمسح الله كل دمعة من عيوننا كما يقول الكتاب.

"وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ" (رؤيا 21: 4).

يحدث هذا بعد موت الأشرار الذي ورد ذكره في رؤيا 20:

"وَسَلَّمَ الْبَحْرُ الأَمْوَاتَ الَّذِينَ فِيهِ، وَسَلَّمَ الْمَوْتُ وَالْهَاوِيَةُ الأَمْوَاتَ الَّذِينَ فِيهِمَا. وَدِينُوا كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ. وَطُرِحَ الْمَوْتُ وَالْهَاوِيَةُ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ. هذَا هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي. وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُوجَدْ مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ" (رؤيا 20: 13 – 15).

وكما قام المسيح من قبر الألم منذ 2000 عام، سيقوم أيضًا من العذاب الناجم عن فقدانه بلايين من أبنائه الذين بصقوا عليه واحتقروه ورفضوا رحمته المُحسِنة إليهم. وكما أقيم المسيح ببركة الآب، سنقوم معه أيضًا للدخول إلى الأرض الجديدة ولن يتبقى ولو حتى ظلاً واحدًا من الحزن.

لنعود مجددًا إلى آلام المسيح على الصليب لنلاحظ شيء ما. وهذا الشيء هو أنه رغم أن المسيح كان في قمة اليأس عندما شعر بالوحدة والانفصال الكاملين، فبالإيمان طلب من الآب أن يغفر لقاتليه.

"فَقَالَ يَسُوعُ: يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لوقا 23: 34).

إن موت الصليب يفضح إكذوبة الشيطان بأن الله لا يستطيع أن يغفر لنا. فنرى أن الله بَذَل (تَخلّى عن) ابنه طوعًا من أجل إرضاء مفهومنا البشري الخاطئ عن العدالة. لقد سمح له أن يموت بدون رجاء، لكي نستطيع نحن بمجرد أن نرى أنه قد قام من القبر، أن نختار حينئذ أن نؤمن ونصدق أننا بالفعل نستطيع أن نحصل على غفران خطايانا وننال رجاء جدة الحياة المبارك. فيدخل روح ابن الله في قلوبنا ويرفع أيدينا اليابسة روحيًا لتتمسَّك برحمة الله.

شيء رائع وعظيم أن نعرف أن الله لم يطلب الموت، فهو لا يقف من الخاطئ موقف منفذ الحكم وعقوبة الموت. لقد سمح الآب السماوي طوعًا لابنه أن يرينا عاقبة أولئك الذين يرفضون الإيمان برحمة الله، وهو لم يقتل ابنه ليشبع أو يهدئ غضبه، بل أسلم ابنه لغضبنا حتى نرى بموته محبة الله.

إن التحذير الذي أعطاه الله في الجنة بأنه في اليوم الذي سيأكل فيه آدم من شجرة المعرفة فموتًا سيموت، لم يكن تهديدًا بقتله، بل كان تحذيرًا من الدينونة أو الحكم الذي سيجلبه الإنسان على نفسه

في حالة اختياره الإيمان بأن الله هو إله أناني ولن يعفو أو يغفر له. إنها حقيقة جميلة، فالمسيح وحده استطاع أن يفهم ما هو العرض والطول والعمق والعلو لمحبة الله، وكان يعلم أن باستطاعة الإنسان طلب الرحمة والغفران من الله (متى 11: 27). فمن الواضح إذن أن ابن الله هو الذي يمد يديه ليلمس قلوب الناس ويمنحهم الشجاعة لكي يؤمنوا أن باستطاعتهم نيل الغفران.

عظيمٌ هو إعلان الصليب هذا! دعونا ألا نحسب المسيح "مُصابًا مضروبًا من الله ومذلولاً"، بل بالأحرى أنه "محتقرٌ ومخذولٌ من الناس"، وأنه مصابٌ ومضروبٌ بسبب الفهم الخاطئ لشخصية الله وصفاته. لم يطلب الله الموت كعقاب للخطية، فالموت هو بالأحرى النتيجة الأكيدة للاعتقاد بأن الله لن يغفر.

4. ابني الحبيب

كانت هناك فترة توقف طويلة إذ كانا يعانقان واحدهما الآخر، وكانت المشاعر بينهما قوية جدًا ومتبادلة، لكنهما كانا يعلمان أن الوقت قد حان. فمنذ أيام الأزل كان الآب والابن في شركة وثيقة معًا، إلا أن هذه الشركة أوشكت على الانفصام. فقد كان على ابن الله أن يبدأ الجزء الأرضي من مهمته ليخلّص أبنائه وبناته البشريين. وقد كان الآب والابن على دراية بالمخاطر والتكلفة المترتبة على ذلك، لكن المحبة هي التي دفعتهما للأمام.

نظر الآب والابن للحظة إلى المستقبل وشاهدا مهمته تنكشف أمام أعينهما. لم يكن لكل ما تعرض له الابن من سخرية ورفض واحتقار وبصق وضرب وجلد ومسامير، أي معنى على الإطلاق مقارنةً بتلك اللحظة المرعبة التي وقفت فيها السماء والأرض في صمت لتنظر انفصال الآب والابن. لقد رأى الابن آلاف السنين من العار والخطايا والألم والعصيان وانعدام القيمة وهي تتدحرج عليه، فكان يرتعش كورقة الشجرة التي تذريها الريح، مسحوقًا وجريحًا بإحساس الخطية الذي يحجب وجه أبيه.

وبعد أن انتهيا من رؤية هذه المشاهد المستقبلية، عانق الآب والابن بعضهما. فكيف يمكن للآب أن يُسلّم ابنه لهذا المصير؟ لقد كان الصراع يدور في قلب الآب قبل تأسيس العالم حول إمكانية فشل هذه المهمة وفقدانه لابنه بسبب تأثير قوة الخطية. فابن الله كان سيلبس طبيعتنا البشرية مقدمًا بذلك الفرصة لخصمه اللدود – الشيطان – أن ينتصر عليه. ونجاح هذه المهمة لم يكن مضمونًا قبل البداية. فقد وضع الآب نفسه في موضع بحيث أنه كانت هناك إمكانية أن يفقد ابنه إلى الأبد وهو

يحاول أن يخلّصنا. لقد تجلّى عطف الآب العظيم الذي ورثه الابن منه في طلب الابن من الآب أن ينزل إلى الأرض ليخلّصنا. فهل يسمح الآب لابنه أن يفعل ذلك؟ هل يسمح له أن يخاطر بنفسه؟

إن عمق محبة الآب لنا تُقاس بمحبته لابنه واستعداده للمجازفة من أجل خلاصنا. ونرى صورة لمحبة الآب عندما تحدث أثناء معمودية ابنه.

"وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلًا: هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ" (متى 3: 17).

إن الآب يُسرُّ ويفرح بابنه. ما من كنز في حياة الآب أعظم من ابنه. وقال ابن الله في حديثه عن ولادته في السماء:

"مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَرَّرَتِ الْجِبَالُ، قَبْلَ التِّلاَلِ أُبْدِئْتُ. إِذْ لَمْ يَكُنْ قَدْ صَنَعَ الأَرْضَ بَعْدُ وَلاَ الْبَرَارِيَّ وَلاَ أَوَّلَ أَعْفَارِ الْمَسْكُونَةِ. لَمَّا ثَبَّتَ السَّمَاوَاتِ كُنْتُ هُنَاكَ أَنَا. لَمَّا رَسَمَ دَائِرَةً عَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ. لَمَّا أَثْبَتَ السُّحُبَ مِنْ فَوْقُ. لَمَّا تَشَدَّدَتْ يَنَابِيعُ الْغَمْرِ. لَمَّا وَضَعَ لِلْبَحْرِ حَدَّهُ فَلاَ تَتَعَدَّى الْمِيَاهُ تُخْمَهُ، لَمَّا رَسَمَ أُسُسَ الأَرْضِ، كُنْتُ عِنْدَهُ صَانِعًا، وَكُنْتُ كُلَّ يَوْمٍ لَذَّتَهُ، فَرِحَةً دَائِمًا قُدَّامَهُ" (أمثال 8: 25 – 30).

ونرى ذراع الآب الحنون على كتف ابنه وهما يتشاوران ويتحاوران معًا في تكوين العالم. لقد خلق الله كل الأشياء بابنه، وكان من دواعي سرور الآب أن يرى ابنه يمارس القوى والسلطان والفطنة التي وهبه إياها.

"اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُق كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ، الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ ... " (عبرانيين 1: 1 – 3).

"اَلآبُ يُحِبُّ الابْنَ وَقَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي يَدِهِ" (يوحنا 3: 35).

لقد كانت العلاقة التي جمعت الآب بالابن وثيقة جدًا لدرجة أن السيّد المسيح استطاع القول:

"كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الابْنَ إِلاَّ الآبُ، وَلاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ" (متى 11: 27).

"كَمَا أَنَّ الآبَ يَعْرِفُنِي وَأَنَا أَعْرِفُ الآبَ" (يوحنا 10: 15).

"لأَنَّ الآبَ يُحِبُّ الابْنَ وَيُرِيهِ جَمِيعَ مَا هُوَ يَعْمَلُهُ، وَسَيُرِيهِ أَعْمَالًا أَعْظَمَ مِنْ هذِهِ لِتَتَعَجَّبُوا أَنْتُمْ" (يوحنا 5: 20).

وكما عبَّر يهوذا ليوسف عن محبة والدهم يعقوب لابنه بنيامين، نرى أيضًا أن الآب السماوي كانت حياته مرتبطة بنفس ابنه (تكوين 44: 30). وكما يعلم أي أبوين محبين لأبنائهما، فلا يوجد شيء لن تفعله في سبيل محبة أبنائك ورعايتهم وحمايتهم. مثل هذه هي محبة الآب لابنه. يمكننا في هذا السياق أن نتأمل في أعظم آية في الكتاب المقدس:

"لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا 3: 16).

إن هذه الآية تتحدث لنا عن محبة لا يمكن وصفها بل ويعجز العقل عن الفهم الكامل لها. فعندما كان الآب يستمع إلى توسلات ابنه ليخلّصنا، طغى على نفسه رعب ظلمة عظيمة لا يمكن لأي مخلوق أبدًا أن يقدرها تقديرًا حقيقيًا. وبعد صراع هائل، وافق الآب على طلب الابن ليخلّص الجنس البشري لمحبته لابنه ومحبته لنا. يا لها من محبة عظيمة! يا لها من محبة عجيبة لا توصف! مثل هذه المحبة ستكون موضوع دراستنا وتأملنا على مدار الأبدية.

وكما أشرنا سابقًا، لم تقتصر آلام المسيح على مهمته ورسالته على الأرض. فحالما وُجِدت الخطية وُجِدَ المخلص. لقد حَفِظ روح يسوع الزوجين القديسين في جنة عدن. وعندما تناولا من ثمر الشجرة المحرَّمة كما اقترحت عليهما الحيَّة التي كان يسكنها الشيطان، سُحِق المسيح برفضهما له ولأبيه. وبعد كل البركات التي حصلا عليها، فقد سبَّب جحودهما وأنانيتهما ألمًا رهيبًا كالألم الذي يشعر به الأب أو الأم عندما يبتعد أبناؤهما عنهما. لكن المسيح لم يتركهما. الطريقة الوحيدة التي كان بإمكانهما أن ينالا بها الحياة هي أن يبقى بروحه معهما ويستمر في منحهما الحياة طوال الوقت الذي يتعديان فيه شريعة أبيه ويهينان شخصيته وصفاته.

وفي كل مرة كان يرتكب فيها أحد أفراد الشعب خطية، كان عليه أن يأتي بحمل كقربان أو ذبيحة خطية.

"وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ مِنْ عَامَّةِ الأَرْضِ سَهْوًا، بِعَمَلِهِ وَاحِدَةً مِنْ مَنَاهِي الرَّبِّ الَّتِي لاَ يَنْبَغِي عَمَلُهَا، وَأَثِمَ، ثُمَّ أُعْلِمَ بِخَطِيَّتِهِ الَّتِي أَخْطَأَ بِهَا، يَأْتِي بِقُرْبَانِهِ عَنْزًا مِنَ الْمَعْزِ أُنْثَى صَحِيحَةً عَنْ خَطِيَّتِهِ الَّتِي أَخْطَأَ. وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ ذَبِيحَةِ الْخَطِيَّةِ، وَيَذْبَحُ ذَبِيحَةَ الْخَطِيَّةِ فِي مَوْضِعِ الْمُحْرَقَةِ ... وَجَمِيعَ شَحْمِهَا يَنْزِعُهُ كَمَا نُزِعَ الشَّحْمُ عَنْ ذَبِيحَةِ السَّلاَمَةِ، وَيُوقِدُ الْكَاهِنُ عَلَى الْمَذْبَحِ رَائِحَةَ سَرُورٍ لِلرَّبِّ وَيُكَفِّرُ عَنْهُ الْكَاهِنُ فَيُصْفَحُ عَنْهُ. وَإِنْ أَتَى بِقُرْبَانِهِ مِنَ الضَّأْنِ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ، يَأْتِي بِهَا أُنْثَى صَحِيحَةً. وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ ذَبِيحَةِ الْخَطِيَّةِ، وَيَذْبَحُهَا ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَذْبَحُ فِيهِ الْمُحْرَقَةَ" (لاويين 4: 27-29 و 31-33).

تكشف هذه العملية الحقيقة المُحزِنة وهي أن كل خطية تسبب ألمًا وعذابًا لابن الله. ومنذ الخطية الأولى وحتى يومنا هذا، يعاني المسيح من آلام الرفض والحزن العميق بسبب ما يفعله أبناؤه الضالون بعضهم البعض على الأرض. فكل خطية تُرتكب تصلبه ثانية وتجعله عرضة للعار (عبرانيين 6: 6). وهذا النوع من الألم والعذاب يفوق الإدراك البشري، إذ يعجز عقلنا البشري أن يدرك أن العذاب والآلام التي تعرَّض لها المسيح لم تكن مجرد ثماني وأربعين ساعة، بما في ذلك الأحداث التي سبقت الصلب وأحداث الصلب نفسها، أو حتى ثلاث وثلاثين عامًا على الأرض، بل كانت في الواقع ستة آلاف سنة من الألم والعذاب والرفض المستمر. إذا تمكنا من استيعاب كل هذا الألم والعذاب وهو يخترق قلب الآب، فسنرى حقًا أن العذاب الذي يشعر به الآب لا يقل عن العذاب والآلام التي يشعر بها ابنه، ذلك لأن كل أب يتألم عندما يتألم أبناؤه.

"أَيْ إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعًا فِينَا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ" (كورنثوس الثانية 5: 19).

أيمكننا أن ندرك عذاب الآب وألمه وهو يراقب باهتمام شديد معاملة العالم لابنه؟ أيمكننا أن نتخيل انسحاق قلب الآب عندما سأله ابنه:

"يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ، وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ" (متى 26: 39).

قد نشعر بالتعزية عند معرفتنا أن آلام المسيح حدثت قبل ألفي عامٍ فقط، إلا أن المسيح يتألم الآن من أجل كل الأطفال الذين اقتنصهم الشيطان وأوقعهم في شرك الاستغلال الجنسي، ومن أجل كل

الأطفال الذين لا مأوى لهم ويتضورون جوعًا، وذلك بسبب أنانية الإنسان، ومن أجل كل ضحايا العنف المنزلي والاغتصاب، ومن أجل الملايين العالقين في تعاطي المخدرات والكحول، ومن أجل المئات الذين يحاولون الانتحار كل يوم. يشعر المسيح بكل هؤلاء وكذلك الآب أيضًا. وهذا العذاب والألم لا يقتصر فقط على ضحايا هذه الأعمال القاسية، بل يشمل أيضًا مرتكبيها. فروح المسيح يحاول أن يخلّص مَنْ يؤذون الآخرين ويسيئون إليهم بتبكيتهم على خطيتهم. والذنب الذي يشعرون به لا يُرسَل ليدينهم بل ليخلّصهم من تقسية قلوبهم وهلاك أنفسهم. أي أن الذنب الذي يشعرون به يُرسَل للإنقاذ، وليس لمجرد الدينونة أو اللعنة. ومثلما تقاوم النفس التبكيت على الخطية وترفض الشعور بالذنب وذلك بإدمان الكحول أو المخدرات أو بأي شيء من شأنه أن يوقف العقل عن التفكير في ما عُمِلَ، كذلك أيضًا المسيح يُحتَقَر ويُرفَض ويُجبَر على الصمت. وهذا يحدث في ملايين النفوس كل يوم، إذ يرفضون المحبة الإيثارية الباذلة التي تجلّت على الصليب الذي لا يستطيعون النظر إليه بسبب قوته ونوره البرَّاق.

قد نُجرَّب الآن أن نصرخ كما صرخ الفريسيين قائلين:

> "يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ! وَكَذلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ مَعَ الْكَتَبَةِ وَالشُّيُوخِ قَالُوا: خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَنُؤْمِنَ بِهِ!" (متى 27: 40 – 42).

نرى الاستجابة الحقيقية في حياة مريم المجدلية. لقد استوعبت وأدركت أن المسيح سيتألم على الصليب من أجلها، وآمنت أن خطاياها قد غُفِرت من خلال ما قام به هو. وقد فاض شكرها برائحة العطر الذي صنعته من أجل الملك وسكبته على قدميه.

إلا أن السؤال الذي ينبغي طرحه هو: إذا كان الله كلي القدرة وكلي القوة، فلماذا يسمح لنفسه ولابنه أن يتعرضا لهذا القدر من الألم والعذاب والمعاناة؟ والسؤال الثاني: لماذا لا يتدخل ويرفع كل هذا الألم والعذاب بكل بساطة؟ هذا هو موضوع الفصل التالي. فلتنظروا الآن إلى حمل الله الذي يرفع خطية العالم، وتأملوا بتعجب في محبة أبينا السماوي وصبره وتحمله لكل هذه الآلام على مدار الـ 6000 سنة الماضية. لقد أحب الله العالم بالفعل حتى بذل ابنه الوحيد.

5. أحبوا أعداءكم

عندما قدَّم يوحنا المعمدان الرب يسوع للناس بصفته المسيا المُنتظر، بعث ذلك أملاً في تجدد العظمة القومية في قلوبهم. وجعلهم يظنون أن الله قد أرسل لهم ملكًا أو فاتحًا مثل يهوذا المكابي الذي أنهى نير الإمبراطورية السلوقية، ففجَّر ذلك فيهم طاقات القومية اليهودية بينما كانوا يتأملون في محنتهم الحالية تحت قبضة روما الحديدية. وإذ بدأت جموع كثيرة من الناس تلتف حول هذا المعلم الجديد، وأبصروا إعلان قوته المتجلي في شفاء المرضى، بدأ يدب فيهم شعورٌ بالتَرقُّب والتَطلّع.

"وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ، وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْب. فَذَاعَ خَبَرُهُ فِي جَمِيعِ سُورِيَّةَ. فَأَحْضَرُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ السُّقَمَاءِ الْمُصَابِينَ بِأَمْرَاضٍ وَأَوْجَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَالْمَجَانِينَ وَالْمَصْرُوعِينَ وَالْمَفْلُوجِينَ، فَشَفَاهُمْ. فَتَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْجَلِيلِ وَالْعَشْرِ الْمُدُنِ وَأُورُشَلِيمَ وَالْيَهُودِيَّةِ وَمِنْ عَبْرِ الأُرْدُنِّ" (متى 4: 23 – 25).

وبعد أن قام الرب يسوع باختيار الرُسُل الاثني عشر، ذهب معهم إلى شاطئ البحر. فبدأت الجموع تأتي إليه، بعضهم للاستماع والبعض الآخر للشفاء. وإذ تكاثر الجمع، اقتادهم إلى الجبل وبدأ يعلّمهم هناك. لم تشبه كلمات البركة التي خرجت من شفتيه أي شيء سمعته البشرية من قبل. "طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ ... طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ ... طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ" بكلمات مثل هذه كان يعلّمهم (متى 5: 5 و7 و9). فبدلاً من توجيه كلمات الثناء والمدح للأقوياء وجبابرة البأس الذين يحملون أسلحتهم ببراعة

ومهارة في سبيل الحق، نطق بالبركة على المضطهدين والمطرودين من أجل البر والذين يتحمَّلون السب والتعيير والإساءة من أجل اسمه (متى 5: 10 و11). ولم ينطق بكلمات الانتقام التي ينطقها القائد العسكري وهو يجمع جيوشه للحرب، بل أظهر وداعة وعطف ومحبة أبيه التي أراد أن يراها في كل أتباعه.

وهذه الكلمات التي نطق بها السيِّد المسيح لم يعلِّم الآخرين بها فحسب، بل جسَّدها فعليًا في كل تفاصيل حياته على الأرض. لقد تجلّى عطفه وحنانه ورحمته وصبره على جميع البشر في كل حين. وفي نهاية خدمته الأرضية لم يُظهِر احتماله للسخرية والضرب والموت ولو حتى خيطًا واحدًا من التهديد أو الأخذ بالثأر أو الرغبة في الانتقام. فما كان يعلّمه في ذلك اليوم أظهر بالضبط شخصيته وصفاته الحقيقية، وكممثل ونائب عن أبيه، أظهر أيضًا صفات الله وشخصيته الحقيقية. ومن الضروري أن نفهم أن الرب يسوع لم يخبرنا شيئًا لا يفعله هو شخصيًا، ولم يطبق علينا قواعد وقوانين مختلفة لا يلتزم بها هو لكونه إلهًا (يحمل صفات إلهية). كلا. فلأنه إلهًا، فهو يعيش بنفس الطريقة التي تحدث بها إلينا على الجبل.

لقد فضحت كلمات الرب يسوع كبرياء اليهود وطموحهم، وبما أن هذه الكلمات عامة وجامعة فهي تشمل كل بني البشر، وبذلك فهي تفضح أيضًا كبرياء البشر وطموحهم. فنكتشف حقيقة أن صلاح الله الذي يراه الإنسان الخاطئ يقوده إلى التوبة ويكشف له معنى كلمات الرب يسوع الافتتاحية في عظته على الجبل – طوبى للمساكين بالروح، وطوبى للحزانى الذين يحزنون بسبب كبريائهم الأناني وطموحهم.

ولا يزال ابن الله يفضح المشكلة البشرية إذ يواصل حديثه قائلاً:

> **"**قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلًا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ **نَارِ جَهَنَّمَ"** (متى 5: 21 و22).

نرى في هذه الآيات أن الرب يسوع يستفيض في شرح الكلمات التي أعطيت لموسى قبل ذلك بقرون من الزمان. وهو لا يحذف حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس كما يعتقد البعض، بل بالأحرى يعظّمه ويمجّده بالنور.

"لاَ تُبْغِضْ أَخَاكَ فِي قَلْبِكَ. إِنْذَارًا تُنْذِرُ صَاحِبَكَ، وَلاَ تَحْمِلْ لأَجْلِهِ خَطِيَّةً. لاَ تَنْتَقِمْ وَلاَ تَحْقِدْ عَلَى أَبْنَاءِ شَعْبِكَ، بَلْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. أَنَا الرَّبُّ" (لاويين 19: 17 و18).

مَنْ منا لم يغضب من الذين يسيئون معاملتنا؟ ومن منا لم تخطر بباله أفكار انتقامية أو رغبة في تصفية الحساب مع أولئك الذين يقللون من شأننا أو يهينوننا؟ ومَنْ منا لا يضمر في قلبه الحقد أو الضغينة لشخصٍ ما طوال الوقت؟ كتب يوحنا الرسول الكلمات التالية في وقت لاحق مستفيضًا في شرح كلمات الرب يسوع:

"كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ قَاتِلِ نَفْسٍ لَيْسَ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِ" (يوحنا الأولى 3: 15).

ما هو نوع هذه المملكة التي يتحدث عنها الرب يسوع؟ كلُ مَنْ يُبغِض إنسانًا فهو قاتل نفس ويستوجب الموت؟ ما هي "نار الجحيم" أو "نار جهنم" التي يتحدث عنها الرب يسوع في متى 5: 22؟ اسأل قايين وهو يصرخ في ألم وعذاب قائلاً: "ذنبي أعظم من أن يُغتَفَر" (تكوين 4: 13 – ترجمة ويكلف). اسأل الرب يسوع وهو معلق على الصليب حاملاً عار كراهية وانتقام وأنانية البشر كلها. اسأله عن "نار الجحيم" التي تحل على أولئك الذين يعيشون بهذه الطريقة.

هل تعرضت من قبل لإساءة أو جرح عميق من شخص مقرَّب وعزيز عليك؟ هل شعرت بالغضب تجاهه؟ هل عانيت وأنت تحاول التوقف عن التفكير في مقدار الجرح الذي صدر من هذا الشخص بحقك ورغبتك الشديدة في تصفية الحسابات؟ أليس هذا يعد جحيمًا حيًا؟ ألا تحترق مثل هذا الأفكار في قلوبنا؟ إذن فكيف يستجيب القلب للأفكار التي تدور في أذهاننا حول الرغبة الفعلية في موت شخص ما؟ وكيف يشعر روح يسوع، الألزق من الأخ، عندما نراعي في قلوبنا أفكار ترغب وتتمنى موت الآخرين؟ ربما نعلم أن تمني موتهم هو أمر خاطئ، لكننا لا نرغب ببساطة في رؤيتهم مرة أخرى. ولكن أليس هذا ببساطة ثمر مختلف اللون من الشجرة نفسها؟ وكيف يتألم الرب يسوع في نار جهنم هذه عندما نسمح لمثل هذه الأفكار أن تسيطر علينا وتتحكم فينا؟

إن كلمات المسيح تمثل هجومًا مباشرًا على المبادئ أو المعايير التي تحكم علاقات البشر ببعضهم البعض. إن الدعوة إلى الوداعة والتواضع والصبر في وجه الإساءة والمعاملة السيئة تتطلب من المستمع إليها أكثر بكثير مما يستطيع تقديمه، وهذا هو القصد. فيقول الرب يسوع:

"لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ" (مرقس 2: 17).

يتابع الرب يسوع بدقة شديدة هذا الحديث الملكي، ليهيئ قلوب البشر لتلقي نعمته. وبعبارة واحدة يكشف عن أنانية كل إنسان:

"قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ" (متى 5: 27 و28).

أي رجل صادق مع نفسه يعلم أن هذه الكلمات تخاطب صُلب مشكلته بشكل مباشر وتؤنب ضميره. يعلن السيّد المسيح أن هذه المشكلة هي الذات، وأن قلب الفرد يحتاج إلى الإصلاح. فالله هدفه هو أن يغرس مبدأ جديد في الإنسان، وهو مبدأ لا يمتلكه ولا يمكن أن يمتلكه من تلقاء نفسه. وهو يقدّم لنا إيمان المسيح: "ملكوت الله فيكم" والذي بمجرد نواله "كل الأشياء تصير جديدة". فحياة رجل الإيمان وأفعاله هي ببساطة تعبير عن هذا المبدأ، الذي تبدأ بركاته في داخله ثم تتدفق إلى الخارج لمن حوله، بغض النظر عن الحكومة أو الثقافة التي ينتمي إليها. والعالم يظن أن الله يعمل من الخارج أولاً ثم يبدأ بعد ذلك في العمل من الداخل، والإنسان يظن أن الله سوف يصلح العالم أولاً، وذلك بالإطاحة بالأشرار والقضاء عليهم وتأسيس أمة من الأبرار المستحقين. إلا أن الخطة المتمثلة في العمل من الخارج أولاً ثم محاولة العمل من الداخل تفشل باستمرار وستظل تفشل. فما يطلبه المسيح يستحيل على الإنسان تحقيقه، ولكن بفضل الله ونعمته، فكل الأشياء ممكنة في المسيح.

إذا كان هناك من يؤمن بقلبه أنه لم يرتكب أي خطأ من قبل، فإن كلمات الرب يسوع التالية تحطّم هذه الاحتمالية، ولن تُبقي إلا الشعور بالخطية والاعتراف بها وقبول الصليب.

"سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا. وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلًا وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ. مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ. سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لأَنَّهُ

إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ" (متى 5: 38 – 48).

هل سبق وأن قام أحد الأشخاص بالتهجم عليك دون أن تفعل أي شيء على الإطلاق لاستفزازه؟ الرب يسوع يقول حوّل له خدك الآخر. إن الأشياء المطلوبة هنا لا تستطيع القدرة البشرية تحقيقها والحفاظ عليها طوال الحياة، ومع ذلك فهذه هي مؤهلات الملكوت التي يعلنها لنا الرب يسوع. كيف يمكنك أن تحب الأعداء؟ أتحب أولئك الذين يريدون قتلك؟ أتحب أولئك الذين يتعمَّدون إيذاءك، وأولئك الذين يسعون باستمرار لجرحك؟ الرب يسوع يطلب منا أن نحبهم؟ لأي سبب؟

"لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ".

هل فهمت ذلك؟ إذا كنت وديعًا ورحيمًا وليِّنًا وصبورًا وتحب أعدائك، فإنك تعلن أنك ابن أبيك السماوي. ماذا يعني ذلك؟ هذا يعني أن الصفات السالفة هي صفات الآب! فإن كان الآب يُشرق شمسه على الأشرار والصالحين، فنحن أيضًا كأبنائه سنُشرق بمحبتنا على الأشرار والصالحين لأن هذه هي صفات أبينا السماوي.

إن هذه العظة هي أعظم جميع العظات التي سبق وأن ألقيت، لأنها تتحدث عن أعظم وأروع كائن في الوجود، أبونا السماوي، الذي يعلنه لنا مخلصنا الحبيب، ابن الله الحي، الذي يعرف صفاته الحقيقية معرفة دقيقة. فلا يوجد كائن آخر في الكون بأسره يعرف صفات الآب الحقيقية إلا ابنه، وفي هذه العظة نرى شخصية الآب وصفاته معلنةً لنا.

تكمن النقطة الختامية لهذه الحقيقية في الكلمات الأخيرة من إنجيل متى الأصحاح الخامس:

"فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ" (متى 5: 48).

وهذا يثبت لنا أن كل ما قاله الرب يسوع في هذه العظة هو إعلان عن صفات محبته. تخبرنا هذه الكلمات عن الطريقة التي يتعامل بها الآب السماوي مع المواقف. يلخص إنجيل لوقا كلمة الكمال التي أشار إليها متى البشير بهذه الطريقة:

"فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ أَيْضًا رَحِيمٌ" (لوقا 6: 36).

فالكمال إذن يوجد في الرحمة. والسؤال الذي يجب طرحه هو: إذا كان الله يحب أعداءه، وأعلن لنا من خلال ابنه أنه على استعداد أن يبذل حياته من أجل أولئك الذين يكرهونه، فلماذا يبدو أن الكتاب المقدس يعلّم أن الله يكره أعداءه كراهية كاملة؟ وأنه في حمو غضبه، ومن أجل خلاص الأبرار، مستعد أن يمحو الأشرار بجعل نارٍ وكبريتٍ ينزل عليهم، فقط ليشاهدهم وهم يموتون في صراخ عذابهم الرهيب؟

هذا هو السؤال الذي يتعيّن علينا التطرق إليه الآن، حيث توجد العديد من القصص في العهد القديم والتي يبدو في ظاهرها أن الله يحب أعداءه إلى حدٍ ما، ولكنه بعد ذلك يطلق كل غضبه المتراكم في إحدى نوابات غضبه النارية التي تمحيهم من على وجه الأرض. يشير البعض إلى أن هذا التذكير ضروري إذ أنه لا ينبغي الاستخفاف بالله أو المزاح معه، فحتى هو لديه حدودًا إذا تجاوزناها، فسوف ندفع بحياتنا ونقاسي أشد العذابات المبرحة. ستركز دراستنا المتبقية في هذا الكتاب على كيفية التوفيق بين كمال الآب الذي تحدث عنه الرب يسوع في عظته على الجبل وبين القصص التي نقرأها في العهد القديم. فمعظم الناس يعتقدون أن هناك فرق كبير جدًا بين يسوع الذي تتحدث عنه الأناجيل وإله العهد القديم، ولكن الغريب أن موسى هو مَنْ طُلِبَ منه كتابة تلك الكلمات في اللاويين التي توصي بمحبة القريب (الجار) وعدم إضمار الحقد أو الضغينة له.

كما كان هذا الفرق موجودًا عند أولئك الذين كانوا يسمعون الرب يسوع قبل 2000 عام. فبالنسبة لأولئك الذين آمنوا أن الملكوت الذي وصفه الرب يسوع هو ملكوت الله ويعبّر عن شخصيته وصفاته، فإن كلمات الرب يسوع وخدمته كانت رائحة حياة لحياة لهم. أما أولئك الذين لم يستطيعوا أن يتخلوا عن طموحاتهم الأنانية في هذا العالم، واعتقدوا أن الرب يسوع لم يصوّر أو يعبّر عن شخصية الله وصفاته وملكوته بشكل صحيح، فقد كانت بذار الكراهية مغروسة في قلوبهم تجاه يسوع، لأنه كان بالنسبة لهم دجالاً ومحتالاً. وهم لم يتعرفوا أبدًا على الإله الذي وصفه الرب يسوع لهم، ولذلك لم يستطيعوا أن يروا يسوع باعتباره ابن الله الذي يستحق عبادتهم. فلو كان الكلام الذي قاله الرب يسوع صحيحًا وحقيقيًا، فإما إنهم لم يعرفوا الإله الحقيقي أو أن إلههم قد غيّر طرقه.

هل الله صادق في كلامه عندما قال:

"لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ لاَ أَتَغَيَّرُ فَأَنْتُمْ يَا بَنِي يَعْقُوبَ لَمْ تَفْنُوا" (ملاخي 3: 6).

هل إله الأناجيل هو نفسه إله موسى وإبراهيم ونوح؟ هل الرب يسوع المسيح هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد؟ (عبرانيين 13: 8). هذه هي الأسئلة التي تتطلب قرارًا. وفي الوقت ذاته فلنفرح ولنبتهج بصفات الآب التي أعلنها الرب يسوع على ذلك الجبل، ولنتأكد أننا مع المسيح لن نحب أحباءنا وأصدقاءنا فحسب، بل أيضًا أعداءنا.

6. نارٌ من السماء

لقد كان التلاميذ يتعجبون من كلام الرب يسوع وأعماله وهم يقضون وقتًا معه. وكان بريق الملكوت الذي أعلنه في العظة على الجبل لا يزال يحاول اختراق مخادع أذهانهم المظلمة. وإذ كان تفكيرهم لا يزال ملوثًا بالرغبة في العظمة الأرضية، فقد كانوا يفكرون في المناصب والمراكز التي قد يشغلونها في ملكوت السموات. أدى هذا بطبيعة الحال إلى محاثة أخرى:

"وَدَاخَلَهُمْ فِكْرٌ مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ أَعْظَمَ فِيهِمْ؟" (لوقا 9: 46).

لماذا إتجهت أفكارهم نحو الأهمية الذاتية والاعتداد بالنفس؟ لقد كانوا فرحين ومتحمسين بقوة الله الظاهرة في الرب يسوع، لكنهم لم يكونوا على استعداد بعد لقبول صليبه. فخافوا أن يسألوه عن معنى الصليب، لأنهم لم يريدوا خيبة آمالهم.

"فَبُهِتَ الْجَمِيعُ مِنْ عَظَمَةِ اللهِ. وَإِذْ كَانَ الْجَمِيعُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ كُلِّ مَا فَعَلَ يَسُوعُ، قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: ضَعُوا أَنْتُمْ هذَا الْكَلاَمَ فِي آذَانِكُمْ: إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ. وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا هذَا الْقَوْلَ، وَكَانَ مُخْفىً عَنْهُمْ لِكَيْ لاَ يَفْهَمُوهُ، وَخَافُوا أَنْ يَسْأَلُوهُ عَنْ هذَا الْقَوْلِ" (لوقا 9: 43 – 45).

فعَلِمَ الرب يسوع فكر قلبهم الراغب في العظمة الأرضية، وأخذ ولدًا صغيرًا وأوقفه بجانبه وقال لهم:

"مَنْ قَبِلَ هذَا الْوَلَدَ بِاسْمِي يَقْبَلُنِي، وَمَنْ قَبِلَنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي، لأَنَّ الأَصْغَرَ فِيكُمْ جَمِيعًا هُوَ يَكُونُ عَظِيمًا" (لوقا 9: 48).

لم يكن لذلك الطفل البريء رغبةً في العظمة القومية، لكنه في بساطة فهمه، استجاب للمسة الدفء والحنان التي لمسه السيّد بها. كان هذا هو تعريف العظمة في ملكوته – محبة بسيطة وثابتة وواثقة في السيّد. فبساطة التلاميذ وبراءتهم قد سُلِبَت منهم بسبب طموح وإحباطات الحياة، لكن الرب يسوع جاء ليعيد لهم براءة الطفولة مقترنة بحكمة السنين.

لقد أحبَّ التلاميذ الرب يسوع لتعلقهم وصلتهم به. فكل يوم كانوا يرون حنانه وعطفه ومحبته للناس، وكانوا يسمعون الأشياء العظيمة الرائعة التي شاركها عن أبيه. وفي ذات يوم بعد فترة طويلة من العمل الشاق، أرسل الرب يسوع تلاميذه إلى قرية (ضيعة) سامرية بحثًا عن مكان للمبيت.

"وَحِينَ تَمَّتِ الأَيَّامُ لارْتِفَاعِهِ ثَبَّتَ وَجْهَهُ لِيَنْطَلِقَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَرْسَلَ أَمَامَ وَجْهِهِ رُسُلًا، فَذَهَبُوا وَدَخَلُوا قَرْيَةً لِلسَّامِرِيِّينَ حَتَّى يُعِدُّوا لَهُ. فَلَمْ يَقْبَلُوهُ لأَنَّ وَجْهَهُ كَانَ مُتَّجِهًا نَحْوَ أُورُشَلِيمَ" (لوقا 9: 51 – 53).

عندما رأى التلاميذ الطريقة التي عامل بها السامريون سيدهم، إستاؤوا من قلة حفاوتهم وضيافتهم. وفي لحظة إنفعالهم أظهروا عمق الظلمة الموجودة في قلوب البشر:

"فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ تِلْمِيذَاهُ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا، قَالاَ: يَا رَبُّ، أَتُرِيدُ أَنْ نَقُولَ أَنْ تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُفْنِيَهُمْ، كَمَا فَعَلَ إِيلِيَّا أَيْضًا؟" (لوقا 9: 54).

يبدو أن لديهم مبررًا كتابيًا لخطتهم الدموية لإحراق السامريين، إذ أنهم ذكروا قصة إيليا الذي طلب أن تنزل نارًا من السماء على أولئك الذين كانوا يريدون قتله. وبتسلحهم بهذه القصة شعر التلاميذ بأن لهم ما يبرّر دعوتهم إلى موت هؤلاء السامريين الناكرين للجميل. وكانت الإجابة التي قدمها الرب يسوع بمثابة صدمة كبيرة لهم:

"فَالْتَفَتَ **وَانْتَهَرَهُمَا** وَقَالَ: لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا! لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّصَ" (لوقا 9: 55 و56).

تكشف هذه الكلمات عن جوهر رسالة الرب يسوع وصفاته. فالرب يسوع ليس مُهلِكًا أو قتَّالاً، بل هو الفادي والمخلّص. ويمكننا أن نستنتج من هذه الكلمات أن الرب يسوع لم ينتهر التلاميذ فحسب، بل انتهر أيضًا أفعال إيليا.

"فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَئِيسَ خَمْسِينَ مَعَ الْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ، فَصَعِدَ إِلَيْهِ وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ. فَقَالَ لَهُ: «يَا رَجُلَ اللهِ، الْمَلِكُ يَقُولُ انْزِلْ». فَأَجَابَ إِيلِيَّا وَقَالَ لِرَئِيسَ الْخَمْسِينَ: «إِنْ كُنْتُ أَنَا رَجُلَ اللهِ، فَلْتَنْزِلْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَتَأْكُلْكَ أَنْتَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَكَ». فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُ هُوَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ" (ملوك الثاني 1: 9 و10).

القراءة السطحية العابرة لهذه القصة تشير إلى أنه على الرغم من أن الرب يسوع جاء إلى الأرض ليخلّص نفوس الناس، إلا أن إله العهد القديم كان على أتم الاستعداد لحرق البشر وهم على قيد الحياة لتجرأهم على أسر نبيه. فهل انتهر الرب يسوع كراهية التلاميذ فقط لأنهم أرادوا هلاك السامريين وإبادتهم أم أنه كان يوبّخ أيضًا أفعال إيليا؟ إن الجواب الذي قدّمه الرب يسوع للتلاميذ بشأن مهمته ورسالته يشير إلى أن التوبيخ أو الانتهار كان أيضًا لإيليا. كيف يمكن للرب يسوع أن ينتهر التلاميذ ويقول لهم أن مهمته ورسالته هي خلاص البشر ثم يوضح أنه في حالات معينة سيُهلك الناس؟ لو كان هذا هو الحال، لأخبرهم يسوع أن الوقت الحالي ليس هو الوقت لهذه الأشياء أو أنه يجب علينا أولاً أن نصلي من أجلها لفترة أطول. لم يشر الرب يسوع إلى تأجيل القصاص، وإنما كان يتحدث فقط عن تخليص حياة الناس بدلاً من إهلاكها.

على ما يبدو أن كلمات الرب يسوع التي وردت في إنجيل لوقا الأصحاح التاسع والمذكورة أيضًا في نسخة الملك جيمس للكتاب المقدس، تسبب إحراجًا للعديد من الترجمات الحديثة الإنجليزية للكتاب المقدس لأن هذه الترجمات حذفت هذه الكلمات. فعلى سبيل المثال نقرأ:

"فالتفت يسوع إليهما ووبخهما. ثم ذهب هو وتلاميذه إلى قرية أخرى" (لوقا 9: 55 و56 – الترجمة العالمية الجديدة).

"لكنه التفت وانتهرهما. ثم ذهبوا إلى قرية أخرى" (لوقا 9: 55 و56 – النسخة الإنجليزية المنقَّحة).

إن الحذف الذي قامت به الترجمات المختلفة (المتاحة باللغة الإنجليزية) لكلمات الرب يسوع، له نتائج وتداعيات هامةً جدًا تتعلق بفهم شخصية الله وصفاته. والسؤال المهم جدًا الذي ينبغي طرحه هو: مَنْ الذي أنزل النار من السماء على أولئك الأشخاص؟ يجب أن نرجع إلى قصة إيليا لنعيد التأمل في شيء مهم أظهره الله له بعد النصر العظيم الذي حققه على جبل الكرمل.

"فَقَالَ: «اخْرُجْ وَقِفْ عَلَى الْجَبَلِ أَمَامَ الرَّبِّ». وَإِذَا بِالرَّبِّ عَابِرٌ وَرِيحٌ عَظِيمَةٌ وَشَدِيدَةٌ قَدْ شَقَّتِ الْجِبَالَ وَكَسَّرَتِ الصُّخُورَ أَمَامَ الرَّبِّ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي الرِّيحِ. وَبَعْدَ الرِّيحِ زَلْزَلَةٌ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي الزَّلْزَلَةِ. وَبَعْدَ الزَّلْزَلَةِ نَارٌ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي النَّارِ. وَبَعْدَ النَّارِ صَوْتٌ مُنْخَفِضٌ خَفِيفٌ" (ملوك الأول 19: 11 و12).

ما هي النقطة التي أراد الله أن يوضحها لإيليا؟ لقد عبَّر الكتاب المقدس عن نفس المبدأ في مكان آخر حيث نقرأ:

"فَأَجَابَ وَكَلَّمَنِي قَائِلًا: هذِهِ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَى زَرُبَّابِلَ قَائِلًا: لاَ بِالْقُدْرَةِ وَلاَ بِالْقُوَّةِ، بَلْ بِرُوحِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ" (زكريا 4: 6).

لقد كان الله يخبر إيليا أنه لا يستخدم القوة لإجبار الناس على طاعة قوانين مملكته وتقدمها، بل بالأحرى أن صوته المنخفض الخفيف هو الذي يعمل في قلوب الناس لتعريفهم على الحق وإرشادهم إليه. فمن التناقض أن يخبر الله إيليا أنه ليس في النار ثم يستدير ويحرق 102 رجلاً لمحاولتهم القبض على إيليا. لقد كان العدد 102 رجلاً لأن النار اندلعت مرتين على مجموعتين مكونتين من 50 رجلاً بالإضافة إلى رؤسائهم. صحيح أن الله أرسل نارًا أكلت الذبيحة على المذبح، لكن هذه النار لم تُرسَل لتهلك حياة البشر بل لتخلّصهم. وعندما طلب إيليا أن تنزل نارًا من السماء على هؤلاء الرجال، فالرب كان قد أظهر له بالفعل أنه لا يوجد في نار ليُجبر أو يُرغم الناس على الطاعة والامتثال. أما بالنسبة لخضوع رئيس الخمسين الثالث، فهو خضوع الخنوع والذل، ولم يكن الخضوع الذي يبحث عنه الله.

"ثُمَّ عَادَ فَأَرْسَلَ رَئِيسَ خَمْسِينَ ثَالِثًا وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ. فَصَعِدَ رَئِيسُ الْخَمْسِينَ الثَّالِثُ وَجَاءَ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ أَمَامَ إِيلِيَّا، وَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: يَا رَجُلَ اللهِ، لِتُكْرَمْ نَفْسِي وَأَنْفُسُ عَبِيدِكَ هؤُلاَءِ الْخَمْسِينَ فِي عَيْنَيْكَ" (ملوك الثاني 1: 13).

هل جثا هذا الرجل على ركبتيه احترامًا وتوقيرًا لإله إيليا لأنه كان يحبه وأراد أن يسجد له ويعبده؟ بالطبع لا! لقد كان مرعوبًا من الموت وكان يتضرَّع إلى إيليا كي يُبقيه على قيد الحياة. فلو كان هذا النوع من العبادة مقبولاً لدى الله، لطلب الرب يسوع أن تنزل نارًا من السماء لتأكل بعض الفريسيين وبعض الجنود الرومان، فيعبده الجميع على الفور، ليس بدافع الحب له، بل بالأحرى بسبب الخوف منه. ولذلك فإن الله لم يكن في تلك النار التي أكلت أولئك الرجال. إذن فكيف لنا أن نفهم ما حدث في هذه القصة؟

"فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ (الملك) رَئِيسَ خَمْسِينَ مَعَ الْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ، فَصَعِدَ إِلَيْهِ وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ. فَقَالَ لَهُ: «يَا رَجُلَ اللهِ، الْمَلِكُ يَقُولُ انْزِلْ». فَأَجَابَ إِيلِيَّا وَقَالَ لِرَئِيسِ الْخَمْسِينَ: «إِنْ كُنْتُ أَنَا رَجُلَ اللهِ، فَلْتَنْزِلْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَتَأْكُلْكَ أَنْتَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَكَ». فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُ هُوَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ" (ملوك الثاني 1: 9 و10).

لقد كان الرئيس ورجاله تحت سلطة ملك إسرائيل الذي طلب المساعدة من بعل زبوب إله عقرون، وكان هذا الإله إلهًا زائفًا (كاذبًا) من وحي الشيطان. وبطلبه المساعدة من هذا الإله، فقد أسلم نفسه لسلطان الشيطان.

"أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي تُقَدِّمُونَ ذَوَاتِكُمْ لَهُ عَبِيدًا لِلطَّاعَةِ، أَنْتُمْ عَبِيدٌ لِلَّذِي تُطِيعُونَهُ: إِمَّا لِلْخَطِيَّةِ لِلْمَوْتِ أَوْ لِلطَّاعَةِ لِلْبِرِّ؟" (رومية 6: 16).

وعلى الرغم من أن هؤلاء الرجال الذين كانوا يمثلون الملك أسلموا أنفسهم لسلطان الشيطان، إلا أن الرئيس اعترف بإيليا بصفته رجل الله. وقد تذكر كل الشعب ما حدث في جبل الكرمل عندما رأوا أن الله كان مع إيليا. فإذا كان الرئيس يؤمن أن إيليا هو رجل الله، فلماذا طلب إيليا علامة تؤكد على صحة هذا الكلام؟ الإجابة نجدها في الأصحاح الأول من سفر ملوك الثاني والعدد 15:

"فَقَالَ مَلاَكُ الرَّبِّ لإِيلِيَّا: انْزِلْ مَعَهُ. لاَ تَخَفْ مِنْهُ. فَقَامَ وَنَزَلَ مَعَهُ إِلَى الْمَلِكِ" (ملوك الثاني 1: 15).

لقد طُلِب من إيليا ألا يخاف. فلماذا كان إيليا خائفًا؟ تعود المشكلة إلى الأحداث التي تلت مباشرةً أحداث جبل الكرمل.

"فَقَالَ لَهُمْ إِيلِيَّا: «أَمْسِكُوا أَنْبِيَاءَ الْبَعْلِ وَلاَ يُفْلِتْ مِنْهُمْ رَجُلٌ». فَأَمْسَكُوهُمْ، فَنَزَلَ بِهِمْ إِيلِيَّا إِلَى نَهْرِ قِيشُونَ وَذَبَحَهُمْ هُنَاكَ" (ملوك الأول 18: 40).

قبل أن يقتل إيليا أنبياء البعل، وقف بلا خوف أمام الملك وجميع رجاله. وقبل ذلك، تعرَّض للمضايقة والملاحقة لما يزيد عن ثلاث سنوات بعد أن دخل بلا خوف أمام الملك ليخبره أنه لن يكون هناك مطرٌ. لا يذكر الكتاب أن إيليا كان خائفًا خلال تلك الفترة التي وقعت فيها كل هذه الأحداث، وإنما فقط بعد أن قتل إيليا كل أنبياء البعل بحد السيف حينئذ خاف.

"فَأَرْسَلَتْ إِيزَابَلُ رَسُولًا إِلَى إِيلِيَّا تَقُولُ: «هكَذَا تَفْعَلُ الآلِهَةُ وَهكَذَا تَزِيدُ، إِنْ لَمْ أَجْعَلْ نَفْسَكَ كَنَفْسِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي نَحْوِ هذَا الْوَقْتِ غَدًا». فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ قَامَ وَمَضَى لأَجْلِ نَفْسِهِ، وَأَتَى إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ الَّتِي لِيَهُوذَا وَتَرَكَ غُلاَمَهُ هُنَاكَ" (ملوك الأول 19: 2 و3).

على ما يبدو أننا نرى هنا عكس القانون الذهبي الذي تحدث عنه الرب يسوع، وهذا القانون المقلوب هو على النحو التالي: "ما تفعله من أشياء خاطئة للآخرين، ستخاف من أن تُفعَل لك". لقد كان هذا اختبار قايين بالتأكيد.

"فَقَالَ قَايِينُ لِلرَّبِّ: ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحْتَمَلَ. إِنَّكَ قَدْ طَرَدْتَنِي الْيَوْمَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، وَمِنْ وَجْهِكَ أَخْتَفِي وَأَكُونُ تَائِهًا وَهَارِبًا فِي الأَرْضِ، **فَيَكُونُ كُلُّ مَنْ وَجَدَنِي يَقْتُلُنِي**" (تكوين 4: 13 و14).

وبعد أن نجا إيليا من يد إيزابل الشريرة قال شيئًا غريبًا.

"ثُمَّ سَارَ فِي الْبَرِّيَّةِ مَسِيرَةَ يَوْمٍ، حَتَّى أَتَى وَجَلَسَ تَحْتَ رَتَمَةٍ وَطَلَبَ الْمَوْتَ لِنَفْسِهِ، وَقَالَ: قَدْ كَفَى الآنَ يَا رَبُّ. خُذْ نَفْسِي لأَنِّي لَسْتُ خَيْرًا مِنْ آبَائِي" (ملوك الأول 19: 4).

فرَّ إيليا مسرعًا لينجو بحياته، لكنه طلب من الله بعد ذلك أن يأخذ نفسه. لماذا لا يدع إيزابل تقتله؟ ثم ينطق بعد ذلك بهذا القول الحزين: "لأنني لست خيرًا من آبائي". ما الذي يقصده بهذا القول؟ إن اعترافه لله بعد ذلك يُظهِر الدافع.

"وَدَخَلَ هُنَاكَ الْمُغَارَةَ وَبَاتَ فِيهَا. وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَيْهِ يَقُولُ: «مَا لَكَ هٰهُنَا يَا إِيلِيَّا؟». فَقَالَ: «قَدْ غِرْتُ غَيْرَةً لِلرَّبِّ إِلهِ الْجُنُودِ، لأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ تَرَكُوا عَهْدَكَ، وَنَقَضُوا مَذَابِحَكَ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ بِالسَّيْفِ، فَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي، وَهُمْ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لِيَأْخُذُوهَا»" (ملوك الأول 19: 9 و10).

نرى في هذه الآيات أن إيليا يعترف لله بإحباطه وخيبة أمله بسبب فشل إسرائيل المتكرر وقتل أنبياء الله بحد السيف. لقد كان إيليا يأمل أن تلتف الأمة حوله وتدعمه في إصلاح المملكة. وعندما قامت إيزابل بتهديده، كان يأمل أن يقف الجميع بجواره كي يهزمها ويُحبِط رغبتها في قتله، لكنه بقي هو وحده. كل شيء كان يبدو لا قيمة له، كما ظهرت أيضًا دوافعه الحقيقية لقتل أنبياء البعل. لقد قتلوا أنبياء الله بالسيف، وعقوبة الشِرك أو عبادة الأوثان المنصوص عليها في شريعة موسى هي الموت رجمًا، وليس القتل بحد السيف. سوف نتناول عقوبة الرجم في فصل آخر، لكن الفكرة هي أن إيليا لم يتبع النهج الكتابي الذي يوضح كيفية التعامل مع خطية الشِرك أو عبادة الأوثان. وهذا يُظهِر أنه على الرغم من رغبة إيليا في إكرام الإله الحقيقي، فقد قام بذلك بالطريقة الخاطئة، وهنا نرى الصلة بين هذه القصة وبين ما قاله تلاميذ الرب يسوع. فقد أحبوا سيدهم وأكرموه، لكن الشيطان استطاع أن يفسد محبتهم ويدمرها عندما لم تسر الأمور بالطريقة التي كانوا يريدونها وتجلّت في قلوبهم روح الانتقام. ولهذا فقصة إيليا لها صلة بما قاله تلاميذ المسيح إذ أنها تعكس روحًا مماثلة. ولنتذكر أيضًا أن:

"كَانَ إِيلِيَّا إِنْسَانًا تَحْتَ الآلاَمِ مِثْلَنَا" (يعقوب 5: 17). أي أن طبيعته كانت مشابهه لطبيعتنا.

لقد كان إيليا يعلم أن أنبياء البعل يستحقون الموت، لكن أسلوبه في التعامل مع هذا الأمر لم يكن وفقًا للترتيب الإلهي، والدليل على ذلك هو خوفه المفاجئ من الموت الذي لم يختبره من قبل. وقد كان إيليا لا يزال يشعر بهذا الخوف عندما أقبل عليه جميع الجنود. فكما قتل إيليا بحد السيف، خاف أن يُقتَل هو أيضًا بحد السيف. وعلى الرغم من أن رئيس الجنود لم يشك في حقيقة أن إيليا هو رجل الله، إلا أن إيليا نفسه كان يصارع خوفه من الموت وكان يعتقد أنه لم يكن خيرًا من آبائه. فاستغل الشيطان شك إيليا، وشجعه على التعبير عنه بالقول:

"**إِنْ** كُنْتُ أَنَا رَجُلَ اللهِ، فَلْتَنْزِلْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَتَأْكُلْكَ أَنْتَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَكَ" (ملوك الثاني 1: 10).

وهي كلمات مشابهة للكلمات التي نطق بها الشيطان وهو يجرّب الرب يسوع:

"**إِنْ** كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا" (متى 4: 3).

إن لجوء الإنسان إلى القوة الإلهية ليطمئن من مكانته عند الله هو قلة إيمان. فيجب علينا أن نؤمن أننا أبناء الله بالإيمان من خلال ما قاله لنا بالفعل. ما الذي استفاده الخمسون رجلاً من استعراض القوة الذي قاموا به؟ وكيف ساعدهم هذا على تصديق اعترافهم بأن إيليا هو رجل الله؟ فنجد أن إيليا هو الذي شك في ذلك، وهذا الشك هو ما جعل إيليا ينسى أن الله لم يكن في النار، ولذلك تغلَّب عليه اقتراح الشيطان بأن يطلب نارًا أن تنزل على هؤلاء الرجال. هل هناك دليل على أن الشيطان يستطيع أن يُنزل نارًا من السماء يحرق بها الناس؟

فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هُوَذَا كُلُّ مَا لَهُ فِي يَدِكَ، وَإِنَّمَا إِلَيهِ لاَ تَمُدَّ يَدَكَ». ثُمَّ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِ الرَّبِّ ... وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: نَارُ اللهِ سَقَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَتِ الْغَنَمَ وَالْغِلْمَانَ وَأَكَلَتْهُمْ، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ" (أيوب 1: 12 و16).

هناك بعض الأسئلة التي لا تزال قائمة. إذا تمكّن الشيطان من مخادعة إيليا بواسطة شكه في نفسه، فكيف يمكن أن يُنقَل إلى السماء في الأصحاح التالي مباشرة؟ ألا يبدو غريبًا أن يكافأ إيليا بالصعود المباشر إلى السماء والفوز بالحياة الأبدية رغم ارتكابه هذا الخطأ الكبير قرب نهاية حياته الأرضية؟ فمثلاً عندما نتأمل في حياة يوحنا المعمدان، سنجد أنه شكَّ أن الرب يسوع هو المسيا المنتظر قبل موته مباشرة.

"أَمَّا يُوحَنَّا فَلَمَّا سَمِعَ فِي السِّجْنِ بِأَعْمَالِ الْمَسِيحِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟" (متى 11: 2 و3).

فأجاب الرب يسوع التلاميذ الذين أرسلهم يوحنا بهذه الكلمات:

فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمَا: اذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا تَسْمَعَانِ وَتَنْظُرَانِ: اَلْعُمْيُ يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ، وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينُ يُبَشَّرُونَ. وَطُوبَى لِمَنْ لاَ يَعْثُرُ فِيَّ" (متى 11: 4 – 6).

لا يخبرنا الكتاب المقدس كيف كان رد يوحنا. ولكن من طريقة الرب يسوع في الحديث عن يوحنا، فيبدو من الواضح أن يوحنا استطاع أن يتغلب على شكوكه وكان مستعدًا لنيل الشهادة. فقد قال الرب يسوع عنه:

"وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا، فَهذَا هُوَ إِيلِيَّا الْمُزْمِعُ أَنْ يَأْتِيَ" (متى 11: 14).

كما نقرأ أيضًا في موضعٍ آخر:

"وَيَتَقَدَّمُ (يوحنا) أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ" (لوقا 1: 17).

لقد قام يوحنا المعمدان بعمل عظيم للرب، ثم واجه بعد ذلك أزمة إيمان كبيرة استطاع التغلب عليها، مما أدى إلى استعداده للموت. كان هذا بنفس روح إيليا الذي قام أيضًا بعمل عظيم من أجل الرب ثم واجه أزمة إيمان قرب نهاية خدمته. واستطاع إيليا أن يتغلب على شكوكه التي سببت موتًا ناريًا لمئة رجل، وبعد ذلك انتقل. وهذا درسٌ ثمين لنا جميعًا، فالبار بالإيمان يحيا وليس باستحقاقات ما فعله. إن انتقال إيليا بعد هذا الفشل الكبير يعطي كل واحد منا الرجاء العظيم أننا نستطيع أيضًا أن ننتقل إلى السماء بعد أن نرى مدى ضعفنا وعجزنا. لنفرح ونبتهج لأن الخلاص هو في استحقاقات المسيح وحده، وليس في أعمال الأنبياء الخارقين المزعومة الذين يقتلون ويُهلِكون الآخرين في اسم الله بينما يدافعون عن أنفسهم.

والسؤال الآخر الذي ينبغي دراسته جيدًا هو: لماذا سمح الله للشيطان أن يُهلك هؤلاء الرجال بالنار؟ فحيث أن هؤلاء الرجال كانوا خدامًا لملك إسرائيل الذي أسلم نفسه لبعل زبوب إله عقرون، فلم يكن لديهم المقدرة على الدفاع عن أنفسهم من المُهلِك. وإذ كان الشيطان باستطاعته أن يصل إليهم ويستحوذ عليهم، فقد كان بحاجة لأن يقتلهم بطريقة توحي بأن الله هو الذي قتلهم. لقد كان في ذلك خداعًا رهيبًا – ارتكب الجريمة واقنع العالم أن الله هو الذي ارتكبها. استغل الشيطان مخاوف إيليا ليعطيه حجة الغيبة (أي إدعاء المتهم أنه كان في مكان آخر عند وقوع الجريمة) التي يحتاجها. وقد نجحت هذه الخطة نجاحًا كبيرًا لأن معظم الناس يعتقدون أن الله هو الذي أحرق هؤلاء الرجال، ولكن شكرًا لله فالرب يسوع يخبرنا أن هذه الروح ليست روحه. فهو المخلص وليس المُهلِك.

كم هو عظيم وكم هو رائع أن نعلم أن مخلصنا الغالي الذي أوقف ذلك الطفل الصغير بجانبه وأظهر لنا عظمة ملكوته، هو مخلص يمكننا أن نطمئن إليه. فهو لن يؤذينا بأي شكل من الأشكال، لأن يسوع هو راعي الخراف وليس قاتلها، وهو يقود خرافه إلى مياه هادئة ولا يعذبها حتى الموت. ورغم ذلك فهناك المزيد حول موضوع النار نحتاج لدراسته والتطرق إليه قبل أن نتأكد بدون ريب أن أبينا الذي في السماء هو حقًا شخص لا نحتاج إلى الخوف منه.

7. لاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ

تطرقنا في الفصل الثالث إلى موت الصليب والمحبة العظيمة التي تجلَّت من خلاله، وفي الفصل الرابع رأينا عمق الحنو والعطف في العلاقة بين الآب والابن. هاتان الحقيقتان تعطينا أساسًا مهمًا نستطيع من خلاله أن نفهم صفات الله وصفات ملكوته. يعرض لنا الأصحاح التاسع من إنجيل لوقا شرحًا ممتازًا لما يحدث عندما نقاوم الصليب، فهو يصور لنا الطريقة التي يسمح بها الناس لأنفسهم ورغبتهم أن يحرق الله الناس أحياءً وذلك لمعاقبتهم على خطاياهم ظانين أن هذا يتماشى مع شخصيته وصفاته.

لوقا 9: 18 – 20 متى 16: 13 – 17 مرقس 8: 27 – 29	استعلان العلاقة بين الآب والابن	بطرس يعترف أن يسوع هو مسيح الله، ومتى يسجّل في إنجيله أن بطرس اعترف بأن الرب يسوع هو المسيح، ابن الله الحي. والرب يسوع يخبر بطرس أن هذه المعرفة هي إعلان روحي من الآب ولا يمكن لأي شخص أن يتعلمها بنفسه دون أن يريه الله إياها.

لوقا 9: 21 و22 متى 16: 21 – 23 لوقا 8: 31 – 33	أول تحذير للصليب	يقدم الرب يسوع هنا التحذير الأول بشأن كراهية البشر لابن الله الخاضع لإرادة الله والطريقة التي سيُقتَل بها. فينفعل بطرس انفعالاً شديدًا بسبب ذلك، ويصرح بشكل قاطع أن هذا لن يحدث، ويرفض السماح لطموحاته في العظمة أن تُصلَب. وهذا يعد إنكارًا للصليب. فانتهر الرب يسوع روح الشيطان الذي ألهم بطرس للتصريح بهذا التعليق.
	التلاميذ يقسّون قلوبهم لأول مرة	لم يذكر شيء يدل على استجابة بطرس أو التلاميذ للصليب الآتي وكيفية الاستعداد. فأدى ذلك إلى تقسية قلوب التلاميذ فيما يتعلق بآلام المسيح وصليبه.
لوقا 9: 23 – 27 متى 16: 24 – 28 مرقس 8: 34 – 38	الدعوة لحمل صليب إنكار النفس	يحذر الرب يسوع تلاميذه بأهمية ترك طموحاتهم الدنيوية إذا كانوا يرغبون في تبعيته. لا يوجد شرف دنيوي في الطريق الذي يسير فيه. لا يوجد سوى إنكار النفس وخدمة الآخرين.

لوقا 9: 28 – 36 متى 17: 1 – 8 مرقس 9: 1 – 6	الآب يأمر التلاميذ أن يسمعوا لابنه	الآب في رحمته يُظهِر مجد ابنه ويحثهم على الاستماع إلى ما يقوله. فرفضهم السابق للصليب يعني أن التلاميذ ليس لديهم محبة كاملة ولذلك يخافون خوفًا عظيمًا من الصوت الآتي من السماء. "وَأَمَّا مَنْ خَافَ فَلَمْ يَتَكَمَّلْ فِي الْمَحَبَّةِ" (يوحنا الأولى 4: 18).
لوقا 9: 37 – 42 متى 17: 14 – 21 مرقس 9: 14 – 29	ظهور عدم الإيمان فيهم	ثم يظهر رفض الصليب في صورة عدم إيمان. فالتلاميذ لا يستطيعون إخراج الشيطان لأن قلوبهم ما زالت متأثرة برغبتهم في العظمة. يشير الرب يسوع إلى عدم إيمانهم كتحذير.
لوقا 9: 44 و45 متى 17: 22 و23 مرقس 9: 31 و32	التحذير الثاني للصليب. قلوبهم تزداد قساوةً.	يخبرهم الرب يسوع بمحبة مرةً أخرى عن الصليب كي يتخلوا عن طموحهم الذي احتضنوه، إلا أنهم يرفضون مرة أخرى الدعوة إلى التوبة ويختلجهم الحزن بشأن ما يقوله. ونتيجة لذلك فقلوبهم تزداد قساوةً.
لوقا 9: 46 – 48 متى 18: 1 مرقس 9: 33 – 38	الطموح الأناني ينمو.	هنا يفتح التلاميذ الباب للشيطان الذي يجرهم للتحاور بشأن من هو الأعظم بينهم. فيدعو الرب يسوع إليه طفلاً صغيرًا ويقيمه في وسطهم، ويخبرهم محذرًا أنهم إن لم يرجعوا ويصيروا مثل الأولاد لن يدخلوا ملكوت السماوات.

لوقا 9: 49 و50 مرقس 9: 38 و39	ظهور روح الهيمنة	نظرًا لأن التلاميذ كانوا يبحثون عن المكانة والمركز الأعظم، فلم يريدوا أي شخص آخر أن يأخذ هذه المركز أو هذه المكانة منهم، ولذا مارسوا روح القوة حيال منافسيهم المُحتَملين.
لوقا 9: 51 – 54	ظهور روح القتل وتبريرها من الكتاب	سيطرت على قلوب التلاميذ، برفضهم صليب إنكار الذات، روح الكبرياء التي أدت بعد ذلك إلى الرغبة في السيطرة والقتل. وبسبب قساوة قلوبهم لم يجدوا غضاضة في قتل الناس باسم الله.

لم يرغب التلاميذ في قبول تحذيرات الرب يسوع بخصوص موته الوشيك على أيدي قادة الأمة القاسية. لقد وضعوا عليه كل طموحاتهم في تحقيق العظمة القومية، وقد أدركوا المسيح ليس كما هو ولكن كما أرادوه أن يكون. وكان أملهم ومطمحهم أن يكون المسيح باراباس [1]، إلا أن حقيقة الصليب صلبت أحلامهم وحولتها إلى تراب. اختاروا ألا يقبلوا الصليب ولم يفهموا آلام المسيح التي يتألمها كل يوم من أجل الآخرين إذ يراهم وهم يرفضون ويحتقرون رسالته وشخصه كنائب وممثل للآب. ولكن عوضًا عن ذلك اختاروا تجاهل هذه الآلام، وهذا بدوره قسَّى قلوبهم.

عند معمودية الرب يسوع، عندما أعلن الآب السماوي للعالم عن حبه العميق لابنه، بابٌ فُتِح لفهم محبة الله وابنه وحنانهما وتأثرهما فهمًا حقيقيًا. وهذه الحساسية هي التي تجعلهما يحملان صليب العذاب الرهيب هذا من خلال إنكار الذات. وكل يوم يتمزَّق قلبيهما بسبب أنانية الإنسان وكبريائه وانغماسه في الشهوات، لكن شخصية الله المُحِبة للحرية تسمح للناس بالاستمرار في احتقارهم له ورفضه لسنوات، إلا أنه لا ينتقم لنفسه أبدًا. فهو يسمح لقلوبهم أن تتقسّى، وبحزنٍ يشاهدهم وهم

[1] كان باراباس زعيمًا سياسيًا في زمن المسيح يؤيد إسقاط السيطرة الرومانية عن إسرائيل، وقد دعا إلى استخدام العنف ولجأ إليه لتحقيق هذا الهدف مدعيًا كونه شخصية مسيانية. الاسم باراباس يعني "ابن الآب" وكان النسخة المزيفة للمسيح الذي هو ابن الآب الحقيقي.

يُهلِكون أنفسهم بينما يحاول في كل حين أن يمنعهم من القيام بذلك. لقد كان التلاميذ مدعوين لفهم نور هذه المحبة الساطع، لكن الصليب لم يكن ما أرادوا. وكما أخبر الشعب موسى أن يغطي لمعان وجهه، وضع التلاميذ بُرقعًا على قلوبهم فمنعوا الحق من أن يلينها.

عندما شاهد قايين وهابيل موت الحَمَل، وضع قايين بُرقعًا على قلبه لحجب معنى الألم، وبالتالي أصبح الحَمَل سببًا وحافزًا لقساوة قلبه، مما جعله يقتل أخيه. أما هابيل فقد كان يرتجف وهو ينظر إلى الحَمَل متفكرًا في النتائج المترتبة عليه، وكان يفكر في حَمَل الله المنكسر من أجلنا، وبكى بقلب منسحق. إن الحَمَل المذبوح عينه جَلَبَ نتائج مختلفة تمامًا في هذين الرجلين.

هذا هو نور الصليب. فنوره ساطع جدًا بحيث أننا إما أن نسقط على الصخرة (أي الرب يسوع) وننكسر أو أن نقاوم ونصير أقسى من الصخر، فيسحقنا الشعور بالذنب عندما يواجهنا أخيرًا الحق المتعلق بمحبة الله.

إن هذه المبادئ ضرورية لنا حتى نفهم قصص الكتاب المقدس بشكل صحيح. ما لم نتمكن من قبول محبة الآب الرقيقة لابنه، فلا يمكن أن تُلين قلوبنا كي نفسّر أحكام الله. إن الآب الرحيم والمُحِب لن يحرق أبنائه أحياءً ويسكب عليهم الكبريت المنصهر وهم يصرخون في عذاب موتٍ. والاعتقاد بأن الله قادر على فعل ذلك يدل ببساطة على سوء الفهم للعلاقة بين الآب والابن والنعمة التي تنبع منهما للكون.

إن عدم فهم الصليب يجعل الناس ينسون العذاب الذي يمر به عندما يتعرض للاحتقار والكراهية والرفض؛ ومع ذلك فهو يرفض التخلي عن أولئك الذين يرفضونه. فهو يترك قلبه مفتوحًا للآخر، على أمل أن يرجع الخطاة إليه. فإذا رفضوه في النهاية وابتعدوا عنه تمامًا، فإن كل رفض يسبب له ألمًا شديدًا. وهو ألم ننفر منه بحزن وغضب واشمئزاز. فنحن لن نسمح أبدًا لأي شخص أن يفعل هذا بنا مرارًا وتكرارًا. والآب بترك قلبه عرضة للرفض يقدّم لنا المعنى الحقيقي لصليبه الظاهر والمُعلَن في ابنه.

إن سر الصليب وقوته يفسران جميع الأسرار الأخرى المتعلقة بأحكام الله ودينونته. فأينما نرى أحكامًا تحل على البشر في الكتاب المقدس، يجب أن نفسّر ذلك في نور الصليب لأن هذا هو المكان الذي تلتقي فيه رحمة الله بعدالته. فيخبرنا الكتاب المقدس:

"اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ" (غلاطية 3: 13).

"وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا" (إشعياء 53: 5).

لقد دفع الرب يسوع الأجرة وتحمَّل لعنة الخطية، ومات موتة أولئك الذين في نهاية الزمان يرفضون الخلاص ويختارون الموت عوضًا عنه. إذا كان الموت الذي ماته الرب يسوع مختلفًا عن الموت الذي سيحدث في نهاية الزمان، فهو بذلك لم يدفع أجرة الخطية. والسؤال الذي يطرح نفسه: هل واجه الرب يسوع نيران الجحيم؟ إذا كان الأشرار في الموت النهائي يحترقون في نيران الجحيم، ويسوع لم يدفع ذلك الثمن، فإنه لم يدفع عقوبة الخطية. هل اختبر الرب يسوع النار على الصليب؟ لاحظ كيف يربط بولس الرسول فعل الخير لمن لا يستحقه بجمر النار في النفس.

"فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ" (رومية 12: 20).

وعندما رأى بنو إسرائيل مجد الله في جبل سيناء، ظهر لهم كنارٍ آكلةٍ.

"وَكَانَ مَنْظَرُ مَجْدِ الرَّبِّ كَنَارٍ آكِلَةٍ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ أَمَامَ عُيُونِ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (خروج 24: 17).

عندما تتجلّى محبة الله غير الأنانية لإنسان أناني، فإن الإحساس بالذنب الذي يختبره هذا الشخص يحرق قلبه بشدة لدرجة أنه يسبب ألمًا جسديًا. لقد تنبأت العديد من المزامير عن اختبار الرب يسوع على الصليب:

"إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي، بَعِيدًا عَنْ خَلاَصِي، عَنْ كَلاَمِ زَفِيرِي؟" (مزمور 22: 1).

"صَمَتُّ صَمْتًا، سَكَتُّ عَنِ الْخَيْرِ، فَتَحَرَّكَ وَجَعِي. **حَمِيَ قَلْبِي فِي جَوْفِي. عِنْدَ لَهَجِي اشْتَعَلَتِ النَّارُ.** تَكَلَّمْتُ بِلِسَانِي" (مزمور 39: 2 و3).

"اِكْتَنَفَتْنِي حِبَالُ الْمَوْتِ، وَسُيُولُ الْهَلاَكِ أَفْزَعَتْنِي. حِبَالُ الْهَاوِيَةِ حَاقَتْ بِي. أَشْرَاكُ الْمَوْتِ انْتَشَبَتْ بِي. فِي ضِيقِي دَعَوْتُ الرَّبَّ، وَإِلَى إِلهِي صَرَخْتُ، فَسَمِعَ مِنْ هَيْكَلِهِ صَوْتِي، وَصُرَاخِي قُدَّامَهُ دَخَلَ أُذُنَيْهِ. فَارْتَجَّتِ الأَرْضُ وَارْتَعَشَتْ، أُسُسُ الْجِبَالِ ارْتَعَدَتْ وَارْتَجَّتْ لأَنَّهُ غَضِبَ. **صَعِدَ دُخَانٌ مِنْ أَنْفِهِ، وَنَارٌ مِنْ فَمِهِ أَكَلَتْ. جَمْرٌ اشْتَعَلَتْ مِنْهُ"** (مزمور 18: 4 – 8).

إن أجرة الخطية هي موت. وما يسبب هذا الموت في الواقع هو الشعور بالذنب الذي يختبره الخطاة عندما يواجهون مدى شرهم. لن ينكشف الشر إلا عندما تظهر صفات الله. فعندما تظهر صفات الله، فهي كنارٍ آكلة للأشرار، لأنه عندما يرى الإنسان الخاطئ ويدرك طهارة الله وإيثاره ونعمته مقارنةً بطبيعته الأنانية الشريرة، فإن الإحساس بالذنب يكون مثل جمر نار في قلبه. وعند مجيء المسيح، سيُهلَك الأشرار بظهور مجيئه.

"وَحِينَئِذٍ سَيُسْتَعْلَنُ الأَثِيمُ، الَّذِي الرَّبُّ يُبِيدُهُ بِنَفْخَةِ فَمِهِ، وَيُبْطِلُهُ بِظُهُورِ مَجِيئِهِ" (تسالونيكي الثانية 2: 8).

إن المسيح هو بهاء مجد الآب (عبرانيين 1: 3)، ومجد الآب هو شخصيته وصفاته (خروج 33: 18 و 34: 6 و7). فحلاوة صفات المسيح وجمالها ستُعلن بأكمل كيفية عند مجيئه، وهذا الإعلان سيكون نار فرحٍ للأبرار الصالحين وموتٍ للأشرار الطالحين.

"فَهُوَ أَيْضًا سَيَشْرَبُ مِنْ خَمْرِ غَضَبِ اللهِ، الْمَصْبُوبِ صِرْفًا فِي كَأْسِ غَضَبِهِ، وَيُعَذَّبُ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ أَمَامَ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ وَأَمَامَ الْخَرُوفِ" (رؤيا 14: 10).

الكلمة اليونانية التي تعني كبريت هي "ثيون" ومصدرها كلمة "ثيوس" التي تعني "الله" وتحمل معنى البخور الإلهي، كما أنها تعني "برَّاق" أو "متوهّج". فعندما ننظر إلى البخور في المَقدِس السماوي، سنلاحظ علاقة ذلك بالنار.

"وَجَاءَ مَلاَكٌ آخَرُ وَوَقَفَ عِنْدَ الْمَذْبَحِ، وَمَعَهُ مِبْخَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، **وَأُعْطِيَ بَخُورًا كَثِيرًا** لِكَيْ يُقَدِّمَهُ مَعَ صَلَوَاتِ الْقِدِّيسِينَ جَمِيعِهِمْ عَلَى مَذْبَحِ الذَّهَبِ الَّذِي أَمَامَ الْعَرْشِ. فَصَعِدَ دُخَانُ الْبَخُورِ مَعَ صَلَوَاتِ الْقِدِّيسِينَ مِنْ يَدِ الْمَلاَكِ أَمَامَ اللهِ. **ثُمَّ أَخَذَ الْمَلاَكُ الْمِبْخَرَةَ**

وَمَلأَهَا مِنْ نَارِ الْمَذْبَحِ وَأَلْقَاهَا إِلَى الأَرْضِ، فَحَدَثَتْ أَصْوَاتٌ وَرُعُودٌ وَبُرُوقٌ وَزَلْزَلَةٌ" (رؤيا 8: 3 – 5).

يمثل البخور الحضور الإلهي الذي يشبه النار، وهذا هو المعنى من الكبريت. فنرى مرة أخرى في سفر إشعياء:

"هُوَذَا اسْمُ الرَّبِّ يَأْتِي مِنْ بَعِيدٍ. غَضَبُهُ مُشْتَعِلٌ وَالْحَرِيقُ عَظِيمٌ. شَفَتَاهُ مُمْتَلِئَتَانِ سَخَطًا، **وَلِسَانُهُ كَنَارٍ آكِلَةٍ**، وَنَفْخَتُهُ كَنَهْرٍ غَامِرٍ يَبْلُغُ إِلَى الرَّقَبَةِ. لِغَرْبَلَةِ الأُمَمِ بِغُرْبَالِ السُّوءِ، وَعَلَى فُكُوكِ الشُّعُوبِ رَسَنٌ مُضِلٌّ ... وَيُسَمِّعُ الرَّبُّ جَلاَلَ صَوْتِهِ، **وَيُرِي نُزُولَ ذِرَاعِهِ بِهَيَجَانِ غَضَبٍ وَلَهِيبِ نَارٍ آكِلَةٍ، نَوْءٍ وَسَيْلٍ وَحِجَارَةِ بَرَدٍ** ... لأَنَّ «تُفْتَةَ» مُرَتَّبَةٌ مُنْذُ الأَمْسِ، مُهَيَّأَةٌ هِيَ أَيْضًا لِلْمَلِكِ، عَمِيقَةٌ وَاسِعَةٌ، كُومَتُهَا نَارٌ وَحَطَبٌ بِكَثْرَةٍ. **نَفْخَةُ الرَّبِّ كَنَهْرٍ كِبْرِيتٍ تُوقِدُهَا**" (إشعياء 30: 27 و28 و30 و33).

"لِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ الْجُنُودِ: مِنْ أَجْلِ أَنَّكُمْ تَتَكَلَّمُونَ بِهذِهِ الْكَلِمَةِ، **هأَنَذَا جَاعِلٌ كَلاَمِي فِي فَمِكَ نَارًا، وَهذَا الشَّعْبَ حَطَبًا، فَتَأْكُلُهُمْ**" (إرميا 5: 14).

"اِجْعَلْنِي كَخَاتِمٍ عَلَى قَلْبِكَ، كَخَاتِمٍ عَلَى سَاعِدِكَ. لأَنَّ الْمَحَبَّةَ قَوِيَّةٌ كَالْمَوْتِ. الْغَيْرَةُ قَاسِيَةٌ كَالْهَاوِيَةِ. لَهِيبُهَا لَهِيبُ نَارٍ لَظَى الرَّبِّ" (نشيد الأنشاد 8: 6).

محبة الله نارٌ. وللإبرار فلهيب هذه المحبة في القلب جميل. وهذا هو ما اختبره التلاميذ في يوم الخمسين.

"وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ، **وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ** وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ" (أعمال 2: 2 و3).

يخبرنا الكتاب المقدس بكل بوضوح أنه سيكون هناك من يستطيعون أن يحيوا في نار صفات الله هذه، وهم الأبرار الذين سيحترقون إلى الأبد في نار محبة الله ، "لأن إلهنا نارٌ آكلة" (عبرانيين 12: 29). فبينما ينسحق الأشرار بعار خطاياهم، فإن أولئك الذين يتوكلون على استحقاقات المسيح تحترق قلوبهم بالحب والشكر والامتنان.

"ارْتَعَبَ فِي صِهْيَوْنَ الْخُطَاةُ. أَخَذَتِ الرِّعْدَةُ الْمُنَافِقِينَ: **«مَنْ مِنَّا يَسْكُنُ فِي نَارٍ آكِلَةٍ؟ مَنْ مِنَّا يَسْكُنُ فِي وَقَائِدَ أَبَدِيَّةٍ؟»** السَّالِكُ بِالْحَقِّ وَالْمُتَكَلِّمُ بِالاسْتِقَامَةِ، الرَّاذِلُ مَكْسَبَ الْمَظَالِمِ، النَّافِضُ يَدَيْهِ مِنْ قَبْضِ الرَّشْوَةِ، الَّذِي يَسُدُّ أُذُنَيْهِ عَنْ سَمْعِ الدِّمَاءِ، وَيُغَمِّضُ عَيْنَيْهِ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الشَّرِّ" (إشعياء 33: 14 و15).

وفي اليوم الأخير سينال الخاطئ أجرته، فمن الذي يدفع هذه الأجرة؟

"أَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ" (رومية 6: 23).

إن الخطية هي المسؤولة عن دفع أجرتها، فالحمل الثقيل الساحق الذي يحمله الخاطئ بسبب شعوره بالذنب والعار وإدراكه لرفض توسلات روح المسيح طوال حياته، سيجعله يدرك أنه كان يصلب المسيح كل يوم بكلماته القاسية ومواقفه الدنيئة تجاه الآخرين. وعندما يدرك الخاطئ كل ما فعله بالمسيح خلال حياته، فإن إحساسه بالعدالة سيطلب موتًا. ومثل قايين سيصرخ الخاطئ قائلاً: "ذنبي أعظم من أن يُغتَفَر".

لقد واجه الرب يسوع كل هذا على عود الصليب. فهو اختبر نيران الجحيم. لقد جُعِل خطية لأجلنا وشعر بثِقَل الخطية الساحق الذي كان موضوعًا عليه وهو يتحمَّل اللعنة. وما اختبره على الصليب هو ما سيختبره الأشرار في اليوم الأخير.

"فَصَعِدُوا عَلَى عَرْضِ الأَرْضِ، وَأَحَاطُوا بِمُعَسْكَرِ الْقِدِّيسِينَ وَبِالْمَدِينَةِ الْمَحْبُوبَةِ، فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُمْ. وَإِبْلِيسُ الَّذِي كَانَ يُضِلُّهُمْ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ وَالْكِبْرِيتِ، حَيْثُ الْوَحْشُ وَالنَّبِيُّ الْكَذَّابُ. وَسَيُعَذَّبُونَ نَهَارًا وَلَيْلًا إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ" (رؤيا 20: 9 و10).

ومرة أخرى يخبرنا الكتاب المقدس الطريقة التي سيهلك بها الشيطان:

"قَدْ نَجَّسْتَ مَقَادِسَكَ بِكَثْرَةِ آثَامِكَ بِظُلْمِ تِجَارَتِكَ، **فَأُخْرِجُ نَارًا مِنْ وَسْطِكَ فَتَأْكُلُكَ،** وَأُصَيِّرُكَ رَمَادًا عَلَى الأَرْضِ أَمَامَ عَيْنَيْ كُلِّ مَنْ يَرَاكَ" (حزقيال 28: 18).

يقدم لنا هذا النص تسلسلاً واضحًا لكيفية حدوث ذلك:

1. نجَّس الشيطان نفسه بكثرة آثامه، وبظلم تجارته جعل الآخرين يقعون فيها.
2. حرف الفاء في كلمة **"فأخرج"** يدل على النتيجة المترتبة على ذلك.

3. "أخرج نارًا من وسطك" – أي نار الذنب والعار. كيف يُخرِج الله هذه النار؟ بإعلان صفات محبته كما هي مدونة في الناموس.
4. "فتأكلك". فالنار الخارجة من وسط الشيطان المنبعثة من إحساسه بذنب وعار آثامه هي التي ستأكله.
5. وبعد ذلك يصير الشيطان رمادًا على الأرض بعد أن يُأكَل.

لا يمكن للشيطان أن يتجنب رؤية كل الشر الذي من طباعه وكل الشر الذي فعله وهو في محضر الله. إن طهارة الله وقداسته ومحبته باذلة ومضحية جدًا لدرجة أنها تستذنب النفس استذنابًا تامًا ومكتملاً يخرج من القلب كنارٍ مشتعلة. وبهذه الطريقة يُأكَل الشيطان ويهلك. وبعد أن يُأكَل ويموت، يتحوَّل إلى رماد على الأرض بواسطة النار المُطهِّرة.

وقد جاء وصف هلاك الأشرار في كتاب إسدراس الثاني التاريخي على النحو التالي:

> "وابني هذا سوف يوبّخ مصنوعات (اختراعات) تلك الأمم الشريرة، والتي بسبب حياتها الشريرة قد سقطت في العاصفة، وسوف يضع أفكارهم الشريرة قدامهم، وعذابهم سيكون بما يشبه لهيب النار، وسوف يهلكهم بدون جهدٍ بالشريعة التي هي مثلي" (إسدراس الثاني 13: 37 و38).

إن الشريعة التي تؤدي إلى هذا النوع من العذاب للأشرار هي بالفعل شريعة نارية، ومع ذلك فقد أعطيت بمحبة. لم يأتِ مخلصنا ليدين العالم، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ. فالشريعة هي شريعة محبة، لكن يشعر الأشرار بأنهم مدانون منها لأنها انعكاس لشخصية الله وصفاته.

> "فَقَالَ: جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ، **وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ. فَأَحَبَّ الشَّعْبَ.** جَمِيعُ قِدِّيسِيهِ فِي يَدِكَ، وَهُمْ جَالِسُونَ عِنْدَ قَدَمِكَ يَتَقَبَّلُونَ مِنْ أَقْوَالِكَ" (تثنية 33: 2 و3).

وماذا عن الحقيقة الكتابية التي تؤكد لنا أن الأشرار يصيرون رمادًا؟

> "وَتَدُوسُونَ الأَشْرَارَ لأَنَّهُمْ يَكُونُونَ رَمَادًا تَحْتَ بُطُونِ أَقْدَامِكُمْ يَوْمَ أَفْعَلُ هذَا، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ" (ملاخي 4: 3).

وعندما تدفع الخطية أجرتها للأشرار من خلال لعنة الذنب والعار التي تقع عليهم وهم يرون صفات الله الحسنى في مجدها وسنائها، فإن جثثهم ستكون ملقاة على الأرض. عندها فقط تتحول أجساد الأشرار إلى رماد.

"مُنْتَظِرِينَ وَطَالِبِينَ سُرْعَةَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، الَّذِي بِهِ تَنْحَلُّ السَّمَاوَاتُ مُلْتَهِبَةً، وَالْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً تَذُوبُ" (بطرس الثانية 3: 12).

كثيرون يشبّهون موت الأشرار الأخير بالكلب المريض الذي ينبغي إماتته لأنه يعرض حياة الآخرين للخطر. المشكلة في هذا التشبيه هي أن صاحب الكلب لا يأخذه ويحرقه ببطء على النار لعدة أيام وهو يصرخ وينبح في عذاب قبل أن يموت. تأتي هذه الفكرة من القلب المتحجر. فأبونا السماوي لن يفعل أبدًا شيئًا مثل هذا. فبمجرد أن يتعرف الإنسان على محبة الله، لا يمكنه توجيه الإتهام له بأنه يعذب الملايين من أبنائه من البشر تعذيبًا بطيئًا ويقوم بقتلهم بنفسه. والسبب الذي يجعل هذه الفكرة تحظى بقبول واسع ويُنادى بها في العالم المسيحي هو رفض السماح لحقيقة الصليب بالدخول إلى القلب. فيصبح القلب بدوره متحجرًا للحق المتعلق بطبيعة الله الحسّاسة والرقيقة. وكما كان الحال مع التلاميذ، تدخل القلب الفكرة القائلة بأن الله يُنزِل نارًا ويحرق الناس وهم أحياء.

دعونا نتعلم الدرس من التلاميذ ونلاحظ وصية الآب عندما تغير شكل ابنه - **"اسمعوا!"** دعونا نستمع إلى صوته المناشد وهو يضع طفلاً صغيرًا ثمينًا في وسطنا ويحمل هذا الطفل بالقرب من صدره ويقول لنا "ما لم تصبح طفلاً بريئًا لا يمكنك دخول ملكوت السماوات". فلا تقسُّوا قلوبكم كما فعل الإسرائيليون حينما أُعلِن الإنجيل لهم وتوسلوا من موسى ان يضع برقع على وجه

"لِذلِكَ مَقَتُّ ذلِكَ الْجِيلَ، وَقُلْتُ: إِنَّهُمْ دَائِمًا يَضِلُّونَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَلكِنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا سُبُلِي. حَتَّى أَقْسَمْتُ فِي غَضَبِي: لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتِي. اُنْظُرُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ لاَ يَكُونَ فِي أَحَدِكُمْ قَلْبٌ شِرِّيرٌ بِعَدَمِ إِيمَانٍ فِي الارْتِدَادِ عَنِ اللهِ الْحَيِّ. بَلْ عِظُوا أَنْفُسَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ، مَا دَامَ الْوَقْتُ يُدْعَى الْيَوْمَ، **لِكَيْ لاَ يُقَسَّى أَحَدٌ مِنْكُمْ بِغُرُورِ الْخَطِيَّةِ.** لأَنَّنَا قَدْ صِرْنَا شُرَكَاءَ الْمَسِيحِ، إِنْ تَمَسَّكْنَا بِبَدَاءَةِ الثِّقَةِ ثَابِتَةً إِلَى النِّهَايَةِ، إِذْ قِيلَ: الْيَوْمَ، إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ **فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ،** كَمَا فِي الإِسْخَاطِ" (عبرانيين 3: 10 – 15).

إذا قررت ألا تقبل إنكار الذات المتجلي على الصليب، فأنت تعرض نفسك لخطر قراءة الكتاب المقدس بقلب قاس ومتحجر، وتنسب إلى الله الألم والموت الذي يختبره الملايين من الناس عبر تاريخ البشرية. اليوم، إن سمعتم صوته فلا تقسُّوا قلوبكم.

8. سبب الأمر برجم الخطاة

أدت مقاومة التلاميذ لصليب إنكار الذات إلى رغبتهم في قتل السامريين عديمي الوقار والاحترام، والمقاومة نفسها التي كانت توجد في قلوب قادة اليهود دفعتهم لقتل الرب يسوع. كرَّس اليهود جهدًا كبيرًا سعيًا لإيقاع المسيح في الفخ، وكانوا يحاولون تصيد أي شيء في كلامه وأفعاله حتى يتسنى لهم إعلانه دجالاً محتالاً ويقتلونه. ورد في إنجيل يوحنا وصفًا لأحد هذه الأشراك التي حاولوا نصبها للرب يسوع:

> "ثُمَّ حَضَرَ أَيْضًا إِلَى الْهَيْكَلِ فِي الصُّبْحِ، وَجَاءَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الشَّعْبِ فَجَلَسَ يُعَلِّمُهُمْ. وَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ امْرَأَةً أُمْسِكَتْ فِي زِنًا. وَلَمَّا أَقَامُوهَا فِي الْوَسْطِ قَالُوا لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، هذِهِ الْمَرْأَةُ أُمْسِكَتْ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفِعْلِ، وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنَّ مِثْلَ هذِهِ تُرْجَمُ. فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟" (يوحنا 8: 2 – 5).

بدا الأمر وكأنه فخًا بارعًا في أعين الفريسيين. فلو حاول الرب يسوع أن ينقذ المرأة من الموت، فسوف يستطيعون أن يتهموه بكسر ناموس موسى، ولو حكم عليها بالموت، لذهبوا إلى الحاكم الروماني لإتهامه بأنه محرض على الفتنة والشغب. إلا أن الرب يسوع قد سبق وقال أنه لم يأتي ليبطل الناموس أو الأنبياء، وأنه لن تسقط حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس. أما موسى فقد كتب في الناموس ما يلي:

"وَإِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ، فَإِذَا زَنَى مَعَ امْرَأَةِ قَرِيبِهِ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ" (لاويين 20: 10).

"فَأَخْرِجُوهُمَا كِلَيْهِمَا إِلَى بَابِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَارْجُمُوهُمَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَا. الْفَتَاةُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا لَمْ تَصْرُخْ فِي الْمَدِينَةِ، وَالرَّجُلُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَذَلَّ امْرَأَةَ صَاحِبِهِ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ" (تثنية 22: 24).

لقد أُمسِكت هذه المرأة في ذات الفعل (أي وهي ترتكب خطية الزنا). وفقًا للناموس، كانت تستحق الموت رجمًا، لكنها الآن عند قدمي معطي الناموس لكي يصدر حكمه. من المهم أن نتذكر أن ابن الله هو الذي أعطى الناموس على جبل سيناء.

"فَلِمَاذَا النَّامُوسُ؟ قَدْ زِيدَ بِسَبَبِ التَّعَدِّيَاتِ، إِلَى أَنْ يَأْتِيَ النَّسْلُ الَّذِي قَدْ وُعِدَ لَهُ، **مُرَتَّبًا بِمَلاَئِكَةٍ فِي يَدِ وَسِيطٍ**" (غلاطية 3: 19).

"لأَنَّهُ يُوجَدُ **إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ**" (تيموثاوس الأولى 2: 5).

إن الرب يسوع، بصفته كلمة الله، هو الذي وضع وصية "لا تزن". فهذه المرأة التي أمسكت وهي تزني هي الآن عند قدميه، والمشتكون عليها ينتظرون ليروا ماذا سيفعل. انحنى الرب يسوع وبدأ يكتب على الأرض، متجاهلاً وجودهم على ما يبدو. ثم كلمهم قائلاً:

"مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!" (يوحنا 8: 7).

إن هذه الكلمات مثيرة جدًا للاهتمام، فهي تفجر النموذج والنظام الفكري الذى كان يتبعه الفريسيون. وعلى ما يبدو أن هذا لم يكن في نطاق تفكيرهم. إلا أن الرب يسوع كان يعبّر فقط عن نفس المبدأ المُعطَى لموسى فيما يتعلق بحالة رجم أخرى جدَّف فيها رجلٌ على الله.

"وَمَنْ جَدَّفَ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. يَرْجُمُهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ رَجْمًا. الْغَرِيبُ كَالْوَطَنِيِّ عِنْدَمَا يُجَدِّفُ عَلَى الاسْمِ يُقْتَلُ. وَإِذَا أَمَاتَ أَحَدٌ إِنْسَانًا فَإِنَّهُ يُقْتَلُ" (لاويين 24: 16 و17).

"كَلِّمْ كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: تَكُونُونَ قِدِّيسِينَ لأَنِّي قُدُّوسٌ الرَّبُّ إِلهُكُمْ" (لاويين 19: 2).

ما الذي يجري هنا؟ مَنْ يجدّف يموت رجمًا، ولكن إذا أمات أحدٌ إنسانًا فإنه يقتل؟ إذا قام أحدٌ بقتل إنسانٍ بالرجم، ألا يعتبر ذلك قتلاً ويكون ذلك الإنسان (الذي قام بالرجم) هو أيضًا مستوجبًا الموت؟ أيمكن أن يكون لذلك صلة بالفكرة التي كان الرب يسوع يقولها والتي مفادها أن الإنسان القدوس الذي بلا خطية هو وحده الذي يحق له أن يميت إنسانًا؟ إن الرب يسوع هو الشخص الوحيد الذي بلا خطية، فما الذي فعله؟

عندما كتب الرب يسوع بأصبعه على تراب أرضية الهيكل، فهو كان يوضّح التطبيق الروحي الحقيقي لما هو مكتوب في الناموس. فلو اشتبه رجل أو شك في زوجته هل هي تخونه أم لا، يذهب بها إلى الكاهن للتأكد من ذلك، فيقوم الكاهن بتطبيق الشريعة المتعلقة بالغيرة الواردة في سفر العدد العدد الأصحاح الخامس.

"فَيُقَدِّمُهَا الْكَاهِنُ وَيُوقِفُهَا أَمَامَ الرَّبِّ، وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ مَاءً مُقَدَّسًا فِي إِنَاءِ خَزَفٍ، **وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ مِنَ الْغُبَارِ الَّذِي فِي أَرْضِ الْمَسْكَنِ** وَيَجْعَلُ فِي الْمَاءِ، وَيُوقِفُ الْكَاهِنُ الْمَرْأَةَ أَمَامَ الرَّبِّ، وَيَكْشِفُ رَأْسَ الْمَرْأَةِ، وَيَجْعَلُ فِي يَدَيْهَا تَقْدِمَةَ التَّذْكَارِ الَّتِي هِيَ تَقْدِمَةُ الْغَيْرَةِ، وَفِي يَدِ الْكَاهِنِ يَكُونُ مَاءُ اللَّعْنَةِ الْمُرُّ. وَيَسْتَحْلِفُ الْكَاهِنُ الْمَرْأَةَ وَيَقُولُ لَهَا: إِنْ كَانَ لَمْ يَضْطَجِعْ مَعَكِ رَجُلٌ، وَإِنْ كُنْتِ لَمْ تَزِيغِي إِلَى نَجَاسَةٍ مِنْ تَحْتِ رَجُلِكِ، فَكُونِي بَرِيئَةً مِنْ مَاءِ اللَّعْنَةِ هذَا الْمُرِّ. وَلكِنْ إِنْ كُنْتِ قَدْ زُغْتِ مِنْ تَحْتِ رَجُلِكِ وَتَنَجَّسْتِ، وَجَعَلَ مَعَكِ رَجُلٌ غَيْرُ رَجُلِكِ مَضْجَعَهُ. يَسْتَحْلِفُ الْكَاهِنُ الْمَرْأَةَ بِحَلْفِ اللَّعْنَةِ، وَيَقُولُ الْكَاهِنُ لِلْمَرْأَةِ: يَجْعَلُكِ الرَّبُّ لَعْنَةً وَحَلْفًا بَيْنَ شَعْبِكِ، بِأَنْ يَجْعَلَ الرَّبُّ فَخْذَكِ سَاقِطَةً وَبَطْنَكِ وَارِمًا. وَيَدْخُلُ مَاءُ اللَّعْنَةِ هذَا فِي أَحْشَائِكِ لِوَرَمِ الْبَطْنِ، وَلإِسْقَاطِ الْفَخْذِ. فَتَقُولُ الْمَرْأَةُ: آمِينَ، آمِينَ. **وَيَكْتُبُ الْكَاهِنُ هذِهِ اللَّعْنَاتِ فِي الْكِتَابِ ثُمَّ يَمْحُوهَا فِي الْمَاءِ الْمُرِّ"** (سفر العدد 5: 16 – 23).

إن أولئك الرجال الذين أمسكوا هذه المرأة في ذات الفعل، هم أنفسهم مَنْ أغروها وجرّوها للخطية واستغلوها. وفيما كان الرب يسوع يكتب على تراب الأرض، بكّت الروح القدس

(الذي يرمز إليه بالماء) الرجال مما تسبب في تورم بطنهم وإسقاط فخذهم بسبب تبكيت الخطية. لقد غاروا من المسيح، وكانت هذه الغيرة تأكلهم. كما يقول المرنم:

"لَمَّا سَكَتُّ بَلِيَتْ عِظَامِي مِنْ زَفِيرِي الْيَوْمَ كُلَّهُ" (مزمور 32: 3).

فعوضًا عن الاعتراف بخطاياهم ونيل الغفران، مضى أولئك الرجال في صمت حاملين معهم إحساسهم بالذنب والعار مما جعل عظامهم تبلى.

"فَلَمَّا انْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا سِوَى الْمَرْأَةِ، قَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، أَيْنَ هُمْ أُولئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكِ؟ أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟» فَقَالَتْ: «لاَ أَحَدَ، يَا سَيِّدُ!». فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضًا»" (يوحنا 8: 10 و11).

"وَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْمَرْأَةُ قَدْ تَنَجَّسَتْ بَلْ كَانَتْ طَاهِرَةً، تَتَبَرَّأُ وَتَحْبَلُ بِزَرْعٍ" (سفر العدد 5: 28).

لقد غفر الرب يسوع لهذه المرأة خطيتها، وقد أزال كتابة خطيتها بالماء المر الذي سيشربه على الصليب حتى لا تصير فيما بعد نجسة. لقد استطاعت أن تمضي وهي محرَّرةً، وذُرِعت فيها البذرة الحقيقية، إذ أنها أظهرت روح يسوع في قلبها.

عندما قال الرب يسوع للفريسيين "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ"، فقد نطق بحكم الموت عليها. لم يحاول محي التهمة الموجَّهة إليها. لقد ثبَّت التهمة عليها، فكانت المرأة بذلك متيقنة بأنها ستموت. وعندما قام الرب يسوع بالكتابة على الأرض، ذَّكر الفريسيين بأنهم لم يكونوا بلا خطية، فمضوا. وعندما مضى جميع المشتكين على المرأة، سألها الرب يسوع، معطي الناموس، أين هم أولئك المشتكون عليكِ؟ فأخبرته أنهم قد مضوا، وبالتالي فإن قضيتها كانت بالكامل في يد معطي الناموس الذي أخبرها: "وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضًا". لقد أظهر لنا معطي الناموس كيف كان ينوي دائمًا استخدام الناموس ليرحم ويتحنن على الآخرين. فلو أبرأ المرأة (أي حكم عليها بالبراءة)، لما كانت بحاجة للرحمة، فنطق بالحكم كي يرحمها. وهذا هو القصد الكامل من الناموس، فهو يجذبنا إلى المسيح حتى نتبرر بالإيمان (غلاطية 3: 24).

شيء محزن جدًا أن قادة اليهود كانوا يؤمنون بالفعل أن إرادة الله هي أن تُرجَم هذه المرأة حتى الموت. لا نرغب في تجميل حقيقة هذه القضية. فلولا سيطرة الرومان على أراضيهم ولو كانت

لديهم الحرية في تطبيق الشريعة كما كانوا يرغبون، لرفعوا الحجارة وقتلوا هذه المرأة. وهذا هو ما حدث بالفعل في حالة استفانوس.

"فَصَاحُوا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَسَدُّوا آذَانَهُمْ، وَهَجَمُوا عَلَيْهِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَرَجَمُوهُ. وَالشُّهُودُ خَلَعُوا ثِيَابَهُمْ عِنْدَ رِجْلَيْ شَابٍّ يُقَالُ لَهُ شَاوُلُ. فَكَانُوا يَرْجُمُونَ اسْتِفَانُوسَ وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ: أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ اقْبَلْ رُوحِي" (أعمال 7: 57 – 59).

لقد آمن هؤلاء الرجال أن الله قرر معاقبة الخطاة برجمهم حتى الموت. أيمكننا أن نتخيل هذه المرأة المسكينة وهي محاطة بأولئك الرجال الممسكين بالحجارة في أيديهم مستعدين لرجمها، ومقدار رعبها عندما يرتطم حجر ضخم في رأسها فتسقط على الأرض؟ وبعد ذلك كنا سنرى جثة مشوهة وملطخة بالدماء ملقاة على الأرض كإنذار للجميع بأن الله خط أحمر لا يمكن المساس به. فإن أخطأت ستدفع بحياتك. هل تملأك هذه الصورة بمحبة حقيقية تجاه هذا الإله؟ وهل ستقدر أن تفرح في كل حين في محضر هذا الكائن الذي يسحق الخطاة ويقتلهم مثل الحشرات التي لا قيمة لها؟

فلماذا إذن يأمر ناموس موسى بأن يُرجَم الناس حتى الموت؟ الناموس يعكس شخصية الله وصفاته. فلو أن الله هو الذي أمر بهذا الناموس، ألا يعني هذا أنه أراد له أن يُطبَّق ويُنفَّذ عندما تقتضي الضرورة؟ لقد عبَّر الرب يسوع عن مبدأ هام للغاية يجب علينا مراعاته.

"لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا، لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ" (متى 7: 1 و2).

لقد أسَّس أبونا السماوي نظامًا يسمح للناس أن يُدانوا وفقًا للدينونة التي بها يدينون. فكيف نشأت عقوبة الرجم؟ ورد أول ذكر للرجم في الكتاب المقدس في سفر الخروج:

"فَقَالَ مُوسَى: لاَ يَصْلُحُ أَنْ نَفْعَلَ هكَذَا، لأَنَّنَا إِنَّمَا نَذْبَحُ رِجْسَ الْمِصْرِيِّينَ لِلرَّبِّ إِلهِنَا. إِنْ ذَبَحْنَا رِجْسَ الْمِصْرِيِّينَ أَمَامَ عُيُونِهِمْ **أَفَلاَ يَرْجُمُونَنَا؟**" (خروج 8: 26).

كان الرجم من ممارسات المصريين القدماء، وكانوا يتعاملون مع المتعدين على آلهتهم بهذه الطريقة. وأحد الأسباب التي جعلت الإسرائيليين يرغبون في الذهاب إلى البرية ليذبحوا هو أن الذبائح التي كانوا سيقدمونها كان المصريون يعبدونها كآلهة. ومن المحتمل جدًا أن فرعون كان مدركًا تمامًا أنه

إذا سمح للإسرائيليين أن يذبحوا في الأرض، فسيثير ذلك غضب المصريين فيرجموهم. ويتضح تبني الإسرائيليين لهذه الممارسة في ما أرادوا فعله لموسى.

"فَصَرَخَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ قَائِلًا: مَاذَا أَفْعَلُ بِهذَا الشَّعْبِ؟ بَعْدَ قَلِيل يَرْجُمُونَنِي" (خروج 17: 4).

عندما توسَّل كالب ويشوع للشعب أن يصعدوا ويأخذوا أرض كنعان، طالبوا برجمهما بالحجارة.

"إِنْ سُرَّ بِنَا الرَّبُّ يُدْخِلُنَا إِلَى هذِهِ الأَرْضِ وَيُعْطِينَا إِيَّاهَا، أَرْضًا تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلًا. إِنَّمَا لاَ تَتَمَرَّدُوا عَلَى الرَّبِّ، وَلاَ تَخَافُوا مِنْ شَعْبِ الأَرْضِ لأَنَّهُمْ خُبْزُنَا. قَدْ زَالَ عَنْهُمْ ظِلُّهُمْ، وَالرَّبُّ مَعَنَا. لاَ تَخَافُوهُمْ. **وَلكِنْ قَالَ كُلُّ الْجَمَاعَةِ أَنْ يُرْجَمَا بِالْحِجَارَةِ.** ثُمَّ ظَهَرَ مَجْدُ الرَّبِّ فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لِكُلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (سفر العدد 14: 8 – 10).

لو لم يتدخل الله، لفعلوا ذلك. فلماذا يسمح الله بهذه الممارسة المصرية المتعلقة بالرجم أن تكون جزءًا من الشرائع الإسرائيلية؟

"لأَنَّهُمْ لَمْ يَصْنَعُوا أَحْكَامِي، بَلْ رَفَضُوا فَرَائِضِي، وَنَجَّسُوا سُبُوتِي، وَكَانَتْ عُيُونُهُمْ وَرَاءَ أَصْنَامِ آبَائِهِمْ. **وَأَعْطَيْتُهُمْ أَيْضًا فَرَائِضَ غَيْرَ صَالِحَةٍ، وَأَحْكَامًا لاَ يَحْيَوْنَ بِهَا"** (حزقيال 20: 24 و25).

لم تكن هذه الفرائض والأحكام المتعلقة بالرجم صالحة، وكانت تمثل العقوبات التي إلحاقها أو إضافتها إلى الناموس، فكان التعدي يُعَاقب بسببها. من المؤكد أن الرجم حتى الموت ليس بالأمر الصالح! لقد كانت هذه العقوبات تتوافق مع أفكارهم الخاصة عن الدينونة والقصاص الذي يستحقه التعدي، وكانت تعكس تفكيرهم الشخصي والطرق التي تعلموها من المصريين. وقد أوضح الرب يسوع قائلا:

"**لأَنِّي كُنْتُ أَخَافُ مِنْكَ، إِذْ أَنْتَ إِنْسَانٌ صَارِمٌ**، تَأْخُذُ مَا لَمْ تَضَعْ وَتَحْصُدُ مَا لَمْ تَزْرَعْ. **فَقَالَ لَهُ: مِنْ فَمِكَ أَدِينُكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الشِّرِّيرُ. عَرَفْتَ أَنِّي إِنْسَانٌ صَارِمٌ**، آخُذُ مَا لَمْ أَضَعْ، وَأَحْصُدُ مَا لَمْ أَزْرَعْ" (لوقا 19: 21 و22).

لقد كان الإسرائيليون يؤمنون أن الله شخصًا صارمًا، وعندما أبصروا مجده، كان لهم كنارٍ آكلةٍ.

"وَكَانَ مَنْظَرُ مَجْدِ الرَّبِّ **كَنَارٍ آكِلَةٍ** عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ أَمَامَ عُيُونِ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (خروج 24: 17).

ولنتذكر أن الإسرائيليين أنفسهم هم الذين تبنوا ممارسة الرجم للتعامل مع التعدي. وعندما قرر الشعب أن يرجم موسى في خروج 17: 4، أظهروا روح الحكم والدينونة بلا رحمة. فالكتاب المقدس يقول:

"لأَنَّ الْحُكْمَ هُوَ بِلاَ رَحْمَةٍ لِمَنْ لَمْ يَعْمَلْ رَحْمَةً، وَالرَّحْمَةُ تَفْتَخِرُ عَلَى الْحُكْمِ" (يعقوب 2: 13).

بما أن الإسرائيليين لم يُظهروا أي رحمة في دينونتهم وحكمهم، فقد انعكست هذه الدينونة عليهم. لقد اختاروا أن يؤمنوا أن الله أراد قتلهم في البرية، وأرادوا أن يقتلوا موسى برجمه. الله لا يُشمَخ عليه، فهذه هي ثمار البذرة التي زرعها الإسرائيليون، إذ من أفواههم حكموا على أنفسهم بالموت في البرية حسب معتقداتهم الشخصية عن الله.

وقد عبَّر الإسرائيليون عن خوفهم مرارًا وتكرارًا أن الله سيقتلهم في البرية.

"وَقَالُوا لِمُوسَى: هَلْ لأَنَّهُ لَيْسَتْ قُبُورٌ فِي مِصْرَ **أَخَذْتَنَا لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟** مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا حَتَّى أَخْرَجْتَنَا مِنْ مِصْرَ؟" (خروج 14: 11).

"وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ: **لَيْتَنَا مُتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ،** إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ اللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّبَعِ. فَإِنَّكُمَا أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هذَا الْقَفْرِ لِكَيْ تُمِيتَا كُلَّ هذَا الْجُمْهُورِ بِالْجُوعِ" (خروج 16: 3).

"وَتَذَمَّرَ عَلَى مُوسَى وَعَلَى هَارُونَ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ لَهُمَا كُلُّ الْجَمَاعَةِ: لَيْتَنَا مُتْنَا فِي أَرْضِ مِصْرَ، أَوْ لَيْتَنَا مُتْنَا فِي هذَا الْقَفْرِ! **وَلِمَاذَا أَتَى بِنَا الرَّبُّ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ لِنَسْقُطَ بِالسَّيْفِ؟ تَصِيرُ نِسَاؤُنَا وَأَطْفَالُنَا غَنِيمَةً.** أَلَيْسَ خَيْرًا لَنَا أَنْ نَرْجِعَ إِلَى مِصْرَ؟" (سفر العدد 14: 2 و3).

ولذلك فبحسب دينونتهم نالوا دينونةً:

"وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: حَتَّى مَتَى أَغْفِرُ لِهذِهِ الْجَمَاعَةِ الشِّرِّيرَةِ الْمُتَذَمِّرَةِ عَلَيَّ؟ قَدْ سَمِعْتُ تَذَمُّرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي يَتَذَمَّرُونَهُ عَلَيَّ. قُلْ لَهُمْ: **حَيٌّ أَنَا يَقُولُ الرَّبُّ، لأَفْعَلَنَّ بِكُمْ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ فِي أُذُنَيَّ**. فِي هذَا الْقَفْرِ تَسْقُطُ جُثَثُكُمْ، جَمِيعُ الْمَعْدُودِينَ مِنْكُمْ حَسَبَ عَدَدِكُمْ مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا الَّذِينَ تَذَمَّرُوا عَلَيَّ" (سفر العدد 14: 26 – 29).

لقد تعرَّض الفريسيون في زمن المسيح للإحراج بسبب نظام الدينونة والقصاص الذي تلقاه آباؤهم من المصريين. فهو يُظهِر الخوف المستمر الذي عاشه الإسرائيليون والعبودية التي خلقها.

"مَعْمُودِيَّةُ يُوحَنَّا: مِنَ السَّمَاءِ كَانَتْ أَمْ مِنَ النَّاسِ؟ فَتَآمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِلِينَ: «إِنْ قُلْنَا: مِنَ السَّمَاءِ، يَقُولُ: فَلِمَاذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ؟ **وَإِنْ قُلْنَا: مِنَ النَّاسِ، فَجَمِيعُ الشَّعْبِ يَرْجُمُونَنَا، لأَنَّهُمْ** وَاثِقُونَ بِأَنَّ يُوحَنَّا نَبِيٌّ». فَأَجَابُوا أَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ" (لوقا 20: 4 – 7).

فمن الواضح أنه على الرغم من أن الإسرائيليين قد تركوا مصر، إلا أن مصر لم تتركهم. كان الفريسيون يعيشون في عالم الدينونة والغضب والانتقام، وكانوا يمتلكون كل صفات فرعون سيدهم الذي كان يستعبدهم. وكانت هذه الروح هي ثمرة فهمهم لشخصية الله وصفاته. فالإله الذي كانوا يعبدونه كان هو نفس إله فرعون. وعندما تكوَّنت الأمة الإسرائيلية، سمح الله بوضع أفكارهم في الناموس. ولكن كيف يسمح الله بأن يتلوث ناموسه بأفكار البشر الشريرة؟ ذلك لأن الغرض من الناموس هو التبكيت على الخطية كي ما تتجلّى رحمة الله.

"وَأَمَّا النَّامُوسُ فَدَخَلَ لِكَيْ تَكْثُرَ الْخَطِيَّةُ. وَلكِنْ حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا" (رومية 5: 20).

لقد كان باستطاعة أبينا السماوي أن يسمح بإضافة أي شكل من أشكال العقوبة إلى ناموسه لأنه بغض النظر عن الموت المفروض، فهو كان لغرض منح الرحمة لمن يطلبونها. ولنتذكر ما قاله الكتاب المقدس بشأن صفات الله:

"فَاجْتَازَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ، وَنَادَى الرَّبُّ: الرَّبُّ إِلهٌ **رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ**، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ" (خروج 34: 6).

" اِحْمَدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ صَالِحٌ، **لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ**" (مزمور 107: 1).

إن رحمة الله مستمرة في كل حين، ورغبته الدائمة هي إظهار الرحمة والإحسان. وهذه الرحمة لا تنقطع إلا عندما يرفض البشر الإيمان بها ويختارون الإدانة والدينونة عوضًا عنها. فالبشر هم الذين يجبرون الرحمة على الانقطاع، ويختبئون منها لأنهم يريدون أن يؤمنوا أن الله مثلهم، وهم يريدون أن يؤمنوا بأن الله ينقلب على البشر ويهلكهم ويبيدهم عندما يتوقفون عن إرضائه. فإذا كان هذا صحيحًا، فلا يمكن القول إن رحمة الله تدوم إلى الأبد. ولنتذكر أن الإنسان الذي يحكم ويدين بلا رحمة لا ينال رحمةً لأن هذا هو قراره واختياره. ولهذا السبب رُجِم الشخص الذي جدَّف على الله حتى الموت بلا رحمة.

"فَجَدَّفَ ابْنُ الإِسْرَائِيلِيَّةِ عَلَى الاسْمِ وَسَبَّ. فَأَتَوْا بِهِ إِلَى مُوسَى. وَكَانَ اسْمُ أُمِّهِ شَلُومِيَةَ بِنْتَ دِبْرِي مِنْ سِبْطِ دَانَ. فَوَضَعُوهُ فِي الْمَحْرَسِ لِيُعْلَنَ لَهُمْ عَنْ فَمِ الرَّبِّ. فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: أَخْرِجِ الَّذِي سَبَّ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ، فَيَضَعَ جَمِيعُ السَّامِعِينَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَرْجُمَهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ" (لاويين 24: 11 – 14).

لقد أصدر الرب عقوبة الموت التي حددها الشعب بنفسه بسبب ارتباطه وصلته بعقوبة التجديف على الآلهة المصرية. لقد أراد أبانا أن يبكت هذا الإنسان على خطيته الفادحة ويعرّفه أنه يستحق الموت بالفعل، لكن ذلك لم يكن إلا لغرض منحه الرحمة. وما يؤكد لنا صحة هذا الكلام هي الكلمات التي نطق بها معطي الناموس نفسه:

"لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ خَطِيَّةٍ وَتَجْدِيفٍ يُغْفَرُ لِلنَّاسِ، وَأَمَّا التَّجْدِيفُ عَلَى الرُّوحِ فَلَنْ يُغْفَرَ لِلنَّاسِ" (متى 12: 31).

قال الرب يسوع أن كل خطية تُغفَر للناس إلا خطية واحدة وهي التجديف على الروح القدس. فالروح القدس يبكّت ضمائرنا ويشفع فينا ويتوسّل لنا كي نتوب ونطلب الرحمة. والإنسان الذي يرفض باستمرار الاستماع إلى هذا الصوت الذي يطلب منه التوبة لن يطلب الرحمة، وبالتالي، سيُحاكم ويُدان بحسب العقوبات التي وضعها شعبه واخترعها. لو أن الرجل الذي وقعت عليه عقوبة الرجم في سفر اللاويين الأصحاح 24 فقط طلب الرحمة، لأعطيت له. لكنه جدَّف على الروح القدس الذي توسَّل من أجله كي يتوب لأن أبينا لا يريد أن يهلك أحد، وللأسف أخرس (أسكت) هذا الصوت ومات وفقًا لإيمانه بأن الله لن يغفر له.

يا ترى كم واحد منا سيأخذ حجارة ويضرب بها أبناءنا حتى الموت بسبب الذنوب والخطايا التي لم يتوبوا عنها إلى أن يتحولوا إلى جثة هامدة ملطخة بالدماء على الأرض؟ فكرة فظيعة جدًا لا يمكن للكلمات أن تصفها. ومع ذلك يعتقد الملايين من الناس أن هذا هو ما طلبه أبونا السماوي من بني إسرائيل. ويا ترى كم هو عدد الذين ماتوا وهم يكرهون هذا الإله ظانين أنه يرغب في رجم الناس حتى الموت؟ واليوم يشكر العديد من المسيحيين الله على أن الأمور قد تغيرت في العهد الجديد، لكن هذا لا يغير بأي حال من الأحوال حقيقة أنهم ما زالوا يعتقدون أن الله كان على هذا المنوال في العهد القديم. ولنتذكر مجددًا أن الرب يسوع قال أنه لم يأتِ ليحذف حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس. فالناموس لا يزال قائمًا، ولكن كما تعلمنا، فالله أبانا لا يرغب بتاتًا في قتل أي إنسان، فهو يريد الرحمة للجميع.

أصلي أن تفتح قلبك لأبينا السماوي، فهو يحبك كثيرًا، ولم يرد قط أن يؤذيك أو يقتلك بسبب خطاياك، لكنه يريد منا فقط أن نرى أن خطايانا هي التي تهلكنا، وأننا نستطيع أن نطلب منه الرحمة في أي وقت. فعندما تعلم أن الله ليس غضبانًا منك وأنه يحبك حقًا، يمكنك أن تركض إليه وتعترف بكل ذنوبك ويكون لديك اليقين أنه سيغفر كل هذه الذنوب. وكما قال الرب يسوع للمرأة التي أُمسِكت في ذات الفعل وهي تزني: "وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضًا".

ولكن للأسف فأولئك الذين يرفضون الحق المتعلق بمحبة الله الحقيقية لهم واستعداده الدائم لإظهار الرحمة لهم، لن ينالوا أي رحمة، لأنهم يؤمنون بإله لا يرحم أو يُظهِر رحمةً للخطاة، ولذلك فقد تخلوا عن رجاء حصولهم على الغفران. ومثل قايين يصرخون قائلين: "ذنبي أعظم من أن يُغتَفَر".

> "لأَنَّهُمْ أَبْغَضُوا الْعِلْمَ وَلَمْ يَخْتَارُوا مَخَافَةَ الرَّبِّ. لَمْ يَرْضَوْا مَشُورَتِي. رَذَلُوا كُلَّ تَوْبِيخِي. فَلِذلِكَ يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَرِ طَرِيقِهِمْ، وَيَشْبَعُونَ مِنْ مُؤَامَرَاتِهِمْ. لأَنَّ ارْتِدَادَ الْحَمْقَى يَقْتُلُهُمْ، وَرَاحَةَ الْجُهَّالِ تُبِيدُهُمْ" (أمثال 1: 29 – 32).

اصغِ إلى كلمة الله وآمن بما تقوله:

> "تَرَاءَى لِي الرَّبُّ مِنْ بَعِيدٍ: وَمَحَبَّةً أَبَدِيَّةً أَحْبَبْتُكِ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَدَمْتُ لَكِ الرَّحْمَةَ" (إرميا 31: 3).

> "هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ، يَقُولُ الرَّبُّ. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ. إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ كَالدُّودِيِّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ" (إرميا 31: 3).

"وَيَكْتُبُ الْكَاهِنُ هذِهِ اللَّعْنَاتِ فِي الْكِتَابِ ثُمَّ يَمْحُوهَا فِي الْمَاءِ الْمُرِّ" (سفر العدد 5: 23).

9. الناموس بصفته مرآة

عندما نتأمل في قصص الرب يسوع في الأناجيل، فإننا نرى الآب، فقد قال الرب يسوع لفيلبس: "اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ" (يوحنا 14: 9). هناك قصة مهمة في الأناجيل تلقي الضوء على جانب من جوانب شخصية أبينا وصفاته التي يُساء فهمها بالكامل في أحيان كثيرة. قضى الرب يسوع خدمته كلها تقريبًا داخل حدود الأمة اليهودية، وفي هذه المناسبة النادرة اختار المخلص السفر إلى إقليم فينيقية الوثني.

إن كبرياء اليهود وتعصبهم وتحيزهم كان يقطن في قلوب التلاميذ، وأعمى أعينهم عن اشتراكهم وتورطهم في الخطية القومية المتمثلة في العنصرية والتعصب الروحي. دُعِيت إسرائيل لتكون نورًا للأمم، لكنهم حولوا هذا الامتياز إلى ظلام باحتقارهم وازدرائهم لجيرانهم المغلوبين على أمرهم.

كانت امرأة تعيش في تلك النواحي، وقد سمعت هي وكثيرون من أهالي مدينتها عن هذا المعلم اليهودي الذي لديه القدرة على شفاء الناس. كانت ابنتها "يسكنها شيطان"، وحاولت عبثًا الاستنجاد بآلهتها لمساعدة ابنتها ولكن دون جدوى. فتساءلت عما إذا كان بإمكان ذلك المعلم اليهودي مساعدتها. قررت أن ترفع قضيتها للرب يسوع رغم الشكوك التي كانت تساورها بشأن ما بإمكان هذا اليهودي أن يفعل لها.

لقد سمع المخلص صرخة هذه الأم المسكينة النابعة من القلب.

"ارْحَمْنِي، يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ! اِبْنَتِي مَجْنُونَةٌ جِدًّا (يسكنها شيطان)" (متى 15: 22).

كان قلب المخلص، بصفته ابن الله المضحي والباذل لنفسه، ممتلئًا بالعطف والحنان، فقد جاء خصيصًا إلى الإقليم الذي كانت تعيش فيه من أجل مساعدتها، لكن الشيء الذي قام به الرب يسوع بعد ذلك يكشف لنا شيئًا مهمًا جدًا عن شخصية الله وصفاته.

"فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ" (متى 15: 23).

السبب الذي جعله يفعل هذا واضح جدًا ونجده في الجزء الأخير من الآية نفسها.

"فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: اصْرِفْهَا، لأَنَّهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا!" (متى 15: 23).

لو كان الرب يسوع قد منحها طلبتها على الفور، لما كُشِفت قساوة قلب التلاميذ. فظل المخلص صامتًا ليرى ما سيفعله التلاميذ. لقد فسروا صمته على أنه تأكيد على تحيزهم وتعصبهم العنصري. كما أن الرب يسوع بصمته كان يمتحن الشكوك التي كانت لدى هذه المرأة الأجنبية تجاه هذا المعلم اليهودي. وهكذا نرى أن أفعال الرب يسوع كانت تعمل كمرآة لتُظهِر وتكشف ما بداخل قلوب من حوله.

وهناك أمثلة أخرى في الكتاب المقدس تدل على ذلك، فمثلاً عندما كان الرب يسوع يمشي مع تلميذي عمواس يقول الكتاب عنه أنه "هُوَ تَظَاهَرَ كَأَنَّهُ مُنْطَلِقٌ إِلَى مَكَانٍ أَبْعَدَ" (لوقا 24: 28). وأيضًا عندما أتى الرب يسوع إلى التلاميذ "أَتَاهُمْ مَاشِيًا عَلَى الْبَحْرِ، وَأَرَادَ أَنْ يَتَجَاوَزَهُمْ" (مرقس 6: 48).

لقد كان كان التلاميذ كما ذكرنا سابقًا يقاومون الدعوة لحمل صليبهم الشخصي في وجه رفض العالم لابن الله، فأعمى ذلك أذهانهم ولم يفهموا أشياء كثيرة كان يحاول الرب يسوع أن يخبرهم إياها. ونظرًا لكونهم سامعين للناموس في هذا الشأن، فقد جعلهم هذا يرون الرب يسوع على النحو التالي:

"وَلكِنْ كُونُوا عَامِلِينَ بِالْكَلِمَةِ، لاَ سَامِعِينَ فَقَطْ خَادِعِينَ نُفُوسَكُمْ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ سَامِعًا لِلْكَلِمَةِ وَلَيْسَ عَامِلًا، **فَذَاكَ يُشْبِهُ رَجُلًا نَاظِرًا وَجْهَ خِلْقَتِهِ فِي مِرْآةٍ**، فَإِنَّهُ نَظَرَ ذَاتَهُ وَمَضَى، وَلِلْوَقْتِ نَسِيَ مَا هُوَ" (يعقوب 1: 22 – 24).

لقد استجاب التلاميذ لدعوة المسيح الخاصة بالمملكة الجديدة، لكن قلوبهم لم تخضع لمبادئ إنكار الذات، ولا لرفض أمتهم لمسيحهم المحبوب. وهذا جعلهم سامعين للناموس الخارج من فم الرب يسوع. وعندما لم يجب الرب يسوع المرأة الكنعانية بكلمة، فقد رأوا وجههم الطبيعي فيه وفسَّروا تصرف على أنه تعصب عنصري. لقد كانوا يعبرون عن مواقفهم ورغباتهم الشخصية التي ألقوها عليه، وبسبب ذلك طلبوا من الرب يسوع أن يصرف هذه المرأة المسكينة أمام عينيها. هل يمكنك تخيل مقدار الألم والحزن الذي شعرت به هذه المرأة عندما سمعت التلاميذ يتحدثون عنها بهذا الشكل؟ ولابد أن ألمها وحزنها الشديد على ابنتها قد تغلغل بداخلها عندما استدارت لتسمع ما سيقوله الرب يسوع.

"فَأَجَابَ وَقَالَ: لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ" (متى 15: 24).

كان الرب يسوع بهذه الإجابة يمتحن الجميع ليرى إذا كانوا بالفعل منصتين. لقد قدَّم يوحنا المعمدان المخلّص بهذه الكلمات:

"هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!" (يوحنا 1: 29).

لقد جاء الرب يسوع مخلّصًا للعالم أجمع، وليس لليهود الجسديين فقط. وهذه الحقيقة استطاعت المرأة السامرية عند البئر والذين أتوا من المدينة أن يدركوها ويميزوها.

"وَقَالُوا لِلْمَرْأَةِ: إِنَّنَا لَسْنَا بَعْدُ بِسَبَبِ كَلاَمِكِ نُؤْمِنُ، لأَنَّنَا نَحْنُ قَدْ سَمِعْنَا وَنَعْلَمُ أَنَّ هذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ الْمَسِيحُ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ" (يوحنا 4: 42).

لقد جاء الرب يسوع مخلّصًا للعالم أجمع، لكن مملكته لم تكن بالتأكيد من هذا العالم:

"أَجَابَ يَسُوعُ: مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا" (يوحنا 18: 36).

أما التعبير "إسرائيل" فهو إشارة إلى جميع أولئك الذين يقبلون عطية الخلاص التي وصفها الرسول بولس فيما بعد:

"لأَنَّ الْيَهُودِيَّ فِي الظَّاهِرِ لَيْسَ هُوَ يَهُودِيًّا، وَلاَ الْخِتَانُ الَّذِي فِي الظَّاهِرِ فِي اللَّحْمِ خِتَانًا، بَلِ الْيَهُودِيُّ فِي الْخَفَاءِ هُوَ الْيَهُودِيُّ، وَخِتَانُ الْقَلْبِ بِالرُّوحِ لاَ بِالْكِتَابِ هُوَ الْخِتَانُ، الَّذِي مَدْحُهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ بَلْ مِنَ اللهِ" (رومية 2: 28 و29).

كان المخلص يتحدث إليهم عن مملكته الروحية – مملكة القلب. وهذه المرأة استجابت لدعوة الروح بمجيئها إلى الرب يسوع، فقد أظهرت أنها بالفعل من بيت إسرائيل، ليس إسرائيل التي حسب الجسد، بل إسرائيل التي حسب الروح. لقد أُعطي الاسم "إسرائيل" إلى يعقوب بسبب الإيمان الغالب الذي أظهره بصراعه المستميت مع الملاك. والآن فقد أظهرت هذه المرأة أنها حقًا امرأة إسرائيلية منتصرة.

"فَأَتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ قَائِلَةً: يَا سَيِّدُ، أَعِنِّي!" (متى 15: 25).

لقد كان إيمان هذه المرأة قويًا وثابتًا، وظلت متمسكة به. كان المخلص مشتاقًا لأن يساعدها، لكن الامتحان لم ينته بعد.

"فَأَجَابَ وَقَالَ: لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ" (متى 15: 26).

هذه الآية باللغة الإنجليزية تقول: "لكنه أجاب وقال ..."، وكلمة "لكن" لا تعني بالضرورة أنه كان يعارض أو يرفض طلبها. والكلمة اليونانية "دي" تعني "و" وذلك للتعبير أو الدلالة على استمرارية الفكرة. والرب يسوع كان يطلب منها الآن أن تقرر ما إذا كانت حقًا امرأة إسرائيلية، فقد صاغ كلماته بطريقة يمتحن من خلالها تحيز التلاميذ وتمييزهم العنصري، وأيضًا الشكوك التي كانت لدى المرأة الكنعانية عن هذا المعلم اليهودي. ربما أنها قالت: "يارب، أنا واحدة من أبنائك وأؤمن أنك ستساعدني". وهي أعظم إجابة يمكنها أن تقدمها. ومع ذلك، فإجابتها كانت مذهلة، فعلى الرغم من أنها نعتت نفسها بالكلب، إلا أنها كانت لا تزال متمسكة بإيمانها.

"فَقَالَتْ: نَعَمْ، يَا سَيِّدُ! وَالْكِلاَبُ أَيْضًا تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا!" (متى 15: 27).

ورغم ظنها أن الرب يسوع يدعوها كلبةً، إلا أنها ظلت متمسكة بإيمانها أنه سيساعدها ويقدم لها يد العون، فجعلها مثالاً حقيقيًا للمرأة الإسرائيلية المنتصرة. إن محبة هذه المرأة لابنتها واستجابتها لدعوة الروح منحتها غلبة الإيمان.

"حِينَئِذٍ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ». فَشُفِيَتِ ابْنَتُهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ" (متى 15: 28).

لقد وبَّخت هذه الإجابة التلاميذ وأنبّت ضميرهم. لقد كانوا يسمعون كلمات الرب يسوع بقلوبهم الطبيعية وكانوا يلقون تعصبهم العنصري عليه. وعندما استجاب الرب يسوع لطلبة المرأة صُدِموا وتحطمت نظرتهم إليه. فهم إما أن يعتبروا ما فعله الرب يسوع سرًا أو أن يقوموا بالتشكيك في كرههم وتعصبهم العرقي.

لقب من الألقاب التي يحملها الرب يسوع في الكتاب المقدس هو "حكمة الله" (كورنثوس الأولى 1: 24). هذه الحكمة الآتية من أبيه تسمح له بالتفاعل مع البشر وإظهار ما في قلوبهم دون مواجهة مباشرة، الأمر الذي لن ينتج عنه سوى المقاومة. فلماذا لم يخبر الرب يسوع التلاميذ: "إنكم تعانون من مشكلة الكره والتعصب العنصري ويجب عليكم أن تتوقفوا عن ذلك"؟ لو قال لهم هذه الكلمات، لما استطاع ذلك أن يحقق أي شيء. إلا أن الرب يسوع يتكلم بطريقة تسمح لكلماته أن تعمل كمرآة لتكشف ما في داخل القلب.

وبمجرد أن تفهم هذا المبدأ، ستتمكن من قراءة الكتاب المقدس بصفتك عاملاً للكلمة، وليس سامع فقط كمن ينظر وجه خلقته في مرآة. إن الامتحان الذي قدمه الرب يسوع للتلاميذ يواجهه كل قارئ للكتاب المقدس. فالكتاب المقدس يعبّر عن أشياء تكشف ما هو بداخل قلب مَنْ يقرأه. فعندما قرأ التلاميذ تصرف الرب يسوع، أدركوا مدى تحزبهم وتعصبهم العنصري، إذ أن الكثيرين منهم كانوا قد قرأوا قبلاً نصوصًا كتابية تصف الله من خلال الفهم البشري الطبيعي وليس وفقًا لشخصية الله وصفاته الحقيقية. والنص التالي، على سبيل المثال، يبدو وكأنه يقول أن الله ينسى شعبه ويدير ظهره لهم.

"كَرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ أُبَدِّدُهُمْ أَمَامَ الْعَدُوِّ. **أُرِيهِمِ الْقَفَا لاَ الْوَجْهَ** فِي يَوْمِ مُصِيبَتِهِمْ" (إرميا 18: 17).

عندما ندير ظهرنا للناس أو عندما نُريهم القفا، فهذا يدل على رفضنا لهم. لاحظ السياق المتعلق بإدارة الله لظهره في النص التالي:

"وَيَكُونُ مَتَى اجْتَازَ مَجْدِي، أَنِّي أَضَعُكَ فِي نُقْرَةٍ مِنَ الصَّخْرَةِ، وَأَسْتُرُكَ بِيَدِي حَتَّى أَجْتَازَ. ثُمَّ أَرْفَعُ يَدِي **فَتَنْظُرُ وَرَائِي**، وَأَمَّا وَجْهِي فَلاَ يُرَى" (خروج 33: 22 و23).

في هذا السياق يُري الله ظهره لحماية موسى من بهاء مجد صفاته الكامل. فمحبة الله لأبنائه عظيمة جدًا، وباذلة جدًا، ورحيمة جدًا لدرجة أنه عندما يُبصِر الخاطئ هذه المحبة بشكل كامل، فإنها تجلب إحساسًا فوريًا بالدينونة والذنب والعار.

"لأَنَّ شَعْبِي قَدْ نَسِيَنِي! بَخَّرُوا لِلْبَاطِلِ، وَقَدْ أَعْثَرُوهُمْ فِي طُرُقِهِمْ، فِي السُّبُلِ الْقَدِيمَةِ لِيَسْلُكُوا فِي شُعَبٍ، فِي طَرِيق غَيْرِ مُسَهَّل" (إرميا 18: 15).

لقد نسيت إسرائيل الرب وسلكوا في طرق أخرى. فحجب الرب مجده وأدار ظهره كي لا يهلكوا هلاكًا تامًا. كما أنه أدار ظهره حتى لا يروا ألمه وحزنه وهو يرى أبنائه يحصدون ما قد زرعوه.

"بَذَلْتُ ظَهْرِي لِلضَّارِبِينَ ..." (إشعياء 50: 6).

لقد كانت تصرفات إسرائيل تجرح مخلصنا، وقد ترك ارتدادها عنه وإنسياقها وراء آلهة أخرى في قلبه جرحًا كبيرًا جدًا. "فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ تَضَايَقَ ... بِمَحَبَّتِهِ وَرَأْفَتِهِ هُوَ فَكَّهُمْ وَرَفَعَهُمْ وَحَمَلَهُمْ كُلَّ الأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ" (إشعياء 63: 9). لذا بَذَل ظهره للضاربين. يمكن فهم هذه العبارة أن الرب يُجرَح بسبب تعديات شعبه ورفضهم له، وكذلك حماية شعبه من استعلان مجد صفاته الكامل حتى لا يسحقهم شعورهم بالذنب والعار بالكامل. القلب الطبيعي سيقرأ هذا النص ويفهمه على أن الله ببساطة يرفض شعبه لأن هذه هي إستجابة البشر الطبيعية، وعندما نقرأ الكتاب المقدس بهذه الصورة الطبيعية فهذا ما نفهمه. لكن شكرًا لله لأن أفكاره ليست أفكارنا (إشعياء 55: 8 و9).

مثال آخر على أن كلمة الله تعمل كمرآة للنفس يوجد في سفر العدد الأصحاح 13 حيث نقرأ:

"ثُمَّ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: أَرْسِلْ رِجَالًا لِيَتَجَسَّسُوا أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. رَجُلًا وَاحِدًا لِكُلِّ سِبْطٍ مِنْ آبَائِهِ تُرْسِلُونَ. كُلُّ وَاحِدٍ رَئِيسٌ فِيهِمْ" (سفر العدد 13: 1 و2).

إلا أننا نقرأ في سفر التثنية الأصحاح الأول ما يلي:

"انْظُرْ. قَدْ جَعَلَ الرَّبُّ إِلهُكَ الأَرْضَ أَمَامَكَ. اصْعَدْ تَمَلَّكْ كَمَا كَلَّمَكَ الرَّبُّ إِلهُ آبَائِكَ. لاَ تَخَفْ وَلاَ تَرْتَعِبْ. فَتَقَدَّمْتُمْ إِلَيَّ جَمِيعُكُمْ وَقُلْتُمْ: دَعْنَا نُرْسِلْ رِجَالًا قُدَّامَنَا لِيَتَجَسَّسُوا

لَنَا الأَرْضَ، وَيَرُدُّوا إِلَيْنَا خَبَرًا عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي نَصْعَدُ فِيهَا وَالْمُدُنِ الَّتِي نَأْتِي إِلَيْهَا. فَحَسُنَ الْكَلاَمُ لَدَيَّ، فَأَخَذْتُ مِنْكُمُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا. رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ" (تثنية 1: 21 – 23).

لا تقدم هذه الفقرة التي وردت في سفر العدد الأصحاح 13 السياق الكامل لما حدث، لكنها ببساطة تعرض الأمر الذي أمر به الله بالتجسس على الأرض. هاتان الفقرتان (السابق ذكرهما) إذ أنهما يعرضان بهذه الطريقة في الكتاب المقدس، فهما يقدمان اختبارًا صغيرًا للقارئ. فإذا كان القارئ يحمل في قلبه رغبة في إثبات عدم صحة الكتاب المقدس، فهذان النصان يمكن وضعهما جنبًا إلى جنب واستخدامهما لإثبات أن الكتاب المقدس يناقض نفسه. فالتناقضات الموجودة داخل القارئ تُسقَط وتُعرَض على الكتاب المقدس.

أما العامل بالكلمة فسرعان ما سيرى أن الأمر بالصعود وإمتلاك الأرض كان يعني أنه لا توجد حاجة للتجسس على الأرض، وأن طلب الشعب للتجسس أظهر كونهم قليلي إيمان. فاستجاب الله طلبهم بأمر كان حسب رغبتهم. وقد أظهر التقرير المخيف الذي جاء به الغالبية العظمى من الرجال عدم الإيمان الذي كان يوجد في قلوبهم مما دفعهم لطلب التجسس على الأرض. ولذلك فالكتاب المقدس مكتوب بطريقة تجعل الإنسان الذي يعيش في تناقض يقرأ الكتاب المقدس ويجد فيه التناقضات التي يبحث عنها لدعم مزاعمه وإدعاءاته. أما العامل بالكلمة فيتمسك بالإيمان ويسعى لتبرئة الكتاب المقدس من التناقضات المزعومة ويحاول التوفيق بين تعاليمه.

لنتأمل في قصة داود وهو يحصي إسرائيل.

"وَعَادَ فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَأَهَاجَ عَلَيْهِمْ دَاوُدَ قَائِلًا: امْضِ وَأَحْصِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا" (صموئيل الثاني 24: 1).

والآن قارن هذا النص بأخبار الأيام الأول 21: 1

"وَوَقَفَ الشَّيْطَانُ ضِدَّ إِسْرَائِيلَ، وَأَغْوَى دَاوُدَ لِيُحْصِيَ إِسْرَائِيلَ" (أخبار الأيام الأول 21: 1).

مرة أخرى نرى تناقضًا سطحيًا في هذه الآيات. وهذا يشبه الوقت الذي قُدِّم فيه الرب يسوع بصفته مخلص العالم، لكنه بعد ذلك قال للمرأة: "لم أُرسَل إلا لخراف بني إسرائيل الضالة". إننا نُمتَحن

عندما نقرأ هذه النصوص. سنتناول الموضوع المتعلق بالغضب الإلهي في فصل لاحق، أما الآن فدراستنا ستركز على قراءة النصوص والكلمات العبرية في ضوء حياة الرب يسوع المسيح. أدى إحصاء الشعب هذا إلى مقتل 70 ألف رجلاً.

"فَجَعَلَ الرَّبُّ وَبَأً فِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمِيعَادِ، فَمَاتَ مِنَ الشَّعْبِ مِنْ دَانٍ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ سَبْعُونَ أَلْفَ رَجُل" (صموئيل الثاني 24: 15).

تشير بعض الترجمات إلى أن الله كان غاضبًا جدًا من إسرائيل لدرجة أنه اختلق ذريعة لمحو الآلاف من الناس:

"وَعَادَ فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَأَهَاجَ عَلَيْهِمْ دَاوُدَ قَائِلًا: امْضِ وَأَحْصِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا" (صموئيل الثاني 24: 1).

عندما نقرأ أن غضب الله حَمِيَ على إسرائيل، ما هي الصورة التي تتكون في عقلك؟ هل تتخيل أن الله يغضب كالبشر أو أن لون وجهه يتغيّر من شدة غضبه في أي لحظة؟ هل كان المترجمون يقرأون كلمات الكتاب المقدس العبرية حسب فهمهم البشري الطبيعي؟ الشيء المدهش هو أن بعض المفردات العبرية تختلف في معناها، والقارئ أو المترجم هو الذي يحدد المعنى المختلف للكلمة. وعندما يحدث هذا فمعنى بعض الكلمات يتغير تغيرًا كبيرًا عندما يتم قراءتها. فعلى سبيل المثال لو نظرنا إلى كلمة "غضب" و"حَمِيَ" الوارد ذكرهما في صموئيل الثاني 24: 1، يمكن أن يُترجما إلى "ألم" و"حَزِنَ". وكلمة "أهاج" تحمل معنى "أغرى أو أغوى". عندها تكون قراءة هذا النص على النحو التالي:

"وَعَادَ فَحَزِن ألم الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَأَغوي دَاوُدَ قَائِلًا: امْضِ وَأَحْصِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا" (صموئيل الثاني 24: 1).

وهذا يتوافق مع الآية الوارد ذكرها في أخبار الأيام الأول 21: 1 والتي تقول أن الشيطان وقف ضد داود. فلماذا أغوي داود؟ ذلك لأن إسرائيل أحزنت روح الله. يصف الكتاب المقدس غضب الله على أنه السماح بازدياد سلطة الملائكة الأشرار.

"أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ حُمُوَّ غَضَبِهِ، سَخَطًا وَرِجْزًا وَضِيْقًا، جَيْشَ مَلاَئِكَةٍ أَشْرَارٍ" (مزمور 78: 49).

مرة أخرى فكلمة "أرسل" يمكن ترجمتها إلى "أطلق". وهذا ما يؤكد عليه المقطع الأخير من الترجمة التفسيرية للكتاب المقدس "أرسل عليهم حمم غضبه، وسخطه وغيظه، **وأطلق** عليهم حملة من ملائكة الهلاك" (مزمور 78: 49 – ترجمة كتاب الحياة). فغضب الله هو سماحه لشعبه أن يرفضه ويبتعد عنه، مما يعطي الفرصة للشيطان للوقوف والسيطرة على الوضع. إن الآب الغالي يحب أبنائه، ومخلصنا هو راعينا الذي يهتم بلا كلل أو تعب بخرافه. وعندما يستمر شعبه في تجاهل ورفض توسلاته، فيضطر أخيرًا أن يسمح لهم بالحصول على رغباتهم. لقد ابتغت إسرائيل العظمة القومية وهي تحت حكم داود، وقد توسّل إليهم روح الرب ألا يطلبوا هذه الأشياء، لكن نفس الروح التي أرادت ملكًا، أرادت أيضًا أن توسع تخوم المملكة. لذلك سمح الرب للشيطان أن يغوي داود ليحصي الشعب.

يختار معظم مترجمي الكتاب المقدس تفسير الكلمة العبرية "آف" على أنها تعني "غضب" في صموئيل الثاني 24: 1. بينما في خروج 34: 6، فالكلمة نفسها بالترجمة الإنجليزية للكتاب المقدس مرتبطة بكلمة "طويل" أو "صبور". ولذلك فالآية الواردة في خروج 34: 6 يمكن ترجمتها على هذا النحو:

> "وعبر من أمام موسى مناديًا: أنا الرب. الرب إله رؤوف رحيم، صبور على الأذى (آف) وكثير الإحسان والوفاء" (خروج 34: 6).

لقد سمح الرب لهذه الكلمة العبرية "آف" أن تعمل كمرآة في نفسنا. فيمكن أن نقرأها "غضب" (كما جاء في الترجمة العربية التي تقول الرب إله رؤوف رحيم، بطيء الغضب)، ويمكن أن نقرأها "ألم" أو "أذى". ذلك لأن الكلمة العبرية تعني "أنف" أو "نفس سريع من الأنف". والتنفس السريع يمكن أن يحدث بسبب الغضب أو الحزن الشديد. وعندما أخبر الرب يسوع التلاميذ أنه ينبغي أن يتألم كثيرًا على أيدي القادة، لم يرغبوا في سماع ذلك. لذلك فإننا نرى في أماكن كثيرة أن الناس يفضلون الإيمان بإله غاضب يحنق على مَنْ يخطئون إليه، عوضًا عن رؤيته كآب متألم وصبور ومنسحق القلب. فلو سمحوا لأنفسهم رؤيته بهذه الطريقة، فسوف يجلب ذلك تبكيتًا لقلوبهم وسيتوقفون عن جرح أبينا، ولكن عندما يرونه كإله محتد وغاضب، فالكثير من الناس يجدون عذرًا لتبرير الخطايا التي يرتكبونها. ومثلما فسَّر التلاميذ صمت الرب يسوع على أنه تعصب عنصري، فإن العديد من مترجمي الكتاب المقدس، ومَنْ يقرأونه تبعًا لذلك، يقرأون أيضًا مشاعرهم عن الظلم وينسبون ذلك إلى صفات الله.

مثال أخير لتوضيح هذه الفكرة:

"فَمَاتَ شَاوُلُ بِخِيَانَتِهِ الَّتِي بِهَا خَانَ الرَّبَّ مِنْ أَجْلِ كَلاَمِ الرَّبِّ الَّذِي لَمْ يَحْفَظْهُ. وَأَيْضًا لأَجْلِ طَلَبِهِ إِلَى الْجَانِّ لِلسُّؤَالِ، وَلَمْ يَسْأَلْ مِنَ الرَّبِّ، فَأَمَاتَهُ وَحَوَّلَ الْمَمْلَكَةَ إِلَى دَاوُدَ بْنِ يَسَّى" (أخبار الأيام الأول 10: 13 و14).

إذا كان شخص ما يبحث عن دليل أو برهان لإثبات أن الله يقتل الناس، فستبدو هذه الحالة بسيطة للغاية، إذ أنها تقول أن الله قتل شاول. إلا أن هذا النص يعمل كمرآة. فالسامع بالكلمة سيرى وجهه الطبيعي (وجه خلقته) في هذا النص. نرى في هذا النص أن شاول نال نعمة عظيمة في عيني الله، لكن شاول تمرَّد عليه. الإنسان الطبيعي ستكون لديه مشاعر وأفكار انتقامية عندما يقرأ حالة مثل هذه الحالة، وسوف يحكم على شاول بأنه يستحق الموت. ومن ناحية أخرى، فإن الإنسان الطبيعي قد تكون لديه مشاعر متمردة مماثلة تجاه السلطة، فعندما يقرأ هذا النص معتقدًا أن الله هو الذي قتل شاول بصورة مباشرة، فهذا في نظره يبرهن على أن سلطان الله هو سلطان قاس وصارم وغير معقول. أما الذين يقرؤون الكتاب المقدس وهم على دراية بشخصية الرب يسوع وصفاته، سوف يبحثون عن المزيد من الإجابات لشرح هذه الآية التي تفيد بأن الله قتل شاول بالفعل. الإجابة نجدها في نفس الأصحاح قبل الآيات السالفة بعشرة أعداد.

"وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ عَلَى شَاوُلَ فَأَصَابَتْهُ رُمَاةُ الْقِسِيِّ، فَانْجَرَحَ مِنَ الرُّمَاةِ. فَقَالَ شَاوُلُ لِحَامِلِ سِلاَحِهِ: «اسْتَلَّ سَيْفَكَ وَاطْعَنِّي بِهِ لِئَلاَّ يَأْتِيَ هؤُلاَءِ الْغُلْفُ وَيُقَبِّحُونِي». فَلَمْ يَشَأْ حَامِلُ سِلاَحِهِ لأَنَّهُ خَافَ جِدًّا. فَأَخَذَ شَاوُلُ السَّيْفَ وَسَقَطَ عَلَيْهِ" (أخبار الأيام الأول 10: 3 و4).

لقد انتحر شاول. فهو قد ابتعد عن الله، وكان ذلك يعني أن الله لم يكن قادرًا على حمايته بالشكل الذي كان يريده. لقد فقد شاول حمايته أثناء الحرب، وقد أدت الأحداث في النهاية إلى انتحار شاول. نستطيع من خلال هذا السياق فهم هذه الآيات.

وهنا درس مهم لقارئي الكتاب المقدس. فإن كنت على يقين أن رسالة الرب يسوع ومهمته على الأرض هي إعلان الآب، ويمكنك أن تفهم آلام المسيح من خلال الرفض الذي يختبره كل يوم من قبل الجنس البشري، فعندئذ سنصير مثل المرأة الكنعانية متمسكين بالإيمان ومؤمنين أنه هو حقًا إله رحيم حتى عندما يبدو الأمر وكأنه ليس كذلك. إنها كلمة الرب التي

تعمل كمرآة في أنفسنا لتُخرِج ما في داخل قلوبنا حتى نتوب عن إسقاط رغباتنا وميولنا على المسيح وأبيه.

"... لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ" (متى 15: 28).

10. الخوف الذي يضعه الله فيك

"وَكَانَ فِصْحُ الْيَهُودِ قَرِيبًا، فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَوَجَدَ فِي الْهَيْكَلِ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ بَقَرًا وَغَنَمًا وَحَمَامًا، وَالصَّيَارِفَ جُلُوسًا. فَصَنَعَ سَوْطًا مِنْ حِبَال وَطَرَدَ الْجَمِيعَ مِنَ الْهَيْكَلِ، اَلْغَنَمَ وَالْبَقَرَ، وَكَبَّ دَرَاهِمَ الصَّيَارِفِ وَقَلَّبَ مَوَائِدَهُمْ. وَقَالَ لِبَاعَةِ الْحَمَامِ: «ارْفَعُوا هذِهِ مِنْ هُنَا! لاَ تَجْعَلُوا بَيْتَ أَبِي بَيْتَ تِجَارَةٍ!». فَتَذَكَّرَ تَلاَمِيذُهُ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ: غَيْرَةُ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي" (يوحنا 2: 13 – 17).

"وَلَمَّا دَخَلَ الْهَيْكَلَ ابْتَدَأَ يُخْرِجُ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِيهِ قَائِلًا لَهُمْ: مَكْتُوبٌ: إِنَّ بَيْتِي بَيْتُ الصَّلاَةِ. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ!" (لوقا 19: 45 و46).

لقد صُمِّم الفصح لتعريف الخطاة على محبة الله العجيبة وبذل ابنه للموت من أجل العالم، أما قادة إسرائيل فقد حوَّلوا ذلك إلى فرصة لإثراء أنفسهم على حساب الشعب. كانت الذبيحة (القربان) مطلوبة من كل عائلة، ولكي يستطيع الشخص أن يشتري حملاً، كان عليه أن يستبدل العملة المحلية بشيكل المعبد. قدم هذا التبادل المالي وسيلة لرفع أسعار شراء الأضاحي (أو الحيوانات التي ستقدم كذبيحة). وقد لاقى الفقراء والمستضعفون صعوبة أكبر في الحصول على القربان أو الذبيحة التي يحتاجون إليها، مما جعلهم يشعرون بأن الرجال الذين من المفترض أن يعلموهم عن نعمة الله الغزيرة الواسعة هم أنفسهم من كانوا يغشونهم ويخدعونهم.

وفيما كان الرب يسوع يتفحص مشهد الهيكل حزن قلبه. فإن استمرت هذه الممارسة دون اعتراض، فإنها ستقود الملايين إلى القبر بدون المسيح وبدون نيل الخلاص لأن حق الإنجيل قد تحوَّل إلى مطمح أناني. هنا نتعرف على صفة من صفات شخصية الله التي يسهل إساءة فهمها. لقد كان الله يحب أولئك الذين كانوا يقومون بهذه الأعمال الشريرة محبة عميقة بقدر محبته أيضًا إلى أولئك الذين تعرضوا للغش والخداع بواسطة الكهنة. فكان الرب يسوع مضطرًا لمواجهة هؤلاء القادة ولفت نظرهم إلى مسارهم الخاطئ حتى يتسنى له الوصول إليهم. إن الصيغة التي يتبعها الخلاص هي على النحو التالي:

"وَأَمَّا النَّامُوسُ فَدَخَلَ لِكَيْ تَكْثُرَ الْخَطِيَّةُ. وَلكِنْ حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا" (رومية 5: 20).

لقد كانت التعاملات المحمَّلة بالغضب والخشونة في الهيكل انعكاسًا لحالة قلوب الرجال الذين يقودون الأمة. فلو لم يتوبوا عن هذه الأعمال، لماتوا.

إن لابن الإنسان، مخلص العالم، السلطان والقدرة على قراءة نفوس البشر. وكما أن الآب يعرف عدد الشعور الموجودة على رأس كل إنسان، فهو يعرف أيضًا أفكار كل إنسان معرفة عميقة. وإذ يتجلّى لاهوته متألقًا في ناسوته، فالمسيح يستطيع أن يفحص القلوب، ويقرأ الأفكار، ويطلع على خبايا النفوس. لقد كانت هذه اللحظة هي لحظة دينونة، وأولئك الذين كانوا في محضر المسيح أدركوا أن المخلص يستطيع أن يقرأ أفكارهم ويطلع على كل تفاصيل حياتهم. فكان هذا الاختبار مرعبًا للغاية بالنسبة للأشرار. وعندما صنع الرب يسوع سوطًا من حبال وطرد الجميع من الهيكل، فالغرض من ذلك لم يكن لضرب الناس أو إلحاق الأذى الجسدي بهم، بل ليطبع على أذهانهم سيئاتهم وشرور أعمالهم. فلم يُقتَل أحد أو يُجرَح، لكن الأشياء التي كانوا يتاجرون بها هي التي قُلِبت لتنذرهم بمدى خطورتها عليهم.

لقد كان المخلص يبكتهم على الخطية، ليس ليهلكهم بل ليخلصهم. وكان يريدهم أن يروا الخطر الواقع عليهم كي يتوبوا ويخلصوا. وعندما فحص روح الله قلوبهم، فقد كان ذلك لحثهم على ترك خطيتهم وأفعالهم الشريرة وطلب الغفران. ولكن عوضًا عن ذلك هرب الناس من محضره واختاروا التمسك بخطاياهم بدلاً من تركها والتخلي عنها. لقد طُرِدوا من الهيكل بسبب رفضهم التوبة. لو كانوا

قد تابوا، لنالوا النعمة والسلام وراحة البال، ولاستطاعوا البقاء في محضره. وفي حين أن كثيرين هربوا من المسيح، بقي آخرون واستمعوا إلى تعليمه.

"وَكَانَ يُعَلِّمُ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ، وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ مَعَ وُجُوهِ الشَّعْبِ يَطْلُبُونَ أَنْ يُهْلِكُوهُ" (لوقا 19: 47).

لو كان الرب ممتلئًا بالغضب والعداء تجاه الناس، لهرب الجميع وما تبقى إنسانًا. أما الذين أظهروا توبة خاضعة وخاشعة، لم يكونوا بحاجة للمغادرة لأنهم لم يشعروا بأية دينونة في محضره.

"إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ" (رومية 8: 1).

للأسف فالكهنة وقادة الشعب رفضوا السماح لروح الله أن يطهّر قلوبهم. لقد كان الهيكل الجسدي يمثل قلب الأمة، وهذا الهيكل كان من الممكن تطهيره بدموع التوبة، ولكنهم عوضًا عن ذلك طهروه بالهروب بخطيتهم من محضره. كان الروح يقترب منهم بدينونة ليخلصهم، ولكن كلما اقترب الروح منهم، كلما ازداد خوفهم وذعرهم.

"**وَأَقْتَرِبُ إِلَيْكُمْ لِلْحُكْمِ**، وَأَكُونُ شَاهِدًا سَرِيعًا عَلَى السَّحَرَةِ وَعَلَى الْفَاسِقِينَ وَعَلَى الْحَالِفِينَ زُورًا وَعَلَى السَّالِبِينَ أُجْرَةَ الأَجِيرِ: الأَرْمَلَةِ وَالْيَتِيمِ، وَمَنْ يَصُدُّ الْغَرِيبَ وَلاَ يَخْشَانِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ" (ملاخي 3: 5).

إن أفكارنا البشرية الطبيعية عند قراءة هذه الآية تعتقد أن الله سيقطع الأشرار ويهلكهم في غضبه. فكلمة الله تعمل كمرآة مرة أخرى. يقول النص: "وأقترب إليكم للحُكم". فأبانا يريد أن يقترب إلينا ويتحاجج معنا بشأن خطايانا. فالاقترب من محضر ذاك الذي ضحّى بنفسه وأنكر ذاته وأحبنا لا يترك أي خيار سوى التوبة أو الهروب من النور. السلبية ليست ممكنة في محضر الله. أولئك الذين يتمسكون بخطاياهم يركضون وراء ما يظنون أنها حياتهم، ولكنهم في الحقيقة يُظهِرون محبتهم للموت ورغبتهم في الهروب من الحياة.

إن تطهير الهيكل الذي قام به الرب يسوع يعكس المشاهد التي حدثت في السماء عندما تمرد لوسيفر وملائكته على الله. لقد بكتهم روح الله على مسارهم الخاطئ، لكنهم للأسف رفضوا قبول الغفران. لاحظ الطريقتين اللتين يعبر بهما الكتاب المقدس عن هذا الحدث:

"وَالْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ لَمْ يَحْفَظُوا رِيَاسَتَهُمْ، بَلْ تَرَكُوا مَسْكَنَهُمْ حَفِظَهُمْ إِلَى دَيْنُونَةِ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ بِقُيُودٍ أَبَدِيَّةٍ تَحْتَ الظَّلاَمِ" (يهوذا 1: 6).

"لأَنَّهُ إِنْ كَانَ اللهُ لَمْ يُشْفِقْ عَلَى مَلاَئِكَةٍ قَدْ أَخْطَأُوا، بَلْ فِي سَلاَسِلِ الظَّلاَمِ طَرَحَهُمْ فِي جَهَنَّمَ، وَسَلَّمَهُمْ مَحْرُوسِينَ لِلْقَضَاءِ" (بطرس الثانية 2: 4).

كيف نقرأ هذه الآيات؟ الآية الواردة في رسالة يهوذا تخبرنا أن الملائكة تركوا مسكنهم الذي في السماء. أما الآية الواردة في رسالة بطرس الرسول الثانية فتخبرنا أن الله لم يُشفِق على على الملائكة الذين أخطأوا، بل طرحهم في جهنم وفي ظلام.

عندما اقترب إليهم ابن الله ليدينهم كممثل ونائب عن أبيه، لم يتحملوا وجودهم في محضره. والمسيح، بصفته ميخائيل رئيس الملائكة، حارب هؤلاء الملائكة متوسلاً إليهم أن يأتوا للنور، وأن يتوبوا عن مكايدهم ومخططاتهم، وأن يرجعوا إلى الآب.

"وَحَدَثَتْ حَرْبٌ فِي السَّمَاءِ: مِيخَائِيلُ وَمَلاَئِكَتُهُ حَارَبُوا التِّنِّينَ، وَحَارَبَ التِّنِّينُ وَمَلاَئِكَتُهُ وَلَمْ يَقْوَوْا، فَلَمْ يُوجَدْ مَكَانُهُمْ بَعْدَ ذلِكَ فِي السَّمَاءِ" (رؤيا 12: 7 و8).

لقد ركَّزت الحرب في السماء على لوسيفر وهو يحاول المتجارة ببضاعته في هيكل الله.

"بِكَثْرَةِ تِجَارَتِكَ مَلأُوا جَوْفَكَ ظُلْمًا فَأَخْطَأْتَ. فَأَطْرَحُكَ مِنْ جَبَلِ اللهِ وَأُبِيدُكَ أَيُّهَا الْكَرُوبُ الْمُظَلِّلُ مِنْ بَيْنِ حِجَارَةِ النَّارِ" (حزقيال 28: 16).

مرة أخرى يتحدث الكتاب المقدس إلينا كمرآة، ويكشف ما بداخل قلوبنا. فعندما تقول الآية: "وأبيدك أيها الكروب المُظلِّل"، فالتحدي يُضع أمامنا كي نحكم على الطريقة التي سيحدث بها ذلك. لو اعترف الشيطان بخطئه قبل أن يكرّس نفسه للحرب ضد حكم الله، لكان قد نال الخلاص. والجهد الذي بذله ابن الله لتطهير هيكل نفسه جعلت الأمور تتأزم، فعندما ذهب المسيح إليه ليبكته على خطئه، رفض وقسى قلبه وسقط تمامًا في الخطية.

لقد قدمت أفعال المسيح إلى لوسيفر منصة يرفض من خلالها النور ويهلك نفسه. ولذلك يخبرنا الكتاب المقدس أن الله بدأ العملية التي ستؤدي إلى هلاك لوسيفر، تمامًا كما يقول الكتاب المقدس أن الله قسَّى قلب فرعون. فقد حاول الله التواصل مع فرعون كي يتوب، لكن الملك اختار أن يقسّي قلبه.

هل أعمال الشمس هي التي تجفف الطين وتنشّفه؟ أم أن المكونات الموجودة في الطين عندما تتفاعل مع ضوء الشمس هي التي تتسبب في ذلك؟

لم يُطرد الشيطان وملائكته من السماء، لكنه طُرد بسبب رفضه الاستجابة لروح الله المُبكِّت والرغبة في الهروب من محضره. وهو نفس الشيء الذي حدث في الهيكل عندما قام الرب يسوع بتطهيره. لقد أظهر للناس خطئهم، وبكتهم على خطيتهم، والروح اقترب إليهم متوسلاً أن يتوبوا لكنهم رفضوا. وهذا الرفض وضع الكثير منهم في سلاسل ظلام مثل الملائكة الساقطين. فعندما يبذل الروح جهدًا مباشرًا للاقتراب إلى النفس ويواجه رفضًا شديدًا، فالظلام يندفع على الفور ويستعبد النفس. شكرًا لله فالبعض ممن هربوا من المسيح في ذلك اليوم استطاعوا أن يتوبوا، لكن ذلك كان بداية الهلاك لآخرين، ويمكن القول بأن المسيح أهلكهم من خلال محاولته أن يخلصهم.

نستطيع من خلال هذه المعرفة أن نقرأ العديد من النصوص الكتابية ونفهمها بشكل أفضل، وستكون لدينا البصيرة لتفهم الخوف الذي يقع على الإنسان عندما يكون في محضر الرب.

> "أُرْسِلُ هَيْبَتِي أَمَامَكَ، **وَأُزْعِجُ** جَمِيعَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ تَأْتِي عَلَيْهِمْ، وَأُعْطِيكَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ مُدْبِرِينَ. وَأُرْسِلُ أَمَامَكَ الزَّنَابِيرَ. فَتَطْرُدُ الْحِوِّيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ مِنْ أَمَامِكَ" (خروج 23: 27 و28).

في الترجمة الإنجليزية للكتاب المقدس، الكلمة المستخدمة لتعني "أزعج" هي "أهلك" فتكون قراءة النص "وأهلك جميع الشعوب الذين تأتي عليهم". لكن هذه الكلمة لها مرادفات ومعاني مختلفة في الأصل العبري (هامام: أي التحرك بصخب، تشويش، إحداث ضجة أو شوشرة، عدم إرتياح، كسر، أكل، سحق، هلك، تعب، إزعاج).

لقد كان الخوف الذي وضعه الله في العديد من هذه الأمم يشبه تمامًا ما فعله الرب يسوع عندما طهّر الهيكل في المرة الثانية. فالعديد من هذه الأمم قد امتلأ كأس إثمها وخطيتها، وكانوا على وشك إتخاذ القرار النهائي. والخوف الذي وضعه الله فيهم كان هو التبكيت الذي بكتهم به على خطاياهم. لقد اقترب إليهم روح الله ليدينهم، لكنهم للأسف رفضوا، وهذا أحرجهم وأثار حيرتهم وأزعجهم. وقد أدى رفض اليهود لقبول رحمة يسوع إلى هلاكهم في النهاية على يد الرومان، أما الأمم المجاورة لإسرائيل فبرفضها للتوبة والابتعاد عن خطاياهم جعلها عرضة لسيف إسرائيل. سنتطرق لدراسة سيف إسرائيل في فصل لاحق، لكننا الآن نرى أن خوف الرب الذي وقع على هذه الأمم كان هو

روح الله الذي حاول تبكيتهم على خطيتهم، وجعلهم يتوبون كمحاولة أخيرة لتخليصهم. لكن هذه المحاولات الإلهية لخلاصهم أدت إلى تقسي قلوبهم، وبالتالي فقد اختاروا الموت عوضًا عن الحياة. والتبكيت على الخطية كان بمثابة زنابير في النفس. لقد رفست هذه الأمم مناخس الضمير وفرَّت من محضر الله إلى أحضان الشيطان المُهلك فهلكوا.

وَكَانَ فِي هَزِيعِ الصُّبْحِ أَنَّ الرَّبَّ أَشْرَفَ عَلَى عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ فِي عَمُودِ النَّارِ وَالسَّحَابِ، **وَأَزْعَجَ** عَسْكَرَ الْمِصْرِيِّينَ، وَخَلَعَ بَكَرَ مَرْكَبَاتِهِمْ حَتَّى سَاقُوهَا بِثَقْلَةٍ. فَقَالَ الْمِصْرِيُّونَ: نَهْرُبُ مِنْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّ الرَّبَّ يُقَاتِلُ الْمِصْرِيِّينَ عَنْهُمْ" (خروج 14: 24 و25).

أزعج الرب المصريين في البحر الأحمر. نلاحظ هنا أن الكلمة المستخدمة هي نفس الكلمة المستخدمة في خروج 23 والتي تقول: "وَأُزْعِجُ جَمِيعَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ تَأْتِي عَلَيْهِمْ" (عدد 27).

لقد كان الله يحب المصريين بقدر محبته للإسرائيليين. عندما صنع الرب عمود النار لمنع المصريين من مهاجمة الإسرائيليين، كان يجب عليهم أن يروا في ذلك إنذارًا بأنه يجب عليهم العودة إلى ديارهم، لكنهم خافوا ورفضوا التوبة. وعندما أصروا على ملاحقة الإسرائيليين، أرسل الرب ملائكته ليخلعوا عجلات مركباتهم لتعطيلهم ومنعهم من التقدم. وبسبب عنادهم ورفضهم الخضوع والاستسلام، غرقوا عندما تجمعت مياه البحر مرة أخرى. لا يوجد دليل على أن الله أغواهم للدخول في المياه كي يقتلهم. لقد فعل كل ما في وسعه لمنعهم من إتخاذ هذه الخطوة.

"وَالأَيَّامُ الَّتِي سِرْنَا فِيهَا مِنْ قَادَشَ بَرْنِيعَ حَتَّى عَبَرْنَا وَادِيَ زَارَدَ، كَانَتْ ثَمَانِيَ وَثَلاَثِينَ سَنَةً، حَتَّى فَنِيَ كُلُّ الْجِيلِ، رِجَالُ الْحَرْبِ مِنْ وَسَطِ الْمَحَلَّةِ، كَمَا أَقْسَمَ الرَّبُّ لَهُمْ. وَيَدُ الرَّبِّ أَيْضًا كَانَتْ عَلَيْهِمْ **لإِبَادَتِهِمْ** مِنْ وَسَطِ الْمَحَلَّةِ حَتَّى فَنُوا" (تثنية 2: 14 و15).

لقد كان الإسرائيليون مدعوين للصعود وامتلاك أرض كنعان، لكنهم خافوا من بني عناق العمالقة الذين كانوا في الأرض ورفضوا التوكل على الله والثقة فيه. وعندما أخبرهم الله بعد ذلك أنهم لن يستطيعوا الذهاب إلى أرض الموعد بسبب عدم إيمانهم وأنهم سيموتون في البرية، تمردوا مرة أخرى وعقدوا العزم على الذهاب والقتال. وبعد الهزيمة التي ألحقها بها أعداؤهم، ألقوا باللوم على موسى وأرادوا قتله. كان الشعب يقول باستمرار أن الله كان يريد قتلهم في البرية، فبالحكم الذي

حكموا به، تلقوا أيضًا العقوبة. لقد سمح الله لهذه الأشياء أن تحدث على أمل أن يروا خطأهم ويتوبوا ويطلبوا الغفران. أرسل الرب روحه لمدة أربعين سنة ليتوسل ويتضرع إليهم كي يتواضعوا ويتوبوا عن خطاياهام. لو تابوا، لما ماتوا في البرية، ولنالوا بالحياة الأبدية.

"فَإِذْ بَقِيَ أَنَّ قَوْمًا يَدْخُلُونَهَا، وَالَّذِينَ بُشِّرُوا أَوَّلًا لَمْ يَدْخُلُوا لِسَبَبِ الْعِصْيَانِ" (عبرانيين 4: 6).

شيء محزن أن يرفض كل هؤلاء الإسرائيليين الدخول إلى الراحة التي في المسيح ويعرفون أن خطاياهم قد غُفِرت. لكنهم عوضًا عن ذلك، قسّوا قلوبهم ورفضوا الاستجابة لتوسلات الروح القدس، فماتوا في البرية وفقدوا حياتهم الأبدية. هل الرب هو الذي أهلكهم؟ يمكن القول أنه أهلكهم بنفس الطريقة التي تجفف بها الشمس الطين وتنشّفه. فتوسله المستمر جعل قلوبهم تتقسى بسبب رفضهم المستمر له، ولذلك هلكوا.

عندما يأتي إليك المخلص ليبكتك على خطية، لا تخف وتقسي قلبك. آمن أن أبيك يطهّر ويغفر غفرانًا مجانيًا، واستمتع بالسلام وحرية الغفران. استمتع بسلام السماء الذي يضعه الرب في هيكل نفسك، وافرح لأنه على استعداد لتطهيره لمجده وبمجده.

يسمع العالم في هذه الأيام الأخيرة رسالة تخبرنا: "خافوا الله واعطوه مجدًا" (رؤيا 14: 7). عندما نسمح لروح الله أن يبكتنا على خطايانا ولا نقاوم توسلاته، سننال بركة ونبدأ في فهم الحكمة، لأننا نقرأ:

"بَدْءُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ، وَمَعْرِفَةُ الْقُدُّوسِ فَهْمٌ" (أمثال 9: 10).

11. غضب الرب

قبل أن يُعلّق المسيح على الصليب بأسبوع، دخل إلى أورشليم راكبًا على أتان وحوله جمع كبير من الناس.

> وَالْجَمْعُ الأَكْثَرُ فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ. وَآخَرُونَ قَطَعُوا أَغْصَانًا مِنَ الشَّجَرِ وَفَرَشُوهَا فِي الطَّرِيقِ. وَالْجُمُوعُ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا وَالَّذِينَ تَبِعُوا كَانُوا يَصْرَخُونَ قَائِلِينَ: أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي!" (متى 21: 8 و9).

بالنسبة للتلاميذ، فآمالهم التي احتفظوا بها لفترة طويلة كان على ما يبدو أنها تتحقق، فأخيرًا كانت الجموع تعترف به بهتاف وتهليل. لكننا نقرأ وسط ذروة هذا المدح والهتاف هذه الكلمات:

> "وَفِيمَا هُوَ يَقْتَرِبُ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَبَكَى عَلَيْهَا قَائِلًا: إِنَّكِ لَوْ عَلِمْتِ أَنْتِ أَيْضًا، حَتَّى فِي يَوْمِكِ هذَا، مَا هُوَ لِسَلاَمِكِ! وَلكِنِ الآنَ قَدْ أُخْفِيَ عَنْ عَيْنَيْكِ" (لوقا 19: 41 و42).

إذ كان الرب يسوع ينظر إلى المدينة ويتأمل في كل ما فعلته هذه الأمة بتمردها وعصيانها على أبيه، وما سيحدث إليها بعد مرور أقل من أربعين سنة من ذلك اليوم، بدأ يبكي. لم تكن دموعه دموع الفرح الهادئة، بل دموع الحزن والأنين الذي لا يمكن أن يكبت. إحدى الكلمات التي استخدمها الرب

ليصف بها صفات الله هي "بطي الغضب" بالعربية أو "صبور على الأذى" *longsuffering* بالإنجليزية.

"فَاجْتَازَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ، وَنَادَى الرَّبُّ: الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ" (خروج 34: 6).

هذه الكلمة تحمل المعاني التالية:

"الأنف أو فتحة الأنف، وبالتالي الوجه، وأحيانًا الشخص، أيضًا (بسبب التنفس السريع الناجم عن الإنفعال والشغف) الغضب: قبل، الوجه، الجبين، التحمل، [طويل-] **الألم، الأنف**، الخطم، حسنٌ أو ذو أهمية كبيرة، غضب".

"وَأَمَّا حَنَّةُ فَأَعْطَاهَا نَصِيبَ اثْنَيْنِ، لأَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ حَنَّةَ. وَلكِنَّ الرَّبَّ كَانَ قَدْ أَغْلَقَ رَحِمَهَا" (صموئيل الأول 1: 5).

لن يكون للآية معنى إذ قلنا "وأما حنة فأعطاها نصيب من الغضب، لأنه كان يحب حنة". أما معجم جاسينيوس العبري الكلداني فيعبر عنها على النحو التالي:

"من المحتمل أنه كان يشعر بالحزن، حيث أن الكلمات التي تدل على الغضب تشير في بعض الأحيان إلى الحزن".

لقد كانت دموع يسوع المصحوبة بالحزن والألم ناتجة عن محبته القلبية العظيمة لأبنائه. هل يشمل هذا الغضب؟ نعم، الغضب على ما فعلته الخطية لأبنائه الأحباء، وهذا الغضب يظهر في صورة حزن عميق ودموع الألم والوجع.

"لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ" (إشعياء 55: 8 و9).

عندما نقرأ عن غضب الرب في الكتاب المقدس، هل نحن متأكدون أننا نفهمه فهمًا صحيحًا؟ مرة أخرى دعونا نتأمل في حياة الرب يسوع لنرى الطريقة التي يعبر بها عن الغضب.

وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ، ولِعِلَّةٍ تُطِيلُونَ صَلَوَاتِكُمْ. لِذلِكَ تَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تَطُوفُونَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ لِتَكْسَبُوا دَخِيلًا وَاحِدًا، وَمَتَى حَصَلَ تَصْنَعُونَهُ ابْنًا لِجَهَنَّمَ أَكْثَرَ مِنْكُمْ مُضَاعَفًا. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمْيَانُ! الْقَائِلُونَ: مَنْ حَلَفَ بِالْهَيْكَلِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ، وَلكِنْ مَنْ حَلَفَ بِذَهَبِ الْهَيْكَلِ يَلْتَزِمُ. أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ! أَيُّمَا أَعْظَمُ: أَلذَّهَبُ أَمِ الْهَيْكَلُ الَّذِي يُقَدِّسُ الذَّهَبَ؟" (متى 23: 14 – 17).

هذه الكلمات تؤكد مدى غضب الرب يسوع. وتستمر الويلات التي أعلنها الرب يسوع في عدد من الآيات ثم نقرأ شيئًا مهمًا للغاية:

"يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا!" (متى 23: 37).

لقد أحب الرب يسوع هؤلاء القادة اليهود المساكين والمخدوعين، وقد أراد أن يجمعهم ويضعهم تحت حمايته. فهو يتحدث بلغة رقيقة ويصف نفسه بالدجاجة التي تجمع فراخها تحت جناحيها. يا لها من صورة مؤثرة حقًا تعبر عن محبة المخلص. فغضبه هو تعبير عن حزنه العميق الصادق الذي تجلى في هيئة دموع وبكاء قبل ذلك بقليل. اللغة المستخدمة في متى 23 تكشف لنا غضب الله.

لم يكن هناك وقت آخر أنسب من هذا الوقت ليبرر الرب يسوع مطلبه بأن تنزل عليهم نارًا من السماء. لقد كان هؤلاء القادة يتسببون في ضياع الأمة اليهودية بأكملها، فكانوا يقفون في طريق الشعب ويفسدون تعاليم الكتاب المقدس الطاهرة النقية. فبالتأكيد هذا الوقت المناسب للتخلص منهم حتى يصل الحق إلى الجموع الغفيرة. لكن المسيح لم يرفع سيفًا، ولم يطلب أن تنزل نارًا من السماء، بل نجده يقول هذه الكلمات:

"هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا" (متى 23: 38).

تبين لنا هذه الآية أن غضب الله وصل أقصى درجاته، فابن الله أعلن أن حماية الأمة قد انتزعت، وبعد هذه النقطة استطاع الشيطان أن يسيطر سيطرة كاملة على قادة اليهود الذين نجحوا بعد فترة وجيزة في مخططاتهم الإجرامية لقتل الرب يسوع. ونلاحظ بتدقيق أنه عندما أعلن الرب يسوع أن

بيت إسرائيل سيترك لهم خرابًا، فهو بذلك كان يعد الطريق لموته، وليس موت أولئك الذين كانوا يعارضونه. عندما تركت قوة روح الله الرادعة الكهنة وقادة الشعب، لم يكن هناك ما يمنعهم من قتل الرب يسوع. فاستطاع الشيطان أن يتولى زمام الأمور، وفي غضون أربعين عامًا تمكن من تدمير المدينة بالكامل حيث قام الرومان بقتل أكثر من مليون يهودي.

الآية التالية توضح لنا ما هو غضب الله بطريقة أخرى:

"أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ حُمُوَّ غَضَبِهِ، سَخَطًا وَرِجْزًا وَضِيْقًا، جَيْشَ مَلاَئِكَةٍ أَشْرَارٍ" (مزمور 78: 49).

مَنْ هو المُهلك؟

"ولا تتذمروا، كما تذمر بعضهم، فهلكوا على يد الملاك المهلك" (كورنثوس الأولى 10: 10).

الكلمة اليونانية المستخدمة للإشارة إلى "الملاك المهلك" هي "الحيَّة السامة".

"وَلَهَا مَلاَكُ الْهَاوِيَةِ مَلِكًا عَلَيْهَا، اسْمُهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ «أَبَدُّونَ»، وَلَهُ بِالْيُونَانِيَّةِ اسْمُ «أَبُولِّيُونَ»" (رؤيا 9: 11).

الشيطان هو المُهلِك. عندما يصر الناس على رفض المسيح ويؤكدون على رغبتهم في ألا تربطهم به أي علاقة، فهو يحزن على أبنائه الضالين بدموع الألم والأنين، ويسمح لهم باختيار ما يريدون. وعندما يحدث ذلك، فإن سور الحماية الموضوع حولهم ينكسر ويتحطم.

"فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: هَلْ مَجَّانًا يَتَّقِي أَيُّوبُ اللهَ؟ **أَلَيْسَ أَنَّكَ سَيَّجْتَ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ** وَحَوْلَ كُلِّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟ بَارَكْتَ أَعْمَالَ يَدَيْهِ فَانْتَشَرَتْ مَوَاشِيهِ فِي الأَرْضِ" (أيوب 1: 9 و10).

"مَلاَكُ الرَّبِّ حَالٌّ حَوْلَ خَائِفِيهِ، وَيُنَجِّيهِمْ" (مزمور 34: 7).

"مَنْ يَحْفُرْ هُوَّةً يَقَعُ فِيهَا، وَمَنْ يَنْقُضْ جِدَارًا تَلْدَغُهُ حَيَّةٌ" (جامعة 10: 8).

ما هي الأشياء التي تؤدي إلى انهيار وتحطم سياج الحماية الإلهية؟

"تَعَالَ الآنَ اكْتُبْ هذَا عِنْدَهُمْ عَلَى لَوْحٍ وَارْسُمْهُ فِي سِفْرٍ، لِيَكُونَ لِزَمَنٍ آتٍ لِلأَبَدِ إِلَى الدُّهُورِ. لأَنَّهُ شَعْبٌ مُتَمَرِّدٌ، أَوْلاَدٌ كَذَبَةٌ، أَوْلاَدٌ **لَمْ يَشَاءُوا أَنْ يَسْمَعُوا شَرِيعَةَ الرَّبِّ.** الَّذِينَ يَقُولُونَ لِلرَّائِينَ: «لاَ تَرَوْا»، وَلِلنَّاظِرِينَ: «**لاَ تَنْظُرُوا لَنَا مُسْتَقِيمَاتٍ. كَلِّمُونَا بِالنَّاعِمَاتِ. انْظُرُوا مُخَادِعَاتٍ.** حِيدُوا عَنِ الطَّرِيقِ. مِيلُوا عَنِ السَّبِيلِ. اعْزِلُوا مِنْ أَمَامِنَا قُدُّوسَ إِسْرَائِيلَ». لِذلِكَ هكَذَا يَقُولُ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ: **لأَنَّكُمْ رَفَضْتُمْ هذَا الْقَوْلَ** وَتَوَكَّلْتُمْ عَلَى الظُّلْمِ وَالاعْوِجَاجِ وَاسْتَنَدْتُمْ عَلَيْهِمَا، لِذلِكَ يَكُونُ لَكُمْ هذَا **الإِثْمُ كَصَدْعٍ مُنْقَضّ نَاتِئٍ فِي جِدَارٍ مُرْتَفِعٍ، يَأْتِي هدُّهُ بَغْتَةً فِي لَحْظَةٍ.** وَيُكْسَرُ كَكَسْرِ إِنَاءِ الْخَزَّافِينَ، مَسْحُوقًا بِلاَ شَفَقَةٍ، حَتَّى لاَ يُوجَدُ فِي مَسْحُوقِهِ شَقَفَةٌ لأَخْذِ نَارٍ مِنَ الْمَوْقَدَةِ، أَوْ لِغَرْفِ مَاءٍ مِنَ الْجُبِّ" (إشعياء 30: 8 – 14).

"فِتْنَةُ أَنْبِيَائِهَا فِي وَسْطِهَا كَأَسَدٍ مُزَمْجِرٍ يَخْطَفُ الْفَرِيسَةَ. **أَكَلُوا نُفُوسًا. أَخَذُوا الْكَنْزَ وَالنَّفِيسَ، أَكْثَرُوا أَرَامِلَهَا** فِي وَسْطِهَا. كَهَنَتُهَا **خَالَفُوا شَرِيعَتِي وَنَجَّسُوا أَقْدَاسِي.** لَمْ يُمَيِّزُوا بَيْنَ الْمُقَدَّسِ وَالْمُحَلَّلِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا الْفَرْقَ بَيْنَ النَّجِسِ وَالطَّاهِرِ، **وَحَجَبُوا عُيُونَهُمْ عَنْ سُبُوتِي** فَتَدَنَّسْتُ فِي وَسْطِهِمْ. رُؤَسَاؤُهَا فِي وَسْطِهَا كَذِئَابٍ خَاطِفَةٍ خَطْفًا لِسَفْكِ الدَّمِ، لإِهْلاَكِ النُّفُوسِ **لاكْتِسَابِ كَسْبٍ.** وَأَنْبِيَاؤُهَا قَدْ طَيَّنُوا لَهُمْ بِالطُّفَالِ، رَائِينَ بَاطِلًا **وَعَارِفِينَ لَهُمْ كَذِبًا،** قَائِلِينَ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ، وَالرَّبُّ لَمْ يَتَكَلَّمْ. شَعْبُ الأَرْضِ **ظَلَمُوا ظُلْمًا، وَغَصَبُوا غَصْبًا، وَاضْطَهَدُوا الْفَقِيرَ وَالْمِسْكِينَ،** وَظَلَمُوا الْغَرِيبَ بِغَيْرِ الْحَقِّ. **وَطَلَبْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلًا يَبْنِي جِدَارًا وَيَقِفُ فِي الثَّغْرِ أَمَامِي عَنِ الأَرْضِ لِكَيْلاَ أَخْرِبَهَا،** فَلَمْ أَجِدْ. ***فَسَكَبْتُ سَخَطِي عَلَيْهِمْ. أَفْنَيْتُهُمْ بِنَارِ غَضَبِي. جَلَبْتُ طَرِيقَهُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ***" (حزقيال 22: 25 – 31).

ثلاث نقاط رئيسية تخلق ثغرة في الجدار وفقًا لهذه الآيات:

1. استغلال الناس من أجل المصلحة أو المنفعة الشخصية
2. مخالفة الشريعة، أي العصيان
3. تنجيس أقداس الله، أي خلط ما هو مقدس بما هو رائج أو مألوف
4. حجب العين عن السبوت
5. تورط القادة في الربح الحرام

6. تَنَبُّؤ القادة بأكاذيب ورؤيتهم رؤى باطلة
7. اضطهاد الفقير والمسكين

عندما يخالف أبناء الله وصايا الله ويرفضون التوبة مستمرين في ارتكاب الخطية والشر، فهم بذلك يضعون الله في وضع بحيث لا يستطيع حمايتهم فيما بعد. وهذا يسبب له ألمًا وحزنًا رهيبًا. فهو لا يريد أن يترك أبنائه أو يتخلى عنهم، لكن الشيطان يشتكي عليهم في محضر الله ويطالب بالحق في امتلاكهم. وهذا الحزن والألم هو غضب الله. إنه التنفس السريع عبر الأنف بسبب الألم والحزن الشديد. جدير بالذكر أن الشكاوى والتظلمات الواردة في حزقيال 22: 25 – 31 تشبه تلك التي صرَّح بها الرب يسوع في إنجيل متى الأصحاح 23. ففي زمن النبي حزقيال تحطّم سياج الحماية الإلهية، وتعرَّضت إسرائيل للسبي البابلي. وفي أيام المسيح أيضًا تحطّم سياج الحماية، عندما اقتحم الرومان أورشليم ودمروها.

سبع نقاط رئيسية أدت إلى إحداث الثغرة:

حزقيال 22: 25 - 31	متى 23
1. استغلال الناس من أجل المصلحة أو المنفعة الشخصية	متى 23: 25 "وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ، وَهُمَا مِنْ دَاخِل مَمْلُوآنِ اخْتِطَافًا وَدَعَارَةً".
2. مخالفة الشريعة والعصيان	متى 23: 23 "وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالشِّبِثَّ وَالْكَمُّونَ، **وَتَرَكْتُمْ أَثْقَلَ النَّامُوسِ:** الْحَقَّ وَالرَّحْمَةَ وَالإِيمَانَ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هذِهِ وَلاَ تَتْرُكُوا تِلْكَ".
3. تنجيس أقداس الله، أي خلط ما هو مقدس بما هو رائج أو مألوف	متى 23: 16 – 20 "وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمْيَانُ! الْقَائِلُونَ: مَنْ حَلَفَ بِالْهَيْكَلِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ، وَلكِنْ مَنْ حَلَفَ بِذَهَبِ الْهَيْكَلِ يَلْتَزِمُ. **أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ! أَيُّمَا أَعْظَمُ: أَلذَّهَبُ أَمِ الْهَيْكَلُ الَّذِي يُقَدِّسُ الذَّهَبَ؟** ... أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ! أَيُّمَا أَعْظَمُ: أَلْقُرْبَانُ أَمِ الْمَذْبَحُ

	الَّذِي يُقَدِّسُ الْقُرْبَانَ؟ فَإِنَّ مَنْ حَلَفَ بِالْمَذْبَحِ فَقَدْ حَلَفَ بِهِ وَبِكُلِّ مَا عَلَيْهِ!"
4. حجب العين عن السبوت	متى 23: 4 "**فَإِنَّهُمْ يَحْزِمُونَ أَحْمَالًا ثَقِيلَةً عَسِرَةَ الْحَمْلِ** وَيَضَعُونَهَا عَلَى أَكْتَافِ النَّاسِ، وَهُمْ لاَ يُرِيدُونَ أَنْ يُحَرِّكُوهَا بِإِصْبِعِهِمْ".
5. تورط القادة في الربح الحرام	متى 23: 16 "وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمْيَانُ! الْقَائِلُونَ: مَنْ حَلَفَ بِالْهَيْكَلِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ، **وَلكِنْ مَنْ حَلَفَ بِذَهَبِ الْهَيْكَلِ يَلْتَزِمُ**".
6. تَنَبُّؤ القادة بأكاذيب ورؤيتهم رؤى باطلة	متى 23: 28 "هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا: مِنْ خَارِجٍ تَظْهَرُونَ لِلنَّاسِ أَبْرَارًا، وَلكِنَّكُمْ مِنْ دَاخِلٍ **مَشْحُونُونَ رِيَاءً وَإِثْمًا**".
7. اضطهاد الفقير والمسكين	متى 23: 14 "وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ **تَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ**، ولِعِلَّةٍ تُطِيلُونَ صَلَوَاتِكُمْ. لِذلِكَ تَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ".

سنتأمل الآن بالدراسة في بعض الأمثلة لأشخاص كسروا هذا السور – سور وسياج الحماية.

"وَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى بَيْدَرِ نَاخُونَ مَدَّ عُزَّةُ يَدَهُ إِلَى تَابُوتِ اللهِ وَأَمْسَكَهُ، لأَنَّ الثِّيرَانَ انْشَمَصَتْ. فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى عُزَّةَ، وَضَرَبَهُ اللهُ هُنَاكَ لأَجْلِ غَفَلِهِ، فَمَاتَ هُنَاكَ لَدَى تَابُوتِ اللهِ. فَاغْتَاظَ دَاوُدُ لأَنَّ الرَّبَّ اقْتَحَمَ عُزَّةَ اقْتِحَامًا، وَسَمَّى ذلِكَ الْمَوْضِعَ «فَارِصَ عُزَّةَ» إِلَى هذَا الْيَوْمِ" (صموئيل الثاني 6: 6 – 8).

عندما نقرأ الكلمات "فحمي غضب الرب على عُزَّة"، يدفعنا هذا للحكم على شخصية الله وصفاته. كما زكرنا سابقًا، الكلمات "غضب" و "حمي" يمكن ترجمتهما إلى "ألم" و "حزن". لقد تصرَّف عُزَّة بطريقة كان يعلم أنها غير صحيحة، فوضع نفسه خارج دائرة الحماية. حزن روح الرب على عُزَّة. لم يرد الرب أن يتركه، لكن إثمه جعله يخرج من دائرة حماية الله فسمح الله لحمايته أن تُختَرق.

يقول النص أن الرب اقتحم عُزَّة. لقد حزن الرب حزنًا شديدًا عندما اضطر للتراجع عن عُزَّة، لكن عُزَّة اختار طريق التمرد والعصيان، وكان على الرب أن يحترم اختياره. لم يكن الله هو الذي ضرب عُزَّة بيده. لكن تمرد عُزَّة هو الذي أدى إلى هذا الاقتحام وخروجه من دائرة حماية الرب.

سبب من الأسباب المحتملة للاستياء وعدم الرضا في قلب عُزَّة توجد في بداية الأصحاح.

"فَأَرْكَبُوا تَابُوتَ اللهِ عَلَى عَجَلَةٍ جَدِيدَةٍ، وَحَمَلُوهُ مِنْ بَيْتِ أَبِينَادَابَ الَّذِي فِي الأَكَمَةِ. وَكَانَ عُزَّةُ وَأَخِيُو، ابْنَا أَبِينَادَابَ يَسُوقَانِ الْعَجَلَةَ الْجَدِيدَةَ. فَأَخَذُوهَا مِنْ بَيْتِ أَبِينَادَابَ الَّذِي فِي الأَكَمَةِ مَعَ تَابُوتِ اللهِ. وَكَانَ أَخِيُو يَسِيرُ أَمَامَ التَّابُوتِ" (صموئيل الثاني 6: 3 و4).

تخبرنا هذه الآيات أن عُزَّة هو أحد ابني أبيناداب، وجاء ذكره أولاً، لكن أخيه الأصغر أخيو يذكر عنه الكتاب أنه كان يسير أمام التابوت أو بمعنى آخر فهو الذي كان يقود العجلة التي وُضِع عليها تابوت الرب. فهل امتلأ عُزَّة بالغيرة من أخيه؟ هل كان في قلبه حقد على أخيه؟ كما كانت توجد أيضًا مشكلة ثانوية أدت إلى كسر سياج الحماية، ألا وهي أنهم أركبوا التابوت على عجلة تجرها ثيران. فقد أوضح موسى قبل ذلك أن حمل التابوت هو من اختصاص الكهنة.

"فِي ذلِكَ الْوَقْتِ أَفْرَزَ الرَّبُّ سِبْطَ لاَوِي لِيَحْمِلُوا تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ، وَلِكَيْ يَقِفُوا أَمَامَ الرَّبِّ لِيَخْدِمُوهُ وَيُبَارِكُوا بِاسْمِهِ إِلَى هذَا الْيَوْمِ" (تثنية 10: 8).

"وَأَمَرُوا الشَّعْبَ قَائِلِينَ: عِنْدَمَا تَرَوْنَ تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ وَالْكَهَنَةَ اللاَّوِيِّينَ حَامِلِينَ إِيَّاهُ، فَارْتَحِلُوا مِنْ أَمَاكِنِكُمْ وَسِيرُوا وَرَاءَهُ" (يشوع 3: 3).

لم تكن الفجوة الثانوية التي حدثت كافية لانتزاع سياج الحماية الإلهية من أي إنسان سوى عُزَّة، فعلى الأرجح أن عُزَّة كان في قلبه شيئًا أدى إلى انتزاع حماية الرب.

فكيف تقرأ؟ هل تقرأ شخصية الله وصفاته باعتبارها غضب حارق جعله يضرب عُزَّة ويسحقه على الأرض؟ أم أنك ترى أبًا رحيمًا وحنونًا كان مضطرًا للإذعان لاختيار عُزَّة بالسير في طريق التمرد والعصيان؟ يجب على كل واحد منا أن يختار كيف يقرأ هذا النص. لقد سمح أبانا السماوي أن تكون هناك معاني مختلفة، وهذه المعاني تعمل كمرآة كي ينظر الإنسان داخل نفسه ويقرر بنفسه ما هي الصفة الإلهية التي يريد أن يراها في النص. فهل يا ترى أن هذه الآيات تجعلنا نرى شخصية مشابهة

لشخصيتنا؟ هل نرى فيها شخصًا غاضبًا متهورًا يضرب أولئك الذي يخطئون في حقه ويسحقهم؟ أم أننا نرى أبًا حزينًا مجبرًا على قبول قرار عُزَّة واحتضانه لروح الشيطان وأن يُسلَّم لسيده الشرعي – المُهلِك؟

"أَجْلِبُ عَلَيْكُمْ سَيْفًا يَنْتَقِمُ نَقْمَةَ الْمِيثَاقِ، فَتَجْتَمِعُونَ إِلَى مُدُنِكُمْ وَأُرْسِلُ فِي وَسَطِكُمُ الْوَبَأَ فَتُدْفَعُونَ بِيَدِ الْعَدُوِّ" (لاويين 26: 25).

لقد أشار الكتاب المقدس في مواضع متعددة إلى حمو غضب الرب وحلول السيف والمجاعة والوبأ على الناس. والنص الذي قرأناه للتو يخبرنا أن الناس يسلمون إلى يد العدو. فالغضب المتقد الحامي هو الحزن والأنين الذي يحتمله الله عندما يواصل أبناءه المخطئين عنادهم وتمردهم فيخالفون وصاياه المصممة لحمايتهم ويكسرونها.

ليتنا نصغي بعناية واهتمام لصوت الآب اليوم.

"لاَ تَصْنَعُوا لَكُمْ أَوْثَانًا، وَلاَ تُقِيمُوا لَكُمْ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا أَوْ نَصَبًا، وَلاَ تَجْعَلُوا فِي أَرْضِكُمْ حَجَرًا مُصَوَّرًا لِتَسْجُدُوا لَهُ. لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ. سُبُوتِي تَحْفَظُونَ وَمَقْدِسِي تَهَابُونَ. أَنَا الرَّبُّ. إِذَا سَلَكْتُمْ فِي فَرَائِضِي وَحَفِظْتُمْ وَصَايَايَ وَعَمِلْتُمْ بِهَا، أُعْطِي مَطَرَكُمْ فِي حِينِهِ، وَتُعْطِي الأَرْضُ غَلَّتَهَا، وَتُعْطِي أَشْجَارُ الْحَقْلِ أَثْمَارَهَا، وَيَلْحَقُ دِرَاسُكُمْ بِالْقِطَافِ، وَيَلْحَقُ الْقِطَافُ بِالزَّرْعِ، فَتَأْكُلُونَ خُبْزَكُمْ لِلشِّبَعِ وَتَسْكُنُونَ فِي أَرْضِكُمْ آمِنِينَ. وَأَجْعَلُ سَلاَمًا فِي الأَرْضِ، فَتَنَامُونَ وَلَيْسَ مَنْ يُزْعِجُكُمْ. وَأُبِيدُ الْوُحُوشَ الرَّدِيئَةَ مِنَ الأَرْضِ، وَلاَ يَعْبُرُ سَيْفٌ فِي أَرْضِكُمْ" (لاويين 26: 1 – 6).

إذا أخضعنا أنفسنا لوصايا الله واخترنا أن نؤمن أن أبانا يريد أن يباركنا، حينئذ نستطيع أن نتمتع بحماية ملائكة الرب.

"اَلسَّاكِنُ فِي سِتْرِ الْعَلِيِّ، فِي ظِلِّ الْقَدِيرِ يَبِيتُ. أَقُولُ لِلرَّبِّ: «مَلْجَإِي وَحِصْنِي. إِلهِي فَأَتَّكِلُ عَلَيْهِ». لأَنَّهُ يُنَجِّيكَ مِنْ فَخِّ الصَّيَّادِ وَمِنَ الْوَبَإِ الْخَطِرِ. بِخَوَافِيهِ يُظَلِّلُكَ، وَتَحْتَ أَجْنِحَتِهِ تَحْتَمِي. تُرْسٌ وَمِجَنٌّ حَقُّهُ" (مزمور 91: 1 – 4).

يساعدنا الرب ألا نكون سببًا في الحزن والألم اللذين يشعر بهما أبينا السماوي وربنا يسوع بسبب عدم طاعتنا. فهو يريد أن يحمينا ويعتني بنا. فإن تمردنا واخترنا روح العدو، ففي النهاية لن يوجد

حل سوى السماح لهذا العدو أن يسيطر على حياتنا. فليس من العدل أن ينال الإنسان الحماية بواسطة شخص لا يريد أو يرغب أن يكون معه.

إن خراب أورشليم يرمز إلى نهاية العالم. وكما رفضت الأمة اليهودية ابن الله منذ ألفي عام، فالناس اليوم يستحون بابن الله ويحتقرونه ويرفضونه. ورب السبت يُهان ويُبصَق عليه برفض يومه المقدس الذي خصصه لعبادته. والإنحلال الأخلاقي والطمع منتشر في كل مكان لدرجة أن المسيح ببكاء وحزن شديد سيقول للعالم: "يترك لكم بيتكم خرابًا". ورياح الخصومة والنزاع، أي الملائكة الساقطين، ستُطلَق لتهلك الأرض. أصلي أن يساعدنا الله كي نتمسك بمخلصنا ونثق في نعمته لنكون ضمن أولئك الذين يحفظون وصايا الله وعندهم إيمان يسوع.

12. رد سيفك إلى مكانه

كان مخلصنا الحبيب يتضرع إلى الآب ويتوسل أمامه في سكون الليل على جبل الزيتون، وكان يصلى قائلاً:

"يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ، وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ" (متى 26: 39).

لقد استقرت خطايا البشرية بأثقالها الهائلة على ابن الله. كانت آلامه عظيمة جدًا لدرجة أن عرقه صار كقطرات دم. ومجد الآب بطهره ونقائه الخالص واجه ظلمات الخطية التي وُضِعت على حمل الله. لقد ارتجف كورقة لانه كان يعلم مدى كره أبيه للخطايا التي كان يحملها. فجاءت عنه النبوة تقول:

"**اِسْتَيْقِظْ يَا سَيْفُ عَلَى رَاعِيَّ**، وَعَلَى رَجُلِ رِفْقَتِي، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ. اِضْرِبِ الرَّاعِيَ فَتَتَشَتَّتَ الْغَنَمُ، وَأَرُدُّ يَدِي عَلَى الصِّغَارِ" (زكريا 13: 7).

السيف المُشار إليه هو سيف الروح. عندما أخذ المسيح هذا السيف نيابةً عنا، فقد أنهك (أضعف) ذلك قواه الجسدية والنفسية. فعندما يصير عرق الإنسان دمًا، فهذا يدل على أنه على وشك الموت.

إن يد الله أبيه التي مدته بالقوة هي فقط التي مكنته من الخروج من البستان لمواجهة سيف روما الذي رفعته أيدي قادة اليهود.

عندما جاء حراس الهيكل مع يهوذا الإسخريوطي لإلقاء القبض على الرب يسوع، ثار بطرس بروح يهوذا المكابي وجميع أجداده الذين رفعوا سيفًا دفاعًا عن الأشياء التي كانوا يعتزون بها. لقد سبق وأن قال الرب يسوع لبطرس إنه لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلصها، لكن بالنسبة لبطرس، فإن يسوع الميت يعني نهاية كل آماله. لم يكن سيفه مرفوعًا لرغبات سيده المسيح، بل لرغباته الشخصية للأسف.

"ثُمَّ إِنَّ سِمْعَانَ بُطْرُسَ كَانَ مَعَهُ سَيْفٌ، فَاسْتَلَّهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَقَطَعَ أُذْنَهُ الْيُمْنَى. وَكَانَ اسْمُ الْعَبْدِ مَلْخُسَ" (يوحنا 18: 10).

عندما شفى الرب يسوع أذن ملخس، أبعد نفسه عن استخدام السيف المادي للدفاع عن نفسه وعن الحق. ثم قال:

"فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ! أَتَظُنُّ أَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ الآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيُقَدِّمَ لِي أَكْثَرَ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ؟ فَكَيْفَ تُكَمَّلُ الْكُتُبُ: أَنَّهُ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؟" (متى 26: 52 – 54).

لكلمات الرب يسوع معنى روحي وجسدي. عندما يتمسك الإنسان بكلمة الله، فتلك الكلمة ستميت حياته القديمة لكي يقوم إلى جدة الحياة في المسيح يسوع. وفي نفس الوقت فهذا يعني أن أولئك الذين يرفعون السيف المادي سيموتون أيضًا بنفس السيف. يترك لنا الرب يسوع درسًا مهمًا للغاية ألا وهو أننا يجب أن نثق في الصلاة وفي رعاية ملائكة الآب وليس في السيف ليخلصنا. فلندع المثال الذي تركه المخلص لنا يكون رسالة واضحة لنا. لم يضرب الرب يسوع أو يجرح أو يقتل أحدًا على الإطلاق. لقد ترك لنا المخلص هذا المثال كي نتبعه.

"أَنَّكُمْ لِهذَا دُعِيتُمْ. فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ لأَجْلِنَا، تَارِكًا لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِ. الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ، الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْل" (بطرس الأولى 2: 21 – 23).

إلا أن التحدي الكبير الذي ينبغي لنا التصدي له في ضوء حياة الرب يسوع هو: كيف لنا أن نفسّر كل القصص الممتلئة عنفًا في العهد القديم المتعلقة بمعارك إسرائيل وقتلهم لأعدائهم بحد السيف؟ عندما خرج العبرانيون من مصر، عرفهم الرب بالطريقة التي سيتعامل بها مع الأمم المحيطة بهم.

> "أُرْسِلُ هَيْبَتِي أَمَامَكَ، وَأُزْعِجُ (أضايق وأقلق) جَمِيعَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ تَأْتِي عَلَيْهِمْ، وَأُعْطِيكَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ مُدْبِرِينَ. (أي وأجعل أعداءك يولون الأدبار أمامك ويغلظون قلوبهم). **وَأُرْسِلُ أَمَامَكَ الزَّنَابِيرَ. فَتَطْرُدُ الْحِوِّيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ مِنْ أَمَامِكَ.** لاَ أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ، لِئَلاَّ تَصِيرَ الأَرْضُ خَرِبَةً، فَتَكْثُرَ عَلَيْكَ وُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ. قَلِيلًا قَلِيلًا أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ إِلَى أَنْ تُثْمِرَ وَتَمْلِكَ الأَرْضَ" (خروج 23: 27 – 30).

لو ظل الإسرائيليون أمناء لله، لتطهرت أرض كنعان كما طهّر الرب يسوع الهيكل. ولبكّت روح الله هذه الأمم والشعوب على خطيتهم، ولأزعجهم الله وأقلقهم كما تقول الآية. فلن يتبقى أمامهم سوى خيارين: إما أن يفروا ويهربوا أو أن يعترفوا بخطاياهم ويتوبوا وينضموا لحظيرة إسرائيل ويتعلموا إتباع إله إسرائيل. النقطة الهامة التي نرغب في تسليط الضوء عليها هي أن الآية السابقة تقول أن الأمم ستُطرَد من أمام إسرائيل ولن تُقتَل بحد السيف.

إذا أراد الله لشعبه أن يقتلوا أعدائهم، لشجّع موسى على قتل المزيد من الناس بعد ما قتل المصري. لكنه عوضًا عن ذلك أرسل موسى إلى الصحراء لمدة أربعين سنة ليرعى الأغنام. لقد حصل موسى على التدريب الذي يحصل عليه القائد القوي ذا الرتبة العالية بصفته حفيد فرعون. فلماذا يسمح الله لهذا القائد ذو المهارات العالية بالذهاب إلى الصحراء لرعاية الأغنام؟ لتدريب موسى وتعليمه كيفية العناية والاهتمام بالناس. الدروس موجودة لمن يرغب في تعلمها. لم يكن قصد الله أو إرادته أن تمتلك إسرائيل أرض كنعان بالقوة والحرب.

لقد كان قصد الله بتخليص إسرائيل من مصر هو أن يتعرفوا عليه ويتعلموا الوثوق به. لقد كان الإسرائيليون محاطين بروح الظلم والاستبداد والطغيان وهم يعيشون في مصر. وعندما كانوا يرون الأطفال العبرانيين يُلقى بهم في النهر واضطرارهم لحمل نير العبودية القاسي في مصر، فقد تأثر الكثيرون منهم بفكرة أن الله ظالم ومستبد يمكن أن ينقلب عليهم في أي وقت ويقتلهم. نرى هذا الخوف مُعبرًا عنه منذ البداية:

"وَقَالُوا لِمُوسَى: هَلْ لأَنَّهُ لَيْسَتْ قُبُورٌ فِي مِصْرَ أَخَذْتَنَا لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا حَتَّى أَخْرَجْتَنَا مِنْ مِصْرَ؟" (خروج 14: 11).

يعود هذا الخوف إلى جنة عدن عندما استطاع الشيطان أن يقنع آدم وحواء أنه عندما قال لهما الله أنهما سيموتان، فإن الله هو الذي كان سيأتي ويقتلهم.

"فَقَالَ: سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ" (خروج 3: 10).

لقد أخفت إسرائيل، باتهامها لموسى، تخوفها من الإله الذي كان في تصورها. ومع ذلك فقد كان جليًا أن موسى لم يُخرج الشعب بقوته الشخصية، فالشيطان كان يغويهم كي يظنوا أن الله أراد قتلهم في البرية. كانت هذه التجربة ممكنة فقط بسبب فهمهم الخاطئ لشخصية الله وصفاته. وقد استمر خوف الإسرائيليين في النمو.

"وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ: **لَيْتَنَا مُتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ**، إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ اللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّبَعِ. فَإِنَّكُمَا أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هذَا الْقَفْرِ لِكَيْ تُمِيتَا كُلَّ هذَا الْجُمْهُورِ بِالْجُوعِ" (خروج 16: 3).

عبَّر الإسرائيليون عن خوفهم من الله، وأعلنوا صراحة أنهم يتمنون لو أنهم ماتوا بيد الله في مصر بدلاً من تحمل وضعهم الحالي. من الواضح أنهم لم يثقوا بالله، وأعمى الشيطان أذهانهم فيما يتعلق بشخصية الله وصفاته الحقيقية.

وفي الأصحاح التالي مباشرةً من سفر الخروج، تتجلى أفكار الإسرائيليين الفاسدة عن الله أكثر، فيقول الكتاب:

"وَعَطِشَ هُنَاكَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَاءِ، وَتَذَمَّرَ الشَّعْبُ عَلَى مُوسَى وَقَالُوا: «لِمَاذَا أَصْعَدْتَنَا مِنْ مِصْرَ لِتُمِيتَنَا وَأَوْلاَدَنَا وَمَوَاشِيَنَا بِالْعَطَشِ؟» فَصَرَخَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ قَائِلًا: «مَاذَا أَفْعَلُ بِهذَا الشَّعْبِ؟ بَعْدَ قَلِيل يَرْجُمُونَنِي»" (خروج 17: 3 و4).

لقد استمروا في التذمر وإتهامهم لموسى وأيضًا الله بأنه كان يريد قتلهم. فبدأت نظرتهم الوثنية الفاسدة لإله الغضب والعنف تُترجم إلى تهديدات لقتل موسى. فالفكرة الخاطئة التي كانت في ذهنهم عن الله أنه إله عنف بدأت تتجلى فيهم، فصاروا يشبهون هذه الصورة وبدأوا يخططون لتنفيذ أعمال عنف ضد الرجل الذي استخدمه الله لإنقاذهم من يد المصريين.

فتذمرهم المستمر وعدم وثوقهم بالله جعلهم يخرجون من دائرة حماية الله، ولذلك أُجبِر أن يسحب حمايته عنهم. فقد اختاروا الشيطان سيدًا لهم، وها هو الشيطان يطالب بإهلاكهم. الآية التالية ستساعدنا على فهم العلاقة أو الصلة بين تذمر الشعب بسبب عطشهم وهجوم عماليق عليهم:

"وَدَعَا اسْمَ الْمَوْضِعِ «مَسَّةَ وَمَرِيبَةَ» مِنْ أَجْلِ مُخَاصَمَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمِنْ أَجْلِ تَجْرِبَتِهِمْ لِلرَّبِّ قَائِلِينَ: «أَفِي وَسْطِنَا الرَّبُّ أَمْ لاَ؟». وَأَتَى عَمَالِيقُ وَحَارَبَ إِسْرَائِيلَ فِي رَفِيدِيمَ" (خروج 17: 7 و8).

لقد فتح بنو إسرائيل الباب للشيطان كي يحرّض عماليق على مهاجمتهم. لم يكن هذا ليحدث لو وثق الشعب في الرب، ولما اقترب منهم عماليق لخوف عماليق الشديد منهم. لا يوجد ما يثبت أن إسرائيل تابت عن خطيتها أمام الله. لقد كانت لديهم وجهة نظر خاطئة عنه باعتباره إله ظالم ومستبد وأنه يرغب في قتلهم. ولا يوجد دليل على شكرهم وامتنانهم عندما مدَّهم الرب بالماء. ولم يقدموا اعتذارًا لموسى أو أي عبارات شكر من أجل توسله بالنيابة عنهم ليمدهم الرب بالماء. لا توجد أي إشارة إلى ذلك. لكنهم هددوا بقتل موسى. أيمكننا أن نتخيل مقدار الأذى الذي كان سيتعرض له موسى؟ لقد كان بإمكانه البقاء في بيته الصحراوي في هدوء للاعتناء بأسرته ورعاية غنمه ومواشيه. ومن المحتمل أنه شعر أيضًا بجحودهم الدنيء تجاه الله، ولكانت هذه تجربة صعبة بالنسبة لموسى. وبعد ذلك وصلته الأخبار بأن عماليق قاموا بالهجوم، وأنهم يقتلون ضعفاء الشعب واحدًا تلو الآخر. فما حدث بعد ذلك هو أمر بالغ الأهمية، فقد كان موسى مضطرًا أن يتخذ قرارًا تحت ضغط وظروف محبطة.

"فَقَالَ مُوسَى لِيَشُوعَ: انْتَخِبْ لَنَا رِجَالًا وَاخْرُجْ حَارِبْ عَمَالِيقَ. وَغَدًا أَقِفُ أَنَا عَلَى رَأْسِ التَّلَّةِ وَعَصَا اللهِ فِي يَدِي" (خروج 17: 9).

الآية لا تقول "وأمر الرب موسى". ولا تقول أن موسى ذهب إلى خيمة الاجتماع ليصلي ويتضرّع إلى الرب، بل تقول أن موسى قال ليشوع أن يذهب ويحارب. عندما أتخيل منظر موسى وهو يسير بإتجاه يشوع، كل شيء يصبح بطيء الحركة، وتتحول أفكاري إلى الوقت الذي رفع فيه رجل من سلالة موسى سيفًا على أولئك الذين أهانوا عائلته.

"فَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ إِذْ كَانُوا مُتَوَجِّعِينَ أَنَّ ابْنَيْ يَعْقُوبَ، شِمْعُونَ وَلاَوِيَ أَخَوَيْ دِينَةَ، أَخَذَا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ وَأَتَيَا عَلَى الْمَدِينَةِ بِأَمْنٍ وَقَتَلاَ كُلَّ ذَكَرٍ. وَقَتَلاَ حَمُورَ وَشَكِيمَ

ابْنَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَأَخَذَا دِينَةَ مِنْ بَيْتِ شَكِيمَ وَخَرَجَا. ثُمَّ أَتَى بَنُو يَعْقُوبَ عَلَى الْقَتْلَى وَنَهَبُوا الْمَدِينَةَ، لأَنَّهُمْ نَجَّسُوا أُخْتَهُمْ. غَنَمَهُمْ وَبَقَرَهُمْ وَحَمِيرَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ وَمَا فِي الْحَقْلِ أَخَذُوهُ. وَسَبَوْا وَنَهَبُوا كُلَّ ثَرْوَتِهِمْ وَكُلَّ أَطْفَالِهِمْ، وَنِسَاءَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْبُيُوتِ" (تكوين 34: 25 – 29).

من المؤكد أن يعقوب كان محقًا فى أن يرثي لحالة أبنائه الذين أخفقوا إخفاقًا ذريعًا وساءت سمعتهم فى أعين الكنعانيين والفرزيين. لقد رفع ابنا يعقوب السيف، ولذلك فالسيف سيرافقهم ويتبعهم على مدى العصور والأجيال. أيمكننا أن نتخيل تأثير هذه الحادثة على أبناء لاوي وهم يحكون هذه القصة المتعلقة بأبيهم الذي ثار من أجل أخته كي يقتل الشكيميين؟ هل يا ترى سيفتخر أبناء لاوي بما فعله والدهم لحماية أخته؟ ألن يوحي لهم الشيطان بأن الأفعال التي ارتكبها والدهم لاوي من أجل الحماية والدفاع عن النفس لها ما يبررها؟ أليس من الأسهل سرد هذه الرواية بدلاً من الاعتراف بأن أبيهم ارتكب جريمة قتل بدم بارد، واضطرارهم لحمل الخزي والعار المرتبط بذلك على مدى الأجيال؟ وها هو موسى يكرر كل هذا وهو في طريقه نحو يشوع.

هل الأربعون سنة التي قضاها موسى في البرية حررته من إغراء الشيطان له بحماية شعبه بواسطة قراراته الشخصية؟ وهل كان موسى يعلم أن عماليق قاموا بالفعل بقتل بعض المستضعفين في المحلة؟ قبل وقت وفاته بقليل ذكر موسى ما يلي:

"اُذْكُرْ مَا فَعَلَهُ بِكَ عَمَالِيقُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ خُرُوجِكَ مِنْ مِصْرَ. كَيْفَ لاَقَاكَ فِي الطَّرِيقِ وَقَطَعَ مِنْ مُؤَخَّرِكَ كُلَّ الْمُسْتَضْعِفِينَ وَرَاءَكَ، وَأَنْتَ كَلِيلٌ وَمُتْعَبٌ، وَلَمْ يَخَفِ اللهَ. فَمَتَى أَرَاحَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِكَ حَوْلَكَ فِي الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا لِكَيْ تَمْتَلِكَهَا، تَمْحُو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. لاَ تَنْسَ" (تثنية 25: 17 – 19).

هل نجح الشيطان في مخططاته لتدمير سمعة إسرائيل في نظر العالم؟ وهل قاد إسرائيل لحمل السيف مرة أخرى، وبالتالي تشويه شخصية الله وصفاته على مر العصور؟ ألم يكن هذا الفعل مظهرًا من مظاهر الإله الذي كان في تصور إسرائيل؟ وإذا كان هذا الإله الوهمي غير قادر ولو حتى على توفير الماء لهم عندما كانوا في حاجة إليها، فكيف سيبدي أدنى درجة من الاهتمام بموتهم على يد عماليق؟

وفي قصة قورح وداثان وأبيرام والـ 250 رئيس، نرى كيف أن هذا الخوف من الإله الذي يريد قتلهم في البرية يدفعهم للبحث عن قادة آخرين غير موسى وهارون. وبعد ذلك عندما وصلوا إلى حدود كنعان، قدم الجواسيس العشرة تقريرًا شريرًا عن الأرض لأنهم لم يستطيعوا أن يصدقوا أن الله يحبهم ولا يريد إلا خيرهم ومصلحتهم. لقد تجاهلوا الحماية والرعاية التي وفرها لهم في الماضي، وركزوا على الأشياء السلبية فقط، غير واثقين أن الله لديه الحكمة والنية الصافية لاستخدام التجارب لتنقيتهم وتطهيرهم من الشوائب. وكان الشيطان قادرًا على إغرائهم بسهولة بهذه الأشياء لأنهم كانوا يؤمنون بإله متقلب المزاج يمكن أن يقتلهم في أي وقت. وفي كل مرة كان يسمح فيها الله للشيطان أن يخترق سياج حمايته ليؤذي الإسرائيليين، كان الشيطان يخبرهم أن الله هو المسؤول المباشر عن العقاب الحال بهم. أيمكننا أن نتخيل مقدار الحزن والألم الذي يشعر به الله عندما يصدق شعبه طوعًا مثل هذه الأكاذيب عنه؟

"وَتَذَمَّرَ عَلَى مُوسَى وَعَلَى هَارُونَ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ لَهُمَا كُلُّ الْجَمَاعَةِ: لَيْتَنَا مُتْنَا فِي أَرْضِ مِصْرَ، أَوْ لَيْتَنَا مُتْنَا فِي هذَا الْقَفْرِ! **وَلِمَاذَا أَتَى بِنَا الرَّبُّ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ لِنَسْقُطَ بِالسَّيْفِ؟ تَصِيرُ نِسَاؤُنَا وَأَطْفَالُنَا غَنِيمَةً.** أَلَيْسَ خَيْرًا لَنَا أَنْ نَرْجِعَ إِلَى مِصْرَ؟" (سفر العدد 14: 2 و3).

"إِنَّ جَمِيعَ الرِّجَالِ الَّذِينَ رَأَوْا مَجْدِي وَآيَاتِي الَّتِي عَمِلْتُهَا فِي مِصْرَ وَفِي الْبَرِّيَّةِ، **وَجَرَّبُونِي الآنَ عَشَرَ مَرَّاتٍ، وَلَمْ يَسْمَعُوا لِقَوْلِي،** لَنْ يَرَوْا الأَرْضَ الَّتِي حَلَفْتُ لآبَائِهِمْ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ أَهَانُونِي لاَ يَرَوْنَهَا" (سفر العدد 14: 22 و23).

عندما أُخبرَ الإسرائيليين إنهم لا يستطيعون الصعود لامتلاك الأرض بسبب خطيتهم، تمردوا مرة أخرى وقرروا أن يصعدوا ويقاتلوا على أي حال. وبعد مرور أربعين سنة وموت جيل بأكمله، وصلوا مرة أخرى إلى الحدود. إلا أن خطايا الآباء كانت لا تزال في أفواه أبنائهم.

"وَتَكَلَّمَ الشَّعْبُ عَلَى اللهِ وَعَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: لِمَاذَا أَصْعَدْتُمَانَا مِنْ مِصْرَ لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ لأَنَّهُ لاَ خُبْزَ وَلاَ مَاءَ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْفُسُنَا الطَّعَامَ السَّخِيفَ" (سفر العدد 21: 5).

لقد كان الشيطان يجرب موسى طوال ذلك الوقت لتشجيعه على فقدان الأمل والتخلي عن هؤلاء البؤساء. وكان الله يمتحن موسى لخيره ومصلحته، وحمدًا لله فقد استجاب موسى لروح المسيح

وطلب من الله أن يسامح الشعب، وبالفعل غفر لهم الرب وسامحهم. ومع ذلك، فبعد أن رأى موسى أن حالة إسرائيل صارت أسوأ مما كانت عليه من قبل، استسلم للتجربة. فيقول الكتاب في سفر العدد:

وَجَمَعَ مُوسَى وَهَارُونُ الْجُمْهُورَ أَمَامَ الصَّخْرَةِ، فَقَالَ لَهُمُ: «اسْمَعُوا أَيُّهَا الْمَرَدَةُ، أَمِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ نُخْرِجُ لَكُمْ مَاءً؟». وَرَفَعَ مُوسَى يَدَهُ وَضَرَبَ الصَّخْرَةَ بِعَصَاهُ مَرَّتَيْنِ، فَخَرَجَ مَاءٌ غَزِيرٌ، فَشَرِبَتِ الْجَمَاعَةُ وَمَوَاشِيهَا" (سفر العدد 20: 10 و11).

إن موسى باستسلامه لهذه التجربة سهّل الطريق أمام الشيطان للدخول في أذهان الإسرائيليين. لقد صلّى موسى من أجلهم ووقف بينهم وبين الشيطان بطرق عديدة. لكن هذه الخطوة أعطت الشيطان الأفضلية. فَرِحَ الشيطان لأنه سيستطيع بسبب هذا الفشل القضاء على حياة هارون.

"يُضَمُّ هَارُونُ إِلَى قَوْمِهِ لأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الأَرْضَ الَّتِي أَعْطَيْتُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكُمْ عَصَيْتُمْ قَوْلِي عِنْدَ مَاءِ مَرِيبَةَ" (سفر العدد 20: 24).

وإذ بدأ تأثير الشيطان على أذهان الإسرائيليين يزداد، استمالهم لإبرام إتفاق مع الله – الإله الذي كان من وحي خيالهم ويعشق قتل الناس. لقد قامت قبيلة أخرى بالهجوم عليهم بسبب خطاياهم، فنذروا نذرًا للرب:

"وَلَمَّا سَمِعَ الْكَنْعَانِيُّ مَلِكُ عَرَادَ السَّاكِنُ فِي الْجَنُوبِ أَنَّ إِسْرَائِيلَ جَاءَ فِي طَرِيقِ أَتَارِيمَ، حَارَبَ إِسْرَائِيلَ وَسَبَى مِنْهُمْ سَبْيًا. **فَنَذَرَ إِسْرَائِيلُ نَذْرًا لِلرَّبِّ وَقَالَ: «إِنْ دَفَعْتَ هؤُلاَءِ الْقَوْمَ إِلَى يَدِي أُحَرِّمُ مُدُنَهُمْ». فَسَمِعَ الرَّبُّ لِقَوْلِ إِسْرَائِيلَ،** وَدَفَعَ الْكَنْعَانِيِّينَ، فَحَرَّمُوهُمْ وَمُدُنَهُمْ. فَدُعِيَ اسْمُ الْمَكَانِ «حُرْمَةَ»" (سفر العدد 21: 1 – 3).

لم يطلب الله من بني إسرائيل أن يقتلوا أعدائهم. إن وجهة نظرهم الخاطئة عن الله جعلتهم يعتقدون أنه يريدهم أن ينذروا نذرًا بهذا القدر من العنف والوحشية. لقد ظنوا أنهم سيحصلون على موافقته، وأنه سيساعدهم. الآية تقول أن الرب سمع لقول إسرائيل. لماذا سمع الله لقولهم؟ ألن يؤدي ذلك إلا إلى ترسيخ فكرة أن الله أراد منهم أن يقتلوا أعدائهم؟ نجد الإجابة في مَثَل الوزنات:

"ثُمَّ جَاءَ آخَرُ قَائِلًا: يَا سَيِّدُ، هُوَذَا مَنَاكَ الَّذِي كَانَ عِنْدِي مَوْضُوعًا فِي مِنْدِيل، لأَنِّي كُنْتُ أَخَافُ مِنْكَ، إِذْ أَنْتَ إِنْسَانٌ صَارِمٌ، تَأْخُذُ مَا لَمْ تَضَعْ وَتَحْصُدُ مَا لَمْ تَزْرَعْ. فَقَالَ

لَهُ: **مِنْ فَمِكَ أَدِينُكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الشِّرِّيرُ.** عَرَفْتَ أَنِّي إِنْسَانٌ صَارِمٌ، آخُذُ مَا لَمْ أَضَعْ، وَأَحْصُدُ مَا لَمْ أَزْرَعْ، فَلِمَاذَا لَمْ تَضَعْ فِضَّتِي عَلَى مَائِدَةِ الصَّيَارِفَةِ، فَكُنْتُ مَتَى جِئْتُ أَسْتَوْفِيهَا مَعَ رِبًا؟" (لوقا 19: 20 – 23).

لقد تخيل العبد الشرير الكسلان أن الرب إنسانًا صارمًا، فحُكِم عليه وأُدين وفقًا لإيمانه هذا. والكتاب أيضًا يقول:

"هكَذَا تَكَلَّمُوا وَهكَذَا افْعَلُوا كَعَتِيدِينَ أَنْ تُحَاكَمُوا بِنَامُوسِ الْحُرِّيَّةِ. لأَنَّ الْحُكْمَ هُوَ بِلاَ رَحْمَةٍ لِمَنْ لَمْ يَعْمَلْ رَحْمَةً، وَالرَّحْمَةُ تَفْتَخِرُ عَلَى الْحُكْمِ" (يعقوب 2: 12 و13).

سمح الله للإنسان الذي لديه تصورات خاطئة عنه أن يُدان حسب الأفكار التي لديه. كيف يفعل الله ذلك؟

"لاَ تَضِلُّوا! اَللهُ لاَ يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا" (غلاطية 6: 7).

"حَافِظُ الإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ. غَافِرُ الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ. وَلكِنَّهُ لَنْ يُبْرِئَ إِبْرَاءً. مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ، فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ" (خروج 34: 7).

في الوقت الذي نذر فيه إسرائيل نذرًا لله أن يقتلوا الملك الكنعاني، كان روح الشيطان يحكمهم. لقد كانوا يشتكون ويتذمرون على الله كما كانوا يتمردون عليه في كل فرصة تسنح لهم. لكن الله أنذرهم وشجعهم على إتباع وصاياه:

"فَالآنَ يَا إِسْرَائِيلُ اسْمَعِ الْفَرَائِضَ وَالأَحْكَامَ الَّتِي أَنَا أُعَلِّمُكُمْ لِتَعْمَلُوهَا، لِكَيْ تَحْيَوْا وَتَدْخُلُوا وَتَمْتَلِكُوا الأَرْضَ الَّتِي الرَّبُّ إِلهُ آبَائِكُمْ يُعْطِيكُمْ" (تثنية 4: 1).

"جَمِيعَ الْوَصَايَا الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ تَحْفَظُونَ لِتَعْمَلُوهَا، لِكَيْ تَحْيَوْا وَتَكْثُرُوا وَتَدْخُلُوا وَتَمْتَلِكُوا الأَرْضَ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لآبَائِكُمْ" (تثنية 8: 1).

إلا أن إسرائيل رفض أن يطيع الله، فتمكن الشيطان من السيطرة على رغباتهم الشريرة في الحكم والقصاص بلا رحمة. وأعطاهم الله مبتغاهم رغم أن ذلك لم يكن وفقًا لإرادته وخطته. كما أنه أعطى للأمم الوثنية ما كانوا يخشونه بخروجهم وابتعادهم عن دائرة الحماية الإلهية. استخدم الشيطان إسرائيل ليقتلوا الكنعانيين. وبعمله هذا استطاع أن يعرّض الملايين للقتل بسبب الفهم الخاطئ لشخصية الله وصفاته – أي قتل الناس وذبحهم على وجه التحديد.

الآيات التالية تعطينا لمحات عن خطة الله للتعامل مع أعداء إسرائيل بدون أسلحة:

"ثُمَّ عَبَرْتُمُ الأُرْدُنَّ وَأَتَيْتُمْ إِلَى أَرِيحَا. فَحَارَبَكُمْ أَصْحَابُ أَرِيحَا: الأَمُورِيُّونَ وَالْفِرِزِّيُّونَ وَالْكَنْعَانِيُّونَ وَالْحِثِّيُّونَ وَالْحِرْجَاشِيُّونَ وَالْحِوِّيُّونَ وَالْيَبُوسِيُّونَ، فَدَفَعْتُهُمْ بِيَدِكُمْ .وَأَرْسَلْتُ قُدَّامَكُمُ الزَّنَابِيرَ وَطَرَدْتُهُمْ مِنْ أَمَامِكُمْ، أَيْ مَلِكَيِ الأَمُورِيِّينَ، **لاَ بِسَيْفِكَ وَلاَ بِقَوْسِكَ**" (يشوع 24: 11 و12).

"فَقَالَ: «اصْغَوْا يَا جَمِيعَ يَهُوذَا وَسُكَّانَ أُورُشَلِيمَ، وَأَيُّهَا الْمَلِكُ يَهُوشَافَاطُ. هكَذَا قَالَ الرَّبُّ لَكُمْ: لاَ تَخَافُوا وَلاَ تَرْتَاعُوا بِسَبَبِ هذَا الْجُمْهُورِ الْكَثِيرِ، لأَنَّ الْحَرْبَ لَيْسَتْ لَكُمْ بَلْ للهِ. غَدًا انْزِلُوا عَلَيْهِمْ. هُوَذَا هُمْ صَاعِدُونَ فِي عَقَبَةِ صِيصَ فَتَجِدُوهُمْ فِي أَقْصَى الْوَادِي أَمَامَ بَرِّيَّةِ يَرُوئِيلَ. لَيْسَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحَارِبُوا فِي هذِهِ. قِفُوا اثْبُتُوا وَانْظُرُوا خَلاَصَ الرَّبِّ مَعَكُمْ يَا يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمُ. لاَ تَخَافُوا وَلاَ تَرْتَاعُوا. غَدًا اخْرُجُوا لِلِقَائِهِمْ وَالرَّبُّ مَعَكُمْ». فَخَرَّ يَهُوشَافَاطُ لِوَجْهِهِ عَلَى الأَرْضِ، وَكُلُّ يَهُوذَا وَسُكَّانُ أُورُشَلِيمَ سَقَطُوا أَمَامَ الرَّبِّ سُجُودًا لِلرَّبِّ. فَقَامَ اللاَّوِيُّونَ مِنْ بَنِي الْقَهَاتِيِّينَ وَمِنْ بَنِي الْقُورَحِيِّينَ لِيُسَبِّحُوا الرَّبَّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ جِدًّا. وَبَكَّرُوا صَبَاحًا وَخَرَجُوا إِلَى بَرِّيَّةِ تَقُوعَ. وَعِنْدَ خُرُوجِهِمْ وَقَفَ يَهُوشَافَاطُ وَقَالَ: «اسْمَعُوا يَا يَهُوذَا وَسُكَّانَ أُورُشَلِيمَ، آمِنُوا بِالرَّبِّ إِلهِكُمْ فَتَأْمَنُوا. آمِنُوا بِأَنْبِيَائِهِ فَتُفْلِحُوا». **وَلَمَّا اسْتَشَارَ الشَّعْبَ أَقَامَ مُغَنِّينَ لِلرَّبِّ وَمُسَبِّحِينَ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ أَمَامَ الْمُتَجَرِّدِينَ وَقَائِلِينَ: «احْمَدُوا الرَّبَّ لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ»**. وَلَمَّا ابْتَدَأُوا فِي الْغِنَاءِ وَالتَّسْبِيحِ جَعَلَ الرَّبُّ أَكْمِنَةً عَلَى بَنِي عَمُّونَ وَمُوآبَ وَجَبَلِ سِعِيرَ الآتِينَ عَلَى يَهُوذَا فَانْكَسَرُوا. وَقَامَ بَنُو عَمُّونَ وَمُوآبُ عَلَى سُكَّانِ جَبَلِ سِعِيرَ لِيُحَرِّمُوهُمْ وَيُهْلِكُوهُمْ. وَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ سُكَّانِ سِعِيرَ سَاعَدَ بَعْضُهُمْ عَلَى إِهْلاَكِ بَعْضٍ" (أخبار الأيام الثاني 20: 15 – 23).

لقد استطاع إسرائيل الاستيلاء على أرض كنعان بالحرب، إلا أن ذلك لم يكن ما قصد الله الأصلي. وإذ كانت المخاوف المستمرة تراود إسرائيل لاعتقادهم بأن الله يحاول قتلهم وشكهم في عنايته ومحبته لهم، فقد تمكن الشيطان من إغوائهم بأن ينذروا نذرًا لله ليقتلوا الكنعانيين وغيرهم من الأمم الوثنية. أحرز إسرائيل انتصارًا في المعركة، لكن الشيطان فاز في الحرب المتعلقة بشخصية الله وصفاته. لقد هُزِم إسرائيل بانتصارهم، وصاروا عبيدًا لوجهة نظر خاطئة عن الله.

لقد مُنحنا في هذه الأيام الأخيرة الفرصة لرؤية شخصية الله والتعرف على صفاته الحقيقية. في وجه يسوع المسيح نستطيع التعرف على رغبات أبينا السماوي الحقيقية. كم عدد الناس الذين قتلهم الرب يسوع بحد السيف؟ كم عدد الذين أحرقهم بالنار؟ كم عدد الأطفال الذين طعنهم بحربة؟ ما من أحد على الإطلاق! وليتذكر كل من يظن أن الله قد جاء ليهلك أنفس الناس كلمات الرب يسوع التالية:

"فَالْتَفَتَ وَانْتَهَرَهُمَا وَقَالَ: «لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا! لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّصَ». فَمَضَوْا إِلَى قَرْيَةٍ أُخْرَى" (لوقا 9: 55 و56).

إن السيف الذي يستخدمه الرب يسوع هو السيف الخارج من فمه. سيفه هو كلمته.

"وَمَعَهُ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى سَبْعَةُ كَوَاكِبَ، وَسَيْفٌ مَاضٍ ذُو حَدَّيْنِ يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ، وَوَجْهُهُ كَالشَّمْسِ وَهِيَ تُضِيءُ فِي قُوَّتِهَا" (رؤيا 1: 16).

"لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ" (عبرانيين 4: 12).

"فَقَالَ لَهُمْ: لكِنِ الآنَ، مَنْ لَهُ كِيسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِزْوَدٌ كَذلِكَ. وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفًا" (لوقا 22: 36).

"وَخُذُوا خُوذَةَ الْخَلاَصِ، وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ" (أفسس 6: 17).

إن التابع للمسيح سيقتدي به ويتبع مثاله. لم يستعمل السيد المسيح سيفًا ماديًا أبدًا. فكيف نفسر هذه الآية؟

"فَقَالُوا: «يَا رَبُّ، هُوَذَا هُنَا سَيْفَانِ». فَقَالَ لَهُمْ: «يَكْفِي!»" (لوقا 22: 38).

وكان الرب يسوع قد قال في الآية 36 من نفس الأصحاح: "وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفًا". فالتلاميذ عندما صنعوا سيفين ماديين لم يبيعوا ثيابهم ليحصلوا على هذين السيفين. لقد كان كلام الرب يسوع موجهًا إليهم جميعًا، فكل واحد منهم كان عليه أن يبيع ثيابه ليشتري سيفًا. ولكن ماذا عن بقية التلاميذ ووصية الرب إليهم أن يبيعوا ثيابهم؟ ما هي الثياب التي أراد الرب يسوع من تلاميذه أن يبيعوها؟

"وَكَانَ يَهُوشَعُ لاَبِسًا ثِيَابًا قَذِرَةً وَوَاقِفًا قُدَّامَ الْمَلاَكِ. فَأَجَابَ وَكَلَّمَ الْوَاقِفِينَ قُدَّامَهُ قَائِلًا: **«انْزِعُوا عَنْهُ الثِّيَابَ الْقَذِرَةَ».** وَقَالَ لَهُ: «انْظُرْ. قَدْ أَذْهَبْتُ عَنْكَ إِثْمَكَ، وَأُلْبِسُكَ ثِيَابًا مُزَخْرَفَةً»" (زكريا 3: 3 و4).

أخبر الرب يسوع بيلاطس أن مملكته ليست من هذا العالم.

"أَجَابَ يَسُوعُ: مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ. **لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ** لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا" (يوحنا 18: 36).

قال الرب يسوع لبيلاطس أن خدامه لن يجاهدوا على غرار العالم أي بحمل السلاح وسفك الدماء. لقد كان التلاميذ بحاجة لتطهير قلوبهم حتى يتسنى لهم أن يفصّلوا كلمة الحق بالاستقامة (تيموثاوس الثانية 2: 15). وقول المسيح «يَكْفِي!» لا يعني أن السيفين كافيان، بل كفى كلام عن الأسلحة، وهي طريقة لفض الحديث في موضوع أساء التلاميذ فهمه. فهل كان السيفان الحرفيان كافيين للدفاع عنهم ضد الرومان أو جنود الهيكل؟ لقد كان الرب يسوع يقصد "كفى قلة إيمان وكفى غباء". ويقصد كفى مناقشة في هذا الموضوع، إذ الوقت ضيق حاليًا. لأنه لو كان يقصد السيفين كان يقول "يكفيان" بصيغة المثنى لأنهم قالوا «هُنَا سَيْفَانِ». وليس «يَكْفِي!». والشيء الآخر الذي يجب علينا أن ندركه هو أن التلاميذ بإحضارهم سيفين حقيقيين كشفوا عن الثياب التي كانوا يحتاجون لخلعها وبيعها كي يتسنى لهم الحصول على سيف كلمة الله الحقيقي للكرازة بإنجيل السلام. لقد علّم الرب يسوع تلاميذه أن يردوا على مَنْ يخالفونهم ويعارضونهم بالطريقة التالية:

"سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: **لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا.** وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا. وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلًا وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ. مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ،

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ. سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. **وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ،** لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ" (متى 5: 38 – 45)..

هل سيهزمك الشيطان كما هزم إسرائيل وجعله يهزم كنعان بحد السيف؟ أم أنك سترى أبًا رحيمًا يترك الناس ليحصلوا على رغباتهم الخاصة ويتبعوا طريقهم الخاص حتى نهايته؟ فاختاروا لأنفسكم اليوم مَنْ تعبدون، وأما أنا وبيتي فنعبد الرب الإله الرحيم الذي لا يبرئ إبراءً، بل يسمح للحطنة والزوان أن يجتمعا معًا في الحصاد حتى يظهر ما في قلب كل إنسان.

كيف يمكنك تحقيق كل هذه الأشياء وأنت تحمل سيفًا أو سلاحًا في يدك لحماية نفسك؟ ألم يحن الوقت لأن تضع سيفك في مكانه، وأن تتركه ليصدأ، واثقًا في قدرة أبينا السماوي أنه سيرسل ملائكته ليهتموا ويعتنوا بنا؟ لقد نفذ إسرائيل معركة كنعان بحد السيف لأن أغلبهم لم يثقوا في قدرة الرب على طرد الكنعانيين من أمامهم بخوف الله. وهم بشكواهم وتذمرهم المستمر وخوفهم أن الله يريد قتلهم في البرية أكدوا على عدم استعدادهم ليكونوا نورًا للأمم، ولذلك فخطية الأمم المجاورة لإسرائيل عوقبت بخطية إسرائيل. فالوصية تقول:

"لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ" (خروج 20: 5).

كان الكثير من الإسرائيليين يبغضون الله لخوفهم من أنه سيقتلهم في البرية، فقد استمروا في إرتكاب خطايا أجدادهم، وهكذا أصبح تاريخهم غارقًا بالدماء. فلا تدع انتصارات إسرائيل بحد السيف تهزم فهمك لشخصية الله وصفاته كما هي معلنة في شخص الرب يسوع. ولا تدع مجموعة من العبيد المتذمرين والمُتَأفِفين أن يقرروا نيابة عنك ما هي شخصية الله وصفاته. وليساعدنا الرب أن نحفظ جميع وصايا الله بما في ذلك الوصية التي تقول: "لا تقتل".

13. إكليل الشوك

إن محاكمة المسيح وموته يضعان أمامنا بؤس الطبيعة البشرية وشقائها. فالرجال والنساء الذين اشتركوا في ضرب المسيح وتعذيبه وإذلاله وموته كانوا مجرد مظهر من مظاهر الروح البشرية التي احتقرت ورفضت روح المسيح منذ سقوط الإنسان. فالحبال التي رُبِط بها يسوع والعصي التي ضُرِب بها والأخشاب والمسامير التي صُلِب بها على الصليب كانت جميعها أشياءً صنعها هو بنفسه. فنقرأ:

"كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ" (يوحنا 1: 3).

لقد كان لإكليل الشوك الذي وضع فوق رأسه مغزى كبير وهام، كما كان يحوي حقيقة روحية عميقة. فعندما سقط آدم في الخطية، فالشوك الذي نتج عن ذلك كان مظهرًا من مظاهر اللعنة التي جلبتها الخطية.

"وَقَالَ لآدَمَ: لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلًا: لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، **مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ.** بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. **وَشَوْكًا وَحَسَكًا** تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ" (تكوين 3: 17 و18).

لماذا حلّت اللعنة على الأرض؟ ماذا كانت العلاقة بين الإنسان والأرض؟

"**وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ**، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً" (تكوين 2: 7).

"وَقَالَ اللهُ: نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، **فَيَتَسَلَّطُونَ** عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، **وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ**، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ" (تكوين 1: 26).

لقد جبل الله الإنسان من تراب الأرض، وأعطاه السلطان كي يتسلّط على كل الأرض. تكشف هذه الحقيقة عن وجود علاقة وثيقة بين الإنسان والأرض. فالأشياء التي يقوم بها الإنسان لها تأثير مباشر على الأرض، فاللعنة التي حلّت على آدم ظهرت على الفور في هيئة الشوك والحسك التي أنتجتها الأرض. لقد لُعنت الأرض بسبب الإنسان كي ما يرى في الاضطرابات الهائلة التي تحدث في الطبيعة مؤشرًا على مقدار الشر الموجود في المجتمع البشري، فيقوده ذلك لمراجعة حساباته والانتباه إلى الخطر.

"وَسَوْفَ تَسْمَعُونَ بِحُرُوبٍ وَأَخْبَارِ حُرُوبٍ. أُنْظُرُوا، لاَ تَرْتَاعُوا. لأَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ تَكُونَ هذِهِ كُلُّهَا، وَلكِنْ لَيْسَ الْمُنْتَهَى بَعْدُ. لأَنَّهُ تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ، وَتَكُونُ مَجَاعَاتٌ وَأَوْبِئَةٌ وَزَلاَزِلُ فِي أَمَاكِنَ" (متى 24: 6 و7).

توجد علاقة سببية بين حروب وصراعات البشر، والاهتزازات والاضطرابات الهائلة التي تحدث في الطبيعة. فمع ازدياد الصراعات البشرية والانحلال الأخلاقي في المجتمع، تزداد أيضًا الكوارث الطبيعية، وهكذا فإن الطبيعة هي مقياس لمقدار التمرد في الإنسان. فعندما تتحول نسمات الهواء الطبيعية المصممة لتهدئة الإنسان وتحسين حالته النفسية إلى أعاصير، أو عندما يتحول المطر الذي يعد مصدر حياة للكثير من الكائنات الحية إلى فيضان، ويدمر ضفاف الأنهار محدثًا موتًا ودمارًا هائلاً، فإننا نرى أدلة على أن التمرد نفسه الموجود في قلوب البشر يتجلى في صورة كوارث طبيعية.

إن العلاقة السببية التي توجد بين الإنسان والطبيعة تعني أنه كلما زاد تمرد الجنس البشري، سيزداد أيضًا تمرد الهواء (في هيئة أعاصير) والنار (في هيئة براكين وحرائق غابات) والماء (في هيئة فيضانات تجتاح أماكن عديدة). وإذ يتمادى الناس في كسر وصايا الله بغيرة أكثر، فإن الأرض ستكسر قوانين الطبيعة وتعكس هي أيضًا تمرد البشر. وإذ تقوم روح التمرد التي توجد في البشر

على المسيح، ويحاولون قتل ذاك الذي يتسلّط عليهم، فالطبيعة أيضًا ستقوم على الإنسان وتتمرد عليه وتحاول قتله. وإذ يجول البشر في الأرض ويلتهمون الآخرين بألسنتهم وسيوفهم، فوحوش البرية ستجول هي أيضًا في الأرض وتلتهمهم بنفس الطريقة. فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضًا. وعلى الناحية الأخرى، فالأرض لن تتحارب أو تتصارع مع الإنسان الذي لديه سلام مع الله ولا يتمرد عليه.

"هُوَذَا طُوبَى لِرَجُل يُؤَدِّبُهُ اللهُ. فَلاَ تَرْفُضْ تَأْدِيبَ الْقَدِيرِ. لأَنَّهُ هُوَ يَجْرَحُ وَيَعْصِبُ. يَسْحَقُ وَيَدَاهُ تَشْفِيَانِ. فِي سِتِّ شَدَائِدَ يُنَجِّيكَ، وَفِي سَبْعٍ لاَ يَمَسُّكَ سُوءٌ. فِي الْجُوعِ يَفْدِيكَ مِنَ الْمَوْتِ، وَفِي الْحَرْبِ مِنْ حَدِّ السَّيْفِ. مِنْ سَوْطِ اللِّسَانِ تُخْتَبَأُ، فَلاَ تَخَافُ مِنَ الْخَرَابِ إِذَا جَاءَ. تَضْحَكُ عَلَى الْخَرَابِ وَالْمَحْلِ، وَلاَ تَخْشَى وُحُوشَ الأَرْضِ. لأَنَّهُ مَعَ حِجَارَةِ الْحَقْلِ عَهْدُكَ، وَوُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ تُسَالِمُكَ. فَتَعْلَمُ أَنَّ خَيْمَتَكَ آمِنَةٌ، وَتَتَعَهَّدُ مَرْبِضَكَ وَلاَ تَفْقِدُ شَيْئًا" (أيوب 5: 17 – 24).

عندما عُلق المسيح على الصليب، رفضت الشمس أن تشرق، وتزعزعت الأرض وسقط برقًا من السماء. لقد كانت الطبيعة متعاطفة مع خالقها ومبدعها – ابن الله. وفي الوقت نفسه كانت الطبيعة تبدو وكأنها تقتله وهو يحمل خطايا العالم وإكليل الشوك.

"صَعِدَ دُخَانٌ مِنْ أَنْفِهِ، وَنَارٌ مِنْ فَمِهِ أَكَلَتْ. جَمْرٌ اشْتَعَلَتْ مِنْهُ. طَأْطَأَ السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ، وَضَبَابٌ تَحْتَ رِجْلَيْهِ ... أَرْعَدَ الرَّبُّ مِنَ السَّمَاوَاتِ، وَالْعَلِيُّ أَعْطَى صَوْتَهُ، بَرَدًا وَجَمْرَ نَارٍ. أَرْسَلَ سِهَامَهُ فَشَتَّتَهُمْ، وَبُرُوقًا كَثِيرَةً فَأَزْعَجَهُمْ، فَظَهَرَتْ أَعْمَاقُ الْمِيَاهِ، وَانْكَشَفَتْ أُسُسُ الْمَسْكُونَةِ مِنْ زَجْرِكَ يَا رَبُّ، مِنْ نَسْمَةِ رِيحِ أَنْفِكَ" (مزمور 18: 7 و8 و13 – 15).

إن الاهتزازات والاضطرابات الهائلة التي حدثت في الطبيعة عندما مات المسيح على الصليب تساعدنا على فهم الكيفية التي تعكس بها الطبيعة تمرد الإنسان. لقد جعلت براءة المسيح الطبيعة تتعاطف معه. ومع ذلك، فبصفته حامل خطايانا، كانت الطبيعة تخترق جبينه بإكليل شوكها. وأصوات البرق كانت تبدو أنها تعبر عن إستياء السماء نفسها. في هذه العلاقة بين الإنسان والطبيعة نكتشف الأسباب التي أدت إلى حدوث الطوفان. يقول الكتاب المقدس عن أولئك الذين كانوا يعيشون قبل الطوفان:

"وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، **أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا.** فَقَالَ الرَّبُّ: «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً». كَانَ فِي الأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ. **وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ.** فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ" (تكوين 6: 1 – 6).

يقول الكتاب المقدس أن تصوُّر أفكار قلب الإنسان إنما هو شرير كل يوم. فبنو البشر المملوؤن بالشهوة والتعطش للقوة والسلطة كانوا يمارسون كل أنواع الرجاسات التي يمكن تخيلها. وتأثير شر الإنسان الجامح على الأرض كان يزداد في شدته، والطبيعة كانت تتغذى بشكل مباشر على تمرد الإنسان على ناموس الله.

وفي رحمته أنذر الله العالم بواسطة نوح أن طوفانًا سيأتي على الأرض. وإذ أهلك الناس أنفسهم أخلاقيًا وأدبيًا، فإن هذا الدمار سيظهر أيضًا على الأرض.

"**وَفَسَدَتِ** الأَرْضُ أَمَامَ اللهِ، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ ظُلْمًا. وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ **فَسَدَتْ**، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ .فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، **لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ.** فَهَا أَنَا **مُهْلِكُهُمْ** مَعَ الأَرْضِ" (تكوين 6: 11 – 13).

عندما نظر الله إلى الأرض، رأى أن فساد البشر وصل إلى كامله. الكلمة العبرية المستخدمة للتعبير عن "الفساد" في تكوين 6: 11 (الآيات السابقة)، هي نفس الكلمة المستخدمة في تكوين 6: 13 للتعبير عن الهلاك. وهذه الآيات تضع أمامنا التحدي مرة أخرى لنسأل أنفسنا كيف نقرأ هذه النصوص والآيات. فالقارئ يستطيع الاستنتاج أن الله قرر إهلاك كل سكان الأرض، ما عدا ثمانية فقط، نظرًا لفسادهم، وبذلك يكون قد تخلّص من الشر. وبالمقابل، يمكن للقارئ أن يرى أن الله كان يعلم أن فساد البشر سينعكس في النهاية على الأرض، وأن هذا الفساد سيدمر العالم. وكما أن الناس

كانوا يعيشون لإشباع شهواتهم وملذاتهم وكانوا يتمردون على ناموس الله، فالأرض أيضًا ستتخطى حدودها وتتمرد هي أيضًا على البشر.

يقول الكتاب المقدس أن الله رآى أن الأرض امتلأت ظلمًا وعنفًا. يعتقد معظم المسيحيين أن الله كان سيرد على ظلم البشر وعنفهم باللجوء إلى الظلم واستعمال العنف ضدهم وقتلهم جميعًا بطوفان عنيف. كم هو محزن أن نصدق أن الله يمكن أن يصبح إلهًا شَرِسًا عنيفًا كالبشر لكي يُخضِع عنفهم. ما مقدر العنف الموجود في ابن الله الذي هو بهاء مجد الآب ورسم جوهره؟

"وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. **عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا**، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ" (إشعياء 53: 9).

فمن أين يأتي الظلم والعنف؟

"بِكَثْرَةِ تِجَارَتِكَ (أي الشيطان) مَلأُوا جَوْفَكَ ظُلْمًا فَأَخْطَأْتَ. فَأَطْرَحُكَ مِنْ جَبَلِ اللهِ وَأُبِيدُكَ أَيُّهَا الْكَرُوبُ الْمُظَلِّلُ مِنْ بَيْنِ حِجَارَةِ النَّارِ" (حزقيال 28: 16).

يخبرنا الكتاب المقدس أن الشر يميت الشرير (مزمور 34: 21). لا تتطلب قوانين الطبيعة أن يكون الله عنيفًا أو شرسًا في تعامله مع البشر. والكتاب المقدس يوضح لنا كيف أن هذه القوانين أُسست ووضعت في البدء.

"مَنْ صَعِدَ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ؟ مَنْ جَمَعَ الرِّيحَ فِي حَفْنَتَيْهِ؟ **مَنْ صَرَّ الْمِيَاهَ فِي ثَوْبٍ؟ مَنْ ثَبَّتَ جَمِيعَ أَطْرَافِ الأَرْضِ؟** مَا اسْمُهُ؟ وَمَا اسْمُ ابْنِهِ إِنْ عَرَفْتَ؟" (أمثال 30: 4).

"أَيْنَ كُنْتَ حِينَ أَسَّسْتُ الأَرْضَ؟ أَخْبِرْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ فَهْمٌ. مَنْ وَضَعَ قِيَاسَهَا؟ لأَنَّكَ تَعْلَمُ! أَوْ مَنْ مَدَّ عَلَيْهَا مِطْمَارًا؟ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُرَّتْ قَوَاعِدُهَا؟ أَوْ مَنْ وَضَعَ حَجَرَ زَاوِيَتِهَا، عِنْدَمَا تَرَنَّمَتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعًا، وَهَتَفَ جَمِيعُ بَنِي اللهِ؟ وَمَنْ حَجَزَ الْبَحْرَ بِمَصَارِيعَ حِينَ انْدَفَقَ فَخَرَجَ مِنَ الرَّحِمِ. **إِذْ جَعَلْتُ السَّحَابَ لِبَاسَهُ، وَالضَّبَابَ قِمَاطَهُ، وَجَزَمْتُ عَلَيْهِ حَدِّي، وَأَقَمْتُ لَهُ مَغَالِيقَ وَمَصَارِيعَ، وَقُلْتُ: إِلَى هُنَا تَأْتِي وَلاَ تَتَعَدَّى، وَهُنَا تُتْخَمُ كِبْرِيَاءُ لُجَجِكَ؟"** (أيوب 38: 4 – 11).

"أَدَخَلْتَ إِلَى خَزَائِنِ الثَّلْجِ، أَمْ أَبْصَرْتَ مَخَازِنَ الْبَرَدِ، **الَّتِي أَبْقَيْتُهَا لِوَقْتِ الضِّرِّ، لِيَوْمِ الْقِتَالِ وَالْحَرْبِ؟** فِي أَيِّ طَرِيق يَتَوَزَّعُ النُّورُ، وَتَتَفَرَّقُ الشَّرْقِيَّةُ عَلَى الأَرْضِ؟ **مَنْ فَرَّعَ قَنَوَاتٍ لِلْهَطْلِ، وَطَرِيقًا لِلصَّوَاعِقِ،** لِيَمْطُرَ عَلَى أَرْضٍ حَيْثُ لاَ إِنْسَانَ، عَلَى قَفْرٍ لاَ أَحَدَ فِيهِ، لِيُرْوِيَ الْبَلْقَعَ وَالْخَلاَءَ وَيُنْبِتَ مَخْرَجَ الْعُشْبِ؟" (أيوب 38: 22 – 27).

"صَوْتُ الرَّبِّ عَلَى الْمِيَاهِ. إِلهُ الْمَجْدِ أَرْعَدَ. الرَّبُّ فَوْقَ الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ. صَوْتُ الرَّبِّ بِالْقُوَّةِ. صَوْتُ الرَّبِّ بِالْجَلاَلِ. صَوْتُ الرَّبِّ مُكَسِّرُ الأَرْزِ، وَيُكَسِّرُ الرَّبُّ أَرْزَ لُبْنَانَ وَيُمْرِحُهَا مِثْلَ عِجْل. لُبْنَانَ وَسِرْيُونَ مِثْلَ فَرِيرِ الْبَقَرِ الْوَحْشِيِّ. **صَوْتُ الرَّبِّ يَقْدَحُ لُهُبَ نَارٍ.** صَوْتُ الرَّبِّ يُزَلْزِلُ الْبَرِّيَّةَ. يُزَلْزِلُ الرَّبُّ بَرِيَّةَ قَادِشَ. صَوْتُ الرَّبِّ يُوَلِّدُ الإِيَّلَ، وَيَكْشِفُ الْوُعُورَ، وَفِي هَيْكَلِهِ الْكُلُّ قَائِلٌ: «مَجْدٌ». الرَّبُّ بِالطُّوفَانِ جَلَسَ، وَيَجْلِسُ الرَّبُّ مَلِكًا إِلَى الأَبَدِ. **الرَّبُّ يُعْطِي عِزًّا لِشَعْبِهِ. الرَّبُّ يُبَارِكُ شَعْبَهُ بِالسَّلاَمِ"** (مزمور 29: 3 – 11).

إن صوت الرب على عناصر الطبيعة يتحدث بهذه القوانين التي وضعها وأسسها فيها. إلا أن هذه القوانين التي صُممت لتكون سبب بركة وسند ودعم للإنسان، وأن تعكس روحه الخاضعة المطيعة لله، قد تحولّت إلى سلاح ضده يهلكه. وبنفس الطريقة التي يأخذ بها الإنسان عصير العنب النقي ويفسده بإنتاج الخمور والمواد الكحولية التي تسبب الموت والهلاك، فالناس أيضًا بأذهانهم الفاسدة يلوثون الأرض ويحولون الطبيعة إلى سلاح خراب وهلاك ضدهم. وخطايا الشِرك (الارتداد) والتجديف والقتل والسرقة والطمع والاشتهاء، وكل الخطايا التي تنهي عنها الوصايا العشر وفرائض الرب وأحكامه ستجلب لعنة على الأرض.

وقد أُنذِر الإسرائيليين بواسطة موسى أن الأرض ستستجيب لأخلاقهم المنحرفة الفاسدة.

"مِثْلَ عَمَلِ أَرْضِ مِصْرَ الَّتِي سَكَنْتُمْ فِيهَا لاَ تَعْمَلُوا، وَمِثْلَ عَمَلِ أَرْضِ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا آتٍ بِكُمْ إِلَيْهَا لاَ تَعْمَلُوا، وَحَسَبَ فَرَائِضِهِمْ لاَ تَسْلُكُوا" (لاويين 18: 3).

لقد حذّر الرب إسرائيل من عدم الإشتراك في خطية الزنى وسفاح القربى (زنا المحارم) واللواط والمثلية الجنسية وغيرها من الشهوات الفاسدة. فهم لو ارتكبوا مثل هذه الأفعال المشينة، لاستجابت الأرض بالتأكيد.

"بِكُلِّ هذِهِ لاَ تَتَنَجَّسُوا، لأَنَّهُ بِكُلِّ هذِهِ قَدْ تَنَجَّسَ الشُّعُوبُ الَّذِينَ أَنَا طَارِدُهُمْ مِنْ أَمَامِكُمْ فَتَنَجَّسَتِ الأَرْضُ. فَأَجْتَزِي ذَنْبَهَا مِنْهَا، **فَتَقْذِفُ الأَرْضُ سُكَّانَهَا"** (لاويين 18: 24 و25).

إن شهوات الإنسان الجنسية الفاسدة لها تأثير على الأرض. وعندما تتعرّض الأرض لهذه الرجاسات لفترة طويلة، فإن ذلك يؤدي إلى إصابة الأرض بأمراض شديدة وعنيفة، فتقذف سكانها الذين يفعلون هذه الأشياء كما يقول الكتاب.

"نَاحَتْ ذَبُلَتِ الأَرْضُ. حَزِنَتْ ذَبُلَتِ الْمَسْكُونَةُ. حَزِنَ مُرْتَفِعُو شَعْبِ الأَرْضِ. وَالأَرْضُ تَدَنَّسَتْ تَحْتَ سُكَّانِهَا لأَنَّهُمْ تَعَدَّوْا الشَّرَائِعَ، غَيَّرُوا الْفَرِيضَةَ، نَكَثُوا الْعَهْدَ الأَبَدِيَّ. **لِذلِكَ لَعْنَةٌ أَكَلَتِ الأَرْضَ وَعُوقِبَ السَّاكِنُونَ فِيهَا. لِذلِكَ احْتَرَقَ سُكَّانُ الأَرْضِ وَبَقِيَ أُنَاسٌ قَلاَئِلُ"** (إشعياء 24: 4 – 6).

تُظهِر هذه الآيات بوضوح طريق الهلاك، وكيف أن التعدي على شريعة الله يجعل الأرض تتدنّس وتستجيب. ويؤكد الوحي المقدس على لسان النبي إشعياء أن خطايا البشر وتعدياتهم جعلت لعنة تأكل الأرض وتحرق الساكنين فيها. إن هلاك الأرض الأول بالماء بواسطة الطوفان وهلاكها الأخير بالنار بعد مجيء المسيح متصلان بشهوات البشر وذلك على النحو التالي:

"عَالِمِينَ هذَا أَوَّلاً: أَنَّهُ سَيَأْتِي فِي آخِرِ الأَيَّامِ قَوْمٌ مُسْتَهْزِئُونَ، سَالِكِينَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ، وَقَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ مَوْعِدُ مَجِيئِهِ؟ لأَنَّهُ مِنْ حِينَ رَقَدَ الآبَاءُ كُلُّ شَيْءٍ بَاقٍ هكَذَا مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ». لأَنَّ هذَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ بِإِرَادَتِهِمْ: أَنَّ السَّمَاوَاتِ كَانَتْ مُنْذُ الْقَدِيمِ، وَالأَرْضَ بِكَلِمَةِ اللهِ قَائِمَةً مِنَ الْمَاءِ وَبِالْمَاءِ، **اللَّوَاتِي بِهِنَّ الْعَالَمُ الْكَائِنُ حِينَئِذٍ فَاضَ عَلَيْهِ الْمَاءُ فَهَلَكَ.** وَأَمَّا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ الْكَائِنَةُ الآنَ، **فَهِيَ مَخْزُونَةٌ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ عَيْنِهَا، مَحْفُوظَةً لِلنَّارِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَهَلاَكِ النَّاسِ الْفُجَّارِ"** (بطرس الثانية 3: 3 – 7).

لقد حدث الطوفان بسبب شهوات البشر وأفكار قلبهم الشريرة. ستحدث نفس العملية عندما تأكل النار الأرض. فكما اشتعل الناس بشهوتهم بعضهم بعضًا في أيام سدوم، فاحترقت المدينة بالنار ولم يتبق سوى أناس قليلون، بل في الواقع لم ينجو سوى ثلاثة أشخاص من تلك المدينة التي حُكِم عليها بالهلاك.

إن هلاك سدوم ينذرنا بما سيحدث في نهاية الزمان.

"وتعرفون كذلك ما فعله الرب بمدينتي سدوم وعمورة وبالمدن التي حولهما. فقد كان أهل هذه المدن، مثل أولئك المعلمين، **مندفعين وراء الزنى، ومنغمسين في شهوات مخالفة للطبيعة.** لذلك عاقب الرب هذه المدن بالنار الأبدية، فدمرها. فكانت بذلك عبرة للآخرين" (يهوذا 1: 7 – الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة).

لقد كانتا سدوم وعمورة مندفعتين وراء الزنى والخلاعة والفساد الأخلاقي. يعبر الرسول بولس عن شر سدوم بكلمات نقرأها في رسالته إلى رومية عندما أراد أهل هذه المدينة (أي سدوم) أن يمارسوا الفحشاء مع الضيوف الذين أتوا إلى بيت لوط.

وَكَذلِكَ الذُّكُورُ أَيْضًا تَارِكِينَ اسْتِعْمَالَ الأُنْثَى الطَّبِيعِيَّ، **اشْتَعَلُوا بِشَهْوَتِهِمْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ،** فَاعِلِينَ الْفَحْشَاءَ ذُكُورًا بِذُكُورٍ، وَنَائِلِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ جَزَاءَ ضَلاَلِهِمِ الْمُحِقَّ" (رومية 1: 27).

لقد كانت شهوة أهل سدوم مشتعلة بداخلهم، وكانت انتهاكًا صارخًا لشريعة الله، فاضطرت الأرض والطبيعة للاستجابة بطريقة تعبر عن استيائهما الشديد، فيخبرنا الكتاب أن الأرض قذفت (تقيأت) سكانها ولم يتبق سوى عدد قليل من الناس. فحرَّك الله قلب إبراهيم ليتوسل من أجل مدينة سدوم كي ما يعفي عن المدينة وسكانها على حد سواء من النتائج الحتمية المترتبة على شهوتهم المشتعلة. لقد حمل المسيح أثقال شهوتهم كي يكبح جماح الطبيعة وقواها، وفي الوقت ذاته أعطى أهل سدوم الفرصة للتوبة والرجوع. وقد حدث الشيء ذاته في قصة الطوفان. فقبل أن يُغرَق العالم بالطوفان، كبح الرب جماح الطبيعة وقواها لأطول فترة ممكنة ليمنح الناس الفرصة والوقت لاختيار التوبة والخلاص.

وفي هذا التمهل كانت الخليقة تئن وتتمخض تحت أثقال خطية الإنسان، وهذا يعود بنا إلى حقيقة الصليب وإكليل الشوك.

"... فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ" (كورنثوس الأولى 1: 24).

وبهذه القوة يحفظ المسيح العالم ويحمله.

"الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، **وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ**" (عبرانيين 1: 3).

"فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، **سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ**" (كولوسي 1: 16).

بما أن الرب يسوع حامل كل الأشياء بقوته، فإن روح التمرد والعصيان في الإنسان التي تؤثر على هذا العالم المخلوق هي بمثابة إكليل دائم من الشوك على جبينه، يجرحه كل يوم. وهو يفعل كل ما بوسعه لمنع تأثير طبيعة الإنسان الفاسدة من إفساد الأرض وتخريبها. وفي هذا السياق نكتشف أن آلام المسيح ومعاناته بالنيابة عن الإنسان هي التي تتصدى للأربع رياح التي تهب على الأرض – رياح الخصام والاضطراب الوارد ذكرها في سفر الرؤيا.

"وَبَعْدَ هذَا رَأَيْتُ أَرْبَعَةَ مَلاَئِكَةٍ وَاقِفِينَ عَلَى أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ، **مُمْسِكِينَ أَرْبَعَ رِيَاحِ الأَرْضِ** لِكَيْ لاَ تَهُبَّ رِيحٌ عَلَى الأَرْضِ، وَلاَ عَلَى الْبَحْرِ، وَلاَ عَلَى شَجَرَةٍ مَا" (رؤيا 7: 1).

السبب الوحيد الذي يجعل الملائكة قادرين على الإمساك بهذه الرياح هو أن المسيح يحمل بنفسه القوة الكاملة لشر الإنسان، مما يؤخر تاثير التمرد على الطبيعة والأرض. أما عندما يتعدى المجتمع على روح المسيح ويعلن ثورته الكاملة عليه، فلا يبقى أحد واقفًا في الفجوة ليمتص روح التمرد والعصيان في الإنسان لمنع الخصام والاضطراب من الظهور في الطبيعة.

إن العالم كما نعرفه ملوث تمامًا بالشر والخطية. فالإنترنت مليء بالمواد الإباحية، والناس في كل مكان يشاهدون الأفلام المليئة بالفجور والتردي الأخلاقي والعنف. كما أن مقدار الجرائم والعنف والحروب التي تهيمن على عناوين الأخبار اليوم كلها تشير إلى حالة الاضطراب والجعجعة التي تتسبب فيها عناصر الطبيعة المادية التي وضعها الله في الأساس لتُخضِعها ونتسلّط عليها.

يجب على العالم في الوقت الحالي أن يتقيأ (يقذف) سكانه. وهذا لم يحدث بعد لأن حمل الله **ما زال** يحمل إكليل الشوك على جبينه، **ولا يزال** محتقرًا ومخذولاً من الناس، **ولا يزال** مجروحًا بالكلمات القاسية وأفكار البشر وتصوراتهم الشريرة. ورغم ذلك فهو يمتص أكبر قدر ممكن من هذا حتى يكون لدينا المزيد من الوقت لنعي هذه الأمور ونتوب.

عندما تسير في الغابة إحدى المرات القادمة أو بجانب نهر أو بحيرة هادئة، اعلم على وجه اليقين أن شعورك بالطمأنينة وراحة البال هو لأن مخلصنا الحبيب يحمل أثقال تمرد الإنسان وعصيانه. وهو بحمله هذه الأثقال يمنع آثار هذا التمرد والعصيان قدر الإمكان من الانفجار لتصير زلازل وأعاصير وفيضانات وغيرها من الكوارث. وحقيقة أن هذه الكوارث تتزايد، فهذا يعني أن شر الإنسان أيضًا ينمو ويتكاثر. وعندما توشك المسكونة كلها على رفض المسيح، ستُطلَق الأربع رياح على الأرض، حينئذ ستعكس الطبيعة غضب الإنسان.

ولهذا السبب يقول الكتاب المقدس:

"فَأَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيتًا وَنَارًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ" (تكوين 19: 24).

إن مصدر القوة التي تدعم عناصر الطبيعة وتحفظها هو المسيح لأن الكتاب يقول عنه أنه هو حامل كل الأشياء أي الخليقة بأسرها. وهذه القوة الموضوعة في الطبيعة تتبع قوانين معينة وضعها أبونا الذي في السماء. صُممت هذه القوانين لتعكس حالة الطمأنينة والسلام والوئام التي كان ينبغي أن توجد في قلوب البشر وهم يستمتعون بشركتهم مع خالقهم. فالأرض كانت ستمتلئ بالغابات والأشجار اليانعة الممتلئة بالفواكه والمكسرات والبذور الرائعة، ولون الحياة كان سيُرَى ويتجلى في كل مكان معلنًا جمال قداسة الله. إلا أن هذه القوانين تتحول إلى موت ودمار وهلاك عندما يعيش الناس في تمرد وعصيان، والقوة التي تسبب هذه الأشياء هي قوة المسيح الملتزمة بالقوانين الثابتة. وهذا يفسر رمز العصا التي صارت ثعبانًا، لكننا سنتناول هذا في فصل لاحق.

لم يكن الطوفان العظيم الذي أغرق الأرض، والنار التي سقطت على سدوم وعمورة، من الأعمال المستبدة التي قام بها الله انتقامًا من شر الإنسان. لقد حاول المسيح منع هذه الأحداث من الوقوع لأطول فترة ممكنة وذلك لإعطاء الناس فرصة للتوبة ورؤية الخطر الذي سيحل بهم. وعلى الرغم من أن هذه القوانين كانت ثابتة وأُعطيت لتتبارك بها البشرية، فقد كان على المسيح أن يتحمل الآثار السلبية المتعلقة بالعمل العكسي لها. ففي نفس اللحظة التي مات فيها السيد المسيح قبل ألفي عام، نلاحظ على الفور تأثير ذلك على الأرض:

"وَأَمَّا قَائِدُ الْمِئَةِ وَالَّذِينَ مَعَهُ يَحْرُسُونَ يَسُوعَ **فَلَمَّا رَأَوُا الزَّلْزَلَةَ** وَمَا كَانَ، خَافُوا جِدًّا وَقَالُوا: حَقًّا كَانَ هذَا ابْنَ اللهِ!" (متى 27: 54).

عندما يجعل الوحش الثاني الوارد ذكره في رؤيا 13 جميع الناس يسجدون للوحش الأول، ويجعل الجميع تُصنَع لهم سمة على يدهم أو على جبهتهم، سيُصلَب المسيح مرة أخرى بسبب رفض الناس لوصاياه. والأربع رياح ستهب على الأرض، وروح الإنسان المتمردة ستكون كجمر النار المشتعلة في قلب الأرض، والأرض سترفع نفسها بروح عنفوانية وتهلك نفسها والساكنين فيها. أما الساكنون في ستر العلي وفي ظل القدير يبيتون، فبحفظهم لوصايا الله وتمسكهم بإيمان يسوع، سينجون من هذا البلاء. فعن جانبهم يسقط ألف، وربوات عن يمينهم. والموت لا يقرب من مسكنهم (مزمور 91: 7) لأنهم في سلام مع الله وأيضًا مع الأرض.

لقد استطاع الرب يسوع أن ينام بهدوء وسط العاصفة لأن الأرض لم تكن في حالة حرب معه. وعلى مر القرون، كانت رياح السماء وأمواج البحار مستعدة في مرات عديدة لجرف أتباعه وتحطيمهم، لكننا نجده يقوم ويقول للعناصر: «اسْكُتْ! إِبْكَمْ!». أدعوكم من كل قلبي أن تهربوا مع الملائكة من مدينة سدوم، وأن تُقبِلوا إلى فلك النجاة. لقد آن الأوان أن نتوب ونصلي لينسكب روح يسوع فينا حتى تتوقف قلوبنا عن التمرد على الله، الأمر الذي يجعل الأرض تتمرد علينا.

أشكرك أيها الرب يسوع لارتدائك إكليل الشوك على مدار هذه السنوات العديدة، ومنعك لرياح الخصام والاضطراب – الرياح التي تؤجج نفوس الناس وتلهبهم تمردًا وشرًا، والتي في النهاية ستجني حصادها في الأرض. ليتنا نبتعد عن طرقنا الشريرة، ونكف عن كسر عهدك الأبدي، ونتعلم حفظ وصاياك وفرائضك وأحكامك حتى يسود السلام مرة أخرى على الأرض.

14. سلطان الموت

"فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ الْخَلَّ قَالَ: «قَدْ أُكْمِلَ». وَنَكَّسَ رَأْسَهُ **وَأَسْلَمَ الرُّوحَ**" (يوحنا 19: 30).

"وَنَادَى يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَ: «يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي». **وَلَمَّا قَالَ هذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ**" (لوقا 23: 46).

"وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ **مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا**" (رومية 5: 8).

عندما نكَّس الرب يسوع رأسه وأسلم الروح، فقد رأى الكون، بما في ذلك الساكنين على الأرض الذين شاهدوا الأحداث التي أدت إلى موته، أقوى إعلان ودليل على محبة الآب للجنس البشري. وعلى الرغم من الضرب والجلد والاستهزاء والسخرية التي تعرض لها الرب يسوع، لم يفتح فاه ولم يرغب في الانتقام أو الأخذ بالثأر، لكنه قال: "يا آبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون". وبينما كان يموت على الصليب في آلام مبرحة، فكر في أمه الأرضية مريم وطلب من يوحنا أن يعتني بها، وغفر للص التائب ووعده بالحياة الأبدية. عندما رأى الجندي الروماني هذه الأحداث، اعترف قائلاً:

"حَقًّا كَانَ هذَا الإِنْسَانُ ابْنَ اللهِ!" (مرقس 15: 39).

يا لها من محبة متأنية ودائمة ومذهلة! لقد تحمَّل مخلصنا الحبيب أشد أنواع القسوة والظلم والعنف الموحى بها من الشيطان بسبب كراهية البشر له. لقد أثار الشيطان كراهية قادة اليهود وكهنتهم وغوغائهم. ففي أفعالهم نرى شخصية الشيطان وصفاته. لقد انكشفت صفات الشيطان الحقيقية بسبب ظلمه وعنفه وكراهيته وحيله الماكرة وقسوته وخلوه من الشفقة والرحمة. نرى في قصة الصليب الاستعلان الكامل لشخصية الله وصفاته في المسيح، والاستعلان الكامل لشخصية الشيطان وصفاته في الإنسان. عندما أسلم الرب يسوع نفسه للموت، هزم ذاك الذي كان يبغضه منذ بداية الصراع. قال الرب يسوع للفريسيين في حديثه لهم عن الشيطان:

"أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. **ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ،** وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، **لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ**" (يوحنا 8: 44).

عندما نتأمل في القبض على المسيح ليلا ومحاكمته الهزلية والشهود الواقفين لإدانته وشهادتهم الزور المتضاربة، فإننا نرى روح الشيطان الكاذبة المملئة خبثًا ومكرًا. وفي التهكم والاستهزاء اللذين تعرضا لهما، نرى قسوة الشيطان وخلوه من الشفقة والرحمة. وفي صلبه، نرى ظلمه الجائر وعنفه البالغ. لقد هزم المسيح الشيطان بالموت. فالكتاب المقدس يخبرنا:

"فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذلِكَ فِيهِمَا، **لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ،** أَيْ إِبْلِيسَ" (عبرانيين 2: 14).

يعلمنا الكتاب المقدس أن الشيطان له سلطان الموت. وهذا يطرح سؤالاً هامًا يتعلق بفهم شخصية الله وصفاته. كيف يمكن للشيطان أن يكون له سلطان الموت رغم أن الله أخبر آدم وحواء:

"وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" (تكوين 2: 17).

هل هدد الله بقتل آدم وحواء إذا أكلا من ثمر شجرة معرفة الخير والشر؟ يؤكد الكتاب المقدس بكل وضوح ما هو الشيء الذي يقتل الخاطئ.

"**لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ** ..." (رومية 6: 23).

"**الشَّرُّ يُمِيتُ الشِّرِّيرَ**، وَمُبْغِضُو الصِّدِّيقِ يُعَاقَبُونَ" (مزمور 34: 21).

"وَمَنْ يُخْطِئُ عَنِّي يَضُرُّ نَفْسَهُ. **كُلُّ مُبْغِضِيَّ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ**" (أمثال 34: 21).

الموت هو نتيجة الخطية. فما سيقتل الخاطئ هو الذنب الواقع عليه بسبب تصرفه بطريقة أنانية وعنيفة وبغيضة تجاه أبينا المحب الذي في السماء. يخبرنا الكتاب المقدس أن السيد المسيح ليس له الحياة فحسب، بل هو الحياة أيضًا.

"قَالَ لَهُ يَسُوعُ: **أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ**. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي" (يوحنا 14: 6).

"قَالَ لَهَا يَسُوعُ: **أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ**. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا" (يوحنا 14: 6).

"الَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ **كَلِمَةِ الْحَيَاةِ**. **فَإِنَّ الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ**، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ **وَنُخْبِرُكُمْ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ** الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا" (يوحنا الأولى 1: 1 و2).

يجب أن ننتبه جيدًا لكلام الرب يسوع. فالكتاب يقول أنه ليس لديه الحياة فحسب، بل أنه هو الحياة. فإن كان يسوع هو الحياة، فلا صلة له أو علاقة بالموت. وإن كان يسوع هو الحياة فلا يمكن له أن يسبب الموت. دعونا نتأمل بعناية في الطريقة التي عبّر بها الرب يسوع عن هذا:

"اَلسَّارِقُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ، **وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ** وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ" (يوحنا 10: 10).

السارق يقتل، أما المسيح فيهب الحياة. فلو أمات المسيح أولئك الذين يخالفون شريعة أبيه، سيكون للمسيح حينئذ سلطان الحياة والموت. وهذا معناه أن الحياة والموت ينبثقان منه. لكن هذا تناقض كامل، ولهذا يخبرنا الكتاب المقدس أن الشيطان لديه سلطان الموت. ولو استخدم المسيح قوته وسلطانه لقتل الناس، لما أُعطي الشيطان سلطان الموت، لأن هذا يعني أن المسيح هو الذي لديه سلطان الموت. لكن الكتاب المقدس يؤكد بكل بوضوح أن الشيطان هو الذي لديه سلطان الموت، وللموت صلة مباشرة بالظلمة.

"قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ وَلاَ أَعُودَ. إِلَى أَرْضِ ظُلْمَةٍ وَظِلِّ الْمَوْتِ" (أيوب 10: 21).

"الْجُلُوسَ فِي الظُّلْمَةِ وَظِلاَلِ الْمَوْتِ، مُوثَقِينَ بِالذُّلِّ وَالْحَدِيدِ" (مزمور 107: 10).

إلا أننا نقرأ عن المسيح:

"فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ" (يوحنا 1: 4).

تؤكد لنا كلمات الوحي المقدسة أن الحياة كانت في المسيح، لكنها لا تقول أن الحياة والموت كانا فيه. وهذه الحياة التي يمتلكها المسيح هي نور الناس. فالنور والحياة مرتبطان معًا، وكذلك أيضًا الظلمة والموت. والرسالة التي أتى الرب يسوع ليعلنها للعالم هي كما يلي:

"وَهذَا هُوَ الْخَبَرُ الَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْهُ وَنُخْبِرُكُمْ بِهِ: **إِنَّ اللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ**" (يوحنا الأولى 1: 5).

لا توجد ظلمة في الله وهذا يعني أنه لا يوجد موت فيه، وهذا يقودنا إلى الاستنتاج المنطقي أن الله ليس أصل الخطية أو مصدرها، وليس له سلطان الموت. وكل ما يمكنه فعله هو منح الحرية للبشر ليهلكوا أنفسهم إذا اختاروا ذلك. يسمي الكتاب المقدس الموت بالعدو، مما يعني أنه من العدو.

"آخِرُ عَدُوٍّ يُبْطَلُ هُوَ الْمَوْتُ" (كورنثوس الأولى 15: 26).

الموت عدوٌ، ولهذا السبب فقد أبطل السيد المسيح الموت.

"الَّذِي خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً، لاَ بِمُقْتَضَى أَعْمَالِنَا، بَلْ بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَإِنَّمَا أُظْهِرَتِ الآنَ بِظُهُورِ مُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، **الَّذِي أَبْطَلَ الْمَوْتَ** وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ بِوَاسِطَةِ الإِنْجِيلِ" (تيموثاوس الثانية 1: 9 و10).

لا يوجد موت في المسيح، ولذلك قال الرب يسوع لمرثا:

"وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ. أَتُؤْمِنِينَ بِهذَا؟" (يوحنا 11: 26).

كيف يمكن للشخص الذي يؤمن بالرب يسوع ألا يموت إلى الأبد؟ فالناس يموتون طوال الوقت. لاحظ معي الطريقة التي أشار بها الرب يسوع إلى الموت:

"قَالَ هذَا وَبَعْدَ ذلِكَ قَالَ لَهُمْ: **لِعَازَرُ حَبِيبُنَا قَدْ نَامَ.** لكِنِّي أَذْهَبُ لأُوقِظَهُ" (يوحنا 11: 11).

"قَالَ لَهُمْ: «تَنَحَّوْا، فَإِنَّ **الصَّبِيَّةَ لَمْ تَمُتْ لكِنَّهَا نَائِمَةٌ**». فَضَحِكُوا عَلَيْهِ" (متى 9: 24)

لا يوجد غير شخص واحد في التاريخ كله مات وفقًا لهذا التعريف.

"وَلكِنَّ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلًا عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، يَسُوعَ، نَرَاهُ مُكَلَّلًا بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ أَجْلِ أَلَمِ الْمَوْتِ، لِكَيْ **يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللهِ الْمَوْتَ لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ**" (عبرانيين 2: 9).

لو كل إنسانٍ مدفونٍ في القبر قد ذاق بالفعل الموت، فما هو الغرض من تذوق يسوع الموت لأجل كل واحد ما لم يكن قد مات بالفعل الموت الأخير – موت الانفصال – الذي يختبره الأشرار عند انتهاء الألف سنة؟

إن الرب يسوع في حقيقة الأمر هو الشخص الوحيد الذي مات. أما بقية الذين عاشوا فهم نائمون في قبورهم. سيُقَام الجميع ويمضون إما إلى الحياة الأبدية أو للاشتراك في الموت الثاني، أي المرة الثانية التي يحدث فيها الموت في تاريخ الكون. عندما صرخ الرب يسوع "يا أبتاه في يديك استودع روحي" وهو يحمل خطايا العالم كله، فقد حطّم سلطان الموت وشوكته وأبطل تمامًا حاجة أي إنسان للموت. وفي هذا الوقت عينه يخبرنا الكتاب المقدس أن الموت قد أبطِل بالفعل. أما السبب الوحيد أن الناس سيموتون في نهاية الزمان هو لرفضهم قبول الحياة التي توجد في شخص المسيح. لا يمكنك أن تبطل الموت ثم تأتي في وقت لاحق وتُحدِث موتًا. هذا مستحيل تمامًا.

عندما يهلك الأشرار أخيرًا يقول الكتاب المقدس:

"وَطُرِحَ الْمَوْتُ وَالْهَاوِيَةُ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ. هذَا هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي" (رؤيا 20: 14).

غالبًا ما يُطلَق على بحيرة النار الجحيم، لكن ترجمة الآية السابقة باللغة الإنجليزية تقول أن الموت والجحيم كليهما طُرحا في بحيرة النار. فما هي بحيرة النار؟ إنها بالضبط نفس الاختبار الذي اختبره الرب يسوع على الصليب. إلهنا نارٌ آكلةٌ (عبرانيين 12: 29). إن صفاء شخصيته وصفاته ومحبته

الباذلة الناكرة للنفس عندما يراها الخاطئ، فإنها تُظهِر له ذنب أنانيته الرهيب. إن النور يضيء في الظلمة، ولأن الأشرار يرفضون قبول الرحمة، فمثل قايين يصرخون جميعًا قائلين: "ذنبي أعظم من أن يُغتَفَر" فيسحقهم الإحساس بالذنب والعار. وهكذا فالشر يقتل الشرير، وأجرة الخطية هي موت (مزمور 34: 21 ورومية 6: 23).

إذا كان الله وابنه يقتلان الناس، فحينئذ يوجد موت في روحهما. ولو كان هذا صحيحًا، لما كان بالإمكان إبطال الموت وتدميره، ولما أُعتِبر عدوًا. يجب أن نؤكد مرة أخرى أن السيد المسيح ليس له الحياة الأبدية فحسب، بل هو الحياة الأبدية نفسها. لا يمكنك أن تكون حياة أبدية ويكون لديك موتًا في شخصيتك أو صفاتك في نفس الوقت، فهذا ببساطة غير ممكن!

"أَلَعَلَّ يَنْبُوعًا يُنْبِعُ مِنْ نَفْسٍ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ الْعَذْبَ وَالْمُرَّ؟" (يعقوب 3: 11).

سنتطرق الآن إلى نقطة هامة أخرى حول هذا السؤال.

"وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، **نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا**، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ" (كورنثوس الثانية 3: 18).

تخبرنا الآية السابقة أننا ونحن ننظر مجد الرب أي شخصيته وصفاته، فإننا نتغير إلى تلك الصورة عينها. فبما أن الله وابنه هما الحياة، فإن النظر إليهما ومعرفتهما تعني أننا سننال الحياة.

"وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ" (يوحنا 17: 3).

وهذا يعني أننا إذا قرأنا قصص الكتاب المقدس الموجودة في العهد القديم معتقدين ومؤمنين بأن الله يقتل الناس، فعند النظر إلى ذلك باعتباره تمثيلاً لشخصية الله وصفاته، فذلك يصبح جزءًا من شخصيتنا وصفاتنا. أدعوك أن تفكر الآن في هذا من منظور آخر. يخبرنا الكتاب المقدس:

"الَّذِينَ أَرَادَ اللهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ مَا هُوَ غِنَى مَجْدِ هذَا السِّرِّ فِي الأُمَمِ، **الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ**" (كولوسي 1: 27).

"مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ **الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ.** فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي" (غلاطية 2: 20).

إذا كان المسيح يسكن فيك بروحه وتؤمن أن المسيح يقتل الناس لأن ذلك يعد جزءًا من شخصيته وصفاته، فعندئذ سيكون لديك روح قتّال يسكن فيك. ولكن بما أن المسيح هو الحياة الأبدية ، فلا يمكن أن يسكن فيك المسيح وروح قتّال في نفس الوقت.

وهذا سبب من الأسباب التي تفسّر موت البشر، لأنهم يعبدون إلهًا يقتل الناس. إذا كنت تعتقد أن الله قد لطّخ يديه في موت مئات الآلاف من الناس، وأنه سيقتل بلايين الناس في المستقبل، فإن نور شخصية الله وصفاته يبتلعه الموت، والموت يُفهم على أنه يسود على عرش الكون. فإن كنت تعبد إلهًا كهذا وتنظر إلى إله كهذا يومًا تلو الآخر، فإن هذا النوع من العبادة سيقتلك. لماذا؟ لأننا بالنظر نتغيّر إلى تلك الصورة عينها (كورنثوس الثانية 3: 18).

ولم تكن هناك طريقة ليبيد الله بها الموت غير أنه يظهر ما في قلوب البشر تجاه ابن الله. عندما أتى الرب يسوع إلى الأرض، فإن الكراهية الطبيعية الموجودة في جميع البشر تجاه المسيح قد انكشفت. ونرى في الصليب قدرة الشيطان على التأثير بسهولة على قلوب الناس ودفعهم للعنف والقتال. وبموت الصليب، كشف المسيح عن شخصية الشيطان وصفاته وأعطى للعالم فرصة ليرى مدى شر الجنس البشري. وإذ ننظر إلى الصليب، فإننا نواجه حقيقة بشريتنا، ومن خلال روح المسيح تُعطى لنا القدرة على قبول روحه الباذلة والمُحِبة والوديعة.

"اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ" (متى 11: 29).

يسوع وديع ومتواضع القلب. يسوع يحب أعدائه. يسوع يصلي لأجل مَنْ يبغضونه، ويطلب من أبيه أن يغفر لأولئك الذين يسيئون إليه ويضطهدونه. فروحه مانح للحياة وفيه حياة أبدية.

ولكن ماذا عن النصوص الكتابية التي تبدو في ظاهرها وكأنها تقول أن الله يقتل الناس؟ لنذكر أن نقرأ العهد القديم من منظور حياة المسيح. فقراءة الكتاب المقدس خارج حياة المسيح ستجلب الموت حقًا. والسبب في ذلك، كما أشرنا سابقًا، أنك لو كنت تعبد إلهًا يقتل الناس فأنت تعبد إله موتٍ، وعندما

تنظر إلى ذلك فسوف تموت. وهذا ما سيساعدنا على فهم الرموز الواردة في الكتاب المقدس كالأمر الذي أعطاه الله للإسرائيليين بعدم الصعود على جبل سيناء.

"وَتُقِيمُ لِلشَّعْبِ حُدُودًا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، قَائِلًا: احْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْعَدُوا إِلَى الْجَبَلِ أَوْ تَمَسُّوا طَرَفَهُ. كُلُّ مَنْ يَمَسُّ الْجَبَلَ يُقْتَلُ قَتْلًا. لاَ تَمَسُّهُ يَدٌ **بَلْ يُرْجَمُ رَجْمًا أَوْ يُرْمَى رَمْيًا.** بَهِيمَةً كَانَ أَمْ إِنْسَانًا لاَ يَعِيشُ. أَمَّا عِنْدَ صَوْتِ الْبُوقِ فَهُمْ يَصْعَدُونَ إِلَى الْجَبَلِ" (خروج 19: 12 و13).

لم يكن باستطاعتهم التحدث لله إلا من خلال وسيط، فموسى كان يمثّل المسيح كوسيط لنا. استطاع موسى أن يصعد إلى الجبل دون أن يموت لأنه كان يفهم شخصية الله وصفاته. وعندما نزل من الجبل أشرق وجهه بنور مجد الله أو شخصيته. فإذا قرأنا العهد القديم دون أن تكون لدينا حياة المسيح بصفته الوسيط، فسوف نغرق أو "نُرمَى رميًا" في بحر من الأفكار الخاطئة عن الله، وهذه الأفكار ستقتلنا في النهاية.

"انْظُرُوا الآنَ! أَنَا أَنَا هُوَ وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي. أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي. سَحَقْتُ، وَإِنِّي أَشْفِي، وَلَيْسَ مِنْ يَدِي مُخَلِّصٌ" (تثنية 32: 39).

إلا أننا بدون النظر إلى حياة المسيح قد نقرأ هذه الآية على النحو التالي:

"أنا أميت بعض الناس، وأحيي آخرين".

عندما ندرك أن الرب يسوع لم يقتل أي شخص على الإطلاق أثناء وجوده على الأرض، فذلك يشجعنا على مواصلة البحث لفهم ما يعنيه هذا. يجب أن نلاحظ أولاً الصلة أو العلاقة بين كلمة "أميت" وكلمة "أحيي".

"أنا أميت **و**أحيي".

كلمة "أميت" لها صلة مباشرة بكلمة "أحيي". إذن ففعل القتل يتبعه الفعل المتعلق بالإحياء. وفي الجزء الثاني من هذه الآية يوجد دليل آخر لتوضيح هذه الفكرة:

"أنا أميت وأحيي. سحقت، وإني أشفي".

يوجد أسلوب شائع للكتابة في اللغة العبرية يطلق عليه التوازي. فالجزء الأول والثاني من النص يعبران عن نفس الفكرة ولكن بطريقة مختلفة وذلك لإعطاء صورة أوضح عن المعنى. أي أن المبدأ الخاص بالجرح والإشفاء يرتبط ارتباطًا مباشرًا بعمل الإنجيل. فلكي نولد ثانية يجب أن نموت عن الأمور العتيقة (أي حياتنا القديمة). ولكي نُشفَى ينبغي أن نُجرَح ونُسحَق بواسطة الناموس الذي يكشف لنا خطايانا. فلا يمكن أن تكون هناك قيامة إلى جدة الحياة بدون الموت عن الحياة القديمة. وقد أوضح الرسول بولس معنى الآية الواردة في تثنية 32: 39 عندما قال:

"لأَنَّ الْحَرْفَ يَقْتُلُ وَلكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي" (كورنثوس الثانية 3: 6).

فهذا يعني أن الله يقتل الإنسان العتيق بالناموس، إلا أنه يقيم الإنسان الجديد للحياة بالروح. لذا فالآية الواردة على لسان موسى في تثنية 32: 39 هي إشارة إنجيلية لعمل روح الله لتخليصنا حتى لا يخطفنا أحد من يده.

لو بحثنا في الكتاب المقدس للعثور على أمثلة أخرى عن الفكرة المتعلقة بالتوازي في اللغة العبرية، سنجد موضع آخر يوضح لنا معنى الآية "أنا أميت وأحيي".

"الرَّبُّ يُمِيتُ وَيُحْيِي. يُهْبِطُ إِلَى الْهَاوِيَةِ وَيُصْعِدُ" (صموئيل الأول 2: 6).

نجد هنا أن الجزء الأول من هذه الآية يُعاد ذكره ولكن بطريقة أخرى لشرح المعنى وتوضيحه. ففي ترجمة الملك جيمس الإنجليزية للكتاب المقدس توجد نقطتين رأسيتين بعد عبارة "الرب يميت ويحيي"، وذلك يخبرنا بأن ما سيأتي بعد هذه العلامة هو شرح لما تم التعبير عنه، أي أن عبارة "يُهْبِطُ إِلَى الْهَاوِيَةِ وَيُصْعِدُ" هي شرح وتوضيح لعبارة "الرَّبُّ يُمِيتُ وَيُحْيِي".

إذن فهذا المصطلح يشير إلى قوة القيامة التي توجد في شخص المسيح الذي هو القيامة والحياة وليس صانع الموت ومنشئه. وهذه الآية هي جزء من تسبحة الفرح والابتهاج التي نطقت بها حنّة عندما استجاب الرب لطلبتها وأعطاها سؤل قلبها، إذ نقرأ:

"الرَّبُّ يُفْقِرُ وَيُغْنِي. يَضَعُ وَيَرْفَعُ. يُقِيمُ الْمِسْكِينَ مِنَ التُّرَابِ. يَرْفَعُ الْفَقِيرَ مِنَ الْمَزْبَلَةِ لِلْجُلُوسِ مَعَ الشُّرَفَاءِ وَيُمَلِّكُهُمْ كُرْسِيَّ الْمَجْدِ. لأَنَّ لِلرَّبِّ أَعْمِدَةَ الأَرْضِ، وَقَدْ وَضَعَ عَلَيْهَا الْمَسْكُونَةَ" (صموئيل الأول 2: 7 و8).

ففي كل مرة نجد أن سياق الفعل الأول يتبعه الفعل الثاني. كانت حنّة في حالة شديدة من الحزن والألم بسبب عدم قدرتها على الإنجاب وتعرضها للسخرية والتهكم من قبل الزوجة الأخرى التي كانت تنجب أبناءًا. لقد قضى هذا الاختبار على طبيعتها القديمة، ولكن بما أنها وثقت بالرب وباركها الرب بالابن الموعود به، فقد أحياها الرب ثانيةً. لقد كانت من ضمن أولئك الذين يقول عنهم الكتاب أنهم مساكين بالروح، إلا أنها أصبحت الآن غنية. وأيوب يتحدث أيضًا عن هذا إذ يقول:

"إِنْ **مَاتَ** رَجُلٌ **أَفَيَحْيَا؟** كُلَّ أَيَّامِ جِهَادِي أَصْبِرُ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ بَدَلِي" (أيوب 14: 14).

يتحدث أيوب عن القيامة مستخدمًا نفس الكلمتين العبريتين الواردتين في تثنية 32: 39. وعندما جاء نعمان السرياني إلى ملك إسرائيل طالبًا الشفاء، اقتبس الملك هذا التعبير الوارد في تثنية 32: 30.

"فَلَمَّا قَرَأَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ مَزَّقَ ثِيَابَهُ وَقَالَ: **هَلْ أَنَا اللهُ لِكَيْ أُمِيتَ وَأُحْيِيَ،** حَتَّى إِنَّ هذَا يُرْسِلُ إِلَيَّ أَنْ أَشْفِيَ رَجُلًا مِنْ بَرَصِهِ؟ فَاعْلَمُوا وَانْظُرُوا أَنَّهُ إِنَّمَا يَتَعَرَّضُ لِي" (ملوك الثاني 5: 7).

لقد كان نعمان محكومًا عليه بالموت بسبب البرص الذي كان مصابًا به. فعندما بعث إلى ملك إسرائيل طالبًا منه الشفاء صرخ الملك مندهشًا وقال: "هل يظن هذا الرجل أنني أستطيع إقامة الناس من الموت؟"

ولذلك فعندما نطبق المبادئ المتعلقة بقراءة العهد القديم من خلال عيني الرب يسوع ونطبق القواعد التي وضعها وليام ميلر في البحث في الكتاب المقدس للتعرف على المواضع الأخرى التي ذكرت فيها العبارة أو الآية، فحينئذ سيكشف لنا الكتاب المقدس عن معنى هذه العبارة أو الآية. عندما كتب موسى وقال: "أنا أميت وأحيي"، فالسيد المسيح كان يقول لموسى أنه هو القيامة والحياة! يوجد في العهد الجديد إعلانًا لنفس الإنجيل. عندما نتعرف على هذه الحقيقة، فلا يمكن لأي شيء أن يخطفنا من يدي أبينا الذي في السماء. فهل هذه هي الطريقة التي تقرأ بها هذا النص؟ أم أنك ما زلت تقرأه وكأن الله يقول: "أميت بعض الناس وأحيي آخرين"؟ كيف تقرأ؟

"اُنْظُرْ. قَدْ جَعَلْتُ الْيَوْمَ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْخَيْرَ، وَالْمَوْتَ وَالشَّرَّ" (تثنية 30: 15).

كما هو رائع أن تعلم أن الرب يسوع هو الحياة الأبدية. وهو واهب الحياة وهو الشافي، وكما نعلم فهو بهاء مجد الآب ورسم جوهره. والآب ليست فيه ظلمة أو موتًا. وقد أعلن لنا المسيح عن هذا وهو على الأرض لأنه لم يقتل أحدًا البتة وقد حفظ وصايا أبيه. فمن تعبد إذن؟

إذا كان الإله الذي تخدمه وتعبده توجد فيه روح الموت، فهو ليس إله يسوع المسيح المُعلن عنه في الإنجيل. فالشيطان فيه الموت والشر، والمسيح فيه الحياة والخير. فاختاروا لأنفسكم اليوم من تعبدون.

"اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ" (يوحنا 14: 9).

مَنْ تعبد؟ الأمر متروك لك تمامًا.

15. وصايا أبي

إن سفر المزامير يتحدث إلينا عن محبة المسيح لوصايا أبيه. فقبل أن يأتي المخلص إلى الأرض قال:

"حِينَئِذٍ قُلْتُ: هأَنَذَا جِئْتُ. بِدَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي: أَنْ أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلهِي سُرِرْتُ، وَشَرِيعَتُكَ فِي وَسَطِ أَحْشَائِي" (مزمور 40: 7 و8).

يقدم لنا ابن الله إعلانًا إلهيًا واضحًا عن شريعة أبيه. ونقدر عن طريق رؤية محبته للوصايا ومثاله اليومي حينما كان يوجد على الأرض أن نكتشف شكل الشريعة بطريقة حية وواضحة. علاوة على ذلك، فإن حياة الرب يسوع ليست مجرد إعلانًا واضحًا عن شريعة أبيه، بل هي حياته التي تسكن في قلوب كل من يخدمونه.

"شَرِيعَةُ الْحَكِيمِ يَنْبُوعُ حَيَاةٍ لِلْحَيَدَانِ عَنْ أَشْرَاكِ الْمَوْتِ" (أمثال 13: 14).

يسوع هو حكمة الله (كورنثوس الأولى 1: 24) ورأس الحكمة مخافته وتوقيره ومحبة أبيه ووصاياه.

"بَدْءُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ، وَمَعْرِفَةُ الْقُدُّوسِ فَهْمٌ" (أمثال 9: 10).

"فَلْنَسْمَعْ خِتَامَ الأَمْرِ كُلِّهِ: اتَّقِ اللهَ وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ، لأَنَّ هذَا هُوَ الإِنْسَانُ كُلُّهُ" (جامعة 12: 13).

الطريقة الوحيدة التي نستطيع بها مخافة الله أو توقيره وحفظ وصاياه هي أن يسكن روح ابن الله فينا. فهو الينبوع الذي يرتوي منه جميع الذين يحفظون وصايا الآب. وكل الذين لديهم إيمان في المسيح يقبلون حفظ وصاياه بالروح. فلا يمكن حفظ وصايا الله وناموسه بدون روح المسيح.

"وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ اللهِ بِدُونِ النَّامُوسِ، مَشْهُودًا لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ، بِرُّ اللهِ بِالإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. لأَنَّهُ لاَ فَرْقَ" (رومية 3: 21 و22).

يخبرنا الرسول بولس أن بر الله قد ظهر في يسوع المسيح، وأنه قد أُعطي لنا مجانًا دون الحاجة إلى استرضاء الله بأعمالنا وجهودنا. لقد أُعطي لنا كل شيء بالإيمان.

"إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، **آمَنَّا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لاَ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ.** لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لاَ يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا" (غلاطية 2: 16).

عندما نقبل أن يسوع هو حقًا ابن الله ونؤمن بهذا الاسم، فإننا نقبل إيمانه بالآب وكل حفظه للناموس. يا لها من عطية رائعة ننالها في المسيح**!** فحفظ الناموس متاح لنا مجانًا من خلال عطية الروح القدس.

"وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ. **ضِدَّ أَمْثَالِ هذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ**" (غلاطية 5: 22 و23).

نقرأ بوحي من روح المسيح في سفر المزامير كيف يتحدث ابن الله عن ناموس الله.

"طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرَارِ، وَفِي طَرِيقِ الْخُطَاةِ لَمْ يَقِفْ، وَفِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ. **لكِنْ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ، وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَارًا وَلَيْلًا. فَيَكُونُ كَشَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عِنْدَ مَجَارِي الْمِيَاهِ،** الَّتِي تُعْطِي ثَمَرَهَا فِي أَوَانِهِ، وَوَرَقُهَا لاَ يَذْبُلُ. وَكُلُّ مَا يَصْنَعُهُ يَنْجَحُ" (مزمور 1: 1 – 3).

فالناموس بروح المسيح هو ينبوع قدير من الماء الحي. وهذا هو ما نفهمه من الماء الذي خرج من الصخرة التي ضُربت.

"هَا أَنَا أَقِفُ أَمَامَكَ هُنَاكَ عَلَى الصَّخْرَةِ فِي حُورِيبَ، فَتَضْرِبُ الصَّخْرَةَ فَيَخْرُجُ مِنْهَا مَاءٌ لِيَشْرَبَ الشَّعْبُ. فَفَعَلَ مُوسَى هكَذَا أَمَامَ عُيُونِ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ" (خروج 17: 6).

حوريب هو نفس المكان الذي يوجد فيه جبل سيناء. ولذلك فالماء كان يتدفق من نفس المكان الذي أُعطي فيه الناموس. إذن فالناموس في المسيح ليس حرفًا ميتًا بل حقيقة حية. وعندما نقبل المسيح فإننا نقبل شريعته ونحبها ونلهج فيها اليوم كله:

"كَمْ أَحْبَبْتُ شَرِيعَتَكَ! الْيَوْمَ كُلَّهُ هِيَ لَهَجِي" (مزمور 119: 97).

هذه النص مأخوذ من أطول أصحاح في الكتاب المقدس، وهو أصحاح يتحدث كله عن مدى عظمة شريعة الرب وروعتها. والحقيقة البسيطة هي أن شريعة الله هي نسخة طبق الأصل من شخصيته وصفاته، وابن الله يحب الشريعة لأنه يحب أبيه. عندما نقارن صفات الشريعة وصفات شخصية الله سنجد أنها متطابقة تمامًا.

شخصية الله وصفاته		**شريعة الله**	
1. روحيةٌ	يوحنا 4: 24	1. روحيةٌ	رومية 7: 14
2. محبةٌ	يوحنا الأولى 4: 8	2. محبةٌ	متى 22: 37 – 40
3. حقٌ	يوحنا 14: 6	3. حقٌ	مزمور 119: 142
4. بارةٌ ومستقيمة	1 كور 1: 30	4. بارةٌ ومستقيمة	مزمور 119: 144 و172
5. مقدسة	إشعياء 6: 3	5. مقدسة	رومية 7: 12

6. كاملةٌ	متى 5: 48	6. كاملةٌ	مزمور 19: 7
7. صالحةٌ	لوقا 18: 19	7. صالحةٌ	رومية 7: 12
8. عادلةٌ	تثنية 32: 4	8. عادلةٌ	رومية 7: 12
9. طاهرةٌ ونقيةٌ	يوحنا الأولى 3: 3	9. طاهرةٌ ونقيةٌ	مزمور 19: 8
10. ثابتة لا تتغير	يعقوب 1: 17	10. ثابتة لا تتغير	متى 5: 18
11. تثبت إلى الأبد	مزمور 90: 2	11. تثبت إلى الأبد	مزمور 111: 7و8
12. الطريق	يوحنا 14: 6	12. الطريق	ملاخي 2: 7-9
13. عظيمةٌ	مزمور 48: 1	13. عظيمةٌ	هوشع 8: 12
14. تطهر وتنقي	متى 8: 3 مزمور 57: 2	14. تطهر وتنقي	حزقيال 22: 26

وإذ ندرس الوصايا ونفحصها نكتشف أنها تتمحور حول الحفاظ على العلاقات – علاقتنا مع الله وعلاقتنا مع بعضنا البعض.

مقارنة بين وصايا الله وصفاته من منظور علائقي	
1. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ ... مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي.	فهو الفادي، والمخلص، والإله الواحد الأحد، ويحب العلاقات
2. لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا.	لا يمكن أن تكن لك علاقة بالخشب أو الحجر أو الأفكار الكاذبة.
3. لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلًا	أي أن الله يحب الأمانة والاستقامة والشفافية وأيضًا العلاقات.
4. أُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ ... لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا.	أي أن الله هو الخالق ومصدر الحياة ويحب العلاقات.
5. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ	أي أن الله يضع تركيزًا على العائلة والعلاقات. تركيز أبوي
6. لا تقتل.	الحياة غالية وثمينة، والعلاقات تستمر إلى الأبد، وأنا هو مصدر الحياة.
7. لا تزن	العلاقات الحميمة الشرعية تستمر إلى الأبد
8. لا تسرق	تركيز روحي / علائقي وليس مادي
9. لا تكذب	أي أن الله يحب الأمانة والاستقامة والشفافية وأيضًا العلاقات.

10. لا تشته	أي أن الله هو الخالق ومصدر الحياة ويحب العلاقات.

1. تخبرنا الوصية الأولى أن الله أخرج شعب إسرائيل من أرض مصر من بيت العبودية، وهذا يعني أن هذا الإله هو الفادي والمخلص. وعندما يطلب مني هذا الإله ألا يكن لي آلهة أخرى أمامه، فهذا يعني أنه يريد علاقة وثيقة معي.

2. والوصية الثانية تخبرني أن الله يريد علاقة قلبية متبادلة، فعبادة الأوثان أو الأصنام ليست عبادة قلبية متبادلة، كما أنها ليست عبادة روحية، بمعنى ارتباط أو اتحاد الروح بالروح والعقل بالعقل. وعبادة الأوثان أو الأصنام هي تشييء، أي أنها صلة أو علاقة مع شيء لا توجد فيه حياة أو فكرة ليست صحيحة.

3. والوصية الثالثة تخبرني أن الله يحب الشفافية في علاقاته. فإذا دخلنا في علاقة معه، فهو لا يريد منا التصنُّع في هذه العلاقة مما يجعلها باطلة أو عديمة النفع والفائدة.

4. أما الوصية الرابعة فهي وصية خاصة جدًا لأنها تخبرنا أن الله هو نبع الحياة، وأنه خالق كل الأشياء. وهذه الوصية لها تأثير كبير جدًا على فهمنا وإدراكنا له وتؤثر بشكل كبير على طريقة تعاملنا معه. ومن المهم ملاحظة أن وصية السبت تحتوي على أكبر عدد من الكلمات من بين جميع الوصايا.

5. والوصية الخامسة هي وصية خاصة أيضًا لأنها تخبرنا كيف أن حياة الله تتدفق عبر القنوات الأرضية. وهذه الوصية تعدنا بطول العمر إذا أكرمنا والدينا. وهي تبين لنا على وجه التحديد أن أبانا وأمنا يكشفان لنا شيئًا خاصًا جدًا عن الله، وأنه عندما نكرمهما، فإننا نكرمه هو أيضًا.

6. والوصية السادسة تخبرنا أن الحياة في نظر الله غالية وثمينة، كما أنها تخبرنا أن الله يريد استمرار العلاقات إلى الأبد.

7. والوصية السابعة تخبرنا أن بعض العلاقات خطرة، وهذه الوصية هي أيضًا انعكاس للوصية الأولى التي تنهينا عن عبادة آلهة أخرى. وهي تذكرنا بأن الله هو مصدر حياتنا.

8. والوصية الثامنة تخبرنا أن الله سيملأ احتياجاتنا، وأنه سيهتم ويعتني بنا. كما أنها تخبرنا أن الله لا يركز على الأشياء بل على العلاقات.

9. والوصية التاسعة هي انعكاس للوصية الثالثة، فالله يريد الشفافية والأمانة والاستقامة في العلاقات. فالشهادة الزور تدمر هوية الشخص الموجّهة ضده الشهادة والشاهد أيضًا، كما أنها تدمر التواصل بين الناس.

10. والوصية العاشرة تذكرنا بأن الله هو ينبوع الحياة. وأنه لن يعوزنا شيء عندما نؤمن بهذا. كما أنها تخبرنا مرة أخرى عن فكر الله العلائقي / الروحي. الوصايا 5 – 9 يمكن رؤيتها ولمسها، أما هذه الوصية فهي مسألة تخص القلب لا يمكن رؤيتها. لذا فإن هذه الوصية مهمة لفهم طبيعة ملكوت الله.

فباختصار تخبرنا الوصايا العشر أن الله:

1. هو نبع الحياة
2. هو الخالق
3. هو الفادي
4. وأنه يريد علاقات قلبية متبادلة حقيقية
5. وهو يهتم ويعتني بنا كأب ويملأ كل احتياجتنا

في رسالته الأولى يخبرنا يوحنا الرسول أن الله محبة، وأن الناموس باعتباره انعكاس لشخصيته وصفاته هو أيضًا محبة.

> "مَنْ قَالَ: «قَدْ عَرَفْتُهُ» وَهُوَ لاَ يَحْفَظُ وَصَايَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ وَلَيْسَ الْحَقُّ فِيهِ. وَأَمَّا مَنْ حَفِظَ كَلِمَتَهُ، فَحَقًّا فِي هذَا قَدْ تَكَمَّلَتْ مَحَبَّةُ اللهِ. بِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا فِيهِ" (يوحنا الأولى 2: 4 و5).

وقد عبّر الرب يسوع عن هذا على النحو التالي:

> "كَمَا أَحَبَّنِي الآبُ كَذلِكَ أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا. اُثْبُتُوا فِي مَحَبَّتِي. **إِنْ حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ تَثْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي، كَمَا أَنِّي أَنَا قَدْ حَفِظْتُ وَصَايَا أَبِي وَأَثْبُتُ فِي مَحَبَّتِهِ.** كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِكَيْ

يَثْبُتَ فَرَحِي فِيكُمْ وَيُكْمَلَ فَرَحُكُمْ. **هذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ"** (يوحنا 15: 9 – 12).

والرب يسوع:

- ليس لديه أي آلهة أخرى أمام أبيه لأنه يحب أبيه
- لا يعبد أو يسجد لآلهة باطلة ولا يصنع صورًا لأنه يحب أبيه
- لا ينطق باسمه أو بصفاته باطلاً لأنه يعكس بصورة تامة شخصية أبيه وصفاته
- يُسرُّ بحفظ السبت والشركة مع أبيه فيه
- يكرم أبيه
- لا يقتل لأنه القيامة والحياة
- لا يزنِ لأنه لا يطلب أية علاقات غير شرعية له
- لا يسرق لأنه يثق في الميراث المُعطى له بواسطة الآب
- لا يكذب أو يشهد بالزور لأن الكذب يدمر استقامة العلاقات
- لا يشته لأنه يتكل على تدبير أبيه

معظم الناس ليست لديهم أية مشكلة من جهة تسع من هذه الوصايا. المشكلة التي لدى الكثير من الناس هي مع الوصية السادسة التي تنهي عن القتل. فما الذي يمكننا فعله عندما نصادف قصصًا كقصة يشوع أثناء لقائه مع رئيس جند الرب؟

"وَحَدَثَ لَمَّا كَانَ يَشُوعُ عِنْدَ أَرِيحَا أَنَّهُ رَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ، وَإِذَا بِرَجُل وَاقِفٍ قُبَالَتَهُ، وَسَيْفُهُ مَسْلُولٌ بِيَدِهِ. فَسَارَ يَشُوعُ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: «هَلْ لَنَا أَنْتَ أَوْ لأَعدَائِنَا؟» فَقَالَ: «كَلاَّ، بَلْ أَنَا رَئِيسُ جُنْدِ الرَّبِّ. الآنَ أَتَيْتُ». فَسَقَطَ يَشُوعُ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ، وَقَالَ لَهُ: بِمَاذَا يُكَلِّمُ سَيِّدِي عَبْدَهُ؟" (يشوع 5: 13 و14).

عندما كان يشوع يقتل سكان كنعان، فالكثيرون يظنون أن ابن الله الذي سقط يشوع أمامه وسجد يشجع على هذه الأفعال ويقودها. وقصص أخرى كتدمير جيش الآشوريين الذي كان يحاصر أورشليم تُقدّم كدليل على أن ابن الله بالفعل يقتل الناس كي يحمي مختاريه ويصونهم.

"وَكَانَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ خَرَجَ وَضَرَبَ مِنْ جَيْشِ أَشُّورَ مِئَةَ أَلْفٍ وَخَمْسَةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا. وَلَمَّا بَكَّرُوا صَبَاحًا إِذَا هُمْ جَمِيعًا جُثَثٌ مَيْتَةٌ" (ملوك الثاني 19: 35).

سنتناول قصة الجيش الآشوري في فصل لاحق. الحقيقة التي أمامنا هي أنه عندما أتى الرب يسوع إلى الأرض وعاش بيننا، لم يقتل أحدًا على الإطلاق. لقد بدأنا هذه السلسلة بالتأكيد على أن حياة الرب يسوع المسيح على الأرض هي إعلانٌ تامٌ عن الآب، وهذا هو ما أكد عليه الرب يسوع عندما قال لفيلبس:

"قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟" (يوحنا 14: 9).

أخبر الرب يسوع فيلبس أنه يعلن شخصية الآب وصفاته بأكملها للتلاميذ. وقال الرب يسوع في إحدى صلواته:

"**أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَالَمِ.** كَانُوا لَكَ وَأَعْطَيْتَهُمْ لِي، وَقَدْ حَفِظُوا كَلاَمَكَ" (يوحنا 17: 6).

"الاسم" في الكتاب المقدس يعني "الصفة والشخصية". والرب يسوع في الآية السابقة يقول أنه أظهر هذه الشخصية والصفات للتلاميذ الذين أعطاهم له الآب من العالم.

"**أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ.** الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ" (يوحنا 17: 4).

يسوع هو بهاء مجد الآب ورسم جوهره (عبرانيين 1: 3) وقد أعلن هذا المجد أو الصفات حينما كان على الأرض. وهذا يعني أن حياة الرب يسوع على الأرض كانت إعلانًا تامًا وكاملاً للوصايا العشر التي تُعد صورة طبق الأصل من شخصية الله وصفاته. لم يقتل الرب يسوع أحدًا أثناء وجوده على الأرض، والدليل على ذلك قوله أنه حفظ وصايا أبيه. وهذا أقوى وأوضح دليل على أن الله لا يقتل الناس. وقد كُتِب ذلك في شريعته وأعلنه ابنه بكل وضوح وهو على الأرض.

وهذه الحقيقة تتطلب منا أن نحب أعدائنا محبة حقيقية. فإذا كان هناك أشخاص يعتبرهم الله أشرارًا جدًا لدرجة أنه ينبغي أن يقتلهم، فإن هذا يعطي الفرصة للبشر لأن يحكموا بأنفسهم على الأشخاص الذين يرون أنهم يستحقون الموت. وهذا يلغي تمامًا الحاجة لأن نحب أعدائنا. إذ أننا ببساطة نستطيع أن ندينهم ونتهمهم بكونهم أشخاص أشرار سيُهلِكهم الله، أو عندما تقتضي الضرورة سيأمر "خدامه"

ليعملوا كوكلاء لله ويتولوا هم مسؤولية القتل والإهلاك. لذلك فإن الاعتقاد بأن الله يقتل الناس هو نفس الآلية التي يستخدمها البشر لتجنب الحاجة لأن يحبوا أعدائهم. لقد أوضح الرب يسوع أن ناموس الله يريد منا أن نحب الله ونحب جميع الناس.

"وَإِذَا نَامُوسِيٌّ قَامَ يُجَرِّبُهُ قَائِلًا: «يَا مُعَلِّمُ، مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟» فَقَالَ لَهُ: «مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي النَّامُوسِ. كَيْفَ تَقْرَأُ؟» فَأَجَابَ وَقَالَ: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ». فَقَالَ لَهُ: «بِالصَّوَابِ أَجَبْتَ. اِفْعَلْ هذَا فَتَحْيَا». وَأَمَّا هُوَ فَإِذْ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّرَ نَفْسَهُ، قَالَ لِيَسُوعَ: «وَمَنْ هُوَ قَرِيبِي؟»" (لوقا 10: 25 – 29).

عندما بكّت روح الله الناموسي وأدرك أنه بحاجة لأن يحب جميع القريبين منه بما في ذلك أولئك الذين كان يكرههم في ذلك الحين، فقد فعل ما يفعله معظم الناس وهو محاولة إعادة تعريف معنى الكلمات الرئيسية. فالكلمة التي طلب من الرب يسوع أن يوضحها له هي كلمة "قريبي". وبنفس الطريقة يسعى كثير من الناس، في محاولة منهم لتجنب تبكيت الوصية السادسة (التي تنهي عن القتل)، لإعادة تعريف كلمة "القتل". فعلى الرغم من أن الرب يسوع حدد لنا معنى الكلمة من خلال حياته الأرضية، إلا أنه لا تزال هناك محاولات لتغيير القصد من هذه الوصية. تعكس الفقرة التالية فهمًا شائعًا:

"هناك كلمتان عبرانيتان مختلفتان ألا وهما "راستاخ" و"موت"، وكلمتان يونانيتان ألا وهما "فونيو" و"أبوكتينو" تشيران إلى "يقتل أو قتل" أو "يُميت أو إماتة". إحداهما تعني "يميت أو إماتة" والأخرى تعني "يقتل أو قتل". **فالقتل عن سبق إصرار وتصميم هو الذي تنهي عنه الوصايا العشر، وليس "الإماتة".** فكلمة "راستاخ" في الواقع لها معنى أوسع من كلمة "يقتل أو قتل". وكلمة "راستاخ" تغطي أيضًا حالات الموت الناجمة عن الإهمال والتقصير، **لكنها لا تستخدم مطلقًا لوصف القتل أثناء الحرب. ولهذا السبب فمعظم الترجمات الحديثة للكتاب المقدس تترجم الوصية السادسة بهذا الشكل: "لا تقتل عمدًا عن قصد وعن سابق تصور وتصميم" بدلاً من ترجمتها "لا تقتل".** ومع ذلك، يمكن أن تنشأ مشكلة كبيرة جدًا حسب الترجمة التي يقرأها المرء. فترجمة الملك جيمس المشهورة تترجم هذه الآية "لا تقتل" وبذلك فإنها تفتح الباب على مصراعيه لإساءة فهم الآية تمامًا. **فإذا كان**

المعنى المقصود من وصية "لا تقتل" هو بالفعل عدم القتل، فهذا سيجعل كل الأحداث التي قامت بها أمة أسرائيل وإراقة الدماء التي كان يؤيدها الله انتهاكًا صريحًا لوصية الله (تثنية 20). لكن الله لا يخالف وصاياه أو يكسرها، **ولذلك فمن الواضح أن هذه الآية لا تدعو للامتناع التام عن قتل نفس بشرية أخرى"** (موقع GotQuestions).

تكشف لنا الدراسة الدقيقة لكلمة الله أن هذه الحجة خاطئة وباطلة. أولاً، يعترف الكاتب في شرح الفقرة السابقة أن كلمة "راتساخ" المترجمة "لا تقتل" في نسخة الملك جيمس، لا تعني القتل العمدي فحسب بل تعني أيضًا الموت العرضي الذي نطلق عليه القتل غير المتعمد. هذا ليس قتلاً متعمدًا.

"وَلكِنْ إِنْ دَفَعَهُ بَغْتَةً بِلاَ عَدَاوَةٍ، أَوْ أَلْقَى عَلَيْهِ أَدَاةً مَا بِلاَ تَعَمُّدٍ، أَوْ حَجَرًا مَا مِمَّا يُقْتَلُ بِهِ بِلاَ رُؤْيَةٍ. أَسْقَطَهُ عَلَيْهِ فَمَاتَ، وَهُوَ لَيْسَ عَدُوًّا لَهُ وَلاَ طَالِبًا أَذِيَّتَهُ، تَقْضِي الْجَمَاعَةُ بَيْنَ الْقَاتِلِ وَبَيْنَ وَلِيِّ الدَّمِ، حَسَبَ هذِهِ الأَحْكَامِ. وَتُنْقِذُ الْجَمَاعَةُ الْقَاتِلَ (H7523 راستاخ) مِنْ يَدِ وَلِيِّ الدَّمِ، وَتَرُدُّهُ الْجَمَاعَةُ إِلَى مَدِينَةِ مَلْجَئِهِ الَّتِي هَرَبَ إِلَيْهَا، فَيُقِيمُ هُنَاكَ إِلَى مَوْتِ الْكَاهِنِ الْعَظِيمِ الَّذِي مُسِحَ بِالدُّهْنِ الْمُقَدَّسِ" (سفر العدد 35: 22 – 25).

"لِكَيْ يَهْرُبَ إِلَيْهَا الْقَاتِلُ (H7523 راستاخ) الَّذِي يَقْتُلُ صَاحِبَهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَهُوَ غَيْرُ مُبْغِضٍ لَهُ مُنْذُ أَمْسِ وَمَا قَبْلَهُ. يَهْرُبُ إِلَى إِحْدَى تِلْكَ الْمُدُنِ فَيَحْيَا" (تثنية 4: 42).

ثانيًا، أمر الله أن يواجه الناس الذين يرتكبون "راستاخ" أو القتل المتعمد نفس الشيء.

"كُلُّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا فَعَلَى فَمِ شُهُودٍ يُقْتَلُ (H7523 راستاخ) الْقَاتِلُ (H7523 راستاخ). وَشَاهِدٌ وَاحِدٌ لاَ يَشْهَدْ عَلَى نَفْسٍ لِلْمَوْتِ" (سفر العدد 35: 30).

كيف يمكن لله أن يأمر بأشياء تنهي عنها الوصايا العشر وتحرمها؟ باختصار، يستطيع الله أن يأمر بأي نوع من أنواع الموت في الكتاب المقدس لأنه يحاول أن يثّبت حكم الموت كي يمنح رحمةً، وليس ليقتل الناس. تناولنا هذه النقطة في الفصل التاسع "الناموس كمرآة".

وثالثًا، فكلمة "موت" في الكتاب المقدس تُستخدم أيضًا لوصف القتل العمدي وحالات الاغتيال. فشاول كانت لديه رغبة غير شرعية أن يقتل داود عمدًا.

"وَكَلَّمَ شَاوُلُ يُونَاثَانَ ابْنَهُ وَجَمِيعَ عَبِيدِهِ أَنْ يَقْتُلُوا (H4191 موت) دَاوُدَ. وَأَمَّا يُونَاثَانُ بْنُ شَاوُلَ فَسُرَّ بِدَاوُدَ جِدًّا. فَأَخْبَرَ يُونَاثَانُ دَاوُدَ قَائِلًا: شَاوُلُ أَبِي مُلْتَمِسٌ قَتْلَكَ، وَالآنَ فَاحْتَفِظْ عَلَى نَفْسِكَ إِلَى الصَّبَاحِ، وَأَقِمْ فِي خُفْيَةٍ وَاخْتَبِئْ" (صموئيل الأول 19: 1 و2).

أمر شاول بالقتل غير الشرعي للكهنة:

"وَقَالَ الْمَلِكُ لِلسُّعَاةِ الْوَاقِفِينَ لَدَيْهِ: «دُورُوا وَاقْتُلُوا كَهَنَةَ الرَّبِّ، لأَنَّ يَدَهُمْ أَيْضًا مَعَ دَاوُدَ، وَلأَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّهُ هَارِبٌ وَلَمْ يُخْبِرُونِي». فَلَمْ يَرْضَ عَبِيدُ الْمَلِكِ أَنْ يَمُدُّوا أَيْدِيَهُمْ لِيَقَعُوا بِكَهَنَةِ الرَّبِّ. فَقَالَ الْمَلِكُ لِدُوَاغَ: «دُرْ أَنْتَ وَقَعْ بِالْكَهَنَةِ». فَدَارَ دُوَاغُ الأَدُومِيُّ وَوَقَعَ هُوَ بِالْكَهَنَةِ، وَقَتَلَ (H4191 موت) فِي ذلِكَ الْيَوْمِ خَمْسَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا لاَبِسِي أَفُودِ كَتَّانٍ" (صموئيل الأول 22: 17 و18).

اغتيال مَفِيبُوشَث:

"فَعِنْدَ دُخُولِهِمَا الْبَيْتَ كَانَ هُوَ مُضْطَجِعًا عَلَى سَرِيرِهِ فِي مِخْدَعِ نَوْمِهِ، فَضَرَبَاهُ وَقَتَلاَهُ (H4191 موت) وَقَطَعَا رَأْسَهُ، وَأَخَذَا رَأْسَهُ وَسَارَا فِي طَرِيقِ الْعَرَبَةِ اللَّيْلَ كُلَّهُ" (صموئيل الثاني 4: 7).

أبشالوم يأمر بالقتل غير الشرعي لأخيه غير الشقيق أمنون:

"فَأَوْصَى أَبْشَالُومُ غِلْمَانَهُ قَائِلًا: انْظُرُوا. مَتَى طَابَ قَلْبُ أَمْنُونَ بِالْخَمْرِ وَقُلْتُ لَكُمُ اضْرِبُوا أَمْنُونَ فَاقْتُلُوهُ (H4191 موت). لاَ تَخَافُوا. أَلَيْسَ أَنِّي أَنَا أَمَرْتُكُمْ؟ فَتَشَدَّدُوا وَكُونُوا ذَوِي بَأْسٍ" (صموئيل الثاني 13: 28).

أبادت عَتَلْيَا كل أفراد النسل الملكي إلا يُوآش:

"فَأَخَذَتْ يَهُوشَبَعُ بِنْتُ الْمَلِكِ يُورَامَ، أُخْتُ أَخَزْيَا، يُوآشَ بْنَ أَخَزْيَا وَسَرِقَتْهُ مِنْ وَسَطِ بَنِي الْمَلِكِ الَّذِينَ قُتِلُوا (H4191 موت)، هُوَ وَمُرْضِعَتَهُ مِنْ مُخْدَعِ السَّرِيرِ، وَخَبَّأُوهُ مِنْ وَجْهِ عَتَلْيَا فَلَمْ يُقْتَلْ" (ملوك الثاني 11: 2).

حالة اغتيال أخرى تُستخدم فيها كلمة "موت":

"فَفَتَنَ عَلَيْهِ فَقْحُ بْنُ رَمَلْيَا ثَالِثُهُ، وَضَرَبَهُ (H5221 نخع) فِي السَّامِرَةِ فِي قَصْرِ بَيْتِ الْمَلِكِ مَعَ أَرْجُوبَ وَمَعَ أَرْيَةَ وَمَعَهُ خَمْسُونَ رَجُلًا مِنْ بَنِي الْجِلْعَادِيِّينَ. فَقَتَلَهُ (H4191 موت) وَمَلَكَ عِوَضًا عَنْهُ" (ملوك الثاني 15: 25).

"فثار عليه فقح بن رمليا، أحد قواده مع خمسين جنديًا من الجلعاديين، واغتاله (H5221) في السامرة في عقر قصره، كما اغتال (H5221) معه أرجوب وأرية، وخلفه على الملك" (ملوك الثاني 15: 25 – الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة).

إذا كانت كلمة "موت" تُستخدم فقط لقتل الشخص قتلاً شرعيًا عادلاً، فهل يمكن للشرير أن يقتل إنسانًا أيضًا بشكل شرعي وعادل؟ الكتاب المقدس لا يقول ذلك إذ نقرأ:

"الشِّرِّيرُ يُرَاقِبُ الصِّدِّيقَ مُحَاوِلًا أَنْ يُمِيتَهُ (H4191 موت)" (مزمور 37: 32).

"مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ (الشرير) لَمْ يَذْكُرْ أَنْ يَصْنَعَ رَحْمَةً، بَلْ طَرَدَ إِنْسَانًا مِسْكِينًا وَفَقِيرًا وَالْمُنْسَحِقَ الْقَلْبِ لِيُمِيتَه (H4191 موت). وَأَحَبَّ اللَّعْنَةَ فَأَتَتْهُ، وَلَمْ يُسَرَّ بِالْبَرَكَةِ فَتَبَاعَدَتْ عَنْهُ" (مزمور 109: 16 و17).

فكلمة "موت" إذن يمكن أن تستخدم لتعني القتل العمدي والاغتيال، وكلمة "راستاخ" يمكن أن تُستخدم للإشارة إلى الموت العرضي غير المتعمد. وهذا يثبت خطأ الإدعاء القائل بأن كلمة "موت" هي إشارة للقتل الشرعي العادل فقط وكلمة "راستاخ" لجريمة القتل العمدي والاغتيال.

وأخيرًا فبغض النظر عن الطريقة التي نعرّف بها الكلمة، فإن القتل العمدي والقتل الشرعي كليهما يستخدمان قوة قاتلة ومميتة. فهل استخدام القوة جزء من ملكوت الله؟ لقد أوضح الرب يسوع في عظته على الجبل وفي كل أعماله أثناء حياته على الأرض أنه لا يستخدم قوى القتل والموت.

"وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا" (متى 5: 39).

أي إجابة يمكن أن تعطى للشخص الذي يقول للرب: "لقد تبعت مثالك الذي تركته في العهد القديم عندما قتلت هذا الإنسان الشرير". فهل سيقال لهذا الشخص: "لقد تبعت المثال الخاطئ، فهذا الجزء من الكتاب المقدس غير مطلوب منك أن تتبعه". أيمكنك أن ترى أن ذلك يصعّب الأمور ويعقّدها

للغاية؟ لقد حان الوقت أن نتخلص من هذه البدعة، وأن نؤمن بالحق الذي تعلنه كلمة الله لنا – فوصية لا تقتل تعني بالفعل لا تقتل.

"لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ" (خروج 20: 5).

الأشرار سيموتون بالفعل، إذ أنهم سيُعاقبون بأعمالهم. وذلك سيحدث كما أشرنا سابقًا بسبب سماحهم للشيطان بالدخول لحياتهم للدرجة التي يتمكن فيها من إهلاكهم، أو من خلال الكوارث الطبيعية وذلك عندما تعكس الأرض شر البشر وتمردهم وتهلكهم.

كم هو رائع أن نعلم أن أبانا الذي في السماء يشبه يسوع تمامًا عندما كان على الأرض! ويا له من شيء سار ومفرح أن ندرك أن الرب يسوع قد بيّن لنا المعنى الكامل للوصايا العشر في حقيقتها العملية، بما في ذلك المعنى المتعلق باتباع وصية "لا تقتل". لم يقتل الرب يسوع أي شخص على الإطلاق، ومثاله هذا هو الطريقة الوحيدة الممكنة التي ستساعدنا أن نتعلم كيف نحب أعدائنا محبة حقيقية كما علمنا هو.

16. الغني ولعازر في المرآة

يظن غالبية المسيحيين أن مَثَل الغني ولعازر برهانًا أكيدًا على أن الله سيحرق الخطاة ويعذبهم في لهيب الجحيم. فالأوصاف الواردة في المَثَل تبدو واضحة، والرب يسوع بنفسه نطق به.

"فَمَاتَ الْمِسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ. وَمَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضًا وَدُفِنَ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الجَحِيمِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضْنِهِ، فَنَادَى وَقَالَ: يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، ارْحَمْنِي، وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيَبُلَّ طَرَفَ إِصْبِعِهِ بِمَاءٍ وَيُبَرِّدَ لِسَانِي، **لأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هذَا اللَّهِيبِ.** فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا ابْنِي، اذْكُرْ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ، وَكَذلِكَ لِعَازَرُ الْبَلاَيَا. وَالآنَ هُوَ يَتَعَزَّى وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ" (لوقا 16: 22 – 25).

عندما تُضاف هذه القصة إلى عدد من النصوص الأخرى في الكتاب المقدس، فالاستنتاج الأكيد الذي يصل إليه الكثير من الناس هو أن الله سيحرق الناس ويعذبهم في الجحيم وذلك حسب درجة الخطايا والذنوب التي ارتكبوها.

"وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ" (متى 10: 28).

"فَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يَدُكَ أَوْ رِجْلُكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْرَجَ أَوْ أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تُلْقَى فِي النَّارِ الأَبَدِيَّةِ وَلَكَ يَدَانِ أَوْ رِجْلاَنِ" (متى 10: 28).

"ثُمَّ يَقُولُ أَيْضًا لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ" (متى 25: 41).

"فَهُوَ أَيْضًا سَيَشْرَبُ مِنْ خَمْرِ غَضَبِ اللهِ، الْمَصْبُوبِ صِرْفًا فِي كَأْسِ غَضَبِهِ، وَيُعَذَّبُ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ أَمَامَ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ وَأَمَامَ الْخَرُوفِ. وَيَصْعَدُ دُخَانُ عَذَابِهِمْ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. وَلاَ تَكُونُ رَاحَةٌ نَهَارًا وَلَيْلًا لِلَّذِينَ يَسْجُدُونَ لِلْوَحْشِ وَلِصُورَتِهِ وَلِكُلِّ مَنْ يَقْبَلُ سِمَةَ اسْمِهِ" (رؤيا 14: 10 – 11).

الإنسان السامع فقط لكلمة الله سيقرأ هذه الآيات، ومن الطبيعي أن يستنتج أن الله سيعاقب الخطاة بألم وعذاب دائم لا يمكن وصفه. أما الشخص الذي يدرس الأناجيل بعناية ويواظب على التأمل في حياة الرب يسوع، ستتولد في ذهنه أسئلة كثيرة تشجعه على التعمق أكثر في دراسة الكتاب المقدس كي يفسر هذه النصوص ويفهمها بطريقة صحيحة.

أولئك الذين لديهم غضب في قلوبهم تجاه أي شخص أو يتمنون الأذى لغيرهم سيجدون كفايتهم في الآيات القليلة السابقة لتبرير روح الرغبة في القتل والانتقام التي توجد بداخلهم، لأن الله كما يظنون ينتقم من أعدائه. بالإضافة إلى ذلك، فإن أولئك الذين يدينون أنفسهم بقسوة ويشعرون بالاقتناع بأنهم يستوجبون الموت بسبب خطاياهم سيجدون أيضًا الكفاية في هذه النصوص. ولكن ينبغي لنا أن ندخل أكثر إلى العمق. فعوض عن قبول الناس لغفران خطاياهم ورؤيتهم لمحبة الله، فهذه الآيات يُعبَّر عنها بطريقة تبدو في ظاهرها أنها تدعم وتؤيد الاعتقاد الداخلي بأن الله هو إله صارم وقاس ومستبد. فهم يسلمون جسدهم حتى يحترق، ولكن ليس لهم محبة.

من أهم الأسباب التي تجعل غالبية الناس يقرؤون هذه النصوص ويفهموها على أساس أن الله يحب الانتقام ومعاقبة أعدائه هو الميل البشري لإلقاء اللوم على الآخرين أو التضحية بمن لا ذنب لهم. بدأت هذه الممارسة بآدم عندما ألقى باللوم على حواء لتبرير أكله من ثمرة الشجرة المحرَّمة. إن هذا الفعل الشرير يتمثل في محاولة وضع الذنب على شخص آخر من أجل جلب السلام والوئام لشخص ما أو لمجتمع ما في محنة أو أزمة. وهذا ما فعله رئيس الكهنة قيافا بالمسيح.

"وَلاَ تُفَكِّرُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلاَ تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا!" (يوحنا 11: 50).

لقد كان القادة الدينيون اليهود في محنة، فخطاياهم كانت تُكشَف وكانوا بحاجة لتحويل انتباه الناس إلى ممارسات المسيح وأفعاله "غير المشروعة"، ولذلك فقد قدموه على أنه في حالة حرب مع موسى وبالتالي فهو خاطئ يستوجب الموت. وفي أذهان الفريسيين الممتلئة غيرةً، صنع المسيح تكفيرًا وهميًا، ليس بحسب المعنى الإنجيلي له ولكن باستخدام بيلاطس المُذعِن والمُنصاع لهم لجعل المسيح كبش فداء لهم. لقد حاولوا إسكات صوت الضمير ليس بالخضوع والاستسلام بل بمحاولة التخلص من الشاهد الحي الذي كدّرهم وأزعجهم. إن صفات الغضب والكراهية التي كانوا يتحلون بها تجاه المسيح تقدست في أنفسهم فألقوها على الله وقدموا المسيح باعتباره مضروبًا ومخذولاً من الله وليس من الناس.

وعندما ينهض المسيحيون بغضب مقدس واضح، معلنين للعالم أن الله سيمحو تمرد الأشرار وعصيانهم بصيحات الغضب المقدس الانتصارية، فهناك احتمال حقيقي أن يشبه هذا الشكل من التكفير الشخصي ما فعله قيافا. أي أن الإنسان يجد تبريرًا ذاتيًا بإرضاء ذاته عندما يعتبر الآخرين أقل استحقاقًا منه، وأنهم يستوجبون العذاب والموت.

في حالة المسيح، كان هذا التكفير الذي قام به قادة اليهود موجهًا ضد إنسان بار وصالح. لقد كانت حالة مشابهة لحالة قايين وهابيل. فهابيل أزعج ضمير قايين، وتوسلاته من أجل قايين جعلت قايين يشعر بأنه إنسان خاطئ. فلكي يجد تكفيرًا شخصيًا ضحّى قايين بأخيه وقتله. وفي حالة المسيح، أسكت قادة اليهود صوت ذاك الذي كدّرهم وأزعج ضميرهم، كما قاموا أيضًا بقتل اللصّين اللذين اعتبروهما أقل استحقاقًا منهم.

والكثير من المسيحيين يجدون تكفيرًا باطلاً عندما يشعرون بالرضى والكفاية عندما يعلمون أن السارقين واللصوص والفاسدين منعدمي الأخلاق سيحترقون في الجحيم بينما ينعمون هم بالسماء ويتمتعون بها. وقد يستخدمون هذا المنطق الجسداني لإسكات صوت الضمير في حياة مؤمن آخر. وما يحدث في النهاية هو أن مفهوم التكفير أو الكفارة يصبح مشوشًا بين حَمْلْ المسيح الظاهري لذنوبهم وخطاياهم، والعقوبة التي ينالها الأشرار الذين يعتبرونهم مستحقين لها.

نعود الآن إلى قصتنا. النقطة الأولى التي يجب علينا ذكرها هي أن القراءة الكاملة لكلمة الله تظهر لنا أن الناس لا يكونوا في حالة وعي عندما يموتون.

"لأَنَّ الأَحْيَاءَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ سَيَمُوتُونَ، أَمَّا الْمَوْتَى فَلاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا، وَلَيْسَ لَهُمْ أَجْرٌ بَعْدُ لأَنَّ ذِكْرَهُمْ نُسِيَ" (جامعة 9: 5).

"لَيْسَ الأَمْوَاتُ يُسَبِّحُونَ الرَّبَّ، وَلاَ مَنْ يَنْحَدِرُ إِلَى أَرْضِ السُّكُوتِ" (مزمور 115: 17).

"قَدْ تَنْفَدُ الْمِيَاهُ مِنَ الْبَحْرَةِ، وَالنَّهْرُ يَنْشَفُ وَيَجِفُّ، وَالإِنْسَانُ يَضْطَجِعُ **وَلاَ يَقُومُ. لاَ يَسْتَيْقِظُونَ حَتَّى لاَ تَبْقَى السَّمَاوَاتُ، وَلاَ يَنْتَبِهُونَ مِنْ نَوْمِهِمِ**" (أيوب 14: 11 و12).

"وَلكِنْ سَيَأْتِي **كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ**، يَوْمُ الرَّبِّ، الَّذِي فِيهِ **تَزُولُ السَّمَاوَاتُ بِضَجِيجٍ**، وَتَنْحَلُّ الْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً، وَتَحْتَرِقُ الأَرْضُ وَالْمَصْنُوعَاتُ الَّتِي فِيهَا" (بطرس الثانية 3: 10).

"فَهُوَذَا يَأْتِي الْيَوْمُ الْمُتَّقِدُ كَالتَّنُّورِ، وَكُلُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَكُلُّ فَاعِلِي الشَّرِّ يَكُونُونَ قَشًّا، **وَيُحْرِقُهُمُ** الْيَوْمُ الآتِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ، فَلاَ يُبْقِي لَهُمْ أَصْلاً وَلاَ فَرْعًا. وَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ اسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ الْبِرِّ وَالشِّفَاءُ فِي أَجْنِحَتِهَا، فَتَخْرُجُونَ وَتَنْشَأُونَ كَعُجُولِ الصِّيرَةِ. وَتَدُوسُونَ الأَشْرَارَ **لأَنَّهُمْ يَكُونُونَ رَمَادًا تَحْتَ بُطُونِ أَقْدَامِكُمْ يَوْمَ أَفْعَلُ هذَا، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ**" (ملاخي 4: 1 – 3).

"لأَنَّهُ كَمَا شَرِبْتُمْ عَلَى جَبَلِ قُدْسِي، **يَشْرَبُ جَمِيعُ الأُمَمِ دَائِمًا، يَشْرَبُونَ وَيَجْرَعُونَ وَيَكُونُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا**" (عوبديا 1: 16).

"أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، يَسُوغُ أَنْ يُقَالَ لَكُمْ جِهَارًا عَنْ رَئِيسِ الآبَاءِ دَاوُدَ إِنَّهُ مَاتَ وَدُفِنَ، وَقَبْرُهُ عِنْدَنَا حَتَّى هذَا الْيَوْمِ ... لأَنَّ دَاوُدَ لَمْ يَصْعَدْ إِلَى السَّمَاوَاتِ. وَهُوَ نَفْسُهُ يَقُولُ: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ" (أعمال 2: 29 و34 و35).

"وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ" (رؤيا 21: 4).

يعلّم الكتاب المقدس أن البشر لا يذهبون إلى السماء أو إلى الجحيم عندما يموتون، لكنهم يظلون في القبر حتى لا تبقى السماوات وهو ما سيحدث عند مجيء السيد المسيح كما تخبرنا الآية في بطرس الثانية 3: 10. فكيف يمكن إذن أن يعلّم الرب يسوع قصة تبدو مناقضة لبقية الكتاب المقدس؟ من الواضح أن هذه القصة التي رواها الرب يسوع كانت اعتقاد شائع عند اليهود نظرًا لتأثرهم باليونانيين قبل ذلك بعدة قرون.

> أوضح "آلان جونسون" و"روبرت إي ويبر" أنه "من الأفضل ألا ترى هذه القصة على أنها تكشف تفاصيل الحياة بعد الموت، بل على أنها تعطي نظرة وتفسير مختلف للآراء الشائعة بخصوص ما سيحدث بعد الحياة" (إدوارد وليام فدج، النار التي تأكل، صفحة 149).

> "تحمل هذه القصة أصداء واضحة للروايات والأساطير الشعبية المشهورة، والتي يضفي عليها الرب يسوع نظرة وتفسير جديد ومذهل" (إن. تي. رايت، يسوع وغلبة الله، صفحة 255).

من المهم جدًا فهم هذا المبدأ. فالرب يسوع يستعمل قصص شعبية شائعة يؤمن الناس بها كي يعلّمهم حقائق هامة.

> يستنتج جيلدنهوس أن الرب يسوع "قال هذا المثل ليس ليُشبِع فضولنا بشأن الحياة بعد الموت ولكن ليؤكد بوضوح على الجدية الهائلة للحياة على الناحية الأخرى من القبر (أي جدية حياتنا الحالية)" (إدوارد ويليام فدج، النار التي تأكل، صفحة 149).

إن السيد المسيح كما ناقشنا في الفصل التاسع يستخدم مرآة ليعكس من خلالها تفكير الإنسان. وهو يفعل هذا جزئيًا كي يتحدث للبشر بطرق يفهمونها، ولكن ليختبر أيضًا ما في قلوبهم. فالإنسان المطيع لكلمة الله المنساق بواسطة الروح سوف يميّز المعنى الروحي لكلام الرب يسوع. أما الإنسان الذي في الجسد سيجد في ذلك تأكيدًا على أفكاره الخاصة. قال الرب يسوع لنيقوديموس:

"أَجَابَ نِيقُودِيمُوسُ وَقَالَ لَهُ: «كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هذَا؟» أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ مُعَلِّمُ إِسْرَائِيلَ وَلَسْتَ تَعْلَمُ هذَا! اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّنَا إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ بِمَا نَعْلَمُ وَنَشْهَدُ بِمَا رَأَيْنَا، وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَ شَهَادَتَنَا. إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمُ الأَرْضِيَّاتِ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ، فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ إِنْ قُلْتُ لَكُمُ السَّمَاوِيَّاتِ؟" (يوحنا 3: 9 – 12).

إن المرآة التي يستخدمها الرب يسوع في إنجيل يوحنا تزداد صعوبة فهمهما، فالشخص إما أن يعترف بأن تفكيره خاطئ ويقبل ذلك أو أن يترك الرب يسوع ويبتعد عنه.

النص	التعليق
"أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ». فَقَالَ الْيَهُودُ: «فِي سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هذَا الْهَيْكَلُ، أَفَأَنْتَ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ تُقِيمُهُ؟» وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ" (يوحنا 2: 19 – 21).	يتحدث الرب يسوع هنا عن جسده، الهيكل الحي، لكنهم ظنوا أنه يتحدث عن الهيكل المادي الموجود في المدينة.
"أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ». قَالَ لَهُ نِيقُودِيمُوسُ: كَيْفَ يُمْكِنُ الإِنْسَانَ أَنْ يُولَدَ وَهُوَ شَيْخٌ؟ أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنَ أُمِّهِ ثَانِيَةً وَيُولَدَ؟ (يوحنا 3: 3 و4).	يتحدث الرب يسوع هنا عن الولادة الروحية، أما نيقوديموس فيعتقد أنه يقصد الولادة الجسدية.
"أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هذَا الْمَاءِ يَعْطَشُ أَيْضًا. وَلكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ». قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «يَا سَيِّدُ أَعْطِنِي هذَا الْمَاءَ، لِكَيْ لاَ أَعْطَشَ وَلاَ آتِيَ إِلَى هُنَا لأَسْتَقِيَ»" (يوحنا 4: 13 – 15).	يتحدث الرب يسوع هنا عن الماء الروحي أما المرأة فتظن أنه يتحدث عن الماء الجسدي.

"فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ». فَمِنْ أَجْلِ هذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ قَالَ أَيْضًا إِنَّ اللهَ أَبُوهُ، مُعَادِلًا نَفْسَهُ بِاللهِ" (يوحنا 5: 17 و18).	يتحدث الرب يسوع هنا عن العمل الروحي أما اليهود فيظنون أنه يقصد العمل الجسدي. لقد كانوا يتمسكون عن قصد بمفاهيم خاطئة قادتهم لرفض الرب يسوع والرغبة في قتله.
"أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ». فَخَاصَمَ الْيَهُودُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَائِلِينَ: «كَيْفَ يَقْدِرُ هذَا أَنْ يُعْطِيَنَا جَسَدَهُ لِنَأْكُلَ؟» ... فَقَالَ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، إِذْ سَمِعُوا: «إِنَّ هذَا الْكَلاَمَ صَعْبٌ! مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَسْمَعَهُ؟» ... مِنْ هذَا الْوَقْتِ رَجَعَ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ إِلَى الْوَرَاءِ، وَلَمْ يَعُودُوا يَمْشُونَ مَعَهُ" (يوحنا 6: 51 و52 و60 و66).	يتحدث الرب يسوع هنا عن الخبز والشراب الروحي، إلا أن كثيرين من تلاميذه رجعوا إلى الوراء ورفضوه حسب فهمهم الخاص لما قاله.

كل هذه النصوص الواردة في إنجيل يوحنا تشير إلى الاستخدام المتزايد للمرآة في خدمة الرب يسوع. نرى أن الرب يسوع يتحدث بكل تشديد وتأكيد في إنجيل يوحنا الأصحاح السادس عن الأكل من جسده والشرب من دمه. وكان الرب يسوع قد أوضح الرموز التي كان يستخدمها في يوحنا 6: 35). لقد كان يدعوهم لأن يأتوا إليه ويأكلوا كلامه لإشباع جوعهم للطعام الروحي، ليؤمنوا به بصفته مرسلاً من الله ليروي ظمأهم للراحة الروحية والقبول الإلهي. إلا أن رفض الناس الاستماع إلى ما يقوله يجعلهم يرفضونه. وهذا العملية هي التي تُظهِر ما في قلوبهم غير التائبة. فهي تبيّن أنهم على استعداد لإساءة فهمه بشكل متعمد كي يبرروا رفضهم له ورفضهم لكل الأدلة والبراهين التي تثبت أنه المسيا الحقيقي.

وفي حالة المرآة التي يستعملها الرب يسوع في قصة الغني ولعازر، فالأمر أعمق من مجرد فهم الأمور الجسدية والروحية. فالرب يسوع يستخدم الأفكار الشائعة التي يؤمن الناس بها لكي يعلّمهم أشياء هامة. بدأ اليهود يطلبون من الرب يسوع آية يؤكد بها على سلطانه. لقد كانوا يقسّون قلوبهم عليه. وحتمية الموقف تطلبت من الرب يسوع أن يشرح لهم حقيقة الحياة والموت التي كانوا يواجهونها. لقد كلمهم بقصة استطاعوا فهمها، وبالتالي كانت بمثابة مرآة تعكس لهم الأفكار والآراء التي سبق فتصوَّروها. وقد دعت الحاجة لذلك بسبب قساوة قلوبهم.

وأولئك الذين يقرؤون هذا المَثَل اليوم معتقدين أن أولئك الذين يعتبرونهم مجرمين ويستحقون العذاب سيبررون بسهولة كراهيتهم للآخرين. والبعض سيسألون: لماذا فعل الرب يسوع هذا؟ لماذا يقول أشياء يمكن أن يُساء فهمها بسهولة؟

إن عمل الإنجيل الأول هو التبكيت على الخطيّة. وهذا التبكيت على الخطية سيُظهِر ما هو مخفي في قلوبنا (لوقا 8: 17 ، مرقس 4: 22 ، لوقا 12: 2). وهذا هو القصد من مرآة الناموس الإلهية، فنحن جميعًا لدينا خطايا لا ندركها أو نعي بها أو نقبلها أو نكبتها أو نفهم المغزى الكامل منها. فإعلان الخطية في أذهان الناس يتطلب أقصى جهود حكمة الله.

"وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ" (يوحنا 16: 8).

"طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ" (متى 5: 3 و4).

"وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يَقُولُهُ النَّامُوسُ فَهُوَ يُكَلِّمُ بِهِ الَّذِينَ فِي النَّامُوسِ، لِكَيْ يَسْتَدَّ كُلُّ فَمٍ، وَيَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللهِ" (رومية 3: 19).

نرجع بذاكرتنا إلى قصة المرأة الكنعانية التي طلبت من الرب يسوع أن يشفي ابنتها. لقد كان صمتها المبدئي مرآةً أظهرت عنصرية التلاميذ ومواقفهم المتعنتة تجاه الأجانب. فالمرآة الإلهية تعكس لنا أفكارنا ودوافعنا. والمسيح بصفته كلمة الله يتحدث إلينا بطريقة تميّز أفكارنا ورغائبنا.

"لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ" (عبرانيين 4: 12).

عندما يستخدم الناس بعض عبارات الرب يسوع لإثبات أن الله يعذب الناس ويحرقهم أحياءً، فهذا في الواقع يكشف ويُظهِر أفكارهم عنه. وعندما تُقدَّم آيات ونصوص أخرى تبيّن أن المسيح ليس عنيفًا أو ظالمًا ولا يقتل الناس بل ويعلن لهم أنه مثل أبيه تمامًا، فلن يتبق أمامنا سوى الاختيار.

عندما سمعت المرأة الكنعانية التي طلبت من الرب يسوع أن يشفي ابنتها وهو يقول: "لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَب"، كان عليها أن تختار في تلك اللحظة. فهل ستأخذ ما قاله وترفضه؟ أم أنها ستأخذ ما تعلمته عن شخصيته وصفاته متمسكةً بالإيمان وواثقة أنه سيقدم لها يد العون والمساعدة؟ هذا هو عمل الإنجيل الإلهي الذي يأتي بنا إلى نقطة إتخاذ قرار بشأن شخصية أبينا وصفاته.

إن ثمرة دراسة الكتاب المقدس والسير مع المسيح ليست تنافرًا معرفيًا للطالب الصادق والمتواضع الذي يتمسك بالإيمان للحصول على إجابات، حتى ولو كانت تهدده قرون من العقائد التقليدية تهديدًا رهيبًا. فعندما قرأت قصة الغني وهو في اللهيب ووجدت أن الرب يسوع يقول أن الله سيهلك كلاً من الجسد والنفس (الروح) في جهنم، قررت التوفيق بين هذه الآيات والنصوص الأخرى التي تدعو إلى محبة الأعداء والوصية السادسة التي تنهي عن القتل. لقد تناولنا سابقًا الجوانب المتعلقة بموت الأشرار، أما الآن فسوف نتطرق إلى دراسة النصوص التي تتحدث عن النار وعلاقتها بالله.

"**وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ بِلَهِيبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عُلَّيْقَةٍ.** فَنَظَرَ وَإِذَا الْعُلَّيْقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ، وَالْعُلَّيْقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ" (خروج 3: 2).

"وَكَانَ مَنْظَرُ **مَجْدِ الرَّبِّ** كَنَارٍ آكِلَةٍ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ أَمَامَ عُيُونِ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (خروج 24: 17).

"هُوَذَا **اسْمُ الرَّبِّ يَأْتِي مِنْ بَعِيدٍ**. غَضَبُهُ مُشْتَعِلٌ وَالْحَرِيقُ عَظِيمٌ. شَفَتَاهُ مُمْتَلِئَتَانِ سَخَطًا، **وَلِسَانُهُ كَنَارٍ آكِلَةٍ**" (إشعياء 30: 27).

"ارْتَعَبَ فِي صِهْيَوْنَ الْخُطَاةُ. أَخَذَتِ الرِّعْدَةُ الْمُنَافِقِينَ: «**مَنْ مِنَّا يَسْكُنُ فِي نَارٍ آكِلَةٍ؟ مَنْ مِنَّا يَسْكُنُ فِي وَقَائِدَ أَبَدِيَّةٍ؟**» **السَّالِكُ بِالْحَقِّ وَالْمُتَكَلِّمُ بِالاسْتِقَامَةِ**، الرَّاذِلُ مَكْسَبَ الْمَظَالِمِ، النَّافِضُ يَدَيْهِ مِنْ قَبْضِ الرَّشْوَةِ، الَّذِي يَسُدُّ أُذُنَيْهِ عَنْ سَمْعِ الدِّمَاءِ، وَيُغَمِّضُ عَيْنَيْهِ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الشَّرِّ" (إشعياء 33: 14 و15).

"لأَنَّ **إِلهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ**" (عبرانيين 12: 29).

"وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ، **وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ**، وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا" (أعمال 2: 2 – 4).

"فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. **لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ**" (رومية 12: 20).

ارتدى الرُسُل في يوم الخمسين نار روح الله. لقد استقرت هذه النار عليهم واشتعلت فيهم لكنها لم تأكلهم مثل العليقة المشتعلة في زمن موسى. والسؤال المطروح في إشعياء 33: 14 هو: مَنْ مِنَّا يَسْكُنُ فِي نَارٍ آكِلَةٍ؟ مَنْ مِنَّا يَسْكُنُ فِي وَقَائِدَ أَبَدِيَّةٍ؟ إن الأبرار هم الذين سيشتعلون ويسكنون في نار محبة الله إلى الأبد. وعندما تُستَعلن محبة الله استعلانًا تامًا في نهاية الزمان، وعندما يرى الأشرار بالضبط ما فعله الله من أجلهم وكل محاولاته وجهوده لتخليصهم، فإن الذنب والعار بسبب رفضهم له سيكون كجمر نار على رؤوسهم. فشرهم وخطاياهم هي التي تسحقهم وتهلكهم وليس يد الله. أما النار فما هي إلا محبة باذلة إيثارية، وعندما تنكشف هذه المحبة، فإنها تجلب على الإنسان لوم النفس والألم والحزن العميق. هل السبب في أن الله لديه القدرة أن يهلك الجسد والنفس في جهنم هو ببساطة لأنه إله محب ورحيم وشفوق؟

"وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ. أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لاَ يَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَحَتَّى شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ. فَلاَ تَخَافُوا! أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ!" (متى 10: 28 – 31).

عندما نقرأ هذه الآيات سنشعر أنه لا توجد هناك علاقة بين الآية 28 والآيات التي تليها. ففي عدد 28 يخبرنا الرب يسوع ألا نخاف من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد في جهنم، وبعد ذلك يخبرنا عن عناية الله لنا واهتمامه بنا ويطلب منا ألا نخاف. فلو كان الله هو المسؤول المباشر عن تعذيب

الناس في الجحيم باستخدام النار الحرفية التي تحرق أجسادهم وتأكلها، فكيف يمكن له أن يقول في عدد 31 "فلا تخافوا" دون وجود تناقض؟

إن الرب يسوع يستخدم الآية 28 ليُظهِر من خلالها أفكار البشر وتصوراتهم في مرآة. فهو بذلك يعكس أفكار البشر وتصوراتهم الطبيعية عن الله. فالشخص الممتلئ خطية وشرًا، يجب أن يكون خائفًا عندما يرى مدى اختلاف شخصيته وصفاته عن شخصية الله وصفاته ومقدار الألم والعذاب الذي سببه للمسيح بسبب أنانيته وشروره.

"ثُمَّ الشَّهْوَةُ إِذَا حَبِلَتْ تَلِدُ خَطِيَّةً، وَالْخَطِيَّةُ إِذَا كَمَلَتْ تُنْتِجُ مَوْتًا" (يعقوب 1: 15).

"الشَّرُّ يُمِيتُ الشِّرِّيرَ، وَمُبْغِضُو الصِّدِّيقِ يُعَاقَبُونَ" (مزمور 34: 21).

إن الخطية هي التي تسبب الموت وليس الله. فما سيجعلنا نهلك هلاكًا مبينًا هو الادراك الشديد لمدى اهتمام أبينا السماوي بالعصفور وإحصائه لشعور رؤوسنا، وكم يفكر فينا بمحبة طول الوقت. والادراك الكامل لهذا سيولد في الخاطئ إحساسًا عظيمًا ورهيبًا بالذنب، وهذا الإحساس سوف يكتنفه ويهلكه. بهذه الطريقة فقط لن نجد أي تناقض بين متى 10: 28 والأعداد التي تليه مباشرةً عندما تُقرَأ جنبًا إلى جنب.

يُقال أحيانًا أنه بما أن الله يُظهِر شخصيته وصفاته ويعلم أن ذلك سيؤدي إلى قتل الأشرار وهلاكهم، فهو مسؤول بطريقة ما عن موتهم. فحقيقة أنه يعلن عن نفسه تجعله قاتلاً. وهذا يشبه الطبيب الذي يُطلب منه إيقاف العناصر المساعدة في إبقاء المريض الميؤوس من شفائه وإتهامه بقتل ذلك المريض أو بمسؤوليته عن موته. فلكي يتسنى لبني الإنسان أن يتمتعوا بعلاقة شركة مفتوحة مع الله، ولا سيما في الأبدية، فيتعيّن على الله أن يُظهِر شخصيته الحقيقية. دعونا أيضًا ألا ننسى أن الأشرار في نهاية الزمان يحاصرون مدينة أورشليم الجديدة ويحاولون الاستحواذ عليها، مما يعني أنه وهم يقتربون من المدينة ستكون قلوبهم ممتلئة بروح القتل والغيرة والسرقة.

"فَصَعِدُوا (الشيطان والأشرار) عَلَى عَرْضِ الأَرْضِ، وَأَحَاطُوا بِمُعَسْكَرِ الْقِدِّيسِينَ وَبِالْمَدِينَةِ الْمَحْبُوبَةِ، فَنَزَلَتْ نَارٌ (ناتجة عن المحبة الباذلة الإيثارية كتلك التي نزلت في يوم الخمسين) مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُمْ" (رؤيا 20: 9).

عندما تقترب الأنانية البشرية من هذه المحبة الإيثارية الباذلة، فإن الإحساس بالذنب الذي يعتصر قلب الإنسان الخاطئ بسبب إدانته لنفسه هو ما يجعل موت الأشرار أمرًا مؤكدًا.

ففي أي مرة نقرأ فيها الكتاب المقدس فهذه المرآة تكون أمامنا وتعكس لنا الطريقة التي نفكر بها، وبعد ذلك يتعيّن علينا أن نتخذ قرارًا أبديًا.

"مَعَ الطَّاهِرِ تَكُونُ طَاهِرًا، وَمَعَ الأَعْوَجِ تَكُونُ مُلْتَوِيًا" (مزمور 18: 26).

عندما نادى الملاك إبراهيم ومنعه من قتل ابنه إسحاق وتقديمه كذبيحة، كان أمام إبراهيم فجأة خيارًا فيما إذا كان سيغير الصورة أو الفكرة التي لديه عن الله. فالأمر بقتل ابنه كان انعكاسًا لأفكاره الخاصة، وكان في اعتقاده أن ابنه سيموت بكل تأكيد. علينا جميعًا أن نصل إلى نقطة القرار هذه. ليساعدنا الرب أن نصغي للكلمات "لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا" وندرك أن الله ليس خالق الموت أو منشئه. "بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ. أُذُنَيَّ فَتَحْتَ. مُحْرَقَةً وَذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لَمْ تَطْلُبْ" (مزمور 40: 6).

فما هو إذن القصد من سرد الرب يسوع لهذه القصة؟ نجد ذلك في كلماته الختامية:

"فَقَالَ لَهُ: إِنْ كَانُوا لاَ يَسْمَعُونَ مِنْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ، وَلاَ إِنْ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يُصَدِّقُونَ" (لوقا 16: 31).

لقد استخدم الرب يسوع هذا المثل كي يطبع على أذهانهم أهمية القرارات التي نتخذها في حياتنا الأرضية التي نعيشها الآن وضرورة الاستماع والإصغاء بعناية إلى كتابات موسى والأنبياء في إتخاذ تلك القرارات.

17. الملائكة المُهلِكة

لعبت ملائكة الله دورًا مهمًا للغاية في حياة الرب يسوع على الأرض. فالملاك جبرائيل أعلن لمريم العذراء الامتياز التي حظيت به بمولد المسيا المنتظر منها. والملائكة هتفوا ورنموا مرحبين بمولده. وقبل صلبه مباشرة جاء ملاك ليقوي الرب يسوع على القيام بمهمته (لوقا 22: 43). وأرسل الآب ملاكًا ليُخرِج الرب يسوع من القبر، وحملت الملائكة خبر قيامته من الأموات لأتباعه الحزانى فاقدي الأمل. لقد لعبت الملائكة دورًا بارزًا في خدمة الرب يسوع، وكان كل عملهم قائمًا على شخصية المسيح وصفاته لأننا نقرأ:

> "أَجَابَ نَثَنَائِيلُ وَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، أَنْتَ ابْنُ اللهِ! أَنْتَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!» أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «هَلْ آمَنْتَ لأَنِّي قُلْتُ لَكَ إِنِّي رَأَيْتُكَ تَحْتَ التِّينَةِ؟ سَوْفَ تَرَى أَعْظَمَ مِنْ هذَا!» وَقَالَ لَهُ: الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تَرَوْنَ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَمَلاَئِكَةَ اللهِ يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ" (يوحنا 1: 49 – 51).

تنفذ الملائكة عملها بناءً على شخصية المسيح وصفاته وعمله لأن كل ما يفعلونه مبني على ابن الإنسان. يقول الكتاب المقدس:

"أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ!" (عبرانيين 1: 14).

فملائكة الله يحبون خدمة الآب والرب يسوع. كما أنهم يحبون الخدمة إذ يقومون بحمايتنا وتشجيعنا.

"مَلاَكُ الرَّبِّ حَالٌّ حَوْلَ خَائِفِيهِ، وَيُنَجِّيهِمْ" (مزمور 34: 7).

وهم مملوؤن بروح الله ويسبحون الله وابنه.

"وَنَظَرْتُ وَسَمِعْتُ صَوْتَ مَلاَئِكَةٍ كَثِيرِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالشُّيُوخِ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ رَبَوَاتِ رَبَوَاتٍ وَأُلُوفَ أُلُوفٍ، قَائِلِينَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «مُسْتَحِقٌّ هُوَ الْخَرُوفُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ!»" (رؤيا 5: 11 و12).

والملائكة مهتمة اهتمامًا شديدًا بالإنجيل وخطة الخلاص.

"الَّذِينَ أُعْلِنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لَنَا كَانُوا يَخْدِمُونَ بِهذِهِ الأُمُورِ الَّتِي أُخْبِرْتُمْ بِهَا أَنْتُمُ الآنَ، بِوَاسِطَةِ الَّذِينَ بَشَّرُوكُمْ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُرْسَلِ مِنَ السَّمَاءِ. الَّتِي تَشْتَهِي الْمَلاَئِكَةُ أَنْ تَطَّلِعَ عَلَيْهَا" (بطرس الأولى 1: 12).

ويفرحون بالسلام على الأرض ومسرة الناس.

"وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ»" (لوقا 2: 13 و14).

وهم محاربون أقوياء، يطيعون أوامر الله ويسمعون كلامه ووصاياه.

"بَارِكُوا الرَّبَّ يَا مَلاَئِكَتَهُ الْمُقْتَدِرِينَ قُوَّةً، الْفَاعِلِينَ أَمْرَهُ عِنْدَ سَمَاعِ صَوْتِ كَلاَمِهِ" (مزمور 103: 20).

يأمر الآب ملائكته الأطهار القديسين أن يحمونا من إبليس وملائكته المُهلِكة كما اكتشفنا في الفصل الحادي عشر عن غضب الرب. وحيث أن الملائكة الأطهار ممتلئون بروح المسيح، فإنهم يحفظون وصايا الآب. وعلى الرغم من أن الملائكة الأطهار القديسين لا يقتلون الناس، إلا أنهم يستخدمون

قوتهم لكبح قوى الشر وتحريك الأشياء الجامدة وتدميرها. ولكن توجد بعض النصوص الكتابية التي تشير إلى غير ذلك، وفي هذا الفصل سوف نتناول هذه النصوص وندرسها. إذا بحثنا في الكتاب المقدس عن كلمة "ملاك" وكلمة "ضَرَبَ"، سنجد أربع قصص تتحدث عن العلاقة بين هذه الكلمتين.

1. سفر العدد 22. حادثة بلعام والأتان. ضَرَبَ بلعام الأتان الذي رأى ملاكًا.
2. صموئيل الثاني 24. إحصاء داود لإسرائيل وضرب ملاك الرب سبعين ألفًا.
3. ملوك الثاني 19: 35 وإشعياء 37: 36. ملاك الرب يضرب 185 ألف رجل من الجيش الآشوري.
4. أعمال 12: 24. ملاك الرب ضرب هيرودس بسبب خطيته.

في القصة الأولى لم يضرب الملاك أحدًا، لكن بلعام هو الذي ضرب الأتان بعد توقفه نظرًا لخوفه من الملاك. كان الملاك واقفًا أمام بلعام وسيفه مسلول في يده.

"فَأَبْصَرَتِ الأَتَانُ مَلاَكَ الرَّبِّ وَاقِفًا فِي الطَّرِيقِ وَسَيْفُهُ مَسْلُولٌ فِي يَدِهِ، فَمَالَتِ الأَتَانُ عَنِ الطَّرِيقِ وَمَشَتْ فِي الْحَقْلِ. فَضَرَبَ بَلْعَامُ الأَتَانَ لِيَرُدَّهَا إِلَى الطَّرِيقِ" (سفر العدد 22: 23).

إن وقوف الملاك أمام بلعام وسيفه مسلول في يده يوحي بأنه كان على استعداد أن يُلحِق الأذى ببلعام. وهذه الفكرة تؤكد عليها القصص الأخرى في القائمة المذكورة أعلاه.

في القصة التالية يحاول داود إحصاء قواته للتفاخر والتباهي بها أمام الشعوب الأخرى، فكانت النتيجة موت 70 ألف رجل من الإسرائيليين.

"وَعَادَ فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَأَهَاجَ عَلَيْهِمْ دَاوُدَ قَائِلًا: امْضِ وَأَحْصِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا" (صموئيل الثاني 24: 1).

"فَجَعَلَ الرَّبُّ وَبَأً فِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمِيعَادِ، فَمَاتَ مِنَ الشَّعْبِ مِنْ دَانٍ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ سَبْعُونَ أَلْفَ رَجُل. وَبَسَطَ الْمَلاَكُ يَدَهُ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِيُهْلِكَهَا، فَنَدِمَ الرَّبُّ عَنِ الشَّرّ، وَقَالَ لِلْمَلاَكِ الْمُهْلِكِ الشَّعْبَ: «كَفَى! الآنَ رُدَّ يَدَكَ». وَكَانَ مَلاَكُ الرَّبِّ عِنْدَ بَيْدَرِ أَرُونَةَ الْيَبُوسِيِّ" (صموئيل الثاني 24: 15 و16).

عندما تُقرَأ هذه القصة لأول مرة فإنها توحي بشيء مخيف إلى حد كبير. فالملك بكبرياء يحصي الشعب وبعد ذلك يرسل الله ملاكًا ليقتل 70 ألف رجلاً وبعد ذلك يتوب أو يندم عن الشر ويكف عن قتل المزيد من الناس. الشيء الأكثر غرابة هو أن العدد الأول من صموئيل الثاني الأصحاح 24 يقول أن الله نفسه أهاج داود وحفَّزه على إحصاء الشعب مما يوحي بأن الله كان مسؤولاً عما حدث بعد ذلك. أي شخص يؤمن بأن الله محبة يجد نفسه يسأل السؤال التالي: "عما تتحدث هذه القصة وكيف يمكننا أن نفهمها؟" لنتذكر أننا في الفصل التاسع نظرنا إلى الطريقة التي يعمل بها الناموس أو كلمة الله كمرآة في نفوسنا، وهذا النوع من القصص عن الملائكة المُهلِكة تقدم لنا امتحانًا رائعًا لنعرف من خلاله هل نحن نقرأ الكتاب المقدس في ضوء شخصية الرب يسوع وصفاته أم أننا نُلقي على الله أفكارنا البشرية وتصوراتنا الخاصة؟

على الرغم من أن القصة التالية التي تدور حول تدمير الجيش الآشوري تتضمن موت عدد أكبر من الناس، إلا أنه من السهل فهمها وقبولها لأن هذه الأمة أرادت قتل شعب الله وكانوا من أكثر الشعوب شراسة وقساوة على الأرض. فقد كان الآشوريون يسلخون الناس أحياءً ويعذبوهم بالخوازيق. فعنفهم هذا وطرقهم البشعة في التعذيب تجعل الكثيرين يبررون استخدام ملائكة الرب للعنف المميت ضدهم.

"وَكَانَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ خَرَجَ وَضَرَبَ مِنْ جَيْشِ أَشُّورَ مِئَةَ أَلْفٍ وَخَمْسَةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا. وَلَمَّا بَكَّرُوا صَبَاحًا إِذَا هُمْ جَمِيعًا جُثَثٌ مَيْتَةٌ" (ملوك الثاني 19: 35).

القراءة السطحية لهذه الآيات توحي بشدة أن ملائكة الرب قتلوا 185 ألفًا من جنود الجيش الآشوري. ويبدو من المنطقي تمامًا أنه طالما يوجد هناك تهديد خطير وشر كبير يحيق بشعب الله ويحاول قتله، فهؤلاء الجنود ينبغي إذن أن يُقتَلوا بسبب مخططاتهم الإجرامية. والقصة الأخيرة في قائمتنا تتعلق بهيرودس والذي يبدو أنه المرشح الأنسب للموت بسبب جميع الأفعال والأعمال التي ارتكبها.

"فَفِي يَوْمٍ مُعَيَّنٍ لَبِسَ هِيرُودُسُ الْحُلَّةَ الْمُلُوكِيَّةَ، وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ الْمُلْكِ وَجَعَلَ يُخَاطِبُهُمْ. فَصَرَخَ الشَّعْبُ: «هذَا صَوْتُ إِلهٍ لاَ صَوْتُ إِنْسَانٍ!» فَفِي الْحَالِ ضَرَبَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ لأَنَّهُ لَمْ يُعْطِ الْمَجْدَ للهِ، فَصَارَ يَأْكُلُهُ الدُّودُ وَمَاتَ" (أعمال 12: 21 – 23).

قتل هيرودس يعقوب أخو يوحنا، وكان يخطط بعد ذلك لقتل بطرس. ومن الواضح أن أحد الملائكة الأبرار هو الذي ضرب هيرودس، ومن الواضح أيضًا أن ذلك كان قصاصًا وعقابًا من الله القدير. والقصاص أو العقاب المستحق يعني أن يتلقى المجرم عقابه بمثل ما فعل. قد نُجرَّب أن نتوقف عن البحث والدراسة التي نقوم بها الآن ونتوصل إلى استنتاج مفاده أن الله في الواقع يرسل ملائكته الصالحين لقتل الأشرار. وعلى الرغم من أن القصة الأولى بها تعقيدات، فإن القصتين الأخريين المتعلقتين بقتل الأشوريين وهيردوس صريحتان وواضحتان، ومعظم الناس لا يقبلون التشكيك في هذا.

لقد أوضحنا في هذا الكتاب أنه ينبغي لنا أن ننظر إلى كل القصص الأخرى في الكتاب المقدس وندرسها من خلال حياة المسيح. إذا لم يتخذ الشخص هذا القرار، فعلى الأرجح أنه سيتوقف عن البحث والدراسة هنا ويستنتج أن ملائكة الله الأطهار الصالحين يقتلون الناس بالفعل.

وفي الفصل الثاني من هذا الكتاب عرضنا القواعد والقوانين التي وضعها وليام ميلر والتي تتطلب منا أن ندرس كل ما يقوله الكتاب المقدس بشأن موضوع ما قبل التوصل إلى الاستنتاج الذي توصلنا إليه. فهذه الطريقة تشجعنا على التعمق في الدراسة للتوفيق بين نصوص الكتاب المقدس عندما يبدو أن هناك تناقضات. من الجدير بالذكر أنه لا يوجد دليل على قتل الملائكة للناس أثناء خدمة الرب يسوع على الأرض. فكيف يمكننا التوفيق بين هذا والقصص التي تقوم فيها الملائكة بضرب الناس وقتلهم؟ لنبدأ بقصة إحصاء داود للشعب. كيف نفهم هذا النص؟ كيف حفَّز الله داود وأهاجه ليحصي إسرائيل؟

"وَعَادَ فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَأَهَاجَ عَلَيْهِمْ دَاوُدَ قَائِلًا: امْضِ وَأَحْصِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا" (صموئيل الثاني 24: 1).

لكننا عندما نقرأ هذه القصة في موضع آخر سنجد أمرًا مختلفًا:

"وَوَقَفَ الشَّيْطَانُ ضِدَّ إِسْرَائِيلَ، وَأَغْوَى دَاوُدَ لِيُحْصِيَ إِسْرَائِيلَ" (أخبار الأيام الأول 21: 1).

لو أخذنا الآية الأولى فقط (صموئيل الثاني 24: 1) وطالبنا بقراءتها كما هي، فلا بد أن نستنتج أن الله نفسه هو الذي قاد داود وحفزه على القيام بذلك حتى يتم قتل 70 ألف إسرائيلي. ألن نتساءل كيف أن هذه الفكرة تتناسب مع الإله الذي ينسب لنفسه صفة المحبة؟

في بحثنا للإجابة عن هذا التساؤل نكتشف أخبار الأيام الأول 21: 1 التي تبيّن لنا أن الشيطان هو الذي أغوى داود ليحصي الشعب. ولذلك فنحن بحاجة للتوفيق بين هذين النصين. هل نستنتج أن الله والشيطان كانا يعملان معًا ليقتلا ويهلكا الإسرائيليين؟ نحن مدعوون مرة أخرى للتعمق أكثر لإيجاد الحل، فهذه العملية تختبر قلوب البشر هل هم يؤمنون حقًا بأن الله هو إله محب ورحيم أم أنه قاض متردد أو طاغية ظالم يخلو من الشفقة والرحمة؟ أولئك الذين يرون النعمة في عيني الرب سيواصلون دراستهم حتى يتمكنوا من التوفيق بين هذه النصوص الكتابية، أما الآخرون فببساطة سيؤمنون بهذه التناقضات ويزعمون أن الله محب ورحيم بالرغم من قيامه بهذه الأشياء.

طلب بنو إسرائيل في بداية تاريخهم أن يحكم عليهم ملكًا مثل باقي الأمم الأخرى لأنهم أرادوا أن يكونوا مثلهم.

"وَقَالُوا لَهُ: هُوَذَا أَنْتَ قَدْ شِخْتَ، وَابْنَاكَ لَمْ يَسِيرَا فِي طَرِيقِكَ. فَالآنَ اجْعَلْ لَنَا مَلِكًا يَقْضِي لَنَا كَسَائِرِ الشُّعُوبِ" (صموئيل الأول 8: 5).

أظهر ذلك المطلب رغبتهم في العظمة القومية، إلا أن هذا المطلب كان في الحقيقة رفضًا لله.

"فَقَالَ الرَّبُّ لِصَمُوئِيلَ: اسْمَعْ لِصَوْتِ الشَّعْبِ فِي كُلِّ مَا يَقُولُونَ لَكَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَرْفُضُوكَ أَنْتَ بَلْ إِيَّايَ رَفَضُوا حَتَّى لاَ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ" (صموئيل الأول 8: 7).

لقد كان مبدأ الملكية برمته رفضًا لقيادة الله وملكه عليهم. ورغم أن شاول أبلى بلاءًا حسنًا في بداية حكمه كملك إسرائيل، فسرعان ما ظهرت نقاط ضعف في شخصيته ولم يتمكن من تحقيق مطامح المملكة. أما داود على الناحية الأخرى فقد انتصر على جميع أعداء إسرائيل وتحت قيادته ازدهرت الأمة ونمت نموًا عظيمًا. فأغوى الشيطان داود حتى يقارن الازدهار الحالي للأمة بالماضي ليتفاخر ويتباهى بذلك. فأرسل الرب رسالة توسل من خلال القائد يوآب، لكن الشيطان نجح في إغواء داود وحثه على إحصاء إسرائيل.

"فَقَالَ يُوآبُ لِلْمَلِكِ: لِيَزِدِ الرَّبُّ إِلهُكَ الشَّعْبَ أَمْثَالَهُمْ مِئَةَ ضِعْفٍ، وَعَيْنَا سَيِّدِي الْمَلِكِ نَاظِرَتَانِ. **وَلكِنْ لِمَاذَا يُسَرُّ سَيِّدِي الْمَلِكُ بِهذَا الأَمْرِ؟**" (صموئيل الثاني 24: 3).

سَمَحَ الرب بحدوث هذا ولم يمنع تجارب الشيطان التي جرَّب بها داود. فكانت نتيجة الفشل وقوع الوبأ على إسرائيل.

"فَجَعَلَ الرَّبُّ وَبَأً فِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمِيعَادِ، فَمَاتَ مِنَ الشَّعْبِ مِنْ دَانٍ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ سَبْعُونَ أَلْفَ رَجُل" (صموئيل الثاني 24: 15).

الكلمة العبرية لكلمة "فجعل" هي في الواقع "ناثان" التي تعني "يعطي" وفي بعض الأحيان "يستسلم أو يتخلى عن". لاحظ بعناية الآية التالية بخصوص الوبأ وعلاقته بعهد الله.

"أَجْلِبُ عَلَيْكُمْ سَيْفًا يَنْتَقِمُ نَقْمَةَ الْمِيثَاقِ، فَتَجْتَمِعُونَ إِلَى مُدُنِكُمْ وَأُرْسِلُ فِي وَسَطِكُمُ الْوَبَأَ فَتُدْفَعُونَ [H5414] بِيَدِ الْعَدُوِّ" (لاويين 26: 25).

كلمة "ناثان" هنا مترجمة إلى "فتُدفعون". لاحظ بعناية الجزء الأخير من الآية. فباللغة الإنجليزية تقول الآية: "وأرسل في وسطكم الوبأ، وتُدفَعُون بيد العدو". فحرف الجر "و" مُستخدم، وبالتالي يمكن قراءة النص على النحو التالي:

"وأرسل في وسطكم الوبأ، وتُدفَعُون بيد العدو".

وهذا يعني أنه عندما يأتي الوبأ فهذا لأنهم دُفعِوا بيد العدو.

"اَلسَّاكِنُ فِي سِتْرِ الْعَلِيِّ، فِي ظِلِّ الْقَدِيرِ يَبِيتُ. أَقُولُ لِلرَّبِّ: «مَلْجَإِي وَحِصْنِي. إِلهِي فَأَتَّكِلُ عَلَيْهِ». **لأَنَّهُ يُنَجِّيكَ مِنْ فَخِّ الصَّيَّادِ وَمِنَ الْوَبَإِ الْخَطِرِ**" (مزمور 91: 1 – 3).

فالحقيقة هي أن الشيطان هو الذي أهلك أولئك الأشخاص. أما الرأى الآخر فهو أن الله سمح للشيطان بإغواء داود وإسرائيل وقيادتهم إلى الخطية، ثم استدار بعد ذلك وقتل 70 ألف رجل. لكن هذا الرأي به تناقض. فالشيطان وقف واستطاع أن يجرّب داود لأن داود لم يعمل حسب إرادة الله. وعندما أذعن (استسلم) داود لهذه التجربة، فقد وجد الشيطان لنفسه طريقًا لإسرائيل واستغل الوضع ليُسقِط عليهم ذلك الوبأ. غير أن ذلك لا يفسّر الجزء المتعلق بالملاك الذي ضرب الإسرائيليين.

"وَبَسَطَ (H7971 أبعد، حلَّ أو فكَّ) الْمَلاَكُ يَدَهُ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِيُهْلِكَهَا، فَنَدِمَ الرَّبُّ عَنِ الشَّرِّ، وَقَالَ لِلْمَلاَكِ الْمُهْلِكِ الشَّعْبَ: «كَفَى! الآنَ رُدَّ يَدَكَ». وَكَانَ مَلاَكُ الرَّبِّ عِنْدَ بَيْدَرِ أَرُونَةَ الْيَبُوسِيِّ. فَكَلَّمَ دَاوُدُ الرَّبَّ عِنْدَمَا رَأَى الْمَلاَكَ الضَّارِبَ الشَّعْبَ وَقَالَ: «هَا أَنَا أَخْطَأْتُ، وَأَنَا أَذْنَبْتُ، وَأَمَّا هؤُلاَءِ الْخِرَافُ فَمَاذَا فَعَلُوا؟ فَلْتَكُنْ يَدُكَ عَلَيَّ وَعَلَى بَيْتِ أَبِي»" (صموئيل الثاني 24: 16 و17).

لقد كان الشيطان الوسيلة التي جاء الوبأ بواسطتها، ولكن ما هو هذا السيف الذي بسطه ملاك الرب على أورشليم؟ وما هو السيف الذي يستخدمه ابن الله؟

"وَمَعَهُ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى سَبْعَةُ كَوَاكِبَ، وَسَيْفٌ مَاضٍ ذُو حَدَّيْنِ يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ، وَوَجْهُهُ كَالشَّمْسِ وَهِيَ تُضِيءُ فِي قُوَّتِهَا. فَلَمَّا رَأَيْتُهُ سَقَطْتُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ كَمَيِّتٍ، فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَيَّ قَائِلًا لِي: لاَ تَخَفْ، أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ" (رؤيا 1: 16 و17).

نرى رد فعل يوحنا الرسول عندما رأى وجه ابن الله والسيف الذي خرج من فمه. فما هو ذلك السيف؟

"لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ" (عبرانيين 4: 12).

إن السبعين ألفًا الذين واجهوا غضب الملاك المُهلِك أتى إليهم روح الله بتبكيت شديد على الخطية لكي يتوبوا. وعمل التبكيت الشديد هذا أمر ملح لأنم لو رفضوا الانتباه لعمل الروح، فسيكونون بلا حماية على الإطلاق وسيكونون عرضة لهجمات الشيطان المُهلِك. وسوف يهربون من حضرته كما فعل الناس في حادثة تطهير الهيكل. أما في حالة الـ 70 ألف رجل الذي ماتوا فنجد أنهم هربوا من محضر الرب يسوع مباشرةً إلى أذرع الشيطان الذي أهلكهم بالوبأ. كان باستطاعتهم التوبة عن خطاياهم وطلب المغفرة من الله لكنهم هربوا من محضره وكان الموت هو النتيجة.

وما فعله الله بالكنعانيين مماثل تمامًا لذلك. فنقرأ:

"أُرْسِلُ هَيْبَتِي أَمَامَكَ، وَأُزْعِجُ جَمِيعَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ تَأْتِي عَلَيْهِمْ، وَأُعْطِيكَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ مُدْبِرِينَ. وَأُرْسِلُ أَمَامَكَ الزَّنَابِيرَ. فَتَطْرُدُ الْحِوِّيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ مِنْ أَمَامِكَ" (خروج 23: 27 و28).

عندما يقول الوحي المقدس أن الله سيرسل هيبته أو خوفه، فهذا يوحي بالتبكيت على الخطية الذي يُحدِث رعبًا في قلوب الأشرار. الزنابير هي وخزات الذنب والعار التي يشعر بها الخطاة المعذبين بالإحساس بالذنب والعار. هذه الوخزات تُخرِجهم من محضر الله وتضعهم في أيدي العدو. لكنهم لو تابوا وصاروا كالأطفال لكانوا قد نالوا الخلاص. لم يترك الجميع الهيكل، إلا أن الجميع شعروا بالسيف.

ولذلك نرى في قصة إحصاء إسرائيل أن روح الله في محاولة أخيرة منه لانتشال أولئك الذين وقعوا في أيدي الشيطان، أتى إليهم وأراد أن يطهر قلوبهم من الخطية ليخلصوا. عندما رفضوا، نطق الرب يسوع بالكلمات الحزينة "هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا!" الكلمة التي تعني "سيف" في اللغة العبرية هي في الواقع "جفاف". فعندما قاومت نفوس الناس المسيح، كان مضطرًا لتركهم بيد الشيطان لأنهم رفضوا السماح له بالدخول.

وتذكر أيضًا أن الشيطان أحكم سيطرته على قلوب أولئك الرجال. حاول المسيح مرة أخيرة أن يصل إليهم ويخلصهم، إلا أن الشيطان كان مصممًا على ألا يفقد فريسته، وعندما رفض قلب الإنسان دخول المسيح، حاول الشيطان أن يضمن انضمام هذه النفوس إلى مملكته وذلك بقتلهم خوفًا من توبتهم ورجوعهم عن خطاياهم. قد تكون التفاصيل الدقيقة لهذه القصة غير متاحة، لكن المبادئ موجودة وليس من الصعب اتباعها.

التهمة التي قد يوجهها البعض لي: "أنت تضيف جانب روحي على نصوص الكتاب". فالكتاب المقدس يستخدم كلمة "سيف" ويجب علينا أن نأخذها بشكل حرفي. أقول في البداية أن الوبأ هو الذي قتل أولئك الأشخاص، فهم لم يموتوا بسبب سيف حرفي مسلول بيد الملاك. والشيء الثاني هو أننا ينبغي أن نضع كل شيء معًا كي نصل إلى الاستنتاج الذي نريد الوصول إليه. لاحظ بعناية القاعدة رقم 11 التي وضعها وليام ميلر بخصوص هذه النقطة.

> "إذا كانت الكلمة منطقية أو لها معنى جيد كما هي، ولا تتعارض مع قوانين الطبيعة البسيطة، فيجب فهمها حرفيًا، إلا إذا كان من الضروري فهمها مجازيًا".

بما أن الرجال الذين قتلوا هلكوا بسبب الوبأ، فلابد أن يكون للسيف المسلول بيد الملاك غرض آخر. يخبرنا الكتاب المقدس في عدة مواضع عن السيف الذي يستخدمه المسيح، وأن هذا السيف هو كلمة الله. لقد أوضحنا كيف أن الملاك ضرب الرجال بالسيف لكنهم ماتوا بالوبأ. كيف ضربهم ملاك الرب؟ لقد كان ذلك السيف هو كلمة الله التي تبكت الناس، وقد رفضوا أن يموتوا عن النفس بهذا السيف، ولذلك تركهم روح الله فقتلهم المُهلك. فماذا عن الـ 185 ألف جندي من جنود الجيش الآشوري؟

> "وَكَانَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ خَرَجَ وَضَرَبَ مِنْ جَيْشِ أَشُّورَ مِئَةَ أَلْفٍ وَخَمْسَةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا. وَلَمَّا بَكَّرُوا صَبَاحًا إِذَا هُمْ جَمِيعًا جُثَثٌ مَيْتَةٌ" (ملوك الثاني 19: 35).

نلاحظ هنا أن ملاك الرب ضربهم وفي الصباح كانوا جميعًا جثث ميتة. الآية لا تقول أن ملاك الرب ضربهم بسلاح القوة مما أدى إلى موتهم الفوري. إذا عدنا إلى العهد الجديد نلاحظ شيئًا مثيرًا للاهتمام.

"وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، لأَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ. وَكَانَ مَنْظَرُهُ كَالْبَرْقِ، وَلِبَاسُهُ أَبْيَضَ كَالثَّلْجِ. فَمِنْ خَوْفِهِ ارْتَعَدَ الْحُرَّاسُ وَصَارُوا كَأَمْوَاتٍ" (متى 28: 2 – 4).

منظر الملاك وحده جعل الحراس يرتعدون وصاروا كأموات. وقد حدثت هذه الظاهرة لأشخاص أتقياء وأبرار مثل دانيال ويوحنا.

"فَرَأَيْتُ أَنَا دَانِيآلُ الرُّؤْيَا وَحْدِي، وَالرِّجَالُ الَّذِينَ كَانُوا مَعِي لَمْ يَرَوْا الرُّؤْيَا، لكِنْ وَقَعَ عَلَيْهِمِ ارْتِعَادٌ عَظِيمٌ، فَهَرَبُوا لِيَخْتَبِئُوا. فَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي، وَرَأَيْتُ هذِهِ الرُّؤْيَا الْعَظِيمَةَ. وَلَمْ تَبْقَ فِيَّ قُوَّةٌ، وَنَضَارَتِي تَحَوَّلَتْ فِيَّ إِلَى فَسَادٍ، وَلَمْ أَضْبِطْ قُوَّةً" (دانيال 10: 7 و8).

"فَلَمَّا رَأَيْتُهُ سَقَطْتُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ كَمَيِّتٍ، فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَيَّ قَائِلًا لِي: لاَ تَخَفْ، أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ" (رؤيا 1: 17).

في حالة يوحنا، كان الرب يسوع هو الذي رآه يوحنا في الرؤيا. إن طبيعة الملائكة الطاهرة المقدسة تفضح طبيعة الإنسان الخاطئة كما يفعل الآب والابن. تطرقنا في الفصل العاشر إلى ما يحدث عندما نأتي إلى محضر الله:

"**وَأَقْتَرِبُ إِلَيْكُمْ لِلْحُكْمِ**، وَأَكُونُ شَاهِدًا سَرِيعًا عَلَى السَّحَرَةِ وَعَلَى الْفَاسِقِينَ وَعَلَى الْحَالِفِينَ زُورًا وَعَلَى السَّالِبِينَ أُجْرَةَ الأَجِيرِ: الأَرْمَلَةِ وَالْيَتِيمِ، وَمَنْ يَصُدُّ الْغَرِيبَ وَلاَ يَخْشَانِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ" (ملاخي 3: 5).

عندما يقرأ البشر هذه الآيات يظنون أن الله سيقطع الآشرار ويهلكهم في غضبه. مرة أخرى تعمل كلمة الله كمرآة. فالنص يقول: "وأقترب إليكم للحكم". أي أن الله أبانا يريد أن يقترب منا ويتحاجج معنا بشأن خطايانا. وعندما يأتي الإنسان في محضر ذاك الذي هو عظيم في تضحيته ومحبته، فلن يترك ذلك أي خيار سوى التوبة او الفرار من النور. لا يمكن أن تكون هناك سلبية في محضر الله.

وأولئك الذين يتمسكون بخطاياهم يركضون لنيل ما يظنون أنه سيمنحهم الحياة، لكنهم في الواقع يظهرون أنهم يحبون الموت ويهربون من الحياة.

نقيةٌ وطاهرةٌ جدًا طبيعة الملائكة الأطهار القديسين لدرجة أن مجرد وجودهم يثير الرعب في قلوب البشر ويجعلهم يقعون على وجووههم جامدين غير قادرين على الحركة. وإذ نواصل قراءتنا للقصة الواردة في دانيال الأصحاح العاشر سنرى أن دانيال كان بحاجة لقوة حتى يتحمل رؤية الملاك القدوس وحضوره.

"وَسَمِعْتُ صَوْتَ كَلاَمِهِ. وَلَمَّا سَمِعْتُ صَوْتَ كَلاَمِهِ كُنْتُ مُسَبَّخًا عَلَى وَجْهِي، وَوَجْهِي إِلَى الأَرْضِ. **وَإِذَا بِيَدٍ لَمَسَتْنِي وَأَقَامَتْنِي مُرْتَجِفًا عَلَى رُكْبَتَيَّ وَعَلَى كَفَّيْ يَدَيَّ.** وَقَالَ لِي: «يَا دَانِيآلُ، أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَحْبُوبُ افْهَمِ الْكَلاَمَ الَّذِي أُكَلِّمُكَ بِهِ، وَقُمْ عَلَى مَقَامِكَ لأَنِّي الآنَ أُرْسِلْتُ إِلَيْكَ». وَلَمَّا تَكَلَّمَ مَعِي بِهذَا الْكَلاَمِ **قُمْتُ مُرْتَعِدًا**. فَقَالَ لِي: «**لاَ تَخَفْ يَا دَانِيآلُ**، لأَنَّهُ مِنَ الْيَوْمِ الأَوَّلِ الَّذِي فِيهِ جَعَلْتَ قَلْبَكَ لِلْفَهْمِ وَلإِذْلاَلِ نَفْسِكَ قُدَّامَ إِلهِكَ، سُمِعَ كَلاَمُكَ، وَأَنَا أَتَيْتُ لأَجْلِ كَلاَمِكَ ... فَلَمَّا تَكَلَّمَ مَعِي بِمِثْلِ هذَا الْكَلاَمِ جَعَلْتُ وَجْهِي إِلَى الأَرْضِ وَصَمَتُّ. وَهُوَذَا كَشِبْهِ بَنِي آدَمَ لَمَسَ شَفَتَيَّ، فَفَتَحْتُ فَمِي وَتَكَلَّمْتُ وَقُلْتُ لِلْوَاقِفِ أَمَامِي: «يَا سَيِّدِي، بِالرُّؤْيَا انْقَلَبَتْ عَلَيَّ أَوْجَاعِي فَمَا ضَبَطْتُ قُوَّةً. فَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ عَبْدُ سَيِّدِي هذَا أَنْ يَتَكَلَّمَ مَعَ سَيِّدِي هذَا وَأَنَا فَحَالًا، لَمْ تَثْبُتْ فِيَّ قُوَّةٌ وَلَمْ تَبْقَ فِيَّ نَسَمَةٌ؟». فَعَادَ وَلَمَسَنِي كَمَنْظَرِ إِنْسَانٍ وَقَوَّانِي، وَقَالَ: «**لاَ تَخَفْ أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَحْبُوبُ. سَلاَمٌ لَكَ. تَشَدَّدْ. تَقَوَّ». وَلَمَّا كَلَّمَنِي تَقَوَّيْتُ** وَقُلْتُ: «لِيَتَكَلَّمْ سَيِّدِي لأَنَّكَ قَوَّيْتَنِي»" (دانيال 10: 9 – 12 و15-19).

كان على الملاك أن يطمئن دانيال ويقول له "أيها الرجل المحبوب" مرتين وأنه لا داع للخوف. لا يسجل الكتاب المقدس أي خطية ارتكبها دانيال في حياته، إلا أنه ارتعد وارتجف عندما كان في محضر ملاك قدوس بار. لم يرد له الملاك أي أذى وأكد له محبة الله، ورغم ذلك كان مرتجفًا ومرتعدًا ولم يضبط قوة، وكان ذلك بعد مرور أسابيع من الصلاة والصوم. فإذا كان ذلك هو اختبار رجل تقي وبار كدانيال فما الذي سيحدث للأشرار؟ لو بقي دانيال في محضر الملاك لفترة طويلة دون أن يتقوّى، فموته كان ممكنًا جدًا مع أن الملاك لم يكن في نيته سوى الخير والمحبة له.

السؤال الذي يجب طرحه هو: ما هو سبب الخوف الرهيب الذي شعر به دانيال وأدى إلى فقدانه القوة؟ لقد كان ذلك بسبب طبيعته الخاطئة وإتصالها ببهاء حضور ملاك الله وقداسته. فطبيعة الله وصفاته المضحية الطاهرة هي نار آكلة لبني البشر الخطاة.

"وَكَانَ مَنْظَرُ مَجْدِ الرَّبِّ كَنَارٍ آكِلَةٍ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ أَمَامَ عُيُونِ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (خروج 24: 17).

فهل مات جنود الجيش الآشوري بسبب خوفهم الشديد من منظر الملاك؟ من المحتمل. هل أصبح الجنود غير قادرين على الحركة بسبب رؤيتهم للملاك فوقعوا على الأرض خائفين، وبعد ذلك قام الشيطان بقتلهم بغضب نظرًا لضعفهم؟ لا نعلم لأن الكتاب المقدس لم يخبرنا بذلك. لا يخبرنا الكتاب سوى أن الجنود واجهوا الملاك وفي الصباح ماتوا. لو قرأت هذه القصة من وجهة نظر الرب يسوع ومن خلال شخصيته وصفاته، ستعلم أن الملاك لم تكن لديه أي رغبة في قتلهم. عندما طهّر الرب يسوع الهيكل، هرب البشر بخوف، ورغم ذلك فقد كان بإمكان كل واحد منهم أن يرجع بندم وتوبة متضرعًا إلى الله ليرحمهم ويغفر لهم ويسامحهم على شرورهم وخطاياهم. كانت للجنود وهم في محضر الملاك فترة وجيزة يكتشفون فيها عمق شرهم وخطيتهم. ربما واجههم الملاك بخطاياهم ليشجعهم على التوبة والرجوع عن مخططاتهم ومكايدهم لكنهم رفضوا وبالتالي تُركوا لرحمة الشيطان. لا يمكننا أن نقول بأي يقين ولكننا نعلم أن ملائكة الله ممتلئون بشخصية يسوع وصفاته، والرب يسوع لم يقتل أحدًا على الإطلاق.

نعلم أن الأشرار سيهلكون ببهاء مجد المسيح عندما يأتي في مجيئه الثاني. أي أن شخصية المسيح وصفاته سوف تُعلَن وهو ما سينتج عنه عذابًا رهيبًا يحس به الخاطئ. وهذا العذاب يحدث لأن الخاطئ يرفض التوبة، فيمتلئ قلبه بالخوف. ورد وصف هذه العملية في كتاب أسدراس الثاني وهو أحد كتب الأبوكريفا إذ يقول:

"فرأيت فقط أنه أخرج عاصفة نارية من فمه، ونفسًا متقدًا من بين شفتيه، وقذف شُررًا وعواصف من لسانه. فاختلطت جميعها معًا: عاصفة النار والنفس المتقد والعاصفة العظيمة، وسقطت بعنف على الجمع الذي كان مستعدًا للحرب. فحرق كل واحد منهم، وفجأة لم يتبق أحد من ذلك الجمع العظيم الذي لا يُحصى. ولم يُرَ شيئًا سوى التراب ورائحة الدخان، فعندما رأيت ذلك خفت" (أسدراس الثاني 13: 10 و11).

"أرني الآن تفسير هذا الحلم" (أسدراس الثاني 13: 15).

"ويجتمع جمع عظيم لا يُحصى كما ترى، على استعداد أن يأتوا ويغلبوه بالقتال. ولكنه يقف على قمة جبل صهيون. وتأتي صهيون، ويراها جميع الناس، وتكون مهيأة ومشيَّدة كالأكمة والتلال المحفورة بلا أيادي. وابني هذا يوبّخ مصنوعات (اختراعات) تلك الأمم الشريرة، والتي بسبب حياتها الشريرة قد سقطت في العاصفة، ويضع أفكارهم الشريرة قدامهم، وعذابهم يكون بما يشبه لهيب النار، ويهلكهم بدون جهدٍ بالشريعة التي هي مثلي" (إسدراس الثاني 13: 34 – 38).

إن تعرض الأشوريين للضرب والهلاك بواسطة ملاك الرب يبين أن هذه هي كلمة الله التي تبكت أولئك الرجال على خطاياهم وشرورهم. لقد حلَّ عليهم الهلاك كعاصفة عظيمة، ورفضهم التوبة كان سبب ألمهم.

"فَاحْتَرَقَ النَّاسُ احْتِرَاقًا عَظِيمًا، وَجَدَّفُوا عَلَى اسْمِ اللهِ الَّذِي لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى هذِهِ الضَّرَبَاتِ، وَلَمْ يَتُوبُوا لِيُعْطُوهُ مَجْدًا. ثُمَّ سَكَبَ الْمَلاَكُ الْخَامِسُ جَامَهُ عَلَى عَرْشِ الْوَحْشِ، فَصَارَتْ مَمْلَكَتُهُ مُظْلِمَةً. وَكَانُوا يَعَضُّونَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ مِنَ الْوَجَعِ. وَجَدَّفُوا عَلَى إِلهِ السَّمَاءِ مِنْ أَوْجَاعِهِمْ وَمِنْ قُرُوحِهِمْ، وَلَمْ يَتُوبُوا عَنْ أَعْمَالِهِمْ" (رؤيا 16: 9 – 11).

لقد هلكوا بلا جهد أو تعب بالشريعة التي هي نسخة طبق الأصل من شخصية الله وصفاته. أليست هذه النار هي نفسها النار التي أكلت ابني هارون ناداب وأبيهو عندما قرَّبا أمام الرب نارًا غريبةً لم يأمرهما به؟ فعلى الرغم من أن النار التي خرجت من عند الرب أكلتهما، إلا أنهما رُفِعا في قميصيهما إلى خارج المحلة.

"فَخَرَجَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ وَأَكَلَتْهُمَا، فَمَاتَا أَمَامَ الرَّبِّ. فَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: «هذَا مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ قَائِلًا: فِي الْقَرِيبِينَ مِنِّي أَتَقَدَّسُ، وَأَمَامَ جَمِيعِ الشَّعْبِ أَتَمَجَّدُ». فَصَمَتَ هَارُونُ. فَدَعَا مُوسَى مِيشَائِيلَ وَأَلْصَافَانَ ابْنَيْ عُزِّيئِيلَ عَمِّ هَارُونَ، وَقَالَ لَهُمَا: «تَقَدَّمَا ارْفَعَا أَخَوَيْكُمَا مِنْ قُدَّامِ الْقُدْسِ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ». **فَتَقَدَّمَا وَرَفَعَاهُمَا فِي قَمِيصَيْهِمَا إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ، كَمَا قَالَ مُوسَى**" (لاويين 10: 2 – 5).

كما توجد هناك طريقة أخرى نعرف من خلالها أن هذا الضرب هو ضرب التبكيت على الخطية. لاحظ معي الطريقة التي تُستَخدم بها كلمة "ضرب" في النصوص التالية:

"وَكَانَ بَعْدَ ذلِكَ أَنَّ **قَلْبَ دَاوُدَ ضَرَبَهُ** [H5221] عَلَى قَطْعِهِ طَرَفَ جُبَّةِ شَاوُلَ" (صموئيل الأول 24: 5).

"**وَضَرَبَ** [H5221] **دَاوُدَ قَلْبُهُ** بَعْدَمَا عَدَّ الشَّعْبَ. فَقَالَ دَاوُدُ لِلرَّبِّ: لَقَدْ أَخْطَأْتُ جِدًّا فِي مَا فَعَلْتُ، وَالآنَ يَا رَبُّ أَزِلْ إِثْمَ عَبْدِكَ لأَنِّي انْحَمَقْتُ جِدًّا" (صموئيل الثاني 24: 10).

وهي نفس الكلمة الواردة في ملوك الثاني 19: 35

"وَكَانَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ **خَرَجَ وَضَرَبَ** [H5221] مِنْ جَيْشِ أَشُّورَ مِئَةَ أَلْفٍ وَخَمْسَةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا. وَلَمَّا بَكَّرُوا صَبَاحًا إِذَا هُمْ جَمِيعًا جُثَثٌ مَيْتَةٌ" (ملوك الثاني 19: 35).

لا يتبقَ الآن إلا قصة هيردوس وضرب الملاك له.

"فَفِي الْحَالِ ضَرَبَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ لأَنَّهُ لَمْ يُعْطِ الْمَجْدَ للهِ، فَصَارَ يَأْكُلُهُ الدُّودُ وَمَاتَ" (أعمال 12: 23).

من السهل شرح هذه القصة ولا سيما بعد دراستنا للقصص والأمثلة السابقة. لقد تعدى هيردوس على الشريعة وكسر العهد الأبدي. فبكتته كلمة الله تبكيتًا شديدًا حتى يتوب ويرجع عن مساره الخاطئ وتصرفاته الشريرة. سبب له هذا التبكيت ألمًا وعذابًا عقليًا لكنه رفض التوبة. وهذا الرفض سمح للشيطان أن يسيطر عليه ويقتله بالمرض. دُفِع هيردوس ليد العدو لأنه كسر العهد.

"**أَجْلِبُ عَلَيْكُمْ سَيْفًا يَنْتَقِمُ نَقْمَةَ الْمِيثَاقِ، فَتَجْتَمِعُونَ إِلَى مُدُنِكُمْ وَأُرْسِلُ فِي وَسَطِكُمُ الْوَبَأَ فَتُدْفَعُونَ بِيَدِ الْعَدُوِّ**" (لاويين 26: 25).

لقد جلب المسيح على هيردوس سيف كلمته. رفض هيرودس التوبة ولذلك "دُفِع ليد العدو" الذي جلب الوبأ عليه. فما هو الفرق بين الضربة التي تعرَّض لها هيرودس واختبار بطرس؟ كان لدى بطرس ضميرًا صافيًا عندما حلَّت عليه قوة يوم الخمسين، لكن هيرودس لم يكن كذلك. تعرَّض

بطرس للسجن بسبب التبشير باسم يسوع وكان ينتظر الموت. وعندما أيقظه الملاك لم يكن خائفًا أو مرتعدًا وهو في محضره. أما هيرودس فقد اختبر شيئًا مختلفًا تمامًا. فقد كان الأمر بالنسبة له كالرعد.

"أَيُّهَا الآبُ مَجِّدِ اسْمَكَ!. فَجَاءَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ: «مَجَّدْتُ، وَأُمَجِّدُ أَيْضًا!». فَالْجَمْعُ الَّذِي كَانَ وَاقِفًا وَسَمِعَ، قَالَ: «قَدْ حَدَثَ رَعْدٌ!». وَآخَرُونَ قَالُوا: «قَدْ كَلَّمَهُ مَلاَكٌ!»" (يوحنا 12: 28 و29).

إن الضرب الذي كان من الممكن أن يكون صوتًا منخفضًا هامسًا كان كالرعد لهيرودس وأرعبه حتى الموت. لا توجد ميول لدى الملائكة لقتل البشر، فهم يعلمون أن الشر الذي يوجد في قلوب الناس والذي يُعلن للبشر بواسطة بهائهم وقداستهم يكفي لقتلهم دون أي دافع أو حافز من جانب الملائكة. فالملائكة يجولون ويتحركون بين البشر مقدمين لهم الحماية المستمرة ويحجبون مجدهم الكامل عنهم لحمايتهم. يا لعظم لطفهم ورحمتهم بنا!

نرى أن ضرب الملائكة للناس الذي يؤدي إلى موتهم يحدث عندما تبكت كلمة الله الناس على خطيتهم. فالعذاب والألم اللذان يشعر بهما الإنسان بسبب شروره وخطاياه يُحدِثان العذاب النفسي والعقلي. إن وجود الوبأ يدل على انسحاب روح الله، وأن المُهلِك قد قام بعمله بسبب توقف الله عن حماية أولئك الذين يرفضون التوبة. فالخطية هي التي تعاقب الخطية. وملائكة الله مملئون بروح يسوع، وهم يحفظون وصايا الآب ولا يحملون سيفًا حرفيًا. لكنهم أقوياء وجبابرة في كلمة الله وممتلئون ببر يسوع. وطهارتهم وبهائهم ومحبتهم وقداستهم تفضح شر الخطاة، وقداستهم تثير الرعب في قلوب الأشرار. فقداستهم هي قوتهم الأساسية، لكنهم مُنِحوا أيضًا قوةً لكبح جماح قوى الشرير.

لذلك فإن الملائكة الأطهار الصالحين لديهم قوة هائلة. وعندما يُطلَب منهم الانسحاب أو التراجع عن عمل الحماية الموكل إليهم، فإنهم يسمحون لغضب الشيطان وقوته الكاملة أن تُطلَق لتصيب البشر. ورغم أنهم لا يرغبون في القيام بذلك، إلا أنهم سيفعلون ذلك عندما يُطلَب منهم ذلك. لا يمكن أن يحدث هذا إلا عندما يرفض الشخص أن يلتفت إلى إنذارات الله ويصر على كسر وصاياه. وبعد سنوات من التمهل وطول الأناة ورفض التوسلات الإلهية، فروح الله يضطر أن يسمح للخاطئ بالحصول على السيد الذي اختاره.

يا لها من بركة عظيمة أن نكون تحت حمايتهم وعنايتهم وإرشادهم. في بعض الأحيان يُعلنون حضورهم لمنع البشر من ارتكاب أعمالهم الشريرة، لكن الأشخاص المصممين على اتباع مسار خطيتهم وشرهم يفضلون الموت المرعب على التوبة والخلاص. وهذا هو الشر الذي يوجد في قلب الإنسان. لا ينبغي لنا أن نخاف أبدًا من ملائكة الله، فمن المستحيل أن يتحولوا من حمايتهم وحراستهم لنا إلى قتلنا، فهم يصعدون وينزلون في كل حين على ابن الإنسان الذي لم يقتل أحدًا البتة.

18. عبارات صريحة

قبل الانتقال لتناول المزيد من الأمثلة في الكتاب المقدس التي تجعلنا نظن أن الله يقتل الناس، نحتاج إلى إعادة النظر في بعض المبادئ التي وضعناها سابقًا وتطبيقها.

من السهل جدًا أخذ أجزاء منفصلة من الكتاب المقدس ووضعها معًا لتكوين حجة لتدمير حقيقة أن الله هو حقًا إله محب ورحيم ورؤوف. لقد أُخبِرت في الكثير من الأوقات، "أنت تقول أن الله لا يقتل الناس ولكن الكتاب المقدس يخبرك بوضوح أنه يفعل ذلك". سأدرج لك، عزيزي القارئ، مجموعة من النصوص التي تُستخدم لإثبات ذلك. وهذه النصوص عندما يتم تجميعها ووضعها معًا، يبدو أنها تمثل حجة قوية ومقنعة لكثير من الناس.

"فَقَالَ الرَّبُّ: أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ" (تكوين 6: 7).

"فَأَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيتًا وَنَارًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ" (تكوين 19: 24).

"وَكَانَ عِيرٌ بِكْرُ يَهُوذَا شِرِّيرًا فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، فَأَمَاتَهُ الرَّبُّ" (تكوين 38: 7).

"فَفَبُحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ مَا فَعَلَهُ، فَأَمَاتَهُ أَيْضًا" (تكوين 38: 10).

"وَكَانَ لَمَّا تَقَسَّى فِرْعَوْنُ عَنْ إِطْلاَقِنَا أَنَّ الرَّبَّ قَتَلَ كُلَّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ، مِنْ بِكْرِ النَّاسِ إِلَى بِكْرِ الْبَهَائِمِ. لِذلِكَ أَنَا أَذْبَحُ لِلرَّبِّ الذُّكُورَ مِنْ كُلِّ فَاتِحِ رَحِمٍ، وَأَفْدِي كُلَّ بِكْرٍ مِنْ أَوْلاَدِي" (خروج 13: 15).

"فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ لِيَرْجِعَ الْمَاءُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ، عَلَى مَرْكَبَاتِهِمْ وَفُرْسَانِهِمْ». فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ فَرَجَعَ الْبَحْرُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ إِلَى حَالِهِ الدَّائِمَةِ، وَالْمِصْرِيُّونَ هَارِبُونَ إِلَى لِقَائِهِ. فَدَفَعَ الرَّبُّ الْمِصْرِيِّينَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ. فَرَجَعَ الْمَاءُ وَغَطَّى مَرْكَبَاتِ وَفُرْسَانَ جَمِيعِ جَيْشِ فِرْعَوْنَ الَّذِي دَخَلَ وَرَاءَهُمْ فِي الْبَحْرِ. لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ وَلاَ وَاحِدٌ" (خروج 14: 26 – 28).

"وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: رَأَيْتُ هذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ. فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ، فَأُصَيِّرَكَ شَعْبًا عَظِيمًا" (خروج 32: 9 و10).

فَقَالَ لَهُمْ: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: ضَعُوا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَمُرُّوا وَارْجِعُوا مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ فِي الْمَحَلَّةِ، وَاقْتُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ». فَفَعَلَ بَنُو لاَوِي بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ رَجُل" (خروج 32: 27 و28).

"وَأَخَذَ ابْنَا هَارُونَ: نَادَابُ وَأَبِيهُو، كُلٌّ مِنْهُمَا مِجْمَرَتَهُ وَجَعَلاَ فِيهِمَا نَارًا وَوَضَعَا عَلَيْهَا بَخُورًا، وَقَرَّبَا أَمَامَ الرَّبِّ نَارًا غَرِيبَةً لَمْ يَأْمُرْهُمَا بِهَا. فَخَرَجَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ وَأَكَلَتْهُمَا، فَمَاتَا أَمَامَ الرَّبِّ" (لاويين 10: 1 و2).

"وَكَانَ الشَّعْبُ كَأَنَّهُمْ يَتْشْتَكُونَ شَرًّا فِي أُذُنَيِ الرَّبِّ. وَسَمِعَ الرَّبُّ فَحَمِيَ غَضَبُهُ، فَاشْتَعَلَتْ فِيهِمْ نَارُ الرَّبِّ وَأَحْرَقَتْ فِي طَرَفِ الْمَحَلَّةِ" (سفر العدد 11: 1).

"فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: خُذْ جَمِيعَ رُؤُوسِ الشَّعْبِ وَعَلِّقْهُمْ لِلرَّبِّ مُقَابِلَ الشَّمْسِ، فَيَرْتَدَّ حُمُوُّ غَضَبِ الرَّبِّ عَنْ إِسْرَائِيلَ" (سفر العدد 25: 4).

"فَتَجَنَّدُوا عَلَى مِدْيَانَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ وَقَتَلُوا كُلَّ ذَكَرٍ" (سفر العدد 31: 7).

"وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ. لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ" (تثنية 7: 2).

"انْظُرُوا الآنَ! أَنَا أَنَا هُوَ وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي. أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي. سَحَقْتُ، وَإِنِّي أَشْفِي، وَلَيْسَ مِنْ يَدِي مُخَلِّصٌ" (تثنية 32: 39).

"فَأَزْعَجَهُمُ الرَّبُّ أَمَامَ إِسْرَائِيلَ، وَضَرَبَهُمْ ضَرْبَةً عَظِيمَةً فِي جِبْعُونَ، وَطَرَدَهُمْ فِي طَرِيقِ عَقَبَةِ بَيْتِ حُورُونَ، وَضَرَبَهُمْ إِلَى عَزِيقَةَ وَإِلَى مَقِّيدَةَ. وَبَيْنَمَا هُمْ هَارِبُونَ مِنْ أَمَامِ إِسْرَائِيلَ وَهُمْ فِي مُنْحَدَرِ بَيْتِ حُورُونَ، رَمَاهُمُ الرَّبُّ بِحِجَارَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى عَزِيقَةَ فَمَاتُوا. وَالَّذِينَ مَاتُوا بِحِجَارَةِ الْبَرَدِ هُمْ أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِالسَّيْفِ" (يشوع 10: 10 و11).

"هكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ مِنْ مِصْرَ. فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلًا وَامْرَأَةً، طِفْلًا وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلًا وَحِمَارًا" (صموئيل الأول 15: 2 و3).

وغيرها من النصوص التي عندما نقرأها نشعر أنها واضحة وصريحة وتتحدث عن قتل الله للناس أو أمره بقتلهم، لكن هذه القصص مجتمعة لا تُقارن بالقتل الجماعي للبشر الموصوف في سفر الرؤيا في العهد الجديد.

"ثُمَّ مَتَى تَمَّتِ الأَلْفُ السَّنَةِ يُحَلُّ الشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ، وَيَخْرُجُ لِيُضِلَّ الأُمَمَ الَّذِينَ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ: جُوجَ وَمَاجُوجَ، لِيَجْمَعَهُمْ لِلْحَرْبِ، الَّذِينَ عَدَدُهُمْ مِثْلُ رَمْلِ الْبَحْرِ. فَصَعِدُوا عَلَى عَرْضِ الأَرْضِ، وَأَحَاطُوا بِمُعَسْكَرِ الْقِدِّيسِينَ وَبِالْمَدِينَةِ الْمَحْبُوبَةِ، فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُمْ. وَإِبْلِيسُ الَّذِي كَانَ يُضِلُّهُمْ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ وَالْكِبْرِيتِ، حَيْثُ الْوَحْشُ وَالنَّبِيُّ الْكَذَّابُ. وَسَيُعَذَّبُونَ نَهَارًا وَلَيْلًا إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ" (رؤيا 20: 7 – 10).

يخبرنا النص السابق أن الأشرار سيكونون كرمل البحر. كيف هذا؟ وكم عدد حبات الرمل الموجودة على شاطئ البحر؟ لنفترض أن هذا العدد هو 100 بليون، فهل يمكنك أن تتخيل هذا العدد من الناس

وهم يصرخون من شدة الألم والعذاب الرهيب؟ تبدو روايات العهد القديم وكأنها كقصص رياض أطفال مقارنة بما تصرّح به كلمة الله في سفر الرؤيا.

يقرأ العديد من المسيحيين، في شكل غريب من أشكال الانتصار، هذه النصوص ويصرحون بأنها تثبت أن الإله الذي "يعبدونه" يُلحق العذاب الرهيب بالمليارات والمليارات من الناس لتمردهم عليه وذلك بحرقهم أحياءً في النار لأنهم يستحقون ذلك.

ولذلك فالكثير من الذين يؤمنون بالكتاب المقدس يتجاهلون أو يتجنبون النصوص التي يبدو وأن الله يأمر فيها بقتل الأطفال. ولكن هناك أشخاص بسبب قسوة قلوبهم الشديدة يدافعون عن السلوك الذي يدعو إلى العنف والقتل ويعتبرون ذلك أمرًا إلهيًا.

فما يعتبرونه برهان النصر هو في الحقيقة أعظم دليل على هزيمتهم.

مَنْ منا يستطيع أن يتخيل العيش في محضر هذا الكائن الرهيب وتقديم العبادة على ركبتين منحنيتين له؟ وهل يا ترى نحاول إقناع أنفسنا بأنه لا يجب علينا الشعور بالخوف الشديد إذا قام بقتلنا في يوم ما؟

إذا كانت القراءة الصحيحة لهذه القصص تعني أن الله يرسل ألواحًا من اللهب من عنده مباشرة ليهلك بها الأشرار، في حين أن الأبرار الصالحين يشاهدون هذه الأحداث كفيلم من أسوار صهيون ويسمعون صراخ الملعونين وعويلهم، فهل حقًا سيفرح الأبرار عندما يرون أحبائهم وذويهم الذين رفضوا الحق وهم يحترقون أحياءً (سواء لفترة وجيزة أو بشكل دائم) دون أي رحمة؟

هل هناك نوع من الرضا أو السعادة المقدسة بأن الإله الذي تعبده لا يقتل أفراد أسرتك الضالين فحسب بل يعذبهم أولاً ويهلكهم ببطء بطريقة مرعبة لا يمكن تصورها؟

ربما يقول البعض أن الله سيمسح كل دمعة من عيونهم ويزيل الأمور الأولى من ذاكرتهم.

"وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ" (رؤيا 21: 4).

أهذا هو النعيم الأبدي المرغوب فيه؟ أم أنه وسيلة يلجأ إليها الأشخاص الذين لا يمكن وصف مدى القسوة والشر الذي يوجد في شخصيتهم للقضاء على الأدلة والبراهين؟

ثمة شيء مقلق وغير مريح على الإطلاق في هذه الصورة لأي شخص عاقل قد اختبر فرح المحبة داخل إطار العلاقة الزوجية أو احتضن طفلاً بين ذراعيه، أو شعر بدفء حضن أبيه أو أمه، أو حتى أولئك الذين يعتنون بحيواناتهم الغالية كالحصان أو الكلب أو القط.

إن استخدام هذه النصوص بهذه الطريقة غالبًا ما يكون مصحوبًا بالإدعاء الجازم أنه ينبغي قبول الكتاب المقدس كما هو أو أنه يتعيّن علينا قراءته بصورة حرفية وقبول هذه العبارات الواضحة والصريحة كدليل على أن الله سيقوم بقتل الأشرار.

ما من شك أنه يتعيّن علينا قبول الكتاب المقدس كما هو. لكن قبول الكتاب المقدس كما هو يعني قبوله بجملته وليس فقط أجزاء منه تتوافق أو تتماشى مع الحجة التي نحاول إثباتها.

كما تعلمنا في الفصل الثاني، يجب أخذ كل النصوص والآيات التي تتحدث عن موضوع معين ووضعها معًا. فالأشخاص الذين يستنتجون أن الله هو المسؤول المباشر عن قتل الناس لا يقرأون الكتاب المقدس بجملته، لكنهم يقرأون فقط الأجزاء التي تتفق مع رأيهم وموقفهم. فلو قرأت الكتاب المقدس بأكمله، ستكتشف أن هناك قصص في الكتاب المقدس لا تبدو وأنها متوافقة مع بعضها في البداية. المقارنة التالية ستوضح لنا ذلك:

وديع ومتواضع ومحب	منتقم وممتلئ كراهية ومُهلِك
"فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ **كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!**" (متى 26: 52).	"إِنِّي أَرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ يَدِي وَأَقُولُ: حَيٌّ أَنَا إِلَى الأَبَدِ. **إِذَا سَنَنْتُ سَيْفِي الْبَارِقَ، وَأَمْسَكَتْ بِالْقَضَاءِ يَدِي، أَرُدُّ نَقْمَةً عَلَى أَضْدَادِي**، وَأُجَازِي مُبْغِضِيَّ" (تثنية 32: 40 و41).

"لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّصَ" (لوقا 9: 56). "لاَ يَسُوؤُونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي، لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ" (إشعياء 11: 9).	"فَقَالَ الرَّبُّ: أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ" (تكوين 6: 7).
"وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ" (متى 5: 44).	"وَتُعْطِينِي أَقْفِيَةَ أَعْدَائِي، وَمُبْغِضِيَّ أُفْنِيهِمْ" (مزمور 18: 40). "وَبِرَحْمَتِكَ تَسْتَأْصِلُ أَعْدَائِي، وَتُبِيدُ كُلَّ مُضَايِقِي نَفْسِي، لأَنِّي أَنَا عَبْدُكَ" (مزمور 143: 12).
"لاَ تَقْتُلْ" (خروج 20: 13). "وَنَحْنُ جَمِيعًا **نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا**، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ" (كورنثوس الثانية 3: 18).	"وَكَانَ عِيرٌ بِكْرُ يَهُوذَا شِرِّيرًا فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، فَأَمَاتَهُ الرَّبُّ" (تكوين 38: 7). "لِلْقَتْلِ وَقْتٌ وَلِلشِّفَاءِ وَقْتٌ. لِلْهَدْمِ وَقْتٌ وَلِلْبِنَاءِ وَقْتٌ" (جامعة 3: 3).
"وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ" (يوحنا الأولى 4: 8).	"أَحْبَبْتُكُمْ، قَالَ الرَّبُّ. وَقُلْتُمْ: بِمَ أَحْبَبْتَنَا؟ أَلَيْسَ عِيسُو أَخًا لِيَعْقُوبَ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ **وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ**، وَجَعَلْتُ جِبَالَهُ خَرَابًا وَمِيرَاثَهُ لِذِئَابِ الْبَرِّيَّةِ؟" (ملاخي 1: 2 و3).

"لأَنَّ الرَّبَّ صَالِحٌ، إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتُهُ، وَإِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ أَمَانَتُهُ" (مزمور 100: 5). **"احْمَدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ صَالِحٌ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ"** (أخبار الأيام الأول 16: 34).	**"لأَجْلِ ذلِكَ لاَ يَفْرَحُ السَّيِّدُ بِفِتْيَانِهِ، وَلاَ يَرْحَمُ يَتَامَاهُ وَأَرَامِلَهُ"** (إشعياء 9: 17).
"لَيْسَ لِي غَيْظٌ. لَيْتَ عَلَيَّ الشَّوْكَ وَالْحَسَكَ فِي الْقِتَالِ فَأَهْجُمَ عَلَيْهَا وَأَحْرِقَهَا مَعًا" (إشعياء 27: 4).	**"يَكُونُ عِنْدَمَا يَمْلأُ بَطْنَهُ، أَنَّ اللهَ يُرْسِلُ عَلَيْهِ حُمُوَّ غَضَبِهِ،** وَيُمْطِرُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ طَعَامِهِ" (أيوب 20: 23).

إذا قرأت الكتاب المقدس بعناية فسوف تبدأ التناقضات الواضحة في الظهور. وعندما تكتشف هذه التناقضات الواضحة سيكون أمامك خيارين: إما أن تتجاهل نصوص الكتاب المقدس التي لا تتفق مع إيمانك وما تفهمه أو أن تركع بتواضع أمام الله وتطلب منه أن يعلمك كيفية قراءة الكتاب المقدس والتوفيق بين الأجزاء التي تبدو وأنها متناقضة.

السؤال الذي يُطرَح هو: لماذا كتب الله الكتاب المقدس بهذه الطريقة؟ ولماذا لم يُكتَب بطريقة أسهل وأبسط من الطريقة التي كُتِب بها؟ الإنسان غير المتجدد متكبر بطبيعته. كما أنه بطبيعته يكن عداوة في قلبه تجاه الله على الرغم من أنه قد لا يكون على علم بذلك.

"لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ للهِ، إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعًا لِنَامُوسِ اللهِ، لأَنَّهُ أَيْضًا لاَ يَسْتَطِيعُ" (رومية 8: 7).

هذه العداوة ستجعل الإنسان غير المتجدد يقرأ الكتاب المقدس بطريقة تُظهِر الله باعتباره إله قاسٍ ومستبد. وهذا الإنسان ربما يقول أو يزعم أنه يحب الله ويكرمه، لكن عداوته الطبيعية تجاه الله ليست على استعداد أن تتغلب على هذه التناقضات الواضحة، لكنه عوضًا عن ذلك سيختار قراءة جميع النصوص التي تُظهِر أن الله قاتل، ثم تجده يقول بصوت وديع عند الحاجة أنه يجب علينا قبول ما يقوله الكتاب.

إلا أن هذا الإنسان في الحقيقة لا يقبل كل ما يقوله الكتاب المقدس. فهو يقبل ما يريد قبوله ويتجاهل الأجزاء التي تعرض لنا الله في نور مختلف. وبهذه الطريقة نكتشف الحق التالي:

"يُقَاوِمُ اللهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً" (يعقوب 4: 6).

كيف يحدث هذا؟

"لأَنَّهُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ سَامِعًا لِلْكَلِمَةِ وَلَيْسَ عَامِلًا، فَذَاكَ يُشْبِهُ رَجُلًا نَاظِرًا وَجْهَ خِلْقَتِهِ فِي مِرْآةٍ" (يعقوب 1: 23).

"لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ" (متى 7: 2).

"لِذلِكَ أَنْتَ بِلاَ عُذْرٍ أَيُّهَا الإِنْسَانُ، كُلُّ مَنْ يَدِينُ. لأَنَّكَ فِي مَا تَدِينُ غَيْرَكَ تَحْكُمُ عَلَى نَفْسِكَ. لأَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي تَدِينُ تَفْعَلُ تِلْكَ الأُمُورَ بِعَيْنِهَا!" (رومية 2: 1).

عندما يقرأ الإنسان الكتاب المقدس ويتجاهل النصوص التي تخبرنا أن الله هو إله محب للغاية ويختار أن يركز على النصوص التي يبدو وأنها تخبرنا أن الله يقتل الناس قتلاً مباشرًا، فهذا الإنسان يكشف بذلك عن شخصيته وصفاته. وهو كالشيطان يضع صفاته الخاصة على الله ويكشف عن عداوته تجاه الله.

"هذِهِ صَنَعْتَ وَسَكَتُّ. ظَنَنْتَ أَنِّي مِثْلُكَ. أُوَبِّخُكَ، وَأَصُفُّ خَطَايَاكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ" (مزمور 50: 21).

لقد أوحى الله بالكتاب المقدس كي يُكتَب بطريقة تكشف عن شخصية الإنسان وصفاته. إن طبيعة الإنسان التي تجدّف على الله تسعى دائمًا لجعل الله على صورته. فهو يُلقي بطبيعته ودينونته على الله، ولهذا فقد صُمِّم الكتاب المقدس بعناية فائقة ليخلق مرآة تنكشف من خلالها نفوس البشر وصفاتهم الحقيقية.

فعندما يقرأ الإنسان غير المتجدد الكتاب المقدس، فإنه على الفور يرى وجه خلقته في أعمال الله. أما الإنسان الذي يعترف بخطاياه ويعلم أنه لا يوجد أي صلاح فيه، فإنه ينظر عوضًا عن ذلك إلى شخصية يسوع الغالية وصفاته الثمينة، وعندما يقرأ الكتاب المقدس يرى صورة مختلفة تمامًا عن الله. فصفات المسيح المعلنة للناس على الأرض تغيّر الانعكاس القادم من مرآة الكتاب المقدس فيرى شيئًا مختلفًا وتسقط قشور الحيَّة من عينيه ويرى ما هو ثمين حقًا فيغمر ذلك قلبه بالفرح والسعادة.

الإنسان الطبيعي يقرأ الأجزاء أو النصوص التي تتفق أو تتماشى مع تفكيره لكنه يتجاهل بقية النصوص بكل بساطة، أو ربما يشير إلى التناقضات السطحية ويرفض الكتاب المقدس رفضًا تامًا.

أما الإنسان الروحي فيقرأ كل الكتاب المقدس ويتضع بسبب التناقضات التي تبدو واضحة في ظاهرها. ثم يعترف بعدم قدرته على فهم كلمة الله بشكل كامل ويطلب المساعدة لفهمها. وعندما يصبح قابلاً للتعليم، يبدأ الكتاب المقدس في الكشف له عن جمال شخصية الله وصفاته. يتطلب الأمر الكثير من الصلاة والتواضع لفهم هذه الأجزاء المتناقضة بالطريقة التي يريدها الله. وشكرًا لله فقد كان ذلك اختباري واختبار الآخرين. لقد تضرعت إلى الرب عندما وجدت صعوبة في التوفيق بين بعض النصوص التي كنت أقرأها وكانت تبدو متناقضة. لقد ركعت على ركبتي وطلبت من أبي السماوي أن يساعدني ويرشدني إلى الحق. لقد شعرت بفرح عظيم عندما أرشدني الله إلى الحق وأظهره لي بعد الصلاة بلجاجة.

وإذ نتأمل في القصص التالية، لا يجب أن نأخذ نصًا أو إثنين فقط للتوصل إلى استنتاج ما، ولكن يجب علينا جمع كل النصوص التي تتحدث عن موضوع ما ووضعها معًا للتوفيق بينها ودحض التناقضات المزعومة.

يجب أيضًا أن نتذكر مبادئ المرآة. فقد تعلمنا في الفصل التاسع من قصة المرأة الكنعانية التي طلبت من الرب يسوع أن يشفي ابنتها أن الرب يسوع يصيغ كلامه بعناية كي يسمح لسامعيه أن يُلقوا عليه بحكمهم ودينونتهم.

لقد ظهر تحيز التلاميذ وتمييزهم العنصري بشكل كامل من خلال المرآة التي استخدمها الرب يسوع لمساعدتهم على رؤية خطأهم عندما وافق على طلب المرأة. وفي قصة الغني ولعازر عرفنا أن الرب يسوع يستخدم التراث الشعبي السائد وكذلك أفكار سامعيه كي يعلمهم حقائق مهمة. ورغم أن هذه الأفكار لم تكن أفكاره، إلا أنه استخدمها كي يعلّم من خلالها الأشياء التي أراد أن يعلمها وحتى يمكننا نحن أن نفهمها. وهذا مبدأ حَرِج ودقيق يتوجب علينا فهمه عند قراءة الكتاب المقدس. فالرب يسوع يمكنه استخدام كلام ليس كلامه وتعابير ليست تعابيره، وإذا كان الشخص لا يسعى إلى التوفيق بين الكتاب المقدس بأكمله، فهذه النصوص يمكن استخدامها لإثبات أفكار القارئ الخاطئة والتأكيد عليها. وهذا هو عمل المرآة كما ذكرنا سابقًا.

دعونا نلخص بعض المبادئ الأساسية قبل استكمال دراستنا.

1. ادرس كل النصوص التي تتحدث عن موضوع ما، ولا تختار فقط ما تريد.
2. اقترب من دراسة الكتاب بتواضع واطلب من الله أن يمنحك الحكمة.
3. اقرأ الكتاب المقدس من خلال حياة الرب يسوع وهو على الأرض.
4. تذكر دائمًا مبادئ المرآة. فالكتاب المقدس يمكن أن يعبّر عن أفكار هي من تصورات البشر ليعلن من خلالها الحق الكتابي. والكتاب المقدس مكتوب أيضًا بطريقة تجعله يُقرَأ بالجسد أو بالروح. وهذا ما سيحدده القارئ.

19. مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا

من المؤكد أنه كان حدثًا مرعبًا لا يمكن تصوره. فالناس والحيوانات فروا مسرعين لينجوا بحياتهم وكانوا في حالة من الرعب الأكيد.

"فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذلِكَ اليَوْمِ، انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ، وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ. وَكَانَ الْمَطَرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً" (تكوين 7: 11 و12).

إن قصة الطوفان الذي أغرق العالم تسبب قلقًا وإزعاجًا للكثيرين. فهل حقًا يقوم الله بإغراق الملايين من الناس لأن رحمته قد نفدت ولا يوجد بعد ما يقيد أو يمنع يد الدينونة الساحقة المُهلِكة من فعل ذلك؟ هل يفعل الله المُحِب شيء كهذا؟ هذا لغز يحيّر الكثيرين.

عند التعامل مع مسألة أحكام الله ودينونته، ينبغي أن نجعل موت الصليب نصب أعيننا دائمًا لأن الصليب يكشف كيف تجري دينونة الله. وموت الصليب هو المفتاح لفهم الدينونة في الكتاب المقدس. لقد حمل الرب يسوع خطايا البشر لينزع عنا عار الخطية، وثقل الخطية الموضوع عليه سحق نفسه بمساعدة الرغبات الإجرامية التي كانت في قلب من كانوا يريدون قتله. إن الخطية هي التي قتلت

المسيح والخطية هي التي تقتل جميع الناس. المشكلة هي أن الكثير من الناس يعتقدون أن غضب الله هو الذي تطلب موت المسيح. وقد تنبأ إشعياء النبي بهذا.

"مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ. لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولًا" (إشعياء 53: 3 و4).

إذا كنا نحسب المسيح مُصابًا ومضروبًا من الله على الصليب، فكل قصص الكتاب المقدس التي تُظهِر الدينونة على الخطاة سُتَرى على أن الله هو الذي يضربهم. دعونا نتأمل مليًا في قصة الطوفان.

دخل رجلٌ باحترام وأدب إلى محل بقالة وأخبر صاحب المحل أن محله معرض لخطر حقيقي للغاية. وقال له: "سيحل بمتجرك هذا وبأسرتك خرابًا أكيدًا. لا شيء يمكنه إيقاف هذا الخراب أو منعه إلا أن تكون تحت حمايتنا. لقد قدمنا فلك نجاة لأولئك الذين يعترفون بأننا الحماة الحقيقيون الوحيدون للحرية". وأخبره أنه جاء في مهمة رحمة لإنقاذ صاحب المحل من الهلاك المحقق، وأنه عندما يقوم صاحب المحل بمساعدته وتقديم الدعم له، فإنه سينجو من الدمار الآتي الذي سيحل على كافة أصحاب المتاجر الذين يرفضون قبول هذه الحماية. وبعد ذلك وضع الرجل يده بلطف على كتف صاحب المحل متوسلاً إليه أن يدرس بعناية عرض "الرحمة" هذا. وقال له: "لا نريد أن يلحق أي ضرر أو أذى بك أو بأسرتك. سنحزن جدًا إذا حدث ذلك". وحثه الرجل على قبول شروط الحماية الرحيمة.

إذا كان هذا الرجل يقدم حماية من خطر آخر منفصل عنه، فسيكون بذلك متورطًا في جريمة جنائية تسمى "عملية ابتزاز مقابل الحماية". أما إذا كان الهلاك المُعلَن عنه تنفذه نفس المجموعة التي ينتمي إليها هذا الرجل ويمثلها، ففي هذه الحالة ستكون جريمة جنائية اسمها "عملية ابتزاز بغرض الإرغام والاغتصاب". وهي ممارسة قسرية للتلاعب بإرادة الشخص عن طريق التخويف أو التهديد يتخللها نوعًا من الضغط. فعلى سبيل المثال قامت المافيا بابتزاز الأهالي في أحد البلدان من خلال طلب المال بحجة أنها ضريبة للمافيا، التي تحمي السكان وممتلكاتهم من السرقة واللصوص الذين ينتشرون مع الحروب، بذلك تحولت المافيا من مجموعات مسلحة تحمي السكان إلى مافيات تبتز السكان للحصول على الثروة بحجة الحماية.

والسؤال الذي نطرحه: هل يمكن للشخص الذي يقدم رسالة رحمة حقيقية أن يمثّل أيضًا الشخص الذي يهدد بالقتل والهلاك ويمارس الضغط على سامعي الرسالة ويطبق عقوبة الهلاك على أولئك الذين يرفضون قبول الرحمة؟

وهل قصة الطوفان التي وردت في الكتاب المقدس هي في الواقع عملية ابتزاز عالمية النطاق بغرض الإرغام والاغتصاب؟ وهل إله الكتاب المقدس يوفر الحماية لمن يفعلون إرادته ويقتل بعد ذلك أولئك الذين يرفضون التعاون معه ودعمه؟

"فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ. اِصْنَعْ لِنَفْسِكَ فُلْكًا مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ. تَجْعَلُ الْفُلْكَ مَسَاكِنَ، وَتَطْلِيهِ مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ خَارِجٍ بِالْقَارِ" (تكوين 6: 13 و14).

يقول الكتاب المقدس أن الأرض امتلأت ظلمًا وعنفًا. هل يعقل أن يَهلك الله الناس بطريقة عنيفة ويرجع السبب لكونهم ممتلئين عنفًا وظلمًا؟ ألا يعتبر هذا نفاقًا؟

لو نظرنا لكلمة "مهلكهم" في اللغة العبرية، سنجد أنها تعني:

"الجذر البدائي، يتلف، أي (يكون سببًا في) الخراب (حرفيًا أو مجازيًا) – يضرب أو يدقّ، يبيد، يفني، الفاني، يهلك، هالك، هلاك، يضيع، يفسد، يسكب، ساكب، إتلاف".

هذه الكلمة نفسها مستخدمة في الأعداد التي تسبق مباشرة العدد الثالث عشر من سفر التكوين الأصحاح السادس:

"وَفَسَدَتِ [H7843] الأَرْضُ أَمَامَ اللهِ، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ ظُلْمًا. وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ [H7843]، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ [H7843] طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ" (تكوين 6: 11 و12).

فلو استخدمنا الكلمة العبرية التي تعني "يهلك" والتي استخدمها المترجمون للإشارة إلى نفس الكلمة الوارد ذكرها في تكوين 6: 13، ستكون قراءة النص كما يلي:

"وهَلَكَتِ الأَرْضُ أَمَامَ اللهِ، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ ظُلْمًا. وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلَكَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ هَلِكَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ" (تكوين 6: 11 – 12).

والسبب الذي اعتبرت الأرض لأجله أنها فسدت أو هلكت هو أن الإنسان أفسد أو أهلك طريقة تفكيره وامتلأ عنفًا وظلمًا. في هذا الوقت كان عقل الشيطان يهيمن على العالم بالكامل. والكتاب المقدس يخبرنا من أين يأتي هذا الظلم أو العنف:

"بِكَثْرَةِ تِجَارَتِكَ مَلأُوا جَوْفَكَ ظُلْمًا فَأَخْطَأْتَ. فَأَطْرَحُكَ مِنْ جَبَلِ اللهِ وَأُبِيدُكَ أَيُّهَا الْكَرُوبُ الْمُظَلِّلُ مِنْ بَيْنِ حِجَارَةِ النَّارِ" (حزقيال 28: 16).

وهذا يتناقض تمامًا مع المسيح الذي تقول عنه أسفار الوحي المقدسة أنه لم يعمل ظلمًا:

"وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى **أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا**، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ" (إشعياء 53: 9).

وقد صرَّح المرنم في سفر المزامير في حديثه عن ابن الملك بالكلمات التالية:

"مِنَ الظُّلْمِ وَالْخَطْفِ يَفْدِي أَنْفُسَهُمْ، وَيُكْرَمُ دَمُهُمْ فِي عَيْنَيْهِ" (مزمور 72: 14).

لذا فابن الله لا يعمل ظلمًا أو عنفًا، وأولئك الذين يفديهم ينقذهم من التورط في الظلم أو العنف أو أن يتعرضوا للمعاملة العنيفة الجائرة. أما الشيطان فهو ممتلئ بالعنف والظلم وقد ملأ العالم بروحه. فما هي النقطة الجوهرية التي تجعل الشيطان يمتلك روح الظلم والعنف هذه؟

"وَأَيْضًا مَتَى أَدْخَلَ (أي الله الآب) الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ" (عبرانيين 1: 6).

"ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَل عَال جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: أُعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي" (متى 4: 8 و9).

لقد أغار الشيطان من المسيح وأراد أن تُقدَّم له العبادة والسجود كالمسيح، لكن الشيطان هو مخلوق أما المسيح فهو ابن الله الذي يحق له السجود والعبادة. لقد كان الفرق شاسعًا إلى أبعد الحدود، ومع ذلك فقد كان الشيطان يرغب بشدة في انتزاع مكانة المسيح. وهذا ما غرس بذار الظلم والعنف في

قلبه تجاه المسيح. اشتدت كراهية الشيطان تجاه المسيح لدرجة أنه كان يخطط لقتل ابن الله من البدء. وقد كشف صلب المسيح للكون عن نوايا الشيطان الحقيقية قبل خلق هذا العالم.

أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. **ذَاكَ كَانَ قَتَّالًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ**، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ ..." (يوحنا 8: 44).

إن خطط الشيطان الإجرامية ومكايده هي التي غذَّت روح الظلم والعنف لديه. وعندما سقط آدم وحواء في الخطية أصبحا مثل الشيطان في الطبيعة. وروح المسيح الذي كان فيهما طُعِن وسُحِق كالبذرة التي تدق وتُسحَق. إن روح المسيح في الإنسان هو الذي يمنحه الحياة. وهو النور الذي ينير كل إنسان آتٍ إلى العالم (يوحنا 1: 9). لو تخلى المسيح عن آدم وتركه لمات آدم. لقد انسحق روح المسيح في آدم، إلا أن المسيح لم ينسحب ويتركه رغم أن بقائه كان يسبب له ألمًا وعذابًا. ومن آلام المسيح، الصخرة، خرج الماء الروحي الذي أبقى آدم على قيد الحياة. لهذا يقول بولس الرسول:

"حَامِلِينَ فِي الْجَسَدِ كُلَّ حِينٍ **إِمَاتَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ**، لِكَيْ تُظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضًا فِي جَسَدِنَا" (كورنثوس الثانية 4: 10).

"وإن سَقَطُوا، لاَ يُمْكِنُ تَجْدِيدُهُمْ أَيْضًا لِلتَّوْبَةِ، **إِذْ هُمْ يَصْلِبُونَ لأَنْفُسِهِمِ ابْنَ اللهِ ثَانِيَةً وَيُشَهِّرُونَهُ**" (عبرانيين 6: 6).

لقد خُلِق آدم وحواء على صورة الله، لكن الشيطان كان يكره هذه الصورة وأراد إفسادها وتدميرها. إن كافة أعمال العنف والظلم التي يرتكبها الإنسان تجاه أخيه الإنسان هي إعلان لروح الشيطان المتصارعة مع روح المسيح. يصعب فهم هذا الفكر في البداية لكنه معلن بكل بوضوح في الكتاب المقدس. وحالما يتم فهمه، فإنه سيغيّر تمامًا الطريقة التي نفهم بها الظلم والعنف الموصوف في الكتاب المقدس وما يحدث. ربما نظن أن فكرة قتل الإنسان لأخيه الإنسان هي فكرة غير معقولة بالمرة، إلا أن الأمر لن يكون كذلك عندما نفهم أن الشيطان يحاول طعن المسيح من خلال قدرته على تحريض البشر على القتل وإيذاء بعضهم البعض.

"الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ" (متى 25: 40).

من المهم جدًا فهم هذه النقطة. فكل أعمال العنف هي من وحي وإلهام الروح الممتلئة بالحسد والكره لابن الله. لذلك فإن كل عنف بما في ذلك العنف المرتكب بحق النفس والانتحار هو أيضًا اشتراك في هذا الكره تجاه المسيح حتى ولو كان السبب الأصلي غير معروف تمامًا للفرد. فمظاهر الكره تجاه الجار وأعمال العنف المرتكبة بحق أعدائنا وبحق أنفسنا تغذيها كراهية الشيطان للمسيح وعداوته له. هذا هو أصل ومصدر كل عنف وكراهية.

والعنف الموصوف في سفر التكوين الأصحاح السادس هو مظهر من مظاهر كراهية الشيطان للمسيح، وكراهية الشيطان لله تنتشر عن طريق كراهية الناس لبعضهم. وبما أن المسيح هو المصدر الوحيد للحياة، فإن النتيجة النهائية لهذه الكراهية بجملتها هي تدمير الذات.

وروح العنف التي في الإنسان تجلَّت في الموت الأول الذي حدث في الجنَّة ألا وهو موت الحَمَل. فقتل هذا الحيوان أظهر طبيعة آدم العنيفة، ومن خلال هذه الذبيحة كان الله يبيّن (يُظهِر) لآدم البذرة التي كانت تسكن بداخل قلبه. وبذرة العنف هذه سرعان ما انفجرت في قايين عندما قتل أخيه هابيل.

كان السبيل الوحيد لاستمرار الإنسان في الحياة هو أن يستمر المسيح في إمداد الجنس البشري بقوة الحياة التي توجد فيه. ولهذا السبب المسيح هو الحمل المذبوح منذ تأسيس العالم (رؤيا 13: 8). لقد جُرِح المسيح لأجل معاصينا منذ البدء، وسُحِق لأجل آثامنا منذ بداية الخطية. ولكي يعيش الإنسان، كان على المسيح الاستمرار في حمل كل إنسان رغم هذه الكره الشيطاني.

"فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ تَضَايَقَ، وَمَلاَكُ حَضْرَتِهِ خَلَّصَهُمْ. بِمَحَبَّتِهِ وَرَأْفَتِهِ هُوَ فَكَّهُمْ وَرَفَعَهُمْ وَحَمَلَهُمْ كُلَّ الأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ" (إشعياء 63: 9).

هذه الأفكار تغيّر تمامًا الطريقة التي اعتدنا أن نفهم بها صليب المسيح ومظاهر العنف وأيضًا شخصية الله وصفاته. في كل مرة يتعرض فيها إنسانٌ للضرب أو الاغتصاب أو القتل، فهذا دليل على سعي الشيطان لطعن المسيح وجرحه. وكل فعل من أفعال الانغماس في الشهوات والملذات الذي يؤدي إلى الإصابة بالأمراض وقتل النفس أو قتل الآخرين هو أيضًا مظهر من مظاهر جنون الشيطان ورغبته الشديدة في إلحاق أكبر قدر ممكن من الأذى والألم بالمسيح. إنها كراهية قاسية لا يمكن وصفها أو فهمها.

يمتد المدى الحقيقي للصليب من وقت دخول الخطية إلى الكون حتى يومنا هذا. وكل إنسان يعمل بأهداف تتعارض مع إرادة الله هو في حالة حراب وصراع مع الحياة الموجودة بداخله لأن هذه

الحياة تأتي من المسيح. وهذا هو سر الطبيعة المُهلِكة للنفس التي يمتلكها البشر. إنها حرب الشيطان على المسيح. لننعم النظر في المرآة الموجودة في النص التالي:

"لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ، الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ. إِذْ مَعْرِفَةُ اللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ، لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ" (رومية 1: 18 و19).

كلمة "غضب" باليونانية تعني ببساطة "رغبة"، ومصدر هذه الكلمة يعني "السعي للحصول على شيء ما". يمكن ترجمتها إلى "شغف أو محبة شديدة" وكذلك "غضب". أما كلمة "على" فهي مترجمة إلى "ضد" باللغة الإنجليزية، ويمكن أن تعني "على" كما هي مترجمة بالعربية أو حتى "تجاه". سنعيد صياغة النص السابق لفهم هذه الأفكار بشكل أفضل. قال الرب يسوع أنه هو الحق (يوحنا 14: 6). ولذلك فحجز الحق هو حجزٌ للمسيح.

"لأن **رغبة** الله مُعلنة من السماء **على (تجاه)** جميع فجور الناس وإثمهم، الذين يحجزون **المسيح** بالإثم. إذ معرفة الله ظاهرة فيهم، لأن الله أظهرها لهم" (رومية 1: 18 و19).

كل يوم يرسل الله روح ابنه كي ما يسكن في قلوبنا ويثبت فينا. البعض يُغرقون صوته، والبعض الآخر في محاولاتهم الجادة للمقاومة يبحثون عن أولئك الذين يسكن فيهم هذا الروح ويقومون باضطهادهم. إن المسيح محتقرٌ ومخذولٌ من الناس بسبب كل إنسان يعيش على هذا الكوكب. واليوم هو رجل أوجاع ومختبر الحزن. وكل يوم ينكر المسيح نفسه ويحمل صليبه ويقدم لنا حياته. في هذا نرى الرغبة التي في قلب الله نحونا. وهو يبحث عنا كل يوم برغبة حارة ومع ذلك فإن غالبية أهل العالم يحجزون (يقمعون) صوت الضمير ويُغرقون تبكيت الروح.

إن البشر يُلقون شرورهم وروح غضبهم على الله. ومقاومة البشر الغاضبة لمحبة الله تُلقَى أيضًا على الله باعتباره المعتدي. فالصفات البشرية توضع عليه ولذلك يُرى المسيح باعتباره مضروبًا من الله ومذلولاً، لكن المسيح جُرح لأجل معاصينا وليس لأجل ما يُظَن أنه غضب الله. وماذا يقول الله لشعبه، أولئك الذين يزعمون أنهم يتبعونه؟

"أَمَّا مِنْ جِهَةِ إِسْرَائِيلَ فَيَقُولُ: طُولَ النَّهَارِ بَسَطْتُ يَدَيَّ إِلَى شَعْبٍ مُعَانِدٍ وَمُقَاوِمٍ" (رومية 10: 21).

في نور الصليب يمكننا أن نفهم ليس فقط أهوال الطوفان بل أيضًا احتراق سدوم وعمورة وخراب أورشليم ونهاية العالم. تتجلى كراهية الشيطان للمسيح في رغبته الشديدة في قتل جميع الناس لأن حياة المسيح توجد في كل إنسان. وهو يبذل نفسه (حياته) طوعًا في كل إنسان لكي يقبلوا قوته التي تمكنهم من الحياة. لا يستطيع المسيح أن يسكن في مكان يحتفظ بالخطية، إلا أن انسحاق روحه يمنح قوة للنفس كي تحيا كالماء الذي تدفق من جنبه عندما مات على الصليب.

"اُصْحُوا وَاسْهَرُوا. لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ" (بطرس الأولى 5: 8).

تحدثنا في الفصل الثالث عشر عن تأثير روح الإنسان على الأرض. وقلنا أنه عندما يُحجِز (يُقمِع) البشر المسيح ويُظهِرون كراهية الشيطان للمسيح بتعاملهم بعنف وقسوة واحدهم الآخر، فالأرض تعكس أيضًا هذا العنف من خلال قوانين الطبيعة. فكما أن الناس كانوا يُغرِقون صوت المسيح في نفوسهم، فالطبيعة أيضًا سترد على ذلك وتُغرق نفوسهم. وإذ افتقد الله شر العالم أشار إلى أنه ستكون هناك نهاية لهذا الشر.

"فَقَالَ الرَّبُّ: **لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ،** لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً" (تكوين 6: 3).

والترجمة التفسيرية لهذه الآية تقول: "فقال الرب: **لن يمكث روحي مجاهدًا في الإنسان إلى الأبد.** هو بشري زائغ، لذلك لن تطول أيامه أكثر من مئة وعشرين سنة فقط" (تكوين 6: 3).

النهاية هي مقدار الوقت الذي يجاهد فيه روح الله لينقذ الإنسان. لقد كان روح المسيح يتوسَّل ليلاً ونهارًا إلى أبنائه الضالين. وكان يستعطفهم ويتضرَّع إليهم ويبحث عنهم يومًا بعد يوم. ورغم ذلك فإننا نتذكر كيف استجاب البشر لعمل الروح وجهاده كي ما يرجعوا عن طرقهم الشريرة.

"لأَنَّ غَضَبَ (رغبة) اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى (نحو أو تجاه) جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ، الَّذِينَ يَحْجِزُونَ (يُقمِعون) الْحَقَّ (المسيح) بِالإِثْمِ" (رومية 1: 18).

لقد كان الناس قبل الطوفان يُغرقون صوت الضمير. وكانوا يرفضون الصوت الوديع الذي كان يتوسَّل إليهم كل يوم، ولم ينتبهوا لأية انذارات بل واصلوا السير في طرقهم الرديئة. فقمعهم هذا

لروح المسيح كان أشبه بالإمساك به واحتجازه في محاولة لإغراقه. وإذ كان روح المسيح يُكدَّر ويُحزَن من يوم إلى يوم، كان المسيح في أوقات كثيرة يشعر أنه مغلوب على أمره.

"وَلكِنَّهُمْ تَمَرَّدُوا وَأَحْزَنُوا رُوحَ قُدْسِهِ، فَتَحَوَّلَ لَهُمْ (أمتنع عن أن يكون) عَدُوًّا، وَهُوَ حَارَبَهُمْ (جاهد من أجلهم)" (إشعياء 63: 10).

وإذ اقترب الناس من الهلاك، صارت توسلات المسيح لأجلهم أكثر إلحاحًا وتحوَّل صوته لهم لصوت عدو. وشهادته عليهم قوبلت وعوملت بالازدراء والكراهية.

"وَنَفْسِي قَدِ ارْتَاعَتْ جِدًّا. وَأَنْتَ يَا رَبُّ، فَحَتَّى مَتَى؟ عُدْ يَا رَبُّ. نَجِّ نَفْسِي. خَلِّصْنِي مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ. لأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْمَوْتِ ذِكْرُكَ. فِي الْهَاوِيَةِ مَنْ يَحْمَدُكَ؟ تَعِبْتُ فِي تَنَهُّدِي. أُعَوِّمُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ سَرِيرِي بِدُمُوعِي. أُذَوِّبُ فِرَاشِي. سَاخَتْ مِنَ الْغَمِّ عَيْنِي. شَاخَتْ مِنْ كُلِّ مُضَايِقِيَّ. أُبْعُدُوا عَنِّي يَا جَمِيعَ فَاعِلِي الإِثْمِ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ صَوْتَ بُكَائِي" (مزمور 6: 3 – 8).

إن آلام المسيح لا يمكن أن تكون مخفية. فلو رفض الناس قبول صليب المسيح، لصرخت الحجارة الجامدة شهادةً على آلام خالقها. فبما أن المسيح هو خالق هذا العالم، فالعالم المادي يستجيب أيضًا لآلامه.

"فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ" (رومية 8: 22).

تكشف العديد من المزامير عن اختبار المسيح لسبب بسيط ألا وهو أن روح المسيح كان في قلوب أولئك الذين كتبوا جميع الأسفار المقدسة، بما في ذلك سفر المزامير.

"الْخَلاَصَ **الَّذِي فَتَّشَ وَبَحَثَ عَنْهُ أَنْبِيَاءُ**، الَّذِينَ تَنَبَّأُوا عَنِ النِّعْمَةِ الَّتِي لأَجْلِكُمْ، بَاحِثِينَ أَيُّ وَقْتٍ أَوْ مَا الْوَقْتُ **الَّذِي كَانَ يَدِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الْمَسِيحِ الَّذِي فِيهِمْ**، إِذْ سَبَقَ فَشَهِدَ بِالآلاَمِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ، وَالأَمْجَادِ الَّتِي بَعْدَهَا" (بطرس الأولى 1: 10 و11).

نجد في المزمور الثامن عشر أن آلام المسيح على الصليب تظهر في سياق الطوفان.

"اِكْتَنَفَتْنِي حِبَالُ الْمَوْتِ، وَسُيُولُ الْهَلاَكِ أَفْزَعَتْنِي. حِبَالُ الْهَاوِيَةِ حَاقَتْ بِي. أَشْرَاكُ الْمَوْتِ انْتَشَبَتْ بِي" (مزمور 18: 4 و5).

تتحدث بعض الأوصاف والتعبيرات في مزمور 18 بلغة الطوفان بينما يتحدث البعض الآخر عن النار الآكلة للإشارة إلى أحداث سدوم وعمورة ونهاية الأشرار الأخيرة. وإذ جاهد المسيح مع الناس كي يبتعدوا عن الشر ويحيدوا عنه، فقد غمره طوفان فجورهم وطرقهم الشريرة:

"فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ" (تكوين 6: 6).

لقد كان الناس قبل الطوفان يُشهّرون المسيح جاعلينه عرضة للعار. وكانت نفسه في عذاب وحزن شديدين بسبب شرهم. وفي النهاية صرخ على صليب ما قبل الطوفان هذا قائلاً: "أنا عطشان!". فتوقف روح الله عن التوسل والتضرع لأجل الإنسان. وإذ أعلنوا رفضهم له لمئات السنين، فقد وافق الآب أخيرًا على قرارهم.

"هَلْ تَحْفَظُ طَرِيقَ الْقِدَمِ الَّذِي دَاسَهُ رِجَالُ الإِثْمِ، الَّذِينَ قُبِضَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ الْوَقْتِ؟ **الْغَمْرُ انْصَبَّ عَلَى أَسَاسِهِمِ. الْقَائِلِينَ للهِ: ابْعُدْ عَنَّا.** وَمَاذَا يَفْعَلُ الْقَدِيرُ لَهُمْ؟ **وَهُوَ قَدْ مَلأَ بُيُوتَهُمْ خَيْرًا**. لِتَبْعُدْ عَنِّي مَشُورَةُ الأَشْرَارِ" (أيوب 22: 15 – 18).

لقد أعلن البشر رفضهم للآب وطلبوا منه أن يبعد عنهم. ولكن كان على المسيح أن يبقى معهم ويتألم معهم فى قراراتهم وإلا ماتوا فى الحال وحينها سيُلقى باللوم على الله. فإذ انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم، وانفتحت طاقات السماء على البشر في ذلك الحين كان المسيح معهم. تألم معهم وحملهم جميعًا حتى النهاية. فهو عمانوئيل أي الله معنا. فالطوفان هو إعلان للصليب لكننا حسبناه مضروبًا من الله ومذلولاً.

ولم يكن من الممكن منع الطبيعة الجامدة من الكرازة بالإنجيل من خلال أحداث الطوفان. لاحظ العلاقة بين قصة الطوفان والصليب في النصوص التالية:

1. يدعو / يصرخ

"اِكْتَنَفَتْنِي حِبَالُ الْمَوْتِ، **وَسُيُولُ الْهَلاَكِ أَفْزَعَتْنِي**. حِبَالُ الْهَاوِيَةِ حَاقَتْ بِي. أَشْرَاكُ الْمَوْتِ انْتَشَبَتْ بِي. **فِي ضِيقِي دَعَوْتُ الرَّبَّ**، وَإِلَى إِلهِي صَرَخْتُ، فَسَمِعَ مِنْ هَيْكَلِهِ صَوْتِي، وَصُرَاخِي قُدَّامَهُ دَخَلَ أُذُنَيْهِ" (مزمور 18: 6 – 6).

"وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ **صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟»** أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟" (متى 27: 46).

2. ارتجاج الأرض

"فَارْتَجَّتِ الأَرْضُ وَارْتَعَشَتْ، أُسُسُ الْجِبَالِ ارْتَعَدَتْ وَارْتَجَّتْ لأَنَّهُ غَضِبَ" (مزمور 18: 7).

"وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلِ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ. **وَالأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ،** وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ" (متى 27: 51).

3. ظلمة

"طَأْطَأَ السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ، **وَضَبَابٌ (ظلام) تَحْتَ رِجْلَيْهِ** (وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ)" (مزمور 18: 9).

"جَعَلَ الظُّلْمَةَ سِتْرَهُ. حَوْلَهُ مِظَلَّتُهُ ضَبَابَ الْمِيَاهِ وَظَلاَمَ الْغَمَامِ" (مزمور 18: 11).

"وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ **كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ** إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ" (متى 27: 45).

4. ظهور أعماق المياه وينابيع الغمر

"فَظَهَرَتْ أَعْمَاقُ الْمِيَاهِ، وَانْكَشَفَتْ أُسُسُ الْمَسْكُونَةِ مِنْ زَجْرِكَ يَا رَبُّ، مِنْ نَسْمَةِ رِيحِ أَنْفِكَ" (مزمور 18: 15).

"فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، **انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ،** وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ" (تكوين 7: 11).

5. احتجاب وجهه وشعوره بأنه منبوذ ومتروك

"لُحَيْظَةً تَرَكْتُكِ، وَبِمَرَاحِمَ عَظِيمَةٍ سَأَجْمَعُكِ. **بِفَيَضَانِ الْغَضَبِ حَجَبْتُ وَجْهِي عَنْكِ لَحْظَةً،** وَبِإِحْسَانٍ أَبَدِيٍّ أَرْحَمُكِ، قَالَ وَلِيُّكِ الرَّبُّ. **لأَنَّهُ كَمِيَاهِ نُوحٍ هذِهِ لِي.** كَمَا حَلَفْتُ

أَنْ لاَ تَعْبُرَ بَعْدُ مِيَاهُ نُوحٍ عَلَى الأَرْضِ، هكَذَا حَلَفْتُ أَنْ لاَ أَغْضَبَ عَلَيْكِ وَلاَ أَزْجُرَكِ" (إشعياء 54: 7 – 9).

"وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: **إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟**" (متى 27: 45 و46).

6. الخلاص

"أَرْسَلَ مِنَ الْعُلَى فَأَخَذَنِي. نَشَلَنِي مِنْ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ" (مزمور 18: 16).

"ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ نُوحًا وَكُلَّ الْوُحُوشِ وَكُلَّ الْبَهَائِمِ الَّتِي مَعَهُ فِي الْفُلْكِ. وَأَجَازَ اللهُ رِيحًا عَلَى الأَرْضِ فَهَدَأَتِ الْمِيَاهُ. وَانْسَدَّتْ يَنَابِيعُ الْغَمْرِ وَطَاقَاتُ السَّمَاءِ، **فَامْتَنَعَ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ. وَرَجَعَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ رُجُوعًا مُتَوَالِيًا.** وَبَعْدَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ يَوْمًا نَقَصَتِ الْمِيَاهُ" (تكوين 8: 1 – 3).

لقد كانت الطبيعة شاهدة على ما حدث لخالقها. فبما أن المسيح هو النور الذي ينير كل إنسان آتيًا إلى العالم، فقد تجلّت آلامه في حياة كل الذين هلكوا في الطوفان.

"بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا. يَجْمَعُ كَنَدٍّ أَمْوَاهَ الْبَحْرِ. يَجْعَلُ اللُّجَجَ فِي أَهْرَاءٍ" (مزمور 33: 6 و7).

بقوة المسيح صُنِعت السماوات. كل الخليقة تحيا بنسمة فمه. وبكلمة المسيح تُجمَع البحار ككومة وتوضع في أهراء أي مخازن في الأرض. وعندما رفض الناس قبل الطوفان المسيح رفضًا كاملاً، أُسكِت صوته والقوة التي كانت تحفظ المياه في مخازنها انفكت، وسُلِّمت عناصر الطبيعة لمبادئ الفوضى والهلاك.

لم يكن الشيطان هو الذي تسبب في فتح ينابيع الغمر، لكنه شجّع الناس على مقاومة المسيح فاضطر المسيح لقبول قرارهم بحزن شديد، وكانت النتيجة المرتبة على ذلك هي أن الخليقة لم تعد تسمع صوت سيدها الرقيق الذي كان ينادي عليها باستمرار وكانت تسمع كلامه فتسكن ويسود الهدوء. فعبَّرت المياه عن اضطراب الشيطان والأشرار. وكان على الشيطان بنفسه أن يتحمَّل العناصر المتحاربة إذ أن هول صليب المسيح أُظهِر وأعلِن في مياه الطوفان. لقد كانت الاضطرابات التي

حدثت في الطبيعة وأدت إلى الطوفان مظهرًا من مظاهر قلب المسيح المنكسر المنسحق. والمياه التي انسكبت من السماوات كانت شهادة على الدموع التي كانت تدمعها عيناه (مزمور 119: 136) من أجل أبناء آدم الضالين. رفض البشر قبل الطوفان الاعتراف بآلام المسيح، لكن الطبيعة كانت تشهد لآلام صانعها وسيدها وأظهرت حزنه وموته. سبَّب الشيطان هذا الهلاك بضغطه على البشر قبل الطوفان لكي يرفضوا المسيح وروحه. وعندما اكتمل هذا الرفض، حينئذ أظهرت الطبيعة هذا الرفض وشهدت به، وفي نفس الوقت أظهرت آثار روح الفوضى.

ونذكر أنه بما أنه لا يمكن لأي شخص أن يعيش ما لم يكن المسيح معه، فقد كان المسيح عرضة للرعب والحزن والوجع الذي شعر به أولئك الذين أهلكهم الطوفان. في كل ضيقهم تضايق. هو فَكَّهُم ورَفعَهُم وحمَلَهُم كل أيام حياتهم. وإذ شهد موت كل أبنائه الضالين اخترق نفسه حزنًا شديدًا ووجعًا عظيمًا. لقد شعر المسيح بعذاب ورعب كل نفس كانت تغرق في المياه وكان يتوق لإنقاذها لكنه لم يستطع. فمثلما كان على الصليب يموت وهو في حالة يأس، شعر أيضًا بهم وهم في قمة اليأس والقنوط عندما ماتوا.

ومن أجل حجب وإخفاء حقيقة صليب المسيح هذا فالمسيحيون يقولون اليوم أن الله عاقب الأشرار في غضبه. وعنف هذا الطوفان الرهيب يُنسَب إليه ويُتهم باعتباره مسؤولاً عن قتل وهلاك كل هؤلاء الخطاة. ما من شك أن قوة الله أُستخدِمت لفتح ينابيع الغمر مما أدى إلى حدوث الطوفان تمامًا كما كانت قوة الله في الجنود الرومان الذين سمّروا الرب يسوع على الصليب. فهل الله هو الذي سمَّر ابنه على الصليب؟ وهل عنفه وظلمه هو الذي قتله؟ كلا، وألف كلا! لقد كانت قوة الله في يدي الحيَّة فسحقت عقب المسيح.

تأمل في خراب أورشليم سنة 70 ميلادية عندما كانت النساء تأكلن أولادهن، وبسبب كثرة المصلوبين لم يتبق مكان لإقامة المزيد من الصلبان. ورد وصف أحداث مشابهة في سفر مراثي أرميا.

"كَانَتْ قَتْلَى السَّيْفِ خَيْرًا مِنْ قَتْلَى الْجُوعِ. لأَنَّ هؤُلاَءِ يَذُوبُونَ مَطْعُونِينَ لِعَدَمِ أَثْمَارِ الْحَقْلِ. أَيَادِي النِّسَاءِ الْحَنَائِنِ طَبَخَتْ أَوْلاَدَهُنَّ. صَارُوا طَعَامًا لَهُنَّ فِي سَحْقِ بِنْتِ شَعْبِي. أَتَمَّ الرَّبُّ غَيْظَهُ. سَكَبَ حُمُوَّ غَضَبِهِ وَأَشْعَلَ نَارًا فِي صِهْيَوْنَ فَأَكَلَتْ أُسُسَهَا. لَمْ تُصَدِّقْ مُلُوكُ الأَرْضِ وَكُلُّ سُكَّانِ الْمَسْكُونَةِ أَنَّ الْعَدُوَّ وَالْمُبْغِضَ يَدْخُلاَنِ أَبْوَابَ أُورُشَلِيمَ. مِنْ

أَجْلِ خَطَايَا أَنْبِيَائِهَا، وَآثَامِ كَهَنَتِهَا السَّافِكِينَ فِي وَسَطِهَا دَمَ الصِّدِّيقِينَ" (مراثي أرميا 4: 9 – 13).

جاء ذكر حمو غضب الرب في العدد 11 من النص السابق، ويواصل النص حديثه عن غضبه، ونعلم من الفصل الحادي عشر من هذا الكتاب أن غضب الله يمكن أن يعني حزنه وضيقه. والعدد 12 يخبرنا عن الصدمة وعدم تصديق البشر لحقيقة العدو والمُبغِض اللذين يدخلان أبواب أورشليم. والعدد 13 يتحدث عن سفك "دم الصديقين في وسطها". فمن هو البار الذي ذُبح وسُفِك دمه؟

"فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ" (بطرس الأولى 3: 18).

كانت أورشليم مدينة السلام وكان المسيح قائدها الروحي. لقد حجب الآب وجهه بسبب خطايا الأنبياء والكهنة بحزن كامل وشديد. سمح هذا للشيطان العدو المُبغِض بدخول المدينة، وسُفِك دم المسيح البار الصدّيق في وسطها. وبنفس الطريقة سُفِك دم المسيح عندما سُبي شعب الله وهلكوا في أيام النبيين إرميا ودانيال. والشيء نفسه يحدث في كل حالة هلاك يتعرّض لها شعب الله، فالمسيح يتألم معهم ويحمل الصليب.

أيمكنك رؤية الطوفان من خلال عين الصليب؟ أيمكنك رؤية المسيح يتألم في سدوم؟ أيمكنك رؤية المسيح وهو يتعذّب بسبب موت الأبكار في مصر وخراب أورشليم؟ أيمكنك رؤية الجلجثة في الهلاك الرهيب الذي تعرَّض له البشر أثناء الطوفان؟ فقط في صليب المسيح يمكنك أن ترى أحكام الكتاب كإعلان وإظهار لمحبة الله العظيمة. وعندما نتمكن من فهم مصدر العنف الذي يظهر في الناس والطبيعة باعتباره إعلانًا لكراهية الشيطان نحو المسيح، حينئذ نستطيع أن نقدّر المغزى الغامض من الحيَّة النحاسية المرفوعة على الراية. وعندما تُفهَم الحيَّة في سياق الصليب، حينها نستطيع الشفاء من لدغتها المتعلقة بشخصية الله وصفاته.

20. الصليب يفضح الحيَّة

إن الشيطان هو مبدع الألم والمرض والموت. لقد أثبتنا حقيقة أن المسيح يمنح الحياة لكل إنسان، وأنه قريب من كل إنسان يعيش على هذه الأرض. وأي عمل عنف أو ظلم يقوم به الإنسان بحق نفسه أو بحق الآخرين يسبب ألمًا رهيبًا في قلب المسيح. لقد نجح الشيطان ببراعته ومكره في إخفاء عنفه نحو المسيح وقتله للبشر وذلك بإقناع بني الإنسان بأن الله هو المعتدي وأن جميع أوصاف الدينونة والقصاص التي وردت في الكتاب المقدس ينبغي أن تُنسَب إليه.

شرح الرب يسوع لنيقوديموس في مقابلة مسائية معه واحدة من أعمق الحقائق التي سبق وأن نُطِق بها. إنه إعلان مذهل ومثير للصليب، ومع ذلك فهو حق مدفون ومكتوم في كل مكان تقريبًا.

"وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ" (يوحنا 3: 14).

القصة التي كان يشير إليها الرب يسوع موجودة في سفر العدد 21. كان بنو إسرائيل يتكلمون ويتذمرون على الله وموسى. وتسببت روح التذمر هذه في كسر سياج الحماية الإلهية المحيط بهم.

"مَنْ يَحْفُرْ هُوَّةً يَقَعُ فِيهَا، وَمَنْ يَنْقُضْ جِدَارًا تَلْدَغْهُ حَيَّةٌ" (جامعة 10: 8).

وقد تسبب كسر هذا السياج في السماح لمخاطر الصحراء التي وقاهم الله شرها بالظهور. وسرعان ما بدأت الحيَّات السامة في لدغ الشعب، وبسبب تأثير سمها الحارق والمميت، صرخوا لموسى طلبًا للمساعدة.

"وَتَكَلَّمَ الشَّعْبُ عَلَى اللهِ وَعَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: «لِمَاذَا أَصْعَدْتُمَانَا مِنْ مِصْرَ لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ لأَنَّهُ لاَ خُبْزَ وَلاَ مَاءَ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْفُسُنَا الطَّعَامَ السَّخِيفَ». فَأَرْسَلَ الرَّبُّ عَلَى الشَّعْبِ الْحَيَّاتِ الْمُحْرِقَةَ، فَلَدَغَتِ الشَّعْبَ، فَمَاتَ قَوْمٌ كَثِيرُونَ مِنْ إِسْرَائِيلَ. فَأَتَى الشَّعْبُ إِلَى مُوسَى وَقَالُوا: «قَدْ أَخْطَأْنَا إِذْ تَكَلَّمْنَا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَيْكَ، فَصَلِّ إِلَى الرَّبِّ لِيَرْفَعَ عَنَّا الْحَيَّاتِ». فَصَلَّى مُوسَى لأَجْلِ الشَّعْبِ. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اصْنَعْ لَكَ حَيَّةً مُحْرِقَةً وَضَعْهَا عَلَى رَايَةٍ، فَكُلُّ مَنْ لُدِغَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا يَحْيَا». فَصَنَعَ مُوسَى حَيَّةً مِنْ نُحَاسٍ وَوَضَعَهَا عَلَى الرَّايَةِ، فَكَانَ مَتَى لَدَغَتْ حَيَّةٌ إِنْسَانًا وَنَظَرَ إِلَى حَيَّةِ النُّحَاسِ يَحْيَا" (سفر العدد 21: 5 – 9).

عندما تقرأ هذه القصة تذكر من فضلك المرآة التي نجدها في الكلمات التالية:

"فَأَرْسَلَ الرَّبُّ عَلَى الشَّعْبِ الْحَيَّاتِ الْمُحْرِقَةَ، فَلَدَغَتِ الشَّعْبَ، فَمَاتَ قَوْمٌ كَثِيرُونَ مِنْ إِسْرَائِيلَ" (سفر العدد 21: 6).

الكلمة العبرية "أرسل" يمكن أيضًا أن تعني "أطلق" أو "تخلّى" أو "ترك". عندما إتهم الناس الله، اضطر للتراجع عن حمايتهم من الحيَّات. لقد رعاهم وقدّم لهم الحماية طوال هذا الوقت، ولكن لأن الناس انقلبوا على الله ورفضوه، فقد مُنع من الاستمرار في حمايتهم. يخبرنا الكتاب المقدس كيف جاءت الحيَّات:

"وَلاَ نُجَرِّبِ الْمَسِيحَ كَمَا جَرَّبَ أَيْضًا أُنَاسٌ مِنْهُمْ، فَأَهْلَكَتْهُمُ الْحَيَّاتُ. وَلاَ تَتَذَمَّرُوا كَمَا تَذَمَّرَ أَيْضًا أُنَاسٌ مِنْهُمْ، فَأَهْلَكَهُمُ الْمُهْلِكُ" (كورنثوس الأولى 10: 9 و10).

الكلمة العبرية "المُهلِك" تعني أيضًا "المُتلِف أو المُخرِّب" أو "الحيَّة السامة" في العدد العاشر. فبولس يربط بين "الحيَّات" في العدد التاسع و"المُهلِك" في العدد العاشر. والكتاب المقدس يخبرنا أن الشيطان هو المُهلِك.

"وَلَهَا مَلاَكُ الْهَاوِيَةِ مَلِكًا عَلَيْهَا، اسْمُهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ «أَبَدُّونَ»، وَلَهُ بِالْيُونَانِيَّةِ اسْمُ «أَبُولِّيُونَ» (أي المُهلِك)" (رؤيا 9: 11).

عندما قام الشعب بإحداث فجوة في سياج الحماية الذي كان حولهم بتمردهم وعنادهم، تمكّن الشيطان من الدخول، وبدأ على الفور في قتلهم. وحقيقة أن مترجمي الكتاب المقدس استخدموا كلمة "أرسل"

لوصف خروج الحيَّات على الشعب، فذلك يجعلنا نرى بكل وضوح المرآة الإلهية التي ينظر الناس فيها عندما يقرأون هذه القصة. فالفكرة القائلة بأن الله يُرسِل حيَّات لقتل الناس تعكس أفكار البشر عنه. أما أولئك الذين ينظرون إلى حياة الرب يسوع باعتبارها إعلانًا وتعبيرًا عن الآب سيبحثون على الفور عن إجابة لتفسير هذه القصة المخيفة جدًا. هل تؤمن حقًّا أن الله أرسل حيَّات مُهلِكة لقتل الناس بسبب شكواهم وتذمرهم؟ أرى أن ذلك يختلف تمامًا عن شخصية الرب يسوع وصفاته. فدراستي للكتاب المقدس أرشدتني لكورنثوس الأولى 10: 9 و10 التي تتحدث عن هذه القصة وتقدم لنا الدليل على أنهم قتلوا بواسطة المُهلِك. والآية الواردة في رؤيا 9: 11 تخبرنا بأن المُهلِك هو ملاك الهاوية. ثم نلاحظ أن كلمة "أرسل" يمكنها أن تحمل أكثر من معنى، وبالتالي يتفق النص مع النصوص الأخرى عندما نكون على استعداد للفحص والدراسة والاستقصاء.

أما السؤال الأغرب في القصة فهو لماذا يأمر الله موسى أن يصنع حيَّة مُحرقة ويضعها على الراية ويطلب من الشعب أن ينظروا إليها لينالوا الشفاء؟ فهذا يبدو غريبًا جدًا فكما نعلم أن الحيَّة في الكتاب المقدس ترمز إلى الشيطان.

"فَطُرِحَ التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، **الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ**، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ، طُرِحَ إِلَى الأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلاَئِكَتُهُ" (رؤيا 12: 9).

"وَلكِنَّنِي أَخَافُ أَنَّهُ كَمَا خَدَعَتِ الْحَيَّةُ حَوَّاءَ بِمَكْرِهَا، هكَذَا تُفْسَدُ أَذْهَانُكُمْ عَنِ الْبَسَاطَةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ" (كورنثوس الثانية 11: 3).

كيف يمكن أن يجلب النظر إلى حيَّة مرفوعة على راية الشفاء للشخص المصاب بلدغتها؟ وما هي الرسالة التي كان يحاول الرب أن يعلمهم إياها؟ يرجع ذلك بنا إلى الليلة التي كان يتحدث فيها الرب يسوع مع نيقوديموس. هل قارن المسيح نفسه بالحيَّة؟

"وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ" (يوحنا 3: 14).

إن الرب يسوع يقارن رفع الحيَّة برفعه على الصليب. فمعظم المسيحيين يفهمون عملية الشفاء بالنظر إلى الرب يسوع الذي مات على الصليب من أجلهم.

فحين ينظر الخاطئ الواقع تحت لعنة الخطية إلى المسيح ويرى أن المسيح حمل اللعنة عوضًا عنه، فإن ذلك يخلق فيه إحساسًا عميقًا بالشكر والامتنان، ويُحدِث تغييرًا عظيمًا في قلبه وصفاته. مما

يجلب له شفاءًا من لعنة الخطية التي تسببت فيها تجارب الشيطان التي تشبه لدغات الأفعى التي تجلب المرض والموت.

ولماذا تُستَخدَم الحيَّة المرفوعة على الراية كرمز للشفاء؟ أليس من الأفضل والمنطقي صنع خروف نحاسي ورفعه على الراية بدلاً من حيَّة نحاسية؟ وكيف يمكن أن يُشبَّه المسيح برمز من رموز الشيطان؟

"لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ" (كورنثوس الثانية 5: 21).

لقد كشف صلب المسيح صفات الشيطان الكاملة. فصليب المسيح يكشف كلاً من التدمير الذاتي باعتباره النتيجة النهائية لما سيحدث للخطاة غير التائبين، ويكشف أيضًا شخصية الشيطان وصفاته الحقيقية بصفته قاتل ومجرم ظالم. ولكي يتسنى للجميع أن يروا الشيطان وهو يُظهِر روحه الشريرة، فالقوة التي للمسيح سُمِح لها بأن تُستخَدم بواسطة الشيطان وذلك من خلال سيطرته على القوم الذين عذبوا المسيح وقتلوه. إن سماح الله بأن يُسلَّم ابنه لهذا العذاب المرير والموت يكشف عن محبة عظيمة هي محبة أغابي تفوق الإدراك البشري. والصليب يسلّط الضوء على النتيجة النهائية المُفجِعة للخطية في الخاطئ وشخصية الشيطان وصفاته الحقيقية.

صرخ الرب يسوع على الصليب قائلاً: "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" هذا هو حال الخاطئ الذي يشعر بثقل الخزي والعار بسبب خطيته. فالخاطئ بسبب عذابه العقلي هذا يشعر في قرارة نفسه بتبكيت شديد على خطيته مما يؤدي إلى إحساسه الرهيب بالدينونة. فيشعر الخاطئ أن الله يتنفس نارًا عليه، إلا أن استذنابه لنفسه وشعوره بالخزي والعار في محضر المحبة النقية الناكرة للذات هو الذي يؤدي إلى حدوث ذلك.

وهذه هي الصعوبة أو الغموض الذي يوجد في الصليب، فهو يُظهِر شخصية الشيطان الشريرة والنتائج الطبيعية المترتبة على حياة الخطية والشر، لكنه يجعلنا نشعر بأن الله، في غضب رهيب، هو من يوقع العذاب على الخاطئ. فوجه الله المُحِب يُحتَجَب في ظلمة الخزي والعار، ولا يُشعَر بشيء غير هول الخطية وعارها الرهيب. نرى طبيعة الصليب ذات الوجهين في حياة قايين. تعبّر ترجمة ويكلف للكتاب المقدس عن هذين الجانبين على النحو التالي:

"فَقَالَ قَايِينُ لِلرَّبِّ: ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يستحق المغفرة (وقال قايين للرب: قصاصي أعظم من قدرتي على احتماله) إِنَّكَ قَدْ طَرَدْتَنِي الْيَوْمَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، وَمِنْ وَجْهِكَ أَخْتَفِي ..." (تكوين 4: 13 و14 – ترجمة ويكلف).

فنرى هنا أن قايين يشعر باستذنابه أو دينونته لنفسه، وهذا نتيجة طبيعية لخطيته. وهو يشعر بأن ذنبه أعظم من أن يُغتَفَر. لكننا نرى أيضًا في كلمات قايين أنه يوجه اللوم على الله ويتهمه بأنه المسؤول عن هذه النتائج. وهذان هما وجها الدينونة وأيضًا الجانبان المتعلقان بالصليب:

1. الشعور بالخزي والعار واستذناب النفس بلا أمل في الغفران.
2. توجيه اللوم على الله وإتهامه بأنه المعتدي أو منفذ العقوبة في الدينونة.

وفي هذا السياق فإن أعمال العنف التي نقرأ عنها في الكتاب المقدس تكشف في الواقع عن شخصية الشيطان وصفاته، لكنها تجعلنا نظن بأن الله هو الذي يصب حمو غضبه على الخطاة. ومن وجهة نظر الخاطئ، فإن الدينونة تبدو دائمًا وكأنه الله هو المعتدي والظالم المستبد.

"وَكَانَ مَنْظَرُ مَجْدِ (صفات) الرَّبِّ كَنَارٍ آكِلَةٍ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ أَمَامَ عُيُونِ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (خروج 24: 17).

وكما أوضحنا في الفصل السابق فحتى يتسنى للشيطان أن يعبّر عن عنفه وشخصيته الحقيقية، فيتعين على المسيح أن ينكر نفسه ويحمل صليب الآلام برؤية أولاده يتألمون. وهذه الآلام تكشف عن شخصية الشيطان وصفاته. المشكلة هي أن الناس يظنون أن الله هو الذي يقتلهم ويهلكهم لأن وخذات ضميرهم المُذنِب تؤنبهم وتجعلهم يشعرون أنهم يستوجبون الموت.

"الَّذِينَ إِذْ عَرَفُوا حُكْمَ اللهِ أَنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ هذِهِ يَسْتَوْجِبُونَ الْمَوْتَ، لاَ يَفْعَلُونَهَا فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا يُسَرُّونَ بِالَّذِينَ يَعْمَلُونَ" (رومية 1: 32).

ولكن عندما نرى المسيح مرفوعًا في السياق الصحيح للصليب، فإن الحيَّة تتكشف وندرك أن الله ليس هو المُهلك بل الشيطان. وهذا يشفي القلب البشري من مقاومته للآب وظنه أنه هو من يقوم بالقتل. إن الرمز المتعلق بالحيَّة عميق للغاية ويستغرق وقتًا لتقديره حق تقدير، لكن الحقيقة التي تتبقى هي أنك عندما ترى الحيَّة في أحكام الكتاب المقدس المتسمة بالعنف، يمكنك أن تُشفَى من مقاومتك لله. ويمكنك أن تتصالح معه مصالحة حقيقية وتطرح الخوف الذي يملأ قلبك إلى خارج.

"لاَ خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ لأَنَّ الْخَوْفَ لَهُ عَذَابٌ. وَأَمَّا مَنْ خَافَ فَلَمْ يَتَكَمَّلْ فِي الْمَحَبَّةِ" (يوحنا الأولى 4: 18).

وبهذا الفهم لهذه المبادئ سنتناول الآن بالدراسة استخدام العصا التي تحولت إلى حيَّة أثناء الضربات العشر التي حلت على مصر.

"فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَا هذِهِ فِي يَدِكَ؟» فَقَالَ: «عَصًا». فَقَالَ: «اطْرَحْهَا إِلَى الأَرْضِ». فَطَرَحَهَا إِلَى الأَرْضِ فَصَارَتْ حَيَّةً، فَهَرَبَ مُوسَى مِنْهَا. ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ وَأَمْسِكْ بِذَنَبِهَا». فَمَدَّ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ، فَصَارَتْ عَصًا فِي يَدِهِ. «لِكَيْ يُصَدِّقُوا أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لَكَ الرَّبُّ إِلهُ آبَائِهِمْ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ»" (خروج 4: 2 – 5).

العصا أو العكاز رمزُ للقوة. والملوك يطلقون عليها اسم القضيب. والسيد المسيح، ابن الله، لديه قضيب إذ يقول يقول الوحي على لسان كاتب سفر العبرانيين:

"وَأَمَّا عَنْ الابْنِ: كُرْسِيُّكَ يَا أَللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ" (عبرانيين 1: 8).

والمسيح أيضًا يُشار إليه بصفته هذا القضيب إذ نقرأ في سفر العدد:

"أَرَاهُ وَلكِنْ لَيْسَ الآنَ. أُبْصِرُهُ وَلكِنْ لَيْسَ قَرِيبًا. يَبْرُزُ كَوْكَبٌ مِنْ يَعْقُوبَ، **وَيَقُومُ قَضِيبٌ مِنْ إِسْرَائِيلَ**، فَيُحَطِّمُ طَرَفَيْ مُوآبَ، وَيُهْلِكُ كُلَّ بَنِي الْوَغَى" (سفر العدد 24: 17).

المسيح هو قوة الله (كورنثوس الأولى 1: 24) ويجلس عن يمين الله (عبرانيين 1: 3). ويُشار إليه بصفته يد الله اليمنى مثلما نقول على أحد الأشخاص أنه "ذراعنا أو يدنا اليمنى".

"يَمِينُكَ يَا رَبُّ مُعْتَزَّةٌ بِالْقُدْرَةِ. يَمِينُكَ يَا رَبُّ تُحَطِّمُ الْعَدُوَّ" (خروج 15: 6).

أخبر الله موسى أنه سيمثله وأن هارون سيكون المتحدث على لسانه (خروج 4: 16). عندما طرح موسى العصا وسقطت على الأرض، تحولت القوة التي في المسيح وصارت شبه الحيَّة. إن المسيح هو قوة الله. وعندما قال الله للشيطان: "هُوَذَا كُلُّ مَا لَهُ فِي يَدِكَ، وَإِنَّمَا إِلَيهِ لاَ تَمُدَّ يَدَكَ" (أيوب 1:

12)، فقد كان الله يُلقي بعصاه على الأرض. والعصا هي المسيح الذي يمنح قوته الحالة في بني الإنسان والخليقة إلى الشيطان لخدمة مقاصده وأهدافه، مثلما ألهم الجنود الرومان لإجبار المسيح على حمل الصليب إلى تل الجلجثة.

لقد كان الشيطان يسيطر على أذهان الجنود الرومان، لكن النَفَسْ الذي كانوا يحيون به هو الحياة التي تنير كل إنسان آتيًا إلى العالم. إن الشيطان يستخدم قوة المسيح الحالة في البشر لتسميره على الصليب. توقف للحظة وفكر في ذلك. إن صورة الجندي الروماني وهو يحمل في يده المطرقة ويرفعها عاليًا ليضع المسمار في يدي المخلّص الغاليتين، تساعدنا على فهم الضربات التي وقعت على مصر وكل قوى الدمار والخراب التي تجلَّت على الأرض. هذه هي العصا التي تسقط على الأرض:

"ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلًا وَخَرَّ عَلَى الأَرْضِ، وَكَانَ يُصَلِّي لِكَيْ تَعْبُرَ عَنْهُ السَّاعَةُ إِنْ أَمْكَنَ" (مرقس 14: 35).

حينما يسقط الإنسان على الأرض بسبب تأثير قوة مُهلِكة، نرى هناك العصا التي تسقط على الأرض وتتحوَّل إلى حيَّة:

"فَقَدَّمُوهُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا رَآهُ لِلْوَقْتِ صَرَعَهُ الرُّوحُ، فَوَقَعَ عَلَى الأَرْضِ يَتَمَرَّغُ وَيُزْبِدُ" (مرقس 9: 20).

لذلك يمكننا أن نرى أنه حيثما نرى معاناة البشر وآلامهم، فإننا نرى:

"فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ تَضَايَقَ، وَمَلاَكُ حَضْرَتِهِ خَلَّصَهُمْ. بِمَحَبَّتِهِ وَرَأْفَتِهِ هُوَ فَكَّهُمْ وَرَفَعَهُمْ وَحَمَلَهُمْ كُلَّ الأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ" (إشعياء 63: 9).

الحقيقة هي أنه إذا كان الله يستطيع استخدام القوة، فهو بكل بساطة قادر على إنهاء حياة أولئك الذين يختارون إتباع الشيطان حتى لا يتسنى له (أي الشيطان) استخدام قوة الله الحالة في المسيح للقتل والدمار والهلاك. ولكن ليمنح كل إنسان الحرية في الاختيار، فعلى المسيح أن يسمح للشيطان باستخدام قوته الحالة في البشر عندما يقرر البشر التمرد على الله وكسر وصاياه. كيف يستخدم الشيطان هذه القوة؟ كل الناس الذين ليسوا تحت سيطرة الله هم تحت سيطرة الشيطان. وعندما يقع الناس تحت سيطرة الشيطان، يجعلهم يقتلون ويُهلِكون بعضهم بعضًا. وعندما تصبح أذهان البشر

تحت سيطرة الشيطان، فإن قوة الحياة التي منحها لهم المسيح تصبح وسيلة لخدمة مقاصد الشيطان وأهدافه. وبذلك تتحوَّل قوة الله لحيَّة عندما تُترَك من يده.

عندما نقرأ عن الحروب التاريخية الكبرى التي راح ضحيتها ملايين البشر بأبشع الطرق وأشدها عنفًا وقسوةً، فإن قوة المسيح الممنوحة للبشر يستخدمها الشيطان للقيام بعمل القتل والهلاك. إلا أن الله رغم كل هذا الخراب والدمار يُظهِر محبته ببذل ابنه ليكشف مبادئ الحيَّة القائمة على العنف والقتل. أيمكننا أن نتخيل مقدار الألم والعذاب الذي كان يشعر به المسيح بسبب الطريقة التي كانت تُستخدم بها نفخة فمه الحالة في الناس (أي قوته) في أيام روما؟

فنرى جحافل من الجنود مملوئين بنَفَس الابن وهم واقفون على أهبة الاستعداد لقتال بعضهم البعض. وجيشان مملوءان بحياة المسيح يدفعهما الشيطان للتصارع والاقتتال وهم يحملون في أياديهم السيوف والحراب والسكاكين والسهام. وإذ يلفظ كل جندي أنفاسه الأخيرة، يشعر المسيح بحزن عميق لأن هذه النفوس قد ماتت وقلوبهم وأيديهم ملطخة بالدماء. فقوة المسيح تتحوَّل إلى حيَّة حين يختار البشر الابتعاد عن الله وترك يده. ولكن حتى تنكشف مملكة الشيطان القائمة على العنف والقتل، فعلى المسيح أن ينكر نفسه ويسمح لنفسه أن يُطعَن بالحزن والألم عندما يرى نفخة فمه المانحة للحياة مستخدمة في ارتكاب هذه الفظائع والأعمال الشريرة الوحشية. وفي كل عمل من أعمال العنف والقتل يُطعَن المسيح لأنه ينبغي أن ينكر نفسه ويحمل صليبه ويمنحهم حرية الإرادة وحق تقرير المصير.

فكر جيدًا في هذه النقطة فمن الضروري فهمهما لرؤية القوة الشافية الموجودة في الحيَّة المرفوعة على الراية. إن انكار الذات الذي أظهره المسيح حين سمح للشيطان أن يستخدم قوته يكشف شخصية الشيطان وصفاته في حقيقتها. فعندما سمح المسيح للشيطان أن يستخدم قوته لقتله، انكشف عنف الحيَّة الحقيقي. إن الصليب الحقيقي يفتح الباب أمام الناس ليروا أن مصدر كل عنف وكل قتل هو الشيطان. كما أنه يساعد الإنسان على رؤية وإدراك محبة الله الحقيقية لأعدائه. أي إن الله كان في المسيح مُصالحًا العالم لنفسه، وأظهر لهم شخصيته المُحبة الباذلة الخالية من الأنانية. إلا أن قوة المسيح كان لا بد أن ترجع وتصير عصا كي تهلك الحيَّة هلاكًا نهائيًا.

"ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ وَأَمْسِكْ بِذَنَبِهَا». فَمَدَّ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ، فَصَارَتْ عَصًا فِي يَدِهِ" (خروج 4: 4).

إلى ماذا يرمز ذيل (ذنب) الحيَّة؟

"اَلشَّيْخُ وَالْمُعْتَبَرُ هُوَ الرَّأْسُ، وَالنَّبِيُّ الَّذِي يُعَلِّمُ بِالْكَذِبِ هُوَ الذَّنَبُ" (إشعياء 9: 15).

إن ذنب الحيَّة يحتوي على الأكاذيب التي خدع العالم بها بخصوص طبيعة الله وصفاته. فقد نجح الشيطان في إقناع العالم أن الله قتل ابنه استرضاءً لغضبه المليء عنفًا ورغبة في القتل.

"لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولًا" (إشعياء 53: 4).

ولكي تنكسر قوة الحيَّة فإن الأكاذيب التي نطق بها الشيطان بخصوص طبيعة الله وصفاته ينبغي أن تتكشف. عندما نطق الرب يسوع بالكلمات "قد أُكمِل" فالسؤال هو: ما هو العمل الذي أكمله؟

"أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ" (يوحنا 17: 4).

عندما قال الرب يسوع أنا مجدتك على الأرض، فهو يقول أنني أظهرت وأعلنت شخصيتك الحقيقية على الأرض (خروج 33: 18 وخروج 34: 5 – 7). وعندما صرخ الرب يسوع قائلاً: "قد أُكمِل"، فإنه أمسك بذنبها أي أنه كشف أكاذيب الشيطان وضلالاته التي كان يتفوّه بها عن شخصية أبيه وصفاته وإتهامه له بأنه مُحب للعنف والقتل، وأظهر أن الشيطان هو القاتل الأصلي والمُهلِك الحقيقي.

وفي ضوء هذه الحقيقة، كانت للإنجيل القوة أن يُكرَز به في كل الخليقة في فترة قصيرة جدًا خلال حياة الرُسُل.

"إِنْ ثَبَتُّمْ عَلَى الإِيمَانِ، مُتَأَسِّسِينَ وَرَاسِخِينَ وَغَيْرَ مُنْتَقِلِينَ عَنْ رَجَاءِ الإِنْجِيلِ، الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ، **الْمَكْرُوزِ بِهِ فِي كُلِّ الْخَلِيقَةِ الَّتِي تَحْتَ السَّمَاءِ**، الَّذِي صِرْتُ أَنَا بُولُسَ خَادِمًا لَهُ" (كولوسي 1: 23).

إلا أن التحدي الذي يظل هو أن فكرة الصليب بالنسبة للإنسان الطبيعي تبدو وكأن الله يعاقب ابنه لإشباع غضبه نحونا. وهذا سهَّل على الشيطان اختراع المزيد من الأكاذيب والضلالات ولا سيما من خلال قيام إنسان الخطية لحجب قوة الصليب الحقيقية وطمسها. وقد سمح هذا للحيَّة بأن تسقط بسبب كشف الصليب له والاختباء مرة أخرى في الظلام ولدغ الناس في الظلال لإقناعهم بأن الله هو المعتدي الذي يعاقبهم بشدة.

لقد كانت هناك فرص كثيرة متاحة أمام المصريين للتعرف على الإله الحقيقي من خلال يوسف. فلقد أعطى الله يوسف حكمة تَبارك بها المصريون فى إعدادهم للمجاعة التي حلَّت على أرض مصر وعلى كل البلدان المحيطة بها.

"وَابْتَدَأَتْ سَبْعُ سِنِي الْجُوعِ تَأْتِي كَمَا قَالَ يُوسُفُ، فَكَانَ جُوعٌ فِي جَمِيعِ الْبُلْدَانِ. وَأَمَّا جَمِيعُ أَرْضِ مِصْرَ فَكَانَ فِيهَا خُبْزٌ" (تكوين 41: 54).

حُذِّر فرعون في حلم أن سبع سنوات مجاعة ستحل على أرض مصر. لكن عناية الله وضعت يوسف في المكان المناسب لمواجهة الجوع والجفاف الموشك على الحدوث ومساعدة الناس على الاستعداد للضوائق المصاحبة لذلك (تكوين 41: 25 – 36). فما هو سبب افتقاد هذا الجوع العظيم على كل هذه البلدان؟

"لاَ تَصْنَعُوا لَكُمْ أَوْثَانًا، وَلاَ تُقِيمُوا لَكُمْ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا أَوْ نَصَبًا، وَلاَ تَجْعَلُوا فِي أَرْضِكُمْ حَجَرًا مُصَوَّرًا لِتَسْجُدُوا لَهُ. لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ. سُبُوتِي تَحْفَظُونَ وَمَقْدِسِي تَهَابُونَ. أَنَا الرَّبُّ. إِذَا سَلَكْتُمْ فِي فَرَائِضِي وَحَفِظْتُمْ وَصَايَايَ وَعَمِلْتُمْ بِهَا، أُعْطِي مَطَرَكُمْ فِي حِينِهِ، وَتُعْطِي الأَرْضُ غَلَّتَهَا، وَتُعْطِي أَشْجَارُ الْحَقْلِ أَثْمَارَهَا، وَيَلْحَقُ دِرَاسُكُمْ بِالْقِطَافِ، وَيَلْحَقُ الْقِطَافُ بِالزَّرْعِ، فَتَأْكُلُونَ خُبْزَكُمْ لِلشِّبَعِ وَتَسْكُنُونَ فِي أَرْضِكُمْ آمِنِينَ" (لاويين 26: 1 – 4).

نتذكر من الفصل الثالث عشر أن الله خلق قوانين الطبيعة ليبارك بها الإنسان.

"إن العلاقة السببية التي توجد بين الإنسان والطبيعة تعني أنه كلما زاد تمرد الجنس البشري، سيزداد أيضًا تمرد الهواء (في هيئة أعاصير) والنار (في هيئة براكين وحرائق غابات) والماء (في هيئة فيضانات تجتاح أماكن عديدة). وإذ يتمادى الناس في كسر وصايا الله بغيرة أكثر، فإن الأرض ستكسر قوانين الطبيعة وتعكس هي أيضًا تمرد البشر" (أغابي، الفصل الثالث عشر، صفحة 117).

كان المصريون يعبدون العديد من الأصنام مع الأمم المحيطة بهم. لم يحفظوا سبوته ولم يهابوا مقدس الرب. وعندما أتى موسى إلى فرعون وطلب منه طلبًا نيابةً عن الرب، تساءل فرعون

بغطرسة وكبرياء من هو الرب وقال متحديًا: "لاَ أَعْرِفُ الرَّبَّ". إلا أن فرعون لم يكن بغافلٍ عن يوسف، فمصر قد اغتنت بفضل يوسف. فكان رده على موسى رفضًا للاعتراف بالله.

"لأَنَّهُمْ **لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلهٍ**، بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ، **وَأَبْدَلُوا مَجْدَ اللهِ الَّذِي لاَ يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى، وَالطُّيُورِ، وَالدَّوَابِّ، وَالزَّحَّافَاتِ**" (رومية 1: 21 – 23).

لم يحفظوا الفرائض والأحكام لأنه منذ أيام نمرود، تحدت العديد من الدول الناشئة إله السماء واختاروا التمرد والعناد وعملوا ما يحلو لهم. كانت أرض مصر وكنعان معروفة في ذلك الحين بكونها أرض حام.

"فَجَاءَ إِسْرَائِيلُ إِلَى مِصْرَ، وَيَعْقُوبُ تَغَرَّبَ فِي أَرْضِ حَامٍ" (مزمور 105: 23).

أعطى حام لنسله ميراثًا رهيبًا بسبب الجريمة الدنيئة التي ارتكبها بحق والده نوح.

"فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا. فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. **فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ**، فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ»" (تكوين 9: 22 – 25).

فحقيقة أن نوح علم أن ابنه قد فعل به شيئًا عندما استيقظ من نومه تشير إلى أن حام فعل بوالده أكثر من مجرد النظر إليه. وعندما خرج شعب إسرائيل من مصر، قال لهم الله ألا يتبعوا ممارسات الكنعانيين والمصريين وألا يسلكوا حسب فرائضهم.

"مِثْلَ عَمَلِ أَرْضِ مِصْرَ الَّتِي سَكَنْتُمْ فِيهَا لاَ تَعْمَلُوا، وَمِثْلَ عَمَلِ أَرْضِ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا آتٍ بِكُمْ إِلَيْهَا لاَ تَعْمَلُوا، وَحَسَبَ فَرَائِضِهِمْ لاَ تَسْلُكُوا" (لاويين 18: 3).

ما هي الأشياء التي كانت تفعلها هذه الأمم وأمر الرب إسرائيل ألا يفعلوها أو يشتركوا فيها؟

1. سفاح القربى أو نكاح المحارم (لاويين 18: 6 – 18).
2. المعاشرة الجنسية أثناء دورة الطمث (لاويين 18: 19).

3. الزنا (لاويين 18: 20).
4. تقديم أبنائهم كذبائح للأوثان (لاويين 18: 21).
5. الشذوذ الجنسي (لاويين 18: 22).
6. البهيمية أو جماع الحيوان (لاويين 18: 24).

كل هذه الخطايا هي ميراث بني حام. وهذه التعديات على شريعة الله لها تأثير سلبي على الطبيعة لأنها مخالفة للطبيعة.

"لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ أَيْضًا فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النَّجَاسَةِ، لإِهَانَةِ أَجْسَادِهِمْ بَيْنَ ذَوَاتِهِمِ. الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا حَقَّ اللهِ بِالْكَذِبِ، وَاتَّقَوْا وَعَبَدُوا الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ، الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ. لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى أَهْوَاءِ الْهَوَانِ، لأَنَّ إِنَاثَهُمُ اسْتَبْدَلْنَ الاسْتِعْمَالَ الطَّبِيعِيَّ بِالَّذِي عَلَى خِلاَفِ الطَّبِيعَةِ" (رومية 1: 24 – 26).

وهذه الخطايا إلى جانب تناول اللحوم النجسة والدم وغيرها من الخطايا الواردة في سفر اللاويين تنجّس الأرض وتدنسها فتَحزَن وتَذبُل.

"نَاحَتْ ذَبُلَتِ الأَرْضُ. حَزِنَتْ ذَبُلَتِ الْمَسْكُونَةُ. حَزِنَ مُرْتَفِعُو شَعْبِ الأَرْضِ. وَالأَرْضُ تَدَنَّسَتْ تَحْتَ سُكَّانِهَا لأَنَّهُمْ تَعَدَّوْا الشَّرَائِعَ، غَيَّرُوا الْفَرِيضَةَ، نَكَثُوا الْعَهْدَ الأَبَدِيَّ. لِذلِكَ لَعْنَةٌ أَكَلَتِ الأَرْضَ وَعُوقِبَ السَّاكِنُونَ فِيهَا. لِذلِكَ احْتَرَقَ سُكَّانُ الأَرْضِ وَبَقِيَ أُنَاسٌ قَلاَئِلُ" (إشعياء 24: 4 – 6).

كانت كنعان ومصر تتعديان على وصايا الله. وكانت سنوات المجاعة السبع بمثابة تحذير لهذه البلدان من أن الرجسات (الأعمال البغيضة) التي كانوا يمارسونها ستؤدي إلى مزيد من الاضطرابات الطبيعية في المستقبل. والرب في رحمته قد سمح ليوسف أن يؤخذ أسيرًا إلى مصر ليعرّف المصريين بالإله الحقيقي حتى يتوبوا عن رجاساتهم وينجوا من أفعال الطبيعة المُهلِكة. وبخصوص الرجاسات الجنسية فقد ورد ذكر هذا التحذير ضمن ناموس الوصايا العشر.

"فَتَتَنَجَّسَتِ الأَرْضُ. فَأَجْتَزِي ذَنْبَهَا مِنْهَا، فَتَقْذِفُ الأَرْضُ سُكَّانَهَا" (لاويين 18: 25).

لقد كانت رجاسات مصر وكنعان تعدُّ الأرض لتقذف (تتقيأ) سكانها. فتمرد البشر على الله سينعكس مرة أخرى على الإنسان من خلال الطبيعة. وكان الشيطان يضغط على هذه الأمم لاقتراف هذه

الخطايا من أجل إحداث الاضطرابات العنيفة في الطبيعة ثم إتهام الله بأنه المسؤول عنها بسبب غضبه وأنه هو السبب في هلاك هذه الأمم، لكن في الحقيقة أن الرب أراد أن يخلّص مصر والأمم الوثنية الأخرى. لم يكن يريد أن يهلك أحدًا لكنهم رفضوا الاستماع إلى مشورته.

هناك آية مهمة جدًا ينبغي وضعها في الاعتبار أثناء دراستنا للضربات التي وقعت على مصر.

"لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ، مُخَلِّصُكَ. جَعَلْتُ مِصْرَ فِدْيَتَكَ ..." (إشعياء 43: 3).

يتحدث الكتاب المقدس عن الضربات بلغة الصليب. دُفِعت فدية لتحصل إسرائيل على الحرية. يوجد عدد كبير من الرموز في الضربات ولن نتمكن من دراستها جميعًا في هذا الكتاب. فتركيزنا سيكون على إعلان الصليب من خلال الضربات التي وقعت على مصر.

"فَدَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَفَعَلاَ هكَذَا كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ. طَرَحَ هَارُونُ عَصَاهُ أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَأَمَامَ عَبِيدِهِ فَصَارَتْ ثُعْبَانًا" (خروج 7: 10).

لقد تكررت معجزة تحول العصا إلى حيَّة أمام فرعون. وقد حدث ذلك لتعرف مصر أن قوة الحيَّة على وشك الخروج.

"**أَرْسَلَ** عَلَيْهِمْ حُمُوَّ غَضَبِهِ، سَخَطًا وَرِجْزًا وَضِيْقًا، **جَيْشَ مَلاَئِكَةٍ أَشْرَارٍ**" (مزمور 78: 49).

وسفر المزامير في وصفه للأحداث المتعلقة بالضربات يتحدث عن خروج قوة الملائكة الأشرار وإطلاق العنان لها. فنقرأ:

"**إِذْ حَوَّلَ خُلْجَانَهُمْ إِلَى دَمٍ**، وَمَجَارِيَهُمْ لِكَيْ لاَ يَشْرَبُوا. أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ بَعُوضًا فَأَكَلَهُمْ، وَضَفَادِعَ فَأَفْسَدَتْهُمْ. أَسْلَمَ لِلْجَرْدَمِ غَلَّتَهُمْ، وَتَعَبَهُمْ لِلْجَرَادِ. أَهْلَكَ بِالْبَرَدِ كُرُومَهُمْ، وَجُمَّيْزَهُمْ بِالصَّقِيعِ. وَدَفَعَ إِلَى الْبَرَدِ بَهَائِمَهُمْ، وَمَوَاشِيَهُمْ لِلْبُرُوقِ. أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ حُمُوَّ غَضَبِهِ، سَخَطًا وَرِجْزًا وَضِيْقًا، جَيْشَ مَلاَئِكَةٍ أَشْرَارٍ. مَهَّدَ سَبِيلاً لِغَضَبِهِ. لَمْ يَمْنَعْ مِنَ الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ، **بَلْ دَفَعَ حَيَاتَهُمْ لِلْوَبَإِ**. وَضَرَبَ كُلَّ بِكْرٍ فِي مِصْرَ. أَوَائِلَ الْقُدْرَةِ فِي خِيَامِ حَامٍ" (مزمور 78: 44 – 51).

معظم الضربات المذكورة أعلاه مرتبطة بإرسال الملائكة الأشرار أو ملائكة الهلاك وإطلاق العنان لهم. فقد دفع الله حياتهم للوبأ لأنهم رفضوا الاعتراف بالله أو بوصاياه. وكلمة "وبأ" المذكورة في النص السابق تشير إلى كسر ميثاق الله الأبدي وانتهاكه.

"أَجْلِبُ عَلَيْكُمْ سَيْفًا يَنْتَقِمُ نَقْمَةَ الْمِيثَاقِ، فَتَجْتَمِعُونَ إِلَى مُدُنِكُمْ وَأُرْسِلُ فِي وَسَطِكُمُ الْوَبَأَ فَتُدْفَعُونَ بِيَدِ الْعَدُوِّ" (لاويين 26: 25).

لا نعلم بالضبط كيف كان الملائكة الأشرار مشتركين في هذه الضربات وكيف استخدموا قوانين الطبيعة لهلاك سكانها. إلا إن هذين العنصرين المتمثلين في قوانين الطبيعة وعمل الهلاك الذي تقوم به الملائكة الأشرار هما اللذان جلبا الهلاك على مصر. ومع ذلك فحتى خلال أعمال الهلاك هذه كان الله يبحث عنهم حتى يتوبوا عن خطاياهم ويَخلِصوا. ولنتذكر أن كل مظاهر القوة تأتي من المسيح لأنه قوة الله وحكمته. إلا أن المسيح لا بد أن يحمل صليب الآلام عندما يسمح بحدوث أعمال العنف والهلاك هذه.

لقد كانت قوة المسيح ساكنة في كل نفوس المصريين. وعندما يتعرَّض شخصٌ للقتل فذلك يُعذِّب شخص المسيح. أيمكنك أن تتخيَّل أم مصرية تحمل على أيديها ابنها الميت وهي تبكي من شدة الألم والعذاب الذي أصاب نفسها وروحها؟ فهنا يتضايق المسيح بسبب ضيقتها، وهنا يُرفَع الصليب ويُصلَب المسيح من جديد. عندما يسمح الله للشيطان أن يأخذ قوة ابنه، فهو يسمح للشيطان بأن يلمس عينه.

"مَهَّدَ سَبِيلًا لِغَضَبِهِ (H639 أنف، وجه). لَمْ يَمْنَعْ مِنَ الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ، بَلْ دَفَعَ حَيَاتَهُمْ لِلْوَبَإِ (H1698 – الهلاك)" (مزمور 78: 50).

تصف هذه الآية الضربات التي حلَّت على مصر. فتقول أن الله مهَّد لغضبه (أي لوجهه). فابنه الحبيب هو بهجة ومسرة حياته. وبسماحه بموت المصريين على يد المُهلِك، سمح بمعاناة ابنه وألمه وعذابه، ولذلك وقف الآب بمفرده في هذه الظلمة وبكى على ابنه أثناء الضربات التي حلَّت على مصر وعلى كل ما تعرَّض له ابنه من آلام ومعاناة.

لم تكن الضربات التي وقعت على مصر عشوائية بل كانت موجَّهة نحو الآلهة التي كان يعبدها المصريون. وكان على المصريين كباقي المتعبدين الوثنين استرضاء آلهتهم وعدم إزعاجهم أو تكديرهم لتفادي العقاب. لقد انعكست الضربات على المصريين في المرآة الإلهية. وها هو إحساسهم

بالذنب والخزي بسبب رجاساتهم الوثنية وقتلهم للأطفال ووحشية عبوديتهم وشهيتهم الفاسدة وانحرافهم الجنسي يرجع إليهم الآن في هذه المرآة. وكانوا يعبدون نهر النيل تحت اسم الإله حابي، إله التكاثر والخصوبة.

ومن المحتمل أن الأمر بإلقاء الأولاد العبرانيين في النهر قبل ثمانين سنة كان يعكس أفعالهم. وفي نفس الوقت كانت قوانين الطبيعة التي حملها المسيح تنهار أخيرًا تحت وطأة رجاساتهم. وإذ نظر ابن الله إلى مستقبل مصر، كان مثقلاً بالحزن، والنهر كان رمزًا لما سيختبره المسيح في بستان جثسيماني عندما تحول عرقه إلى قطرات دم وظهرت على هيئته الجسدية التعب الشديد. لقد كان ثقل الخطية هو الذي يقوم بعمل الهلاك في المسيح، وأفعال المصريين التي دنَّستهم هي التي أهلكت النيل وكل ما فيه.

ولاستخدام العصا أهمية إذ نقرأ:

"فَفَعَلَ هكَذَا مُوسَى وَهَارُونُ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ. **رَفَعَ الْعَصَا وَضَرَبَ الْمَاءَ الَّذِي فِي النَّهْرِ** أَمَامَ عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ وَأَمَامَ عُيُونِ عَبِيدِهِ، فَتَحَوَّلَ كُلُّ الْمَاءِ الَّذِي فِي النَّهْرِ دَمًا" (خروج 7: 20).

واستخدام العصا من أجل الضرب له أيضًا أهمية في الكتاب المقدس إذ نقرأ:

"بَلْ يَقْضِي بِالْعَدْلِ لِلْمَسَاكِينِ، وَيَحْكُمُ بِالإِنْصَافِ لِبَائِسِي الأَرْضِ، **وَيَضْرِبُ الأَرْضَ بِقَضِيبِ فَمِهِ**، وَيُمِيتُ الْمُنَافِقَ بِنَفْخَةِ شَفَتَيْهِ" (إشعياء 11: 4).

فالعصا هي رمز لكلمة الله ونفخة فمه. وعندما عُلِق المسيح على الصليب، فذنب الخطية في وجه الشريعة المكسورة هو ما جعل نفسه تحترق كالنار. ومبدأ الضرب يوجد في أماكن أخرى من الكتاب المقدس.

"اَلآنَ تَتَجَيَّشِينَ (أي تجمعين جيوشك) يَا بِنْتَ الْجُيُوشِ. قَدْ أَقَامَ عَلَيْنَا مِتْرَسَةً. **يَضْرِبُونَ قَاضِيَ إِسْرَائِيلَ** بِقَضِيبٍ عَلَى خَدِّهِ" (ميخا 5: 1).

"اِسْتَيْقِظْ يَا سَيْفُ عَلَى رَاعِيَّ، وَعَلَى رَجُلِ رِفْقَتِي، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ. **اِضْرِبِ الرَّاعِيَ** فَتَتَشَتَّتَ الْغَنَمُ، وَأَرُدُّ يَدِي عَلَى الصِّغَارِ" (زكريا 13: 7).

"هَا أَنَا أَقِفُ أَمَامَكَ هُنَاكَ عَلَى الصَّخْرَةِ فِي حُورِيبَ، **فَتَضْرِبُ الصَّخْرَةَ فَيَخْرُجُ** مِنْهَا مَاءٌ لِيَشْرَبَ الشَّعْبُ. فَفَعَلَ مُوسَى هكَذَا أَمَامَ عُيُونِ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ" (خروج 17: 6).

إن المسيح رئيس كل الطبيعة. لقد دنَّس شر المصريين الأرض وثقبوا رأس المسيح بإكليل الشوك. وضرب الماء يُظهِر أو يكشف ما كان المصريون يفعلون بالمسيح. فالمسيح هو ينبوع الماء الحي لكنهم كانوا يضربونه وتعرَّض بسببهم لآلام عظيمة. فالله يُظهِر للمصريين الضرر الذي تسببه حالتهم. وهذا هو عمل الشريعة فهي تعكس للإنسان الساقط حالته وطبيعته الخاطئة. إلا أن العالم بأسره يظن ببساطة أن الله قد قطع إمدادت المياه عن مصر. فالعالم يعتبر المسيح مضروبًا من الله ومخذولاً. وعندما طُعِن المسيح بالحربة في جنبه خرج منه دمًا وماءً وهذا ما نراه في النيل.

أما الضربة الثانية فكانت مرآة لإلهة أخرى ألا وهي الإلهة حقْت.

"حقت (أو حكات أو حقات) هي أحد الآلهة المصرية القديمة، وهى ربة الولادة عند المصريين القدماء. تأخذ "حقت" هيئة ضفدعة، أو أنثى برأس ضفدعة. إذ أن الضفدعة عند قدماء المصريين ترمز إلى الخصوبة، وقد كان لذلك علاقة بفيضان النيل السنوي ... وقد اعتقد البعض أن اسمها هو أصل اسم "هيكات" إلهة السحر والعرافة عند الإغريق" (وكيبيديا).

لقد دمَّر المصريون خصوبة مصر بسبب أعمالهم البغيضة ونجاساتهم. فالأرض كانت تقذفهم (تتقيأهم) وكانت الضفادع انعكاسًا لهذا القذف، وقد سمح الله بأن تنعكس عبادتهم عليهم في المرآة. وها هو خوفهم من الآلهة يفتقدهم الآن. لم تكن هذه الأحداث عشوائية بل كانت قوانين الطبيعة تعكس أفكار البشر. فيخبرنا الرب يسوع:

"لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ" (متى 7: 2).

وفي الوقت ذاته فرمز الضفدع يشير إلى مبدأ المكر والخداع. فقد أشرنا سابقًا أن "حقْت" لها صلة بالسحر والعرافة. كان الشيطان يزيّف هذه الإعلانات التي في الطبيعة بواسطة كهنته. والضفادع لها صلة بالأرواح الشريرة التي تصنع المعجزات.

"وَرَأَيْتُ مِنْ فَمِ التِّنِّينِ، وَمِنْ فَمِ الْوَحْشِ، وَمِنْ فَمِ النَّبِيِّ الْكَذَّابِ، ثَلاَثَةَ أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ شِبْهَ ضَفَادِعَ، **فَإِنَّهُمْ أَرْوَاحُ شَيَاطِينَ صَانِعَةٌ آيَاتٍ، تَخْرُجُ عَلَى مُلُوكِ** الْعَالَمِ وَكُلِّ الْمَسْكُونَةِ، لِتَجْمَعَهُمْ لِقِتَالِ ذلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، يَوْمِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" (رؤيا 16: 13 و14).

"وَيَصْنَعُ آيَاتٍ عَظِيمَةً، حَتَّى إِنَّهُ يَجْعَلُ نَارًا تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الأَرْضِ قُدَّامَ النَّاسِ، **وَيُضِلُّ السَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ بِالآيَاتِ الَّتِي أُعْطِيَ أَنْ يَصْنَعَهَا أَمَامَ الْوَحْشِ،** قَائِلًا لِلسَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَصْنَعُوا صُورَةً لِلْوَحْشِ الَّذِي كَانَ بِهِ جُرْحُ السَّيْفِ وَعَاشَ" (رؤيا 13: 13 و14).

إن روح المكر والضلال والكذب في معجزة الحيَّات التي قام الكهنة بفبركتها وأيضًا أول ضربتين منعت روح التوبة في المصريين، الأمر الذي حسم هلاكهم في النهاية. وبطريقة مماثلة كانت توجد روح كذب وخداع أثناء محاكمة المسيح تمثلت في توجيه الاتهامات الباطلة ضده وبالتالي ضمان هلاكه على الصليب.

أما الضربة الثالثة فكانت مرتبطة بتراب الأرض. فقدماء المصريين كان عندهم إلهين متصلين بالتربة أو الأرض، ألا وهما "حورس" رب التربة السوداء و"سيت" رب الصحراء الحمراء. كانت التربة السوداء الخصبة تستخدم لزراعة المحاصيل، أما البعوض الخارج من الأرض فكان إنذارًا بأن الأرض كانت في حالة رديئة وأنها كالثوب تبلى.

"اِرْفَعُوا إِلَى السَّمَاوَاتِ عُيُونَكُمْ، وَانْظُرُوا إِلَى الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ. فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ كَالدُّخَانِ تَضْمَحِلُّ، **وَالأَرْضَ كَالثَّوْبِ تَبْلَى، وَسُكَّانَهَا كَالْبَعُوضِ يَمُوتُونَ.** أَمَّا خَلاَصِي فَإِلَى الأَبَدِ يَكُونُ وَبِرِّي لاَ يُنْقَضُ" (إشعياء 51: 6).

يبيّن لنا النص السابق أن الأرض تبلى وسكانها كالبعوض يموتون. فلعنة رجاسات البشر تستقر بثقلها على قلب المسيح. ونقرأ في سفر المزامير:

"طُوبَى لِرَجُل لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً، وَلاَ فِي رُوحِهِ غِشٌّ. **لَمَّا سَكَتُّ بَلِيَتْ عِظَامِي مِنْ زَفِيرِي الْيَوْمَ كُلَّهُ،** لأَنَّ يَدَكَ ثَقُلَتْ عَلَيَّ نَهَارًا وَلَيْلًا. تَحَوَّلَتْ رُطُوبَتِي إِلَى يُبُوسَةِ الْقَيْظِ" (مزمور 32: 2 – 4).

ظل ابن الله صامتًا، معطيًا للمصريين حريتهم، لكن الأثقال التي كان يحملها في سعيه للحفاظ على الأرض من النجاسة جعلته تئن.

"فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ" (رومية 8: 22).

فعندما يقول الكتاب أن الخليقة تئن وتتمخض فهذا يعكس آلام المسيح في البستان وهو مثقل بحمل الخطية. الإنسان الجسداني يرى في هذه الضربة غضب حورس وسخطه على الناس، أما الإنسان الروحاني فيرى حزن الأرض وذبولها وانحلالها بسبب نجاسات المصريين وآلام المسيح المصاحبة لها.

أما الضربة الرابعة فكانت عبارة عن أنواع مختلفة من الذبان والحشرات ومن المحتمل الخنافس كما ورد في ترجمة "يونج" الحرفية للكتاب المقدس.

فَفَعَلَ الرَّبُّ هكَذَا، فَدَخَلَتْ ذُبَّانٌ كَثِيرَةٌ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ وَبُيُوتِ عَبِيدِهِ. وَفِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ خَرِبَتِ (هلكت) الأَرْضُ مِنَ الذُّبَّانِ" (خروج 8: 24).

الكلمة العبرية المستخدمة لتشير إلى "الفساد" أو "الخراب" في الآية السابقة هي نفس الكلمة المستخدمة للإشارة إلى "المُهلِك" في الضربة الأخيرة التي قُتِل فيها أبكار مصر. وهي نفس الكلمة المستخدمة لوصف حالة العالم قبل الطوفان.

"وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ **فَسَدَتْ**، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ" (تكوين 6: 12).

لقد كانت الضربة الرابعة مظهرًا من مظاهر النجاسة التي تنجَّس بها المصريون. كان فرعون قد أنكر الإله الحقيقي إله السماء وفعل أشياء بغيضة يكرهها الرب، ولذلك فقد بدأت البذار التي زرعها هو وأسلافه في النمو والظهور.

"قَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: «لَيْسَ إِلهٌ». فَسَدُوا (هلكوا) **وَرَجِسُوا بِأَفْعَالِهِمْ.** لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا" (مزمور 14: 1).

"لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اللهَ. الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ. حَنْجَرَتُهُمْ قَبْرٌ مَفْتُوحٌ. بِأَلْسِنَتِهِمْ قَدْ مَكَرُوا. سِمُّ الأَصْلاَلِ تَحْتَ شِفَاهِهِمْ" (رومية 3: 11 – 13).

لقد كان الرب ممسكًا بأربع رياح الحرب حتى لا تهب، وكان يحاول تهدئة الأرض لكنها في النهاية ستقذف سكانها وتتقيأهم.

أما الضربة الخامسة فأصابت الماشية والبقر والخيل والجمال والحمير. فالمصريون لم تكن لديهم حماية من المُهلِك. لو تاب فرعون، لأمكن منع الملائكة المُهلِكة من القيام بعمل الخراب والهلاك الذي كانت تقوم به من خلال الطبيعة، ولكن لم يكن الأمر كذلك. وكان على الرب أن يتخلى عن الماشية ويتركها ليد المُهلِك. لقد رفض المصريون أن يأتوا إلى الرب وينالوا الخلاص فأحكم الشيطان سيطرته على مصر.

ونعلم أنه عندما سُمِح للشيطان فقد ضَرَبَ أيوب بدمامل وقُرح رديءٍ من باطن قدمه إلى هامته، وهذا ما فعله الشيطان للمصريين في الضربة السادسة. يا لمقدار الوجع والألم الذي شعر به المسيح وهو يشاهد أبنائه الأحباء وهم يتألمون بسبب الدمامل التي حلّت عليهم، ويا لمقدار الألم والعذاب الذي شعر به عندما سمح للشيطان بعمل هذه الأشياء. وحقيقة أن الضربات انتقلت من إصابة الحيوانات إلى إصابة الناس بالدمامل تشير إلى أن الشيطان قد أحكم سيطرته على الوضع، تمامًا كما فعل مع أيوب.

"فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ. وَإِلَى الآنَ هُوَ مُتَمَسِّكٌ بِكَمَالِهِ، وَقَدْ هَيَّجْتَنِي عَلَيْهِ لأُبَتِّلِعَهُ بِلاَ سَبَبٍ». فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «جِلْدٌ بِجِلْدٍ، وَكُلُّ مَا لِلإِنْسَانِ يُعْطِيهِ لأَجْلِ نَفْسِهِ. وَلكِنْ ابْسِطِ الآنَ يَدَكَ وَمَسَّ عَظْمَهُ وَلَحْمَهُ، فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ». فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَا هُوَ فِي يَدِكَ، وَلكِنِ احْفَظْ نَفْسَهُ». فَخَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ، وَضَرَبَ أَيُّوبَ بِقُرْحٍ رَدِيءٍ مِنْ بَاطِنِ قَدَمِهِ إِلَى هَامَتِهِ" (أيوب 2: 3 – 7).

إن الدمامل والقروح التي ظهرت على المصريين ربما توحي بآلام المسيح وهو معلق على الصليب. لقد كانت بلية أصابت جسد الإنسان.

لقد كانت آلام المصريين آلامه، وعذابهم أثر فيه بشدة، ومع ذلك فقد استمر في السماح للشيطان بإظهار هذه القوة لأن هؤلاء الناس رفضوا الاستجابة لنداء الرجوع والخلاص. وكما قال الرب يسوع للفريسيين: "كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا!"

في البداية مات السمك في النهر، وبعد ذلك الضفادع والماشية والآن الدمامل والقروح على أجسادهم. لقد حذَّر موسى المصريين بكل ضربة حتى يتمكنوا من إتخاذ الإجراءات والتدابير اللازمة للابتعاد عن المُهلِك. لقد كان باستطاعتهم الابتعاد عن هذه الحيَّة اللاذعة والنظر إلى الحيَّة المرفوعة على العصا. لقد رُفِع المسيح وصُلِب بسبب تألمه وعذابه من هذه الضربات، وانكشفت الحيَّة أي الشيطان على حقيقته – المُهلِك. فالشيطان يحاول الاختباء بمكر ودهاء في قوة الله ويُرسِل إلينا الضفادع ويخبرنا بأن الله هو المسؤول المباشر عن حدوث هذه الأشياء.

"فَهَا يَدُ الرَّبِّ تَكُونُ عَلَى مَوَاشِيكَ الَّتِي فِي الْحَقْلِ، عَلَى الْخَيْلِ وَالْحَمِيرِ وَالْجِمَالِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، وَبَأٌ ثَقِيلٌ جِدًّا" (خروج 9: 23).

حين رفع موسى العصا إلى السماء، كان ذلك رمزًا لتعليق ابن الله ورفعه على الصليب. لقد سُلِّم المسيح، قوة الله، للشيطان حتى يستخدمه كما يريد. وبذلك سمح الله بحدوث فجوة في حمايته، وأرسل الملائكة الأشرار الذين يفرحون بالموت والهلاك بعاصفة البرد والصقيع على الأرض. تذكر ما يقوله المزمور 78:

"**أَهْلَكَ بِالْبَرَدِ كُرُومَهُمْ**، وَجُمَّيْزَهُمْ بِالصَّقِيعِ. وَدَفَعَ إِلَى الْبَرَدِ بَهَائِمَهُمْ، وَمَوَاشِيَهُمْ لِلْبُرُوقِ. **أَرْسَلَ** عَلَيْهِمْ حُمُوَّ غَضَبِهِ، سَخَطًا وَرِجْزًا وَضِيْقًا، **جَيْشَ مَلاَئِكَةٍ أَشْرَارٍ**" (مزمور 78: 47 – 49).

كما ورد ذكر "البرد" أيضًا في المزمور 18 الذي يتحدث عن آلام المسيح على الصليب.

"مِنَ الشُّعَاعِ قُدَّامَهُ عَبَرَتْ سُحُبُهُ. بَرَدٌ وَجَمْرُ نَارٍ" (مزمور 18: 12).

لاحظ أن الآية الواردة في مزمور 78 تقول أنه "دَفَعَ" إلى البرد بهائمهم، والكلمة العبرية المستخدمة لتعني "أرسل عليهم" تعني أيضًا "يُطلِق أو يحل أو يرخي". فنرى أن قوة الله أُعطِيت أو دُفِعت للشيطان، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا من خلال تألم المسيح ومعاناته. ففي كل مرة يسمح فيها الله

للشيطان أن يستخدم قوته للهلاك والتخريب، يُرفَع ابنه كما رُفِع على الصليب، إلا أن أولئك الذين ينظرون في مرآة الإنجيل الحقيقي فهم في نفس الوقت يرون الشيطان بصفته القاتل والمُهلِك. أثناء ضربة البَرَد نلاحظ التفاصيل التالية:

"فَالْكَتَّانُ وَالشَّعِيرُ ضُرِبَا. لأَنَّ الشَّعِيرَ كَانَ مُسْبِلًا وَالْكَتَّانُ مُبْزِرًا" (خروج 9: 31).

كانت أبكار الغلات التي تُزرَع في الحقل ومن ضمنها الشعير تُقدَّم في عيد الحصاد. وفي ضربة البَرَد التي أصابت كل أرض مصر وجميع ما في الحقل من الناس والبهائم، أُهلِكت أيضًا أبكار الغلات. إذ يقول الكتاب:

"وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ فِي رُتْبَتِهِ: الْمَسِيحُ بَاكُورَةً، ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ" (كورنثوس الأولى 15: 23).

إن البَرَد الذي أهلك الشعر وأبكار الغلات يرمز إلى الضرب الشديد الذي تعرض له المسيح، الباكورة، لأننا حسبناه مضروبًا (إشعياء 53: 4). أما الضربة التالية فهي ضربة الجراد، وسفر الرؤيا يخبرنا ما هو مصدر هذه الضربة.

"فَفَتَحَ بِئْرَ الْهَاوِيَةِ، فَصَعِدَ دُخَانٌ مِنَ الْبِئْرِ كَدُخَانِ أَتُونٍ عَظِيمٍ، فَأَظْلَمَتِ الشَّمْسُ وَالْجَوُّ مِنْ دُخَانِ الْبِئْرِ. **وَمِنَ الدُّخَانِ خَرَجَ جَرَادٌ عَلَى الأَرْضِ، فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا كَمَا لِعَقَارِبِ الأَرْضِ سُلْطَانٌ**" (رؤيا 9: 2 و3).

يشير هذا النص إلى قدرة الشيطان على التخريب والهلاك من خلال ضلالاته وهذا هو ما حدث في هذه الضربة. فقد أكل الجراد جميع عشب الأرض وجميع ثمر الشجر الذي تركه البرد، حتى لم يبق شيء أخضر في الشجر ولا في عشب الحقل في كل أرض مصر، وهذا ما يفعله الشيطان فهو ينقضّ على كل براعم الأمل الخضراء وينتزع منها تمسكها بالخلاص. وكان الشيطان يضغط على قلب المسيح بفكرة أن كل الأعمال التي قام بها بلا قيمة، ولن يقدّرها أحدٌ. كما أنه وضع أمامه التجربة الشرسة المتمثلة في تخلي الآب عنه وتركه له.

"لأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَتْ بِي كِلاَبٌ. جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَارِ اكْتَنَفَتْنِي. ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ. أُحْصِي كُلَّ عِظَامِي، وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَتَفَرَّسُونَ فِيَّ. يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ" (مزمور 22: 16 – 18).

وَكَانَ الْمُجْتَازُونَ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَهُزُّونَ رُؤُوسَهُمْ قَائِلِينَ: «يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ!». وَكَذلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ مَعَ الْكَتَبَةِ وَالشُّيُوخِ قَالُوا: «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَنُؤْمِنَ بِهِ! قَدِ اتَّكَلَ عَلَى اللهِ، فَلْيُنْقِذْهُ الآنَ إِنْ أَرَادَهُ! لأَنَّهُ قَالَ: أَنَا ابْنُ اللهِ!». وَبِذلِكَ أَيْضًا كَانَ اللِّصَّانِ اللَّذَانِ صُلِبَا مَعَهُ يُعَيِّرَانِهِ" (متى 27: 39 – 44).

أما الضربة التاسعة ضربة الظلام الدامس فهي بالنسبة للمصريين تعكس غضب إله الشمس رع، أما للباحث عن الحقيقة، فهي تتحدث مباشرة عن أهوال العذابات التي واجهها المسيح على الصليب وهو محاط من كل ناحية بالأرواح الشريرة. وهنا علم الشيطان أن بمقدوره إخراب وإهلاك مصر، هذه الأرض العظيمة التي تعلَّمت الكثير من إسرائيل في الماضي وباركها الله بسبب ذلك بركة عظيمة. وها هو المُهلِك الشرير يبتسم بمكر ودهاء لأنه يعلم أن مصر قد هلكت هلاكًا مبينًا. وفي ذلك الخراب الذي حلَّ على مصر تظهر آلام المسيح على الصليب، ونرى أيضًا العذاب الذي ملأ نفسه وقلبه وهو يشاهد أبنائه المصريين يهلكون على يد الشيطان. إن الظلام الدامس يشير بكل وضوح إلى أحداث الصليب.

"إِذْ كُنْتُ مَعَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ لَمْ تَمُدُّوا عَلَيَّ الأَيَادِيَ. **وَلكِنَّ هذِهِ سَاعَتُكُمْ وَسُلْطَانُ الظُّلْمَةِ**" (لوقا 22: 53).

"وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ **كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ** إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ" (متى 27: 45).

هل هناك صلة من نوع ما بين الساعة التاسعة والضربة التاسعة؟ على أية حال، كانت هذه اللحظة هي الأحلك بالنسبة للمسيح والمصريين. فالإثنان أصابهما الرعب بسبب ما كان على وشك الحدوث لهما. والظلام يشير أيضًا إلى انحجاب وجه الله الكامل.

"وَهذَا هُوَ الْخَبَرُ الَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْهُ وَنُخْبِرُكُمْ بِهِ: **إِنَّ اللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ**" (يوحنا الأولى 1: 5).

والظلام يشير إلى أن الشيطان قد أحكم سيطرته الكاملة على مصر. ولم يتبق الآن سوى ضربة موت الأبكار الضربة العاشرة والأخيرة، والتي تُعد بمثابة ذروة عمل المُهلِك. إذ أن موت المسيح يُرَى ويُظهَر في موت هؤلاء الأبكار، فالمسيح كان على استعداد أن يموت طوعًا واختيارًا بدلاً عنهم! لكنهم اختاروا المُهلِك وعليهم الآن مواجهته. إلا إننا نرى رحمة الله فكل الذين رشوا بإيمان دم الحمل على القائمتين والعتبة العليا في كل بيت لم يُسمَح للشيطان المُهلِك أن بالدخول إلى بيتهم.

"فَإِنَّ الرَّبَّ يَجْتَازُ لِيَضْرِبَ الْمِصْرِيِّينَ. فَحِينَ يَرَى الدَّمَ عَلَى الْعَتَبَةِ الْعُلْيَا وَالْقَائِمَتَيْنِ يَعْبُرُ الرَّبُّ عَنِ الْبَابِ **وَلاَ يَدَعُ الْمُهْلِكَ يَدْخُلُ بُيُوتَكُمْ لِيَضْرِبَ**" (خروج 12: 23).

ولنذكر أنفسنا مرة أخرى من هو المُهلِك؟

"وَلَهَا مَلاَكُ الْهَاوِيَةِ مَلِكًا عَلَيْهَا، اسْمُهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ «أَبَدُّونَ»، وَلَهُ بِالْيُونَانِيَّةِ اسْمُ «أَبُولِّيُونَ» (أي المُهلِك)" (رؤيا 9: 11).

"وَلاَ تَتَذَمَّرُوا كَمَا تَذَمَّرَ أَيْضًا أُنَاسٌ مِنْهُمْ، فَأَهْلَكَهُمُ الْمُهْلِكُ (الحيَّة القاتلة)" (كورنثوس الأولى 10: 10).

إن الملائكة الأشرار بإرغامهم الله على سحب حمايته لم يكن هناك ما يعيق عملهم بقدر ما يسمح به لهم الله. وموت الأبكار في مصر كان رمزًا لموت المسيح. إنَّ صليب المسيح قد ارتفع عاليًا مِن خلال الضربات التي أصابت مصر، الأمر الذي كشف عن أنَّ قدرة الله التي أوقعت ذلك الخراب عبر قوانين الطبيعة وردًّا على شرور المصريين إنَّما قد أحدثت فجوة في سياج الحماية الإلهيَّة، وهذا ما سمح للشيطان وملائكته بالدخول والقتل. إلا أن هذا القتل والهلاك لم يكونا ليحدثا إلا مِن خلال إخضاع المسيح للآلام والمعاناة، فهو الحَمَل الذي ذُبح قبل تأسيس العالَم بسبب كل الأفعال التي ارتكبها المُهلِك بحقّ الناس. إنَّ كره الشيطان لصورة الله في الإنسان تجعله يفرح ويتلذَّذ بقتل الناس متى وأينما تمكَّن مِن القيام بذلك.

لقد فرح الشيطان وتهلل جدًا بخراب مصر والآلام التي سبَّبها للمسيح والآب. فيمين الله تحولت إلى برص وقضيبه صار حيَّة. لو تمكنا من اكتشاف الضلالات والأكاذيب التي يتفوه بها الشيطان من خلال هذه الضربات، عندها سنرى الآلام التي يختبرها الله وابنه، وسنرى صليب المسيح مرتفعًا وعاليًا. وعندما يرتفع صليب المسيح سنرى الحيَّة على طبيعتها الحقيقية وسنكتشف أن الشيطان هو

القاتل والكذاب من البدء (يوحنا 8: 44). إن الصليب يعلن لنا شر الشيطان وصبر إلهنا السماوي وطول أناته في السماح له بممارسة حرية الاختيار على مسؤوليته الجسيمة.

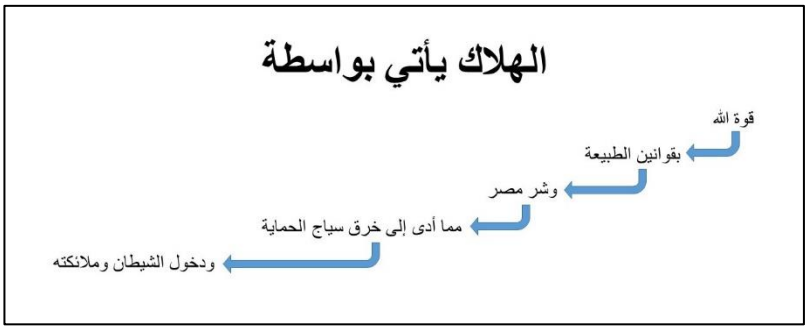

إن اعتقادنا بأن الضربات هي من إله يستخدم القوة لإجبار فرعون على ترك إسرائيل يكشف مدى قسوة قلب الإنسان ومدى ضآلة فهمنا لشخصية أبينا الذي في السماء وصفاته المُحِبة. إن الله لا يريد أن يهلك أحد بل أن يقبل الجميع إلى التوبة وقبول الحماية المتوفرة في سبته ووصاياه وفرائضه.

فلنهجر كل خطايانا ولنأتي إلى المسيح حتى لا نصلبه ثانيةً بآثامنا وأفعالنا الخاطئة، بل لنُصلَب فيه كل يوم ونقوم معه في جدة الحياة بقوة قيامته. أيمكننا أن نرى في الضربات الكرازة بصليب المسيح وآلامه العظيمة وعلمه أن الشيطان سيستغل قرارات مصر ليهلكها؟ وهل يمكنك أن ترى أن الله في رحمته ورأفته بذل كل ما في وسعه لينقذهم ويخلّصهم؟

أعجبتني كلمات هذه الترنيمة: "اللهُ حُبٌّ فافرَحُوا إذْ حُبُّه لا يَنتَهي ... عَنْ وَجهِهِ لا نُطْرَحُ منه لَنا ما نَشتَهي".

"أَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ" (إشعياء 55: 8 و9).

21. العهد الأبدي وخدمة الموت

إن العهد القديم مليء بقصص القتل والعنف الشديد والتي يبدو أنها تنفذ بواسطة أتباع الله وكذلك بواسطة الله نفسه. لكننا لا نسرد الكثير منها على أبنائنا تجنبًا لإخافتهم وإفزاعهم. فالعهد القديم يمثل إحراجًا كبيرًا للمسيحية التي تسعى إلى التبشير بمحبة الله ورحمته من خلال قصة وحياة الرب يسوع.

واحدة من الطرق التي يحاول المسيحيون من خلالها معالجة العنف الموجود في العهد القديم والذي يبدو وكأن الله هو المسؤول عنه، تتمثل في التفريق بين الميثاق (العهد) القديم والميثاق الجديد. فالكثير من المسيحيين ينادون بأن الميثاق القديم يشير فقط إلى العهد القديم أو الفترة التي كانت تسبق مجيء المسيح إلى هذه الأرض وموته على الصليب. ويقولون أن ذلك العصر هو عصر الناموس والذي كان فيه الإنسان مجبرًا على إما أن يطيع فيحيا أو أن يعصي فيموت. وهناك أيضًا اعتقاد بأن الناس في العهد القديم كانوا بدائيين في تفكيرهم، ولم يفهموا إلا لغة العنف في التعامل مع المشكلات والأزمات.

أما العهد الجديد على نقيض ذلك فيُرَى باعتباره عصر النعمة. فيعتقد مؤيدو هذه الفكرة أن محبة الله قد أُعلِنت وأُظهِرت في شخص المسيح في هذا العصر، ويؤمنون أن عطية الروح القدس التي أتت

في ذلك الحين تسمح للبشر باختبار الإنجيل. ويعتقد آخرون أن أولئك الذين كانوا في العهد القديم لم يكن بوسعهم إلا أن يتمنوا ويحلموا بتحقق الإنجيل في المستقبل إذ أن ذلك كان بعيدًا عن متناولهم. والبعض من قارئي الكتاب المقدس يرون أن الله كان يحاول عمل الأشياء بطريقة معينة لكنها فشلت، فحاول بعدها اتباع نهج آخر أكثر محبةً. وآخرون يقولون أن الله ببساطة كان يفعل ما في وسعه في ظل هذه الظروف إلى أن يأتي المسيا. لكن السؤال الذي يُطرح هو: لماذا تأخر مجيء المسيح إلى العالم كل هذا الوقت؟ فيرى البعض أن الآب كان يتعيّن عليه إرساله في وقت مبكر حتى يتعرَّف الناس على نهج المحبة هذا بشكل أسرع.

إن النهج المتعلق بفهم العهد القديم والجديد يقدم لنا مبدأين متعارضين لخطة الخلاص، إذ يركز العهد القديم على تطبيق الشريعة بينما يركز العهد الجديد على الرحمة. فوضع المبدأين في عصور مختلفة من تاريخ العالم يضمن فهم العهدين على أنهما متعارضان. ولكن عندما يتم وضع هذين المبدأين معًا في تسلسل ضمن إختبار الإنسان الروحي، فإنهما يظهران عمل التجديد والشفاء الجميل الذي تقوم به السماء.

رغم أن هذا الموضوع (أي الموضوع المتعلق بفهم العهدين القديم والجديد) قد يبدو مملاً إلى حد ما وغير مرتبط بالموضوع الخاص بشخصية الله وصفاته، إلا أنه عندما يُفهَم سيتبيّن لنا أن هذه القضية تلعب دورًا هامًا للغاية في فهم العديد من النصوص التي يظهر فيها الله وكأنه عنيف وقاس في أفعاله.

أضرب لك مثالاً لتوضيح هذه النقطة. تخيل معي شخصًا يعاني من خلل ما في نمو العظام لديه. فيذهب ذلك الشخص إلى الطبيب فيخبره الطبيب بضرورة كسر العظمة وإعادة ضبطها لتنمو بالشكل الصحيح. ماذا لو قام الطبيب بالجزء الأول فقط من عملية الاستشفاء؟ ماذا لو قام بكسر العظمة وتركها دون أن يفعل أي شيء آخر؟ سنعتبره بدون شك معدوم الأهليّة ولا يستحق أن يكون طبيبًا. تخيل أيضًا شخص يعاني من ألم في أسنانه فيذهب إلى طبيب الأسنان ليطمئن على حالة أسنانه، فيكتشف الطبيب أنه يعاني من حالة تسوّس خطيرة. وبعد حصوله على موافقة المريض يبدأ بالحفر في الأسنان المسوّسة لإصلاحها. يمكن أن يعاني المريض في بعض الأحيان من ألم شديد أثناء هذا

الإجراء. ولكن ماذا لو قام الطبيب بالجزء الأول من العملية؟ إذا قام فقط بإزالة التسوس وترك المريض يعود إلى المنزل دون إنهاء العمل، فالألم سيستمر، ولذلك سيُعتبَر طبيب الأسنان هذا مُهملاً لأنه لم يكمل عمله بل قام فقط بالجزء الأول من عملية الإصلاح.

دعونا نتأمل فيما يقوله الكتاب. لاحظ بعناية استخدام "واو" العطف الموضوع تحتها خطًا. فهي تشير إلى أن الفعل الذي يسبقها والفعل الذي يتبعها يتمان بالتسلسل وليس الواحد ***أو*** الآخر.

"أُنْظُرُوا الآنَ! أَنَا أَنَا هُوَ وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي. **أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي. سَحَقْتُ، وَإِنِّي أَشْفِي،** وَلَيْسَ مِنْ يَدِي مُخَلِّصٌ" (تثنية 32: 39).

"الرَّبُّ يُمِيتُ وَيُحْيِي. يُهْبِطُ إِلَى الْهَاوِيَةِ وَيُصْعِدُ. الرَّبُّ يُفْقِرُ وَيُغْنِي. يَضَعُ وَيَرْفَعُ" (صموئيل الأول 2: 6 و7).

"لِلْقَتْلِ وَقْتٌ وَلِلشِّفَاءِ وَقْتٌ. لِلْهَدْمِ وَقْتٌ وَلِلْبِنَاءِ وَقْتٌ. لِلْبُكَاءِ وَقْتٌ وَلِلضَّحْكِ وَقْتٌ. لِلنَّوْحِ وَقْتٌ وَلِلرَّقْصِ وَقْتٌ. لِتَفْرِيقِ الْحِجَارَةِ وَقْتٌ وَلِجَمْعِ الْحِجَارَةِ وَقْتٌ. لِلْمُعَانَقَةِ وَقْتٌ وَلِلانْفِصَالِ عَنِ الْمُعَانَقَةِ وَقْتٌ" (جامعة 3: 3 – 5).

"الَّذِي جَعَلَنَا كُفَاةً لأَنْ نَكُونَ خُدَّامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ. لاَ الْحَرْفِ بَلِ الرُّوحِ. لأَنَّ الْحَرْفَ يَقْتُلُ وَلكِنَّ [و] الرُّوحَ يُحْيِي" (كورنثوس الثانية 3: 6).

في كل حالة من هذه الحالات، يكشف الكتاب المقدس عن عملية تتكون من خطوتين. الأولى هي أن الكتاب يشخّص مدى المشكلة ويكشف مدى إيلامها. والثانية هي أن الكتاب يقدم العلاج والشفاء. وهذه هي الطريقة التي تعمل بها العهود في حياة كل شخص. ونجد أن الآية الواردة في كورنثوس الثانية 3: 6 تربط بين فكرة أن "الحرف يقتل" وأن "الروح يحيي" وذلك بكلمة "دي" اليونانية [G1161] والتي يمكن ترجمتها إلى أداة العطف "الواو" في اللغة العربية. وحسب قاموس "سترونغ" فإن هذه الكلمة هي أداة رئيسية ويمكنها أن تكون أداة "اعتراض" أو أداة "تتابع واستمرار". فالعمل المتعلق بالعهد الأول يتعارض مع العهد الثاني لأنه يفضح ويكسر، أما العهد الثاني فيشفي ويحيي ويبني. وهو أيضًا عمل تتابعي أو استمراري لأن العهد الثاني يتبع العهد الأول أو يستمر منه. وهو ما شرحه الرسول بولس في حياة إبراهيم إذ نقرأ التالي:

"فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ أَنَّهُ كَانَ لإِبْرَاهِيمَ ابْنَانِ، وَاحِدٌ مِنَ الْجَارِيَةِ وَالآخَرُ مِنَ الْحُرَّةِ. لكِنَّ الَّذِي مِنَ الْجَارِيَةِ وُلِدَ حَسَبَ الْجَسَدِ، وَأَمَّا الَّذِي مِنَ الْحُرَّةِ فَبِالْمَوْعِدِ. وَكُلُّ ذلِكَ رَمْزٌ، لأَنَّ هَاتَيْنِ هُمَا الْعَهْدَانِ، أَحَدُهُمَا مِنْ جَبَلِ سِينَاءَ، الْوَالِدُ لِلْعُبُودِيَّةِ، الَّذِي هُوَ هَاجَرُ. لأَنَّ هَاجَرَ جَبَلُ سِينَاءَ فِي الْعَرَبِيَّةِ. وَلكِنَّهُ يُقَابِلُ أُورُشَلِيمَ الْحَاضِرَةَ، فَإِنَّهَا مُسْتَعْبَدَةٌ مَعَ بَنِيهَا. وَأَمَّا أُورُشَلِيمُ الْعُلْيَا، الَّتِي هِيَ أُمُّنَا جَمِيعًا، فَهِيَ حُرَّةٌ" (غلاطية 4: 22 – 26).

وعد الله إبراهيم أن يعطيه ابنًا. إلا أن إبراهيم كان يفتقر إلى الإيمان بالله، ولم يكن على علم بحجم المعضلة التي يعاني منها إلا بعد أن اكتشف هو وزوجته عدم قدرتهما على الإنجاب. كان هذا الاختبار جزءًا من تشخيص المعضلة. فقد سمح الله بتأخير ميلاد الطفل حتى ينكشف عدم إيمان إبراهيم وسارة. وكان ذلك ضروريًا حتى يتم التجديد والشفاء. فالمدى الكامل للمعضلة لا بد أن يَظهَر وينكشف حتى يتم الشفاء التام. إلا أن إبراهيم عوضًا عن الإتكال على الرب وانتظاره خَضَعَ لاقتراح زوجته بالدخول على جاريتها لينجب منها ابنًا (تكوين 16: 1 و2).

وفي البداية فعندما وُلِد إسماعيل بدا أن ذلك هو الحل الأمثل، لكن الأمور سرعان ما تعقدت. فضعف إيمان إبراهيم بالله أدى إلى غرس بذار التنافر والصراع في بيته. وقد استمر هذا الصراع حتى يومنا هذا وهو ما نراه بوضوح في العداء الشديد بين اليهود والمسلمين. تكشف هذه القصة عن مدى العواقب الوخيمة التي يمكن أن تحدث بسبب قلة وضعف الإيمان بالله. كان على الرب أن يسمح بحدوث ذلك ليكشف قلة الإيمان به. الأمر المُحزن هو أن سارة وإبراهيم ألمحا إلى حقيقة كون الله مخطئًا لأنه أخَّر الإيفاء بالوعد الذي وعدهما به بأن يمنحهما ابنًا.

"فَقَالَتْ سَارَايُ لأَبْرَامَ: «**هُوَذَا الرَّبُّ قَدْ أَمْسَكَنِي عَنِ الْوِلاَدَةِ.** ادْخُلْ عَلَى جَارِيَتِي لَعَلِّي أُرْزَقُ مِنْهَا بَنِينَ». فَسَمِعَ أَبْرَامُ لِقَوْلِ سَارَايَ" (تكوين 16: 2).

وَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: «سَارَايُ امْرَأَتُكَ لاَ تَدْعُو اسْمَهَا سَارَايَ، بَلِ اسْمُهَا سَارَةُ. وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ أَيْضًا مِنْهَا ابْنًا. أُبَارِكُهَا فَتَكُونُ أُمَمًا، وَمُلُوكُ شُعُوبٍ مِنْهَا يَكُونُونَ». **فَسَقَطَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَضَحِكَ، وَقَالَ فِي قَلْبِهِ: «هَلْ يُولَدُ لابْنِ مِئَةِ سَنَةٍ؟** وَهَلْ تَلِدُ سَارَةُ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً؟». **وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ للهِ: «لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ!»** (تكوين 17: 15 – 18).

لقد كانت كل هذه الأحداث تكشف حجم المعضلة التي كان إبراهيم وسارة يواجهانها. فضعف إيمانهما بالله كان يُظهَر ويُكشَف ببطء. كما يكشف لنا الرسول بولس أن علاقة إبراهيم بالامرأتين، سارة وهاجر، تظهر حقيقة عمل العهدين. فإبراهيم كان متزوجًا من الامرأتين. ويخبرنا الكتاب أن هاجر أنجبت ابنًا أولاً فسبَّب ذلك ألمًا كبيرًا لإبراهيم لدرجة أنه اضطر لطرد هاجر وابنه استجابةً لطلب زوجته سارة. لقد أظهر الألم المصاحب لذلك مقدار الألم والمعاناة التي سبَّبها ضعف إيمان إبراهيم بالله. حينئذ استطاع إبراهيم أن ينتقل انتقالاً كاملاً إلى اختبار العهد الجديد. وكان هناك نوعًا من التداخل بين العهدين حيث كانت هناك فترة يعيش فيها كلا الابنين في نفس البيت. إلا أن إبراهيم استطاع أخيرًا أن ينجح في العبور إلى العهد الجديد باجتيازه الامتحان المتعلق بتقديم ابنه إسحاق كذبيحة. فلم يتزعزع إيمانه بالرب، وكمال إيمانه جلب إلى قلبه التجديد والشفاء الذي كان يريده الرب من البدء.

وحتى يتمكن الرب من القيام بعمل التجديد والشفاء هذا في حياة إبراهيم، كان على الرب أن يسمح بمرور الزمن ليكشف مرض إبراهيم المتمثل في قلة إيمانه به. فسمح الله بحدوث أشياء قتلت طريقة إبراهيم القديمة في التفكير وأقامته إلى يقينية البر بالإيمان.

ناقشنا في الفصلين السابقين مبادئ المرآة. فالمرآة أداة يستخدمها أطباء الأسنان لتحديد المشاكل الموجودة في أسناننا. والأطباء يستخدمون الأشعة السينية كأداة لتحديد المشاكل الموجودة في الأماكن التي يصعب رؤيتها بالعين المجردة. وبنفس الطريقة فإن شريعة الله تعمل كأداة أو مرآة يُكشَف بها مدى انتشار مرض الخطية فينا. وهذه المرآة هي الأداة التي تقودنا للمسيح إذا قبلنا التشخيص.

"إِذًا قَدْ كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى الْمَسِيحِ، لِكَيْ نَتَبَرَّرَ بِالإِيمَانِ" (غلاطية 3: 24).

إن الخطية هي مشكلة تبدأ في العقل الجسداني. وحتى يتمكن أبانا السماوي من التعامل مع هذه المشكلة فلا بد أن يرينا ويكشف لنا أفكارنا الخاطئة. وهذا العمل يتم من خلال الناموس أو الشريعة. إلا أن المشكلة هي أن معظم الناس عندما يدركون مدى شرهم وخطيتهم ويتم إعلان ذلك لهم، يقومون بإلقاء هذه الإعلانات على الله بمعنى أنهم يتهمون الله بأنه المسؤول عنها.

"وَلكِنْ كُونُوا عَامِلِينَ بِالْكَلِمَةِ، لاَ سَامِعِينَ فَقَطْ خَادِعِينَ نُفُوسَكُمْ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ سَامِعًا لِلْكَلِمَةِ وَلَيْسَ عَامِلًا، **فَذَاكَ يُشْبِهُ رَجُلًا نَاظِرًا وَجْهَ خِلْقَتِهِ فِي مِرْآةٍ**، فَإِنَّهُ نَظَرَ ذَاتَهُ وَمَضَى، وَلِلْوَقْتِ نَسِيَ مَا هُوَ. وَلكِنْ مَنِ اطَّلَعَ عَلَى النَّامُوسِ الْكَامِلِ - نَامُوسِ الْحُرِّيَّةِ

- وَثَبَتَ، وَصَارَ لَيْسَ سَامِعًا نَاسِيًا بَلْ عَامِلًا بِالْكَلِمَةِ، فَهذَا يَكُونُ مَغْبُوطًا فِي عَمَلِهِ" (يعقوب 1: 22 – 25).

ما هو معنى أن يكون الإنسان سامعًا للكلمة وليس عاملاً بها؟ خير مثال على ذلك يوجد في قصة بني إسرائيل عندما أتوا إلى جبل سيناء. فقد وعدهم الله بأشياء كثيرة سيفعلها لأجلهم لكنهم لم يسمعوا لصوت الرب. وبدلاً من قبول ما وعدهم به الله، أخبروه أنهم سيفعلون ما أخبرهم هو أنه سيفعله لأجلهم.

"أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعْتُ بِالْمِصْرِيِّينَ. وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْنِحَةِ النُّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ. فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ. **وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً.** هذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تُكَلِّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ». فَجَاءَ مُوسَى وَدَعَا شُيُوخَ الشَّعْبِ وَوَضَعَ قُدَّامَهُمْ كُلَّ هذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي أَوْصَاهُ بِهَا الرَّبُّ. **فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ مَعًا وَقَالُوا: «كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ».** فَرَدَّ مُوسَى كَلاَمَ الشَّعْبِ إِلَى الرَّبِّ" (خروج 19: 4 – 8).

لقد أخبرهم في الواقع أنه سيمنحهم نعمةً كي يطيعوه بالروح والحق. والطاعة ببساطة كانت تعني الثقة أنهم سيكونون كهنةً وملوكًا له. فكان يتعيّن عليهم إدراك أن الطاعة لا تتمثل في قيامهم بعمل شيء من أجل الله بل أن يثقوا بالأحرى أن الله كان يفعل شيئًا من أجلهم. إلا أن إسرائيل غيّرت وعد الله وحوَّلته إلى شيء يمكنهم هم فعله من أجله وبالتالي كسب استحقاقه بأعمالهم.

وهذا هو ما يطلق عليه رسميًا الكتاب المقدس بالعهد القديم. فقد أظهر هذا الحدث بطريقة رسمية عدم قدرة الإنسان على الاستماع لصوت الله والثقة فيما يقوله.

"فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ ذلِكَ الأَوَّلُ بِلاَ عَيْبٍ لَمَا طُلِبَ مَوْضِعٌ لِثَانٍ. لأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ لاَئِمًا: هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، حِينَ أُكَمِّلُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا. **لاَ كَالْعَهْدِ الَّذِي عَمِلْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَثْبُتُوا فِي عَهْدِي،** وَأَنَا أَهْمَلْتُهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّ هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَعْهَدُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ نَوَامِيسِي فِي أَذْهَانِهِمْ، وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا" (عبرانيين 8: 7 – 10).

كان الرب يعلم أن إسرائيل لن تسمع لصوته، وأن إسرائيل ستحاول أن تفعل لنفسها ما وعدهم بأنه سيفعله لهم. وهذا هو جزء من عملية التأديب التي يأتي من خلالها الشخص إلى المسيح.

"إِذًا قَدْ كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى الْمَسِيحِ، لِكَيْ نَتَبَرَّرَ بِالإِيمَانِ. وَلكِنْ بَعْدَ مَا جَاءَ الإِيمَانُ، لَسْنَا بَعْدُ تَحْتَ مُؤَدِّبٍ" (غلاطية 3: 24 و25).

وكان الله يعلم أن إسرائيل لم تستطع الإيفاء بوعودها نحوه، لكنه سمح لهم بالمحاولة حتى إذ ما فشلوا لا يحاولون الإتكال والاعتماد على أنفسهم (مجهوداتهم الشخصية)، بل يتعلمون كيفية الاعتماد والإتكال على الرب والثقة فى قدرته على الإيفاء بما وعد به.

كما سبق وأشرنا في قصة إبراهيم وسارة، فإن المشكلة التي نواجهها كبشر هي أنه عندما يبدأ الرب في إظهار ذنوبنا وخطايانا لنا، فإن عقلنا الطبيعي يُلقي بالمشكلة مرة أخرى عليه. فقد أعلنت سارة أن الرب أمسك عنها الولادة وإنجاب الأطفال، وكان كلامها يوحي بأن الله هو المسؤول عن ذلك أي أنها كانت تُلقي باللوم عليه. وهذا هو ما فعله آدم عندما سأله الرب إذا قام بالأكل من ثمر الشجرة فقام بتوجيه اللوم على الله.

"فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟» **فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ»**" (تكوين 3: 11 و12).

إن المشكلة المتعلقة بإلقاء اللوم على الله وتوجيه أخطائنا وعيوبنا إليه تؤثر تأثيرًا كبيرًا على الطريقة التي نقرأ بها الكتاب المقدس ونفهمه ونفسّره. والكتاب المقدس يحذرنا من حالتنا الجسدانية ويكشف لنا أفكار ونوايا قلوبنا ويواجهنا بحقيقة كوننا أنانيين وماكرين وقاتلين ومحبين للخراب والهلاك.

"كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: **أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ. لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اللهَ.** الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ. حَنْجَرَتُهُمْ قَبْرٌ مَفْتُوحٌ. **بِأَلْسِنَتِهِمْ قَدْ مَكَرُوا.** سِمُّ الأَصْلاَلِ تَحْتَ شِفَاهِهِمْ. وَفَمُهُمْ مَمْلُوءٌ لَعْنَةً وَمَرَارَةً. **أَرْجُلُهُمْ سَرِيعَةٌ إِلَى سَفْكِ الدَّمِ. فِي طُرُقِهِمِ اغْتِصَابٌ وَسُحْقٌ.** وَطَرِيقُ السَّلاَمِ لَمْ يَعْرِفُوهُ. لَيْسَ خَوْفُ اللهِ قُدَّامَ عُيُونِهِمْ" (رومية 3: 10 – 18).

ولكننا في حياة الرب يسوع نرى تناقضًا مجيدًا لحقيقة طبيعتنا. فالمحبة والرحمة اللتان أظهرهما لأعدائه وخدمته المتأنية المهتمة باحتياجات الآخرين تدين أنانيتنا بشكل كامل. إلا أن القلب البشري، بدلاً من التوبة، يوجّه هذه الصفات الجسدانية ويُلقيها على الله وذلك لتبرير خطيته وشره. فالإنسان الطبيعي كما يقول يعقوب الرسول يقرأ كلمة الله ويرى وجهه خلقته فيها.

"لأَنَّهُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ سَامِعًا لِلْكَلِمَةِ وَلَيْسَ عَامِلًا، فَذَاكَ يُشْبِهُ رَجُلًا نَاظِرًا وَجْهَ خِلْقَتِهِ فِي مِرْآةٍ" (يعقوب 1: 23).

إن الرب في علاقته بنا يتصرَّف كطبيب أو طبيب أسنان في الطريقة التي يحاول من خلالها أن يوضح لنا حجم المشكلة، لكننا لا نعتقد أن ذلك يكفي، لأننا لا نصدق مدى جدية المشكلة أو كونها مسألة حياة أو موت. ولكن حتى لو صدقنا مدى جدية المشكلة، فسيكون في اعتقادنا أن هناك حل أو علاج أكثر استساغة من العلاج الذي يقدمه لنا، وأنه لو قام على سبيل المثال بوصف مسكن مؤقت نأخذه خلال فترة حياتنا على الأرض فذلك سيكفي ويفي بالمراد. إلا إن الخطية لا تمنح السلام أبدًا، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها أو تجميلها أو اللف حولها، لأنه "لَيْسَ سَلاَمٌ، قَالَ إِلهِي، لِلأَشْرَارِ" (إشعياء 57: 21)، ليس للجسديين وليس للمسكونين بالشياطين، ولذلك ينبغي أن يسمح لنا الله أن نختبر اللدغة الناتجة عن أفعالنا الخاطئة لكي ندرك ذلك. "فَكُلُّ مَا لَيْسَ مِنَ الإِيمَانِ فَهُوَ خَطِيَّةٌ" (إشعياء 48: 22 ورومية 14: 23).

إن الله، بألم وحزن شديد، يشاهد الإنسان وهو يمر بالأفكار المتعلقة بالخلاص في العهد القديم بطرقه وأساليبه الخاصة، ويتوسل إلينا أن ندرك أنه لا يمكننا التعامل مع المشكلة إلا من خلال السماح للمسيح بالعمل في قلوبنا. ومع ذلك، فإننا نرفض قبول حقيقة أن العواقب المؤلمة التي نختبرها هي نتيجة أفعال طبيعتنا الجسدانية التي تحب الخطية. ولولا تدخل يد الله الرحيمة لتخفف من شدة هذه العواقب التي جلبناها على أنفسنا، ولو لم يحولها إلى وسيلة تأديبية لنفعنا ومصلحتنا، لكانت أسوأ من ذلك بكثير. إلا أننا، بدلاً من ذلك، نُجرَّب لإلقاء اللوم عليه وإتهامه بأنه إلهٌ فظٌ وشخصيته قاسية، وذلك لأننا نرى، من وجهة نظرنا الفاسدة، أنه يُسيء معاملتنا ويسمح للآلام بأن تقع علينا بصورة تعسفية. لقد نجح البشر في ابتكار طرق بارعة جدًا لإلقاء سلوكهم الفاسد على الله، فيقول الكتاب:

"اَلْقَلْبُ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ، مَنْ يَعْرِفُهُ؟" (إرميا 17: 9).

"هذِهِ صَنَعْتَ وَسَكَتُّ. **ظَنَنْتَ أَنِّي مِثْلُكَ.** أُوَبِّخُكَ، وَأَصُفُّ خَطَايَاكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ" (مزمور 50: 21).

إن قلوبنا بطبيعتها تحب المكر والخداع والقتل منذ سقوط البشرية للأسف. فعندما يقرأ الإنسان الطبيعي الكتاب المقدس فإنه يُلقي بهذه الصفات الشريرة على الله. وعندما ينظر القارئ إلى الله على أنه يحب العنف والقتل والظلم، فإن ذلك يعمل على إظهار البذار الموجودة بالفعل في قلب القارئ وتنميتها. ويوضح الرسول بولس ذلك بالقول:

"وَلكِنَّ الْخَطِيَّةَ وَهِيَ مُتَّخِذَةٌ فُرْصَةً بِالْوَصِيَّةِ أَنْشَأَتْ فِيَّ كُلَّ شَهْوَةٍ. لأَنْ بِدُونِ النَّامُوسِ الْخَطِيَّةُ مَيِّتَةٌ. أَمَّا أَنَا فَكُنْتُ بِدُونِ النَّامُوسِ عَائِشًا قَبْلًا. وَلكِنْ لَمَّا جَاءَتِ الْوَصِيَّةُ عَاشَتِ الْخَطِيَّةُ، فَمُتُّ أَنَا، فَوُجِدَتِ الْوَصِيَّةُ الَّتِي لِلْحَيَاةِ هِيَ نَفْسُهَا لِي لِلْمَوْتِ. لأَنَّ الْخَطِيَّةَ، وَهِيَ مُتَّخِذَةٌ فُرْصَةً بِالْوَصِيَّةِ، خَدَعَتْنِي بِهَا وَقَتَلَتْنِي. إِذًا النَّامُوسُ مُقَدَّسٌ، وَالْوَصِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ وَعَادِلَةٌ وَصَالِحَةٌ. فَهَلْ صَارَ لِي الصَّالِحُ مَوْتًا؟ حَاشَا! بَلِ الْخَطِيَّةُ. لِكَيْ تَظْهَرَ خَطِيَّةً مُنْشِئَةً لِي بِالصَّالِحِ مَوْتًا، لِكَيْ تَصِيرَ الْخَطِيَّةُ خَاطِئَةً جِدًّا بِالْوَصِيَّةِ" (رومية 7: 8 – 13).

يستخدم البشر قصص العهد القديم التي تظهر وكأنها تقول إن الله يهلك الناس ويقتلهم وذلك لإثبات صحة طبيعتهم المحبة للعنف والقتل. لقد كُتِب الكتاب المقدس بحرص شديد، وهو يسمح للبشر أن يُظهِروا ما يوجد في قلوبهم بشكل كامل. إن حياة الرب يسوع على الأرض تُظهِر لنا بالضبط شخصية الله وصفاته. فالرب يسوع لم يقتل أحدًا البتة، ولكن عوضًا عن النظر إلى هذه المرآة الكاملة مرآة محبة الله، فالناس يختارون قراءة العهد القديم كسامعين للكلمة ولا يرون سوى وجه خلقتهم ويظنون أنهم يرون وجه الله.

"وَنَحْنُ جَمِيعًا **نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ،** نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ" (كورنثوس الثانية 3: 18).

إن مجد الرب هو شخصية الآب وصفاته الكاملة كما هي معلنة في حياة الرب يسوع على الأرض.

"أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ" (يوحنا 17: 4).

إن مجد الله هو شخصيته وصفاته كما يخبرنا.

"فَقَالَ: **«أَرِنِي مَجْدَكَ»** ... فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي السَّحَابِ، فَوَقَفَ عِنْدَهُ هُنَاكَ وَنَادَى بِاسْمِ الرَّبِّ. **فَاجْتَازَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ، وَنَادَى الرَّبُّ: «الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ"** (خروج 33: 18 و 34: 5 و6).

عندما تقرأ الكتاب المقدس من خلال مرآة مجد، أو شخصية يسوع، سترى شيئًا مختلفًا تمامًا في العهد القديم عما كنت تقرأه من خلال مرآة قلبك الطبيعي. ولكن كيف يمكن رؤية مجد المسيح الرب في مرآة؟ أليس من المفترض أن نرى أنفسنا عندما ننظر في المرآة؟ إذن فكيف سنرى المسيح؟

"الَّذِينَ أَرَادَ اللهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ مَا هُوَ غِنَى مَجْدِ هذَا السِّرِّ فِي الأُمَمِ، الَّذِي هُوَ **الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ"** (كولوسي 1: 27).

عندما ندخل إلى العهد الجديد، فإننا نولد من جديد ويبدأ المسيح في الظهور والاستعلان في قلوبنا. وعندما يحدث ذلك، يتغيّر ما نراه في المرآة. وعندما نرى المسيح في المرآة، تبدأ طريقتنا في قراءة الكتاب المقدس في التغير بجملتها. وكما ذكرنا في الفصل الثامن عشر "عبارات صريحة"، نبدأ على الفور في رؤية العديد من التناقضات الواضحة التي يصعب التوفيق بينها أو التعامل بسهولة معها عند قراءتها في ظاهرها. وهذا هو الدليل على التحول من العهد القديم إلى اختبار العهد الجديد. فأعيننا تتغيّر وتبدأ في القراءة بشكل مختلف.

"فَأَخَذَ بِيَدِ الأَعْمَى وَأَخْرَجَهُ إِلَى خَارِجِ الْقَرْيَةِ، وَتَفَلَ فِي عَيْنَيْهِ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَسَأَلَهُ: هَلْ أَبْصَرَ شَيْئًا؟ فَتَطَلَّعَ وَقَالَ: «أُبْصِرُ النَّاسَ كَأَشْجَارٍ يَمْشُونَ». ثُمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ أَيْضًا عَلَى عَيْنَيْهِ، وَجَعَلَهُ يَتَطَلَّعُ. فَعَادَ صَحِيحًا وَأَبْصَرَ كُلَّ إِنْسَانٍ جَلِيًّا" (مرقس 8: 23 – 25).

ففي البداية نرى الناس كأشجار يمشون، ولكن عندما يلمس الرب أعيننا نبدأ في رؤية الأشياء كما يراها هو. ويا لجمال الصورة التي نراها!

النقطة المفتاحية لفهم كل هذا هي أن عمل العهد القديم له أهمية بالغة في مساعدتنا في البحث عن العلاج الحقيقي الموجود في المسيح. فالعهد القديم من خلال الناموس يُظهِر لنا طبيعتنا الخاطئة حتى نركض نحو المسيح وننال الشفاء في العهد الجديد. هاتان العمليتان يصاحبان بعضهما بعضًا بصورة

مستمرة ويحدثان في حياة كل شخص يأتي إلى الرب. وهذا الاختبار هو نفسه اليوم كما حدث من قبل مع آدم ونوح وإبراهيم وموسى.

إن محاولة فصل هذه العملية المكونة من خطوتين تقدم الله في العهد القديم على أنه ببساطة كالطبيب الذي يقوم بكسر العظام أو طبيب الأسنان الذي يقوم بحفر الأسنان ولا يقوم بعلاجها. وهذا يجعل الله يبدو وكأنه إلهًا قاسيًا يتسم بالشدة والعنف. والأسوأ من ذلك هو أن الإنجيل الذي يكرز به الناس اليوم ليس سوى الإيمان بالرب يسوع ومن ثَمَ لا داع للقلق بشأن إصلاح عظامك المشوهة وأسنانك التالفة. وهذا الإنجيل يجعل الرب يسوع يملأ الفجوات دون أن يُخرِج منها الصدأ والتسوس. فعندما تنفصل هاتان الخطوتان في حياة الإنسان، فذلك يجعل الله يبدو وكأنه قاسيًا وعنيفًا في العهد القديم ولينًا ومساومًا في العهد الجديد.

أما الكارثة الأكبر لعدم فهم هذه العملية المكونة من خطوتين بشكل صحيح هو أنه عندما يسمح الله بحدوث أشياء لكشف الخطية وإظهارها في أولئك الذين يسعى إلى خلاصهم، تُنسَب إعلانات الخطية هذه إلى الله ويُتهَم بأن هذه هي رغبته وإرادته.

"وَأَمَّا **النَّامُوسُ فَدَخَلَ لِكَيْ تَكْثُرَ الْخَطِيَّةُ.** وَلكِنْ حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا" (رومية 5: 20).

فعندما يدخل الناموس قلوبنا وأذهاننا فإنه يجعل الخطية في البشر تَكثُر وتُرَى بصورة أوضح. عندئذ تُقدَّم الدعوة للناس ليقتربوا من المسيح ويحصلوا على العلاج والشفاء.

"وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ" (يوحنا 16: 8).

حينئذ يُمنَح الخاطئ المُبكَّت على الخطية بالإيمان قبول برَّه – بر المسيح الذي يعدّه (أي الخاطئ) للدينونة الأبدية.

نصل الآن إلى نقطة بالغة الأهمية فيما يتعلق بفهم هذه العملية برمتها. فحينما يكون الإنسان في حالته الطبيعية العقلية، فإن إعلانات الله تجاهه تتحدث عما في قلب الإنسان. إذ أن الله يسعى لكشف نوايا قلب الإنسان ودوافعه، ويرغب بمحبة في كشف الأشياء التي لا يدري الإنسان أنها توجد في نفسه.

"فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ. مَتَى عَمِلْتَ الأَرْضَ لاَ تَعُودُ تُعْطِيكَ قُوَّتَهَا. تَائِهًا وَهَارِبًا تَكُونُ فِي الأَرْضِ" (تكوين 4: 11 و12).

في هذه الآيات يكشف الله لقايين ما بداخل قلبه. لقد جلب قايين لعنة على الأرض بخطيته. فجريمة القتل التي ارتكبها قضت على شعوره بالشرف والكرامة وتركته تائهًا وهاربًا. قيلت هذه الكلمات لا لإهلاك قايين بل بالأحرى لكي يدرك قايين حالته وحاجته للرجوع إلى الله وطلب المغفرة. كيف أجاب قايين؟

"فَقَالَ قَايِينُ لِلرَّبِّ: «**ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحْتَمَلَ. إِنَّكَ قَدْ طَرَدْتَنِي الْيَوْمَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، وَمِنْ وَجْهِكَ أَخْتَفِي وَأَكُونُ تَائِهًا وَهَارِبًا فِي الأَرْضِ**، فَيَكُونُ كُلُّ مَنْ وَجَدَنِي يَقْتُلُنِي»" (تكوين 4: 13 و14).

في بعض الأحيان يصدر الله أمورًا تعكس ما في عقل الإنسان حتى تظهر أفكار الإنسان في هيئة قرارات أو اختيارات، وهكذا يظهر ما في قلبه.

بدلاً من قبول التشخيص المتعلق بحقيقة حالته، وجَّه قايين اللوم على الله. لقد رفض التوبة عندما قتل أخيه ولم يشعر بالندم ولم يطلب المغفرة، وبالتالي لم يستطع إيجاد السلام وراحة البال. فالذنب الواقع عليه بسبب قتله لأخيه كان يطارده ليلاً ونهارًا، ولهذا يقول عنه الكتاب أنه سيكون تائهًا وهاربًا. في بعض الأحيان يصدر الله أمورًا تعكس ما في عقل الإنسان حتى تظهر أفكار الإنسان في هيئة قرارات أو اختيارات، وهكذا يظهر ما في قلبه. عندما أرادت إسرائيل أن تتجسَّس الأرض، أصدر الله أمرًا بالذهاب والقيام بذلك. وكانت النتيجة أن عشرة جواسيس من الإثني عشرة رجلاً الذي ذهبوا للتجسس عادوا بتقرير غير جدير بالثقة.

"**فَتَقَدَّمْتُمْ إِلَيَّ جَمِيعُكُمْ وَقُلْتُمْ: دَعْنَا نُرْسِلْ رِجَالًا قُدَّامَنَا لِيَتَجَسَّسُوا لَنَا الأَرْضَ**، وَيَرُدُّوا إِلَيْنَا خَبَرًا عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي نَصْعَدُ فِيهَا وَالْمُدُنِ الَّتِي نَأْتِي إِلَيْهَا. فَحَسُنَ الْكَلاَمُ لَدَيَّ، فَأَخَذْتُ مِنْكُمُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا. رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ" (تثنية 1: 22 و23).

"ثُمَّ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: أَرْسِلْ رِجَالًا لِيَتَجَسَّسُوا أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. رَجُلًا وَاحِدًا لِكُلِّ سِبْطٍ مِنْ آبَائِهِ تُرْسِلُونَ. كُلُّ وَاحِدٍ رَئِيسٌ فِيهِمْ" (سفر العدد 13: 1 و2).

لقد أراد الشعب أن يُرسِلوا رجالاً ليتجسَّسوا الأرض لعدم إيمانهم بكلمة الله. فكان الرب يريد أن يساعدهم على رؤية افتقارهم إلى الإيمان، إذ كان يلزم للشعب أن يسلك بالإيمان لا بالعيان، لكن من أجل ضعفهم استجاب الرب طلبتهم ونفذ موسى الأمر كأنه أمرًا من الرب نفسه لكي يعكس لهم أفكارهم وما في قلوبهم.

نكرر النقطة التي مفادها أنه عندما يتعامل الله مع البشر في الميثاق (العهد) القديم أي وهم في حالتهم الطبيعية، فإن الأوامر التي يصدرها والتي تتعارض مع حياة الرب يسوع على الأرض تدل على عمل المرآة الإلهية. وهذه الأوامر ما هي إلا أفكار البشر المنعكسة في المرآة لتَكثُر خطيتهم. إنها ليست أفكار الله أو رغبته. وهذه هي النقطة التي تحيّر معظم قارئي الكتاب المقدس مما يؤدي إلى تضليلهم وخداعهم.

عندما يتعامل الله مع البشر في الميثاق (العهد) القديم أي وهم في حالتهم الطبيعية، فإن الأوامر التي يصدرها والتي تتعارض مع حياة الرب يسوع على الأرض تدل على عمل المرآة الإلهية.

تأمل مثلاً في قصة بلعام. أخبر الله بلعام ألا يذهب ويلعن إسرائيل. في البداية نجد أن بلعام أطاع الله، ولكن عندما عاد رسل بالاق ووعدوه بمجد وخيرات كثيرة، بدأ يتردد وطلب من الرجال أن يبقوا.

"فَأَتَى اللهُ إِلَى بَلْعَامَ لَيْلًا وَقَالَ لَهُ: «إِنْ أَتَى الرِّجَالُ لِيَدْعُوكَ فَقُمِ اذْهَبْ مَعَهُمْ، إِنَّمَا تَعْمَلُ الأَمْرَ الَّذِي أُكَلِّمُكَ بِهِ فَقَطْ». فَقَامَ بَلْعَامُ صَبَاحًا وَشَدَّ عَلَى أَتَانِهِ وَانْطَلَقَ مَعَ رُؤَسَاءِ مُوآبَ" (سفر العدد 22: 20 و21).

فعندما سمح الله لبلعام بالذهاب مع رسل بالاق لم يكن ذلك رغبة من الله، ولكن كان تلبية لرغبة دفينة في قلب بلعام، أو انعكاسًا لرغبة بلعام في الذهاب. فأعطاه الرب بحسب قلبه حتى يتسنى له أن يرى نفسه. إن فشلنا في فهم عملية العهد هذه فلن يكون للآيات التالية أي معنى على الإطلاق.

"فَحَمِيَ غَضَبُ اللهِ لأَنَّهُ مُنْطَلِقٌ، وَوَقَفَ مَلاَكُ الرَّبِّ فِي الطَّرِيقِ لِيُقَاوِمَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى أَتَانِهِ وَغُلاَمَاهُ مَعَهُ" (سفر العدد 22: 22).

نتذكر أن الكلمة العبرية المستخدمة هنا للإشارة إلى الغضب يمكن ترجمتها إلى الحزن. فالرب كان حزينًا أن بلعام قرر الذهاب مع الرجال وأرسل الملاك لينذره. يبدو أن بلعام كان يدرك أن عليه العودة إلى البيت، لكن الكلمة التي قالها تجعلنا نشك في صدق ما في قلبه، وهذه الكلمة هي "إن".

"فَقَالَ بَلْعَامُ لِمَلاَكِ الرَّبِّ: «أَخْطَأْتُ. إِنِّي لَمْ أَعْلَمْ أَنَّكَ وَاقِفٌ تِلْقَائِي فِي الطَّرِيقِ. وَالآنَ **إِنْ** قَبُحَ فِي عَيْنَيْكَ فَإِنِّي أَرْجِعُ»" (سفر العدد 22: 34).

كان بلعام يعلم إرادة الله جيدًا من المرة الأولى، وحادثة الأتان وملاك الرب الواقف بسيفه أمامها أظهرت بكل وضوح أن ما يفعله كان خاطئًا. وعلى الرغم من اعترافه بخطيته لكنه قال: "إن قبح في عينيك فإني أرجع". فلا بد أن يتحدث إليه الرب في المرآة.

"فَقَالَ مَلاَكُ الرَّبِّ لِبَلْعَامَ: «اذْهَبْ مَعَ الرِّجَالِ، وَإِنَّمَا تَتَكَلَّمُ بِالْكَلاَمِ الَّذِي أُكَلِّمُكَ بِهِ فَقَطْ». فَانْطَلَقَ بَلْعَامُ مَعَ رُؤَسَاءِ بَالاَقَ" (سفر العدد 22: 35).

إن أوامر الله لبلعام بالذهاب هي انعكاس لأفكار قلبه لأن بلعام كان في العهد القديم. فعندما يصمّم البشر على اتباع مسار معين، فإنه لا يرغب في تقييد حريتهم ومنعهم من القيام بما يريدون.

"فَلَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يُمِيلُوا أُذُنَهُمْ، بَلْ قَسَّوْا أَعْنَاقَهُمْ لِئَلاَّ يَسْمَعُوا وَلِئَلاَّ يَقْبَلُوا تَأْدِيبًا" (إرميا 17: 23).

فهو يعطيهم الحرية ليفعلوا ما يريدون. وهذا يسمح لبذرة الخطية بالنمو لكي تَكثُر الخطية. وعندما تَكثُر الخطية تأتي الفرصة للتوبة مرة أخرى واختيار الطريق الصحيح لكي تَزداد النعمة جدًا.

تأمل مرة أخرى في الوقت الذي طلبت فيه إسرائيل أن يملك ملكًا عليهم. لقد حذَّرهم الله من خطورة ذلك لكنهم رفضوا وصمموا على عنادهم. فأعطاهم الله ملكًا تمامًا حسب رغبتهم. لم تكن رغبة الله أن يفعل هذا، ولكن في مرآة رغبتهم الخاصة سمح لهم بأن يكون لهم ملك أرضي.

وفي زمن موسى أخبر الله إسرائيل أنه سيطرد الكنعانيين من أمامهم بالزنابير. ولم يذكر أنه سيقتلهم أو يهلكهم. إلا أن الإسرائيليين أظهروا رغبتهم المُحبّة للقتل وسفك الدماء في سفر العدد الأصحاح 21.

"وَلَمَّا سَمِعَ الْكَنْعَانِيُّ مَلِكُ عَرَادَ السَّاكِنُ فِي الْجَنُوبِ أَنَّ إِسْرَائِيلَ جَاءَ فِي طَرِيقِ أَتَارِيمَ، حَارَبَ إِسْرَائِيلَ وَسَبَى مِنْهُمْ سَبْيًا. **فَنَذَرَ إِسْرَائِيلُ نَذْرًا لِلرَّبِّ وَقَالَ: «إِنْ دَفَعْتَ**

هؤُلاَءِ الْقَوْمَ إِلَى يَدِي أُحَرِّمُ مُدُنَهُمْ». فَسَمِعَ الرَّبُّ لِقَوْلِ إِسْرَائِيلَ، وَدَفَعَ الْكَنْعَانِيِّينَ، فَحَرَّمُوهُمْ وَمُدُنَهُمْ. فَدُعِيَ اسْمُ الْمَكَانِ «حُرْمَةَ»" (سفر العدد 21: 1 – 3).

لقد استمع الله لرغبتهم في قتل الأمم الأخرى، وفي المستقبل سيعكس الرب أيضًا رغائبهم المُحبة للقتل وسفك الدماء مرارًا وتكرارًا، وهو ما نراه في الأوامر التي أعطاها لهم فيما بعد لقتل أعدائهم لأجل إرضائهم وتلبية رغائبهم هذه.

"لأَنَّهُ سَيَكُونُ وَقْتٌ لاَ يَحْتَمِلُونَ فِيهِ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ، بَلْ حَسَبَ شَهَوَاتِهِمُ الْخَاصَّةِ يَجْمَعُونَ لَهُمْ مُعَلِّمِينَ مُسْتَحِكَّةً مَسَامِعُهُمْ" (تيموثاس الثانية 4: 3).

لو فشلت في فهم العملية المكونة من خطوتين التي تعمل بها العهود، ستنسب شرور الإنسان وخطاياه إلى شخصية الله نفسه وصفاته.

إن لم تتمكن من فهم العملية المكونة من خطوتين التي تعمل بها العهود، ستنسب شرور الإنسان وخطاياه إلى شخصية الله نفسه وصفاته. لقد كان ذلك هو أحد أكبر الإخفاقات التي واجهت الناس أثناء قراءتهم الكتاب المقدس على مر القرون، وهو الفشل في إزالة القناع عن ميل الإنسان الطبيعي لإلقاء روحه المحبة للقتل والعنف والانتقام على وجه الله المليء بالمحبة والعطف واللطف.

أي إنسان يعترف بالمسيح ويقبله مخلصًا له ينبغي أن يقبل حقيقة كونه مذنبًا في موت ابن الله. وهذا يكشف حقيقة أن البشر بطبيعتهم يُبغِضون الله وابنه. وفي محاولة منهم لتبرير روح الكراهية التي توجد في قلوبهم، يسلّط البشر صفاتهم المُحِبة للعنف والقتل على الله ويعلنون أنه أعظم قاتل للبشر، وذلك لتبرئة روح القتل وسفك الدماء التي يحتفظون بها في قلوبهم تجاه أولئك الذين يكنون الحقد والضغينة لهم. وهم إما أن يحتفظوا سرًا برغبتهم في رؤية أعدائهم وهم يتعذبون ويهلكون في نيران جحيم، أو أن يعترفوا بهذه الرغبة علانية.

وفي الوقت الحاضر بدأت تُطلَب من الناس دعوة أن يخافوا الله ويعطوه مجدًا. وعندما نصل إلى فهم أفضل لشخصية الله وصفاته الحقيقية، ننتقل من الخوف الذي يملأ قلوبنا من هذا الآب المنتقم المُحب للعنف والقتل، إلى علاقة أسمى معه ملؤها المحبة فيزداد توقيرنا ومهابتنا له، ونختبر توبة حقيقية لما نسبناه له من إتهامات باطلة.

"لاَ خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ لأَنَّ الْخَوْفَ لَهُ عَذَابٌ. وَأَمَّا مَنْ خَافَ فَلَمْ يَتَكَمَّلْ فِي الْمَحَبَّةِ" (يوحنا الأولى 4: 18).

هوذا نور قد بدأ في الظهور ومجد الرب الآن ينكشف. عندما نتمكن من فهم عملية العهود في خطة الخلاص فهمًا حقيقيًا، فإن السحابة المظلمة التي تحيط بشخصية الله وتحاول أن تشوهها ستتبدد تمامًا في نور إعلانه المجيد.

إن المبادئ التي قمنا باستعراضها حتى الآن توفّر لنا الأدوات التي نستطيع من خلالها دراسة بعض القصص المليئة بالعنف في الكتاب المقدس، والتي سنرى فيها صبر الله وحكمته وعدالته ورحمته ومحبته.

22. موسى الرجل الحليم المتواضع جدًا

"وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيمًا جِدًّا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ" (سفر العدد 12: 3).

لقد نشأ موسى في بيئة يسودها الفساد والعبودية والتضحية بالبشر والصراعات، إلا أن الآية السابقة تبرز كمنارة تشع نورًا في عالم مظلم. كان موسى رجلاً متواضعًا وحليمًا جدًا أظهر محبة المسيح الباذلة الناكرة للذات بطريقة لم تكن لدى سوى قلة من الناس قبله أو بعده.

عندما نظر موسى إلى شر الشعب الذي دُعي لإخراجه من مصر وتحمله للاتهامات التي وجهت إليه بالإضافة إلى رغبتهم في قتله، إلا أنه صلّى لأجلهم. ورغم أن الكثير من قارئي الكتاب قد يظنون أنه كان يتوجب عليه تركهم للموت والهلاك، إلا أن موسى صلّى قائلاً: "امح اسمي من كتاب الحياة بدلاً منهم".

"فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ، وَقَالَ: «آهِ، قَدْ أَخْطَأَ هذَا الشَّعْبُ خَطِيَّةً عَظِيمَةً وَصَنَعُوا لأَنْفُسِهِمْ آلِهَةً مِنْ ذَهَبٍ. وَالآنَ إِنْ غَفَرْتَ خَطِيَّتَهُمْ، وَإِلاَّ فَامْحُنِي مِنْ كِتَابِكَ الَّذِي كَتَبْتَ»" (خروج 32: 31 و32).

من السهل قراءة هذه الفقرة وتجاهلها والاستمرار في القراءة، ولكن هل يمكنك أن تقدّم حياتك الأبدية لأولئك الذين لا يأبهون أو يهتمون بك على الإطلاق أو أولئك الذين يُبغِضونك بل ويحاولون قتلك؟

إن الملائكة هي المخلوقات الوحيدة التي يقول عنها الكتاب أن وجوهها تُشرق وتشع بمجد الله. لقد أمضى موسى أربعين عامًا في الصحراء يرعى الأغنام ويحتضن الحملان بين ذراعيه ويرعاها برفق ويحميها من الخطر. وفي سيناء أمضى أربعين يومًا بمفرده في حضرة الله وكان يتحدث مع الرب المخلّص كلي الرحمة والرأفة والمحبة. لقد فهم موسى خطة الخلاص وتضرَّع إلى الله أن يريه مجده، وأعلن له الله شخصيته وصفاته: أن الرَّبَّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ. لقد تحمَّل موسى الشتائم والإهانات التي وجهت إليه لفترة طويلة. وتوسَّل أمام الله من أجل أولئك الذين كانوا يشتهون منصبه لكي لا يهلكهم. لا عجب أن أبانا أراد أن يقيم موسى من الموت ليأخذه إلى السماء لمواصلة هذه الشركة الحلوة معه، وكذلك ليساعد الرب يسوع في خدمته في عمل الخلاص.

إن المبادئ التي تعلمناها في الفصل السابق بالإضافة إلى هذه الخلفية التي قدمناها عن حياة موسى تساعدنا على تناول بعض القصص الممتلئة بالعنف الشديد والمرتبطة بحياة موسى.

"وَقَفَ مُوسَى فِي بَابِ الْمَحَلَّةِ، وَقَالَ: «مَنْ لِلرَّبِّ فَإِلَيَّ». فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمِيعُ بَنِي لاَوِي. فَقَالَ لَهُمْ: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: ضَعُوا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَمُرُّوا وَارْجِعُوا مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ فِي الْمَحَلَّةِ، وَاقْتُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ». **فَفَعَلَ بَنُو لاَوِي بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ رَجُلٍ"** (خروج 32: 26 – 28).

لكننا نجد أن موسى بعد أربع آيات فقط يعرض التخلي عن حياته الأبدية إذا لم يكن من الممكن أن تُغتَفَر خطية إسرائيل. لقد كان موسى على دراية بمحبة الله العظيمة ورحمته، إلا أنه كان على يقين داخلي أن الخطية الجسيمة التي ارتكبوها قد أُرتِكبت بتحدٍ وشرٍ كاملين قدام الله. فما هو الشر الذي ارتكبوه؟ لقد كان ذلك الشر هو عبادة العجل الذهبي أحد آلهة مصر.

"فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اذْهَبِ انْزِلْ. لأَنَّهُ قَدْ فَسَدَ شَعْبُكَ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. زَاغُوا سَرِيعًا عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُهُمْ بِهِ. صَنَعُوا لَهُمْ عِجْلًا مَسْبُوكًا، وَسَجَدُوا لَهُ وَذَبَحُوا لَهُ وَقَالُوا: هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ»" (خروج 32: 7 و8).

لقد تعهَّد الشعب كله قبل أربعين يومًا فقط بعبادة الإله الحقيقي وقطعوا عهدًا بأن يكونوا مخلصين وأوفياء له. لكننا نراهم في مدة تقل عن ستة أسابيع وهم يرقصون ويشربون ويشتركون في احتفالات فاسدة ويذبحون لآلهة مصر عديمة الفائدة.

نحن بحاجة لأن نعرف ما حدث أولاً في القصة حتى نستطيع فهم المواضيع المتعلقة بها. فقبل حلول الضربات، وعد الرب الإسرائيليين بسبعة أشياء تنفيذًا للعهد الذي قطعه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب. وهذه الوعود مدونة في سفر الخروج 6: 6 – 8.

1. أنا أُخرجكم من تحت أثقال المصريين
2. وأنقذكم من عبوديتهم
3. وأخلصكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة،
4. وأتخذكم لي شعبًا،
5. وأكون لكم إلهًا. فتعلمون أني أنا الرب إلهكم الذي يُخرِجكم من تحت أثقال المصريين.
6. وأدخِلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب.
7. أعطيكم إياها ميراثًا. أنا الرب.

لقد كانت هذه دعوة من الله للدخول إلى العهد الأبدي. كل ما كان عليهم فعله هو قبول هذه الوعود وتصديقها. ولكن كيف استجابت إسرائيل لدعوة الله هذه؟

"فَكَلَّمَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ هكَذَا، **وَلكِنْ لَمْ يَسْمَعُوا لِمُوسَى** مِنْ صِغَرِ النَّفْسِ، وَمِنَ الْعُبُودِيَّةِ الْقَاسِيَةِ" (خروج 6: 9).

لقد رفضوا الاستماع أو قبول العرض الإلهي المُقدَّم إليهم. لماذا يرفضون هذا العرض الرائع؟! تكمن الإجابة في الكلمات "مِنْ صِغَرِ النفس، ومِن العبودية القاسية". لقد لاموا الرب بسبب الوضع الصعب الذي كانوا فيه، ولذلك رفضوا تصديق وعوده. إلا أن عبوديتهم كانوا هم فقط السبب فيها. فالكثيرون منهم تركوا عبادة الإله الحقيقي وهو ما تدل عليه عبادتهم للعجل الذهبي. كما أنهم تخلوا عن السبت والحماية التي كانت توفرها لهم وصايا الله. كان هذا خطأهم بالكامل. ولكنهم عوضًا عن الاعتراف بخطاياهم وقبول العرض الإلهي بفرح وشكر، اختاروا بدلاً من ذلك توجيه اللوم إلى الله نفسه وإلقاء ذنبهم عليه. القلب البشري شريرٌ! فبعد أن أنقذتهم يد الرب القديرة من قرون العبودية القاسية، وقفوا بتحدٍ، رافضين تمامًا التوبة وتحمل المسؤولية بشأن هذه الأزمة.

إن الله في محبته العظيمة ورحمته قرَّر أن ينقذهم وينجيهم، رغم أن الغالبية الساحقة منهم رفضوا الاستماع. ولم تدرك أذهانهم المظلمة حقيقة تحررهم إلا عندما وقفوا على الناحية الأخرى من البحر الأحمر ورأوا مضطهديهم أمواتًا على شاطئ البحر. لقد تحرروا من العبودية الجسدية، إلا أن قيود الفكر ما زالت تحكم سيطرتها عليهم. إذ بدأوا يشتكون ويتذمرون.

"فَتَذَمَّرَ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ. وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ: «لَيْتَنَا مُتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ، إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ اللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّبَعِ. فَإِنَّكُمَا أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هذَا الْقَفْرِ لِكَيْ تُمِيتَا كُلَّ هذَا الْجُمْهُورِ بِالْجُوعِ»" (خروج 16: 2 و3).

من الضروري أن نلاحظ هنا أن الجماعة كلها تذمرت على موسى وهارون. كلهم من الأول إلى الأخير تذمروا على القرارات التي كان يتخذها موسى وهارون على الرغم من أنهم كانوا يرون عمود السحاب في النهار وعمود النار في الليل كدليل ملموس على عناية الله بهم وإرشاده لهم.

إن روح التذمر هي روح الشيطان. فهو المشتكي على الإخوة، وقد سيطرت هذه الروح على الجماعة بأكملها أثناء رحلتهم في البرية. ولنتذكر أنه لم يقبل أحد من بني إسرائيل وعود الله السبعة، بل اختاروا عوضًا عن ذلك أن يلوموه على الظروف التي كانوا فيها. لقد استخدم الله هذه الاختبارات الصغيرة كي يسمح للإسرائيليين بممارسة إيمانهم، لكنهم بدلاً من ذلك أظهروا المشاعر الحقيقية التي كانت توجد في قلوبهم، ولم يُظهِروا امتنانهم وشكرهم لله. لم يكن أي من الإسرائيليين في العهد الأبدي، ولم يكن أي منهم ممتلئًا بروح المسيح. وهذا هو ما سيتم إيضاحه بشكل أفضل في الفصل التالي.

"ثُمَّ ارْتَحَلَ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَرِّيَّةِ سِينٍ بِحَسَبِ مَرَاحِلِهِمْ عَلَى مُوجِبِ أَمْرِ الرَّبِّ، وَنَزَلُوا فِي رَفِيدِيمَ. وَلَمْ يَكُنْ مَاءٌ لِيَشْرَبَ الشَّعْبُ. **فَخَاصَمَ الشَّعْبُ مُوسَى** وَقَالُوا: «أَعْطُونَا مَاءً لِنَشْرَبَ». فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «لِمَاذَا تُخَاصِمُونَنِي؟ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَ الرَّبَّ؟» وَعَطِشَ هُنَاكَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَاءِ، **وَتَذَمَّرَ الشَّعْبُ عَلَى مُوسَى وَقَالُوا: «لِمَاذَا أَصْعَدْتَنَا مِنْ مِصْرَ لِتُمِيتَنَا وَأَوْلاَدَنَا وَمَوَاشِيَنَا بِالْعَطَشِ؟» فَصَرَخَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ قَائِلًا: «مَاذَا أَفْعَلُ بِهذَا الشَّعْبِ؟ بَعْدَ قَلِيلٍ يَرْجُمُونَنِي»"** (خروج 17: 1 – 4).

فبدلاً من أن يشكروا موسى على سماحه لله أن يستخدمه لإخراجهم من مصر، إتهمه الشعب بأنه كان يريد قتلهم، وفكّر البعض منهم في رجمه.

لا يوجد دليل يشير إلى أن بني إسرائيل تابوا عن خطاياهم وإتهاماتهم الباطلة هذه أو عبادتهم للأصنام في مصر. لم يكونوا ممتلئين بروح الله، بل بالأحرى بروح الاشتكاء والإتهام والسعي وراء الملذات والشهوات وحب الراحة. لقد وعد بنو إسرائيل الله بطاعته وهم في هذه الحالة الذهنية. كانوا يعلمون أن موسى لم يفعل كل هذه المعجزات بقوته الخاصة. ولم يكن تذمرهم على موسى إلا انعكاسًا لتذمرهم الأول على الله الموجود في خروج 6: 9، ألا وهو استيائهم من عبوديتهم في مصر ولوم لله على ذلك. وكان هذا الاستياء في قلوبهم عندما تعهدوا بأن يفعلوا كل ما وعدهم الله به.

كان الرب يعلم أنهم لم يمتلئوا من روحه ولم يتمكنوا من الوفاء بتعهدهم. فأخذ موسى إلى الجبل لمدة أربعين يومًا حتى يسمح لبذار الاستياء والغضب هذه من الظهور. لم يعرف الإسرائيليون كم من الوقت سيبقى موسى على الجبل. فقد ظنوا أنه مات هناك، وتجلّى استياءهم في عبادة آلهة مصر.

لم يشارك اللاويون، الذين كانوا من نفس سبط موسى، في عبادة العجل الذهبي. وبدون تأثير روح الله المُخضِع في قلوبهم، لظنوا أن مكانتهم أسمى وأرفع من مكانة إخوتهم. لا يوجد دليل على أن اللاويين كرَّسوا حياتهم لله، فهم كانوا يتذمرون على موسى كما هو موضَّح بالتفصيل في خروج 16. لقد تعهدوا بأن يطيعوا الله مع الباقين، وبالتالي كانت لديهم طريقة التفكير الخاصة بالعهد القديم. هذه النقطة بالغة الأهمية وينبغي فهمها لأنه كما أشرنا في الفصل السابق، فعندما يكون الناس في العهد القديم، يتحدث الله إليهم بلغة الأفكار الموجودة في أذهانهم حتى يتسنى للخاطئ أن يرى الخطية بطريقة أكثر وضوحًا واكتمالاً.

ينبغي علينا أن نتوقف ونتأمل مليًا في هذه النقطة حتى نتأكد أننا نقرأ بعناية الطريقة التي تتم بها دينونة الله. فهي مكتوبة بصورة مباشرة في وصايا الله، وهي الطريقة الوحيدة التي يدين بها الله الناس.

> "لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، **أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ،** وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيَّ وَحَافِظِي وَصَايَايَ" (خروج 20: 4 – 6).

عندما طلب موسى من الله أن يريه مجده ويعلن له عن اسمه، أجابه الرب بنفس الكلمات ولكن بصورة مختلفة قليلاً:

"فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي السَّحَابِ، فَوَقَفَ عِنْدَهُ هُنَاكَ وَنَادَى بِاسْمِ الرَّبِّ. فَاجْتَازَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ، وَنَادَى الرَّبُّ: الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ. **حَافِظُ الإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ. غَافِرُ الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ. وَلكِنَّهُ لَنْ يُبْرِئَ إِبْرَاءً. مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ، فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ"** (خروج 34: 5 – 7).

ما معنى أن الله يفتقد ذنوب الآباء في الأبناء من مبغضي؟ أولاً، دعونا نوضح أن ذلك يأتي على الأجيال التي تواصل كرهها لله. فكره الله يعني مقاومة حمايته. ولذلك فافتقاد الإثم هو عواقب الخطية التي تحل على الخاطئ. وهي الحقيقة التي يخبرنا إياها الكتاب المقدس عدة مرات، فنقرأ ما يلي:

"مَعْرُوفٌ هُوَ الرَّبُّ. قَضَاءً أَمْضَى. **الشِّرِّيرُ يَعْلَقُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ.** ضَرْبُ الأَوْتَارِ" (مزمور 9: 16). والترجمة التفسيرية لهذه الآية تقول: "الرب معروف بعدله، **قضى أن يقع الشرير في شرك أعماله"**.

"وَأَنَا أَيْضًا عَيْنِي لاَ تَشْفُقُ وَلاَ أَعْفُو. **أَجْلِبُ طَرِيقَهُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ"** (حزقيال 9: 10).

ونعلم أن الإسرائيليين كانوا على استعداد لاستخدام السلاح في التعامل مع الأمور. فقبل وصولهم إلى جبل سيناء، تعاملوا مع عماليق وفقًا لذلك.

"فَقَالَ مُوسَى لِيَشُوعَ: «انْتَخِبْ لَنَا رِجَالًا وَاخْرُجْ حَارِبْ عَمَالِيقَ. وَغَدًا أَقِفُ أَنَا عَلَى رَأْسِ التَّلَّةِ وَعَصَا اللهِ فِي يَدِي». فَفَعَلَ يَشُوعُ كَمَا قَالَ لَهُ مُوسَى لِيُحَارِبَ عَمَالِيقَ. وَأَمَّا مُوسَى وَهَارُونُ وَحُورُ فَصَعِدُوا عَلَى رَأْسِ التَّلَّةِ. وَكَانَ إِذَا رَفَعَ مُوسَى يَدَهُ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَغْلِبُ، وَإِذَا خَفَضَ يَدَهُ أَنَّ عَمَالِيقَ يَغْلِبُ. فَلَمَّا صَارَتْ يَدَا مُوسَى ثَقِيلَتَيْنِ، أَخَذَا حَجَرًا وَوَضَعَاهُ تَحْتَهُ فَجَلَسَ عَلَيْهِ. وَدَعَمَ هَارُونُ وَحُورُ يَدَيْهِ، الْوَاحِدُ مِنْ هُنَا وَالآخَرُ مِنْ هُنَاكَ. فَكَانَتْ يَدَاهُ ثَابِتَتَيْنِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ. **فَهَزَمَ يَشُوعُ عَمَالِيقَ وَقَوْمَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ"** (خروج 17: 9 – 13).

لا نعلم إذا اختار موسى محاربة عماليق بمفرده أو أن الله سمح له أن يُظهِر للإسرائيليين أفكارهم. لكننا نعلم أن الله لم يرد من بني إسرائيل أن يقتلوا أحدًا أثناء استحواذهم على أرض كنعان.

"أُرْسِلُ هَيْبَتِي أَمَامَكَ، وَأُزْعِجُ جَمِيعَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ تَأْتِي عَلَيْهِمْ، وَأُعْطِيكَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ مُدْبِرِينَ. وَأُرْسِلُ أَمَامَكَ الزَّنَابِيرَ. فَتَطْرُدُ الْحِوِّيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ مِنْ أَمَامِكَ" (خروج 23: 27 و28).

إذا قَبِلَ الإسرائيليون وعود الله السبعة في العهد، لكانوا قد امتلأوا بروحه. فعندما يمتلأ الإنسان امتلاءًا حقيقيًا من روح الله، فهذا هو ما يحدث.

"رَفَعْتُ وَنَظَرْتُ فَإِذَا بِرَجُل لاَبِسٍ كَتَّانًا، وَحَقْوَاهُ مُتَنَطِّقَانِ بِذَهَبِ أُوفَازَ، وَجِسْمُهُ كَالزَّبَرْجَدِ، وَوَجْهُهُ كَمَنْظَرِ الْبَرْقِ، وَعَيْنَاهُ كَمِصْبَاحَيْ نَارٍ، وَذِرَاعَاهُ وَرِجْلاَهُ كَعَيْنِ النُّحَاسِ الْمَصْقُولِ، وَصَوْتُ كَلاَمِهِ كَصَوْتِ جُمْهُورٍ. فَرَأَيْتُ أَنَا دَانِيآلُ الرُّؤْيَا وَحْدِي، **وَالرِّجَالُ الَّذِينَ كَانُوا مَعِي لَمْ يَرَوْا الرُّؤْيَا، لكِنْ وَقَعَ عَلَيْهِمِ ارْتِعَادٌ عَظِيمٌ، فَهَرَبُوا لِيَخْتَبِئُوا**" (دانيال 10: 5 – 7).

هذه هى طبيعة الروح الذى كان سيرعاهم ويعينهم. فهم لم يكونوا بحاجة لفعل أي شيء، وكان يتوجب على أعدائهم إما أن يقروا ويعترفوا بخطاياهم ويتوبوا، أو أن يهربوا.

ولكن للأسف فإسرائيل لم يكن لديها هذا الروح. فقد كانوا ممتلئين بروح التذمر والاشتكاء، ولهذا لم يتمكنوا من إجبار أعدائهم على الفرار منهم. فما هي الخيارات المتبقية لهم؟ لقد فعلوا ما يعرفون فعله جيدًا إذ حملوا سيوفهم وشرعوا في قتل الناس. لا يمكن أن يكون هناك شعور جيد عندما يحارب الإنسان إنسانًا آخر، ولا راحة أو سلام عند مشاهدته وهو يسقط على الأرض وعلى وجهه نظرة العذاب وهو يلهث من أجل التنفس وجسده كله ملطخ بالدماء ويصرخ في عذاب أو يلفظ أنفاسه الأخيرة في صمت. من المستحيل نسيان هذه المشاهد المرعبة. فكل إنسان يقتل إنسانًا آخر لا يقبل روح المسيح المُحبة للسلام، بل يقبل روح قايين الهارب المُحِبة للقتل والهلاك. وأفكار هذا الإنسان الشريرة المطبوعة في ذهنه تدفعه لخلق الموت بيده والتسبب في قتل البشر وسفك دمائهم، وعندما يحل هذا الموت فإنه يؤثر على الآباء والأمهات والإخوة والأخوات والأزواج والزوجات والأبناء والبنات والأقارب والعائلات والمجتمعات.

يخبرنا الكتاب المقدس أن المسيح بارٌ وقدوسٌ وغير مؤذٍ وبلا دنس. أي أن المسيح لا يُحدِث ضررًا أو شرًا لأحد.

"لأَنَّهُ كَانَ يَلِيقُ بِنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ مِثْلُ هذَا، قُدُّوسٌ بِلاَ شَرّ وَلاَ دَنَسٍ، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ" (عبرانيين 7: 26).

لا يمكن لروح المسيح الساكنة في الإنسان أن تقتل أو تهلك نفسًا. فالمسيح هو القيامة والحياة، والموت لا يمكن أن يوجد في حضرة الله المباشرة. إنه يُقيم من الموت ولا يُميت. لا يمكن للإنسان أن يقتل إلا إذا كان يحيا بفكر العهد القديم وبالجسد.

وحتى يتسنى لله أن يُظهِر للبشر ما في قلوبهم وهم في العهد القديم، يعكس فكرهم إليهم مرة أخرى لكي تَكثُر الخطية. أي أنه يمنحهم رغائبهم في المرآة. ولكن عندما يكون الإنسان في العهد الجديد، فهو يُبصِر شيئًا مختلفًا جدًا. هذا هو ما فعله موسى في بداية هذا الأصحاح عندما امتحنه الرب.

"وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «رَأَيْتُ هذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ. فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ، فَأُصَيِّرَكَ شَعْبًا عَظِيمًا». **فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِهِ، وَقَالَ: «لِمَاذَا يَا رَبُّ يَحْمَى غَضَبُكَ عَلَى شَعْبِكَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَيَدٍ شَدِيدَةٍ؟"** (خروج 32: 9 – 11).

لقد جُرّب موسى أن يتخلّى عن الإسرائيليين ويفقد فيهم الأمل، فقد جرَّبه الشيطان بدون شك أن يدعهم يندثرون في بحر النسيان، ولذلك امتحن الرب موسى وعكس له هذه الأفكار مرة أخرى في هيئة أمر إلهي.

كانت هناك بذرتان تتصارعان على السيادة في قلب موسى، تمامًا كما كان عيسو ويعقوب يتصارعان في رحم أمهما رفقة. عندما رأى موسى روح الله الحلو في الجبل وأضاء وجهه بهذا النور، أظهر هذه الشخصية والصفات الجميلة وتضرَّع إلى الله أن يعفو عن الإسرائيليين الذين عاملوه معاملة سيئة للغاية. لقد استطاع أن يهزم بذرة الجسد ويحقِّق الانتصار. جاء هذا الامتحان أيضًا للاويين الذين كانوا في الجسد وليس في الروح. وكانت أفكارهم عن أولئك الذين سجدوا للعجل الذهبي ورفضوا التوبة هي أن يموتوا. ولذلك فالرب من خلال موسى عكس إليهم أفكارهم مرة أخرى. لقد كان على الرب أن يُخرِج من اللاويين مشاعرهم الإجرامية المُحِبة للقتل. فلو ظلت مشاعرهم مخفية لأحدثت مزيدًا من الضرر. وفي الليلة التي ذهب اللاويون للنوم في خيامهم، من المؤكد أن أذهانهم

كانت ممتلئة بصور الرجال والنساء الفظيعة الذين قتلوهم بدم بارد. لقد كانت هذه رغبة قلوبهم وأعطاهم الله إياها. ومن خلال رغبتهم الشريرة أصدر الله أيضًا حكمًا على أولئك الذين رفضوا التوبة وسمحوا للشيطان بالدخول إلى المحلة بسبب تمردهم الكامل.

إن أبانا السماوي كلي الحكمة. فهو يتعامل مع البشر من خلال عملية العهود المكوّنة من خطوتين: فهو أولاً يُظهِر البشر على حقيقتهم ويكشف طبيعتهم الشريرة لكي يلجأوا إلى المسيح فينالوا الخلاص ببره. وفي نفس الوقت يسمح لشر البشر بأن يهلكهم في الدينونة.

حين امتحن الرب موسى طالبًا منه التنحي جانبًا من إجل إهلاك الإسرائيليين، نرى طريقة العهد الجديد في الاستجابة لمثل هذه المواقف. عندما تلقى اللاويون التعليمات بقتل المذنبين، ربما فعلوا ما فعله موسى. ففي البداية كان بإمكانهم الاعتراف بتذمرهم على موسى وحماقتهم التي ارتكبوها بسعيهم لتحقيق الوعود التي وعدهم الله بتحقيقها. كما كان بإمكانهم أيضًا الاعتراف باستيائهم عندما كانوا في مصر ورفضهم قبول العهد الجديد. فلو فعلوا ذلك لكانت قلوبهم امتلأت بروح الله، ولفرَّ الأشرار والعصاة من أمامهم إنقاذًا لحياتهم، أو ربما قتلوا بعضهم بعضًا أثناء محاولاتهم الهروب. لقد قدَّم موسى للاويين النموذج المتعلق بكيفية التعامل مع هذه المواقف. ومن المحتمل أنهم فكروا في الطريقة التي تعامل بها موسى مع الموقف. ولكن عوضًا عن التوبة والتوقف عن تذمرهم، اختاروا الراحة في أعمالهم الحسنة المتمثلة في عدم الانحناء أمام العجل الذهبي، واختاروا بالأحرى قتل الآخرين بدلاً من الاعتراف بخطاياهم.

أرسل الرب بلغة العهد القديم رسالة إلى المحلة بأكملها مفادها أن عبادة الأصنام غير مقبولة على الإطلاق. أعطاهم الرب رسالة بطريقة استطاعوا فهمها. وعلى الرغم من أن تعرض ثلاثة آلاف نفسًا للموت قد وضع رادعًا على قلوب الأشرار، إلا أن ذلك لم يكن في النهاية في صالح أي من اللاويين، فولا واحد منهم دخل أرض الموعد! لقد سقطوا جميعًا في البرية وماتوا. ومن بين جميع الذين تركوا مصر، لم يدخل أرض الموعد إلا كالب ويشوع. وبذلك يكون قول الرب قد تحقق أنه افتقد ذنوب الآباء في الأبناء من مبغضيه. لقد كانت بذار السخط والاستياء لا تزال موجودة في قلوب اللاويين تجاه الرب، لكنهم ببساطة لم يكونوا على علم بذلك. والدليل على ذلك هو فشلهم في الدخول إلى أرض الموعد – أرض كنعان.

بسبب النور الذي أشرق من وجه موسى واستعداده للموت من أجل أولئك الذين يبغضونه، فأنا كلي ثقة، استنادًا إلى كلمة الله، أن موسى كان لديه بعض الفهم لمبدأ المرآة، ومثلما تعامل معه الرب في بداية الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج، فقد أُمِر هو أن يتعامل مع اللاويين في نفس الأصحاح في وقت لاحق. ونفس الامتحان جاء لجميع الذين لم يحنوا ركبهم للعجل الذهبي.

ينطبق مبدأ المرآة هذا بنفس الطريقة على العديد من القصص الأخرى التي حدثت في حياة موسى.

"فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «خُذْ جَمِيعَ رُؤُوسِ الشَّعْبِ وَعَلِّقْهُمْ لِلرَّبِّ مُقَابِلَ الشَّمْسِ، فَيَرْتَدَّ حُمُوُّ غَضَبِ الرَّبِّ عَنْ إِسْرَائِيلَ». فَقَالَ مُوسَى لِقُضَاةِ إِسْرَائِيلَ: «اقْتُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ قَوْمَهُ الْمُتَعَلِّقِينَ بِبَعْلِ فَغُورَ»" (سفر العدد 25: 4 و5).

هذه هي لغة المرآة. هذه الأفعال لا تعبّر عن شخصية المسيح أو صفاته، وبالتالي فإن كلمة الرب تعكس أفكار الناس من أجل دفعهم إلى التوبة. الطريقة المفتاحية لفهم هذه القصص أثناء قراءتها تتمثل في مقارنتها بأعمال المسيح على الأرض. فالرب يسوع أحب أعداءه ولم يقتل أحدًا على الإطلاق. وهو يحفظ وصايا أبيه التي تقول: "لا تقتل". ولذلك فهذه الأوامر تُعطَى في مرآة فكر الناس وطريقة تعاملهم مع الوضع. وسواء فهم موسى هذا الأمر واستوعبه بشكل تام أو لا، فهذا لا يغيّر مبدأ المرآة المتعلق بالكيفية التي يتحدث بها الله لمجموعة من الناس في العهد القديم.

وهناك قصة أخرى في حياة موسى نحتاج إلى أن نفكر فيها، ألا وهي قصة قورح وداثان وأبيرام. وهي قصة مهمة لأن قورح كان من سبط اللاويين الذين لم يسجدوا للعجل الذهبي. تخبرنا قصته بما كان في قلوب بعض أولئك الذين كان يُنظَر إليهم باعتبارهم أبرارًا صالحين خلال الوقت الذي وقعت فيه حادثة العجل الذهبي.

"وَأَخَذَ قُورَحُ بْنُ يِصْهَارَ بْنِ قَهَاتَ بْنِ لاَوِي، وَدَاثَانُ وَأَبِيرَامُ ابْنَا أَلِيآبَ، وَأُونُ بْنُ فَالَتَ، بَنُو رَأُوبَيْنَ، يُقَاوِمُونَ مُوسَى مَعَ أُنَاسٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِئَتَيْنِ وَخَمْسِينَ رُؤَسَاءِ الْجَمَاعَةِ مَدْعُوِّينَ لِلاجْتِمَاعِ ذَوِي اسْمٍ. **فَاجْتَمَعُوا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَقَالُوا لَهُمَا: «كَفَاكُمَا! إِنَّ كُلَّ الْجَمَاعَةِ بِأَسْرِهَا مُقَدَّسَةٌ وَفِي وَسَطِهَا الرَّبُّ. فَمَا بَالُكُمَا تَرْتَفِعَانِ عَلَى جَمَاعَةِ الرَّبِّ؟».** فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ. ثُمَّ كَلَّمَ قُورَحَ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ قَائِلًا: «غَدًا يُعْلِنُ الرَّبُّ مَنْ هُوَ لَهُ، وَمَنِ الْمُقَدَّسُ حَتَّى يُقَرِّبَهُ إِلَيْهِ. فَالَّذِي يَخْتَارُهُ يُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ. اِفْعَلُوا هذَا: خُذُوا لَكُمْ مَجَامِرَ. قُورَحُ وَكُلُّ جَمَاعَتِهِ. وَاجْعَلُوا فِيهَا نَارًا، وَضَعُوا

عَلَيْهَا بَخُورًا أَمَامَ الرَّبِّ غَدًا. فَالرَّجُلُ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ هُوَ الْمُقَدَّسُ. كَفَاكُمْ يَا بَنِي لاَوِي!». وَقَالَ مُوسَى لِقُورَحَ: «اسْمَعُوا يَا بَنِي لاَوِي. **أَقَلِيلٌ عَلَيْكُمْ أَنَّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ أَفْرَزَكُمْ مِنْ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ لِيُقَرِّبَكُمْ إِلَيْهِ لِكَيْ تَعْمَلُوا خِدْمَةَ مَسْكَنِ الرَّبِّ، وَتَقِفُوا قُدَّامَ الْجَمَاعَةِ لِخِدْمَتِهَا؟** فَقَرَّبَكَ وَجَمِيعَ إِخْوَتِكَ بَنِي لاَوِي مَعَكَ، وَتَطْلُبُونَ أَيْضًا كَهَنُوتًا! إِذَنْ أَنْتَ وَكُلُّ جَمَاعَتِكَ مُتَّفِقُونَ عَلَى الرَّبِّ. وَأَمَّا هَارُونُ فَمَا هُوَ حَتَّى تَتَذَمَّرُوا عَلَيْهِ؟" (سفر العدد 16: 1 – 11).

لقد إتهم قورح موسى بأن كانت لديه روح السيطرة والرغبة في فرض نفسه على الشعب. وهذه التهمة كانت تعبّر بالطبع عما كان في قلب قورح ورغائبه الخاصة التي كان يرميها (يلقيها) على موسى. لقد كشفت هذه التهمة مشاعر قلبه. وأشار قورح إلى أن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب. لماذا قال ذلك؟

علينا أن ننظر إلى الأحداث التي وقعت قبل ذلك بقليل. فالرجال الإثنا عشر الذين ذهبوا للتجسس على أرض كنعان قد عادوا، وعشرة منهم قدموا تقريرًا شريرًا صدقه الإسرائيليون. فقط يشوع وكالب هما اللذان عبَّرا عن إيمانهما وثقتهما بأن الله يستطيع أن يأخذهم إلى أرض الميعاد. فحاول الشعب أن يرجم يشوع وكالب بسبب ذلك. أما موسى فقد تعرَّض للامتحان نفسه فيما بعد، فأخبره الرب أنه يستطيع أن يضرب الشعب بالوبأ ويبيدهم، ويصيّر موسى شعبًا أكبر وأعظم منهم. لقد كان شر الشعب عظيمًا جدًا، وكان من السهل على موسى أن يقع في تجربة الرغبة في قتلهم وإبادتهم.

"وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «حَتَّى مَتَى يُهِينُنِي هذَا الشَّعْبُ؟ وَحَتَّى مَتَى لاَ يُصَدِّقُونَنِي بِجَمِيعِ الآيَاتِ الَّتِي عَمِلْتُ فِي وَسَطِهِمْ؟ إِنِّي أَضْرِبُهُمْ بِالْوَبَإِ وَأُبِيدُهُمْ، وَأُصَيِّرُكَ شَعْبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْهُمْ»" (سفر العدد 14: 11 و12).

إلا أننا نجد موسى يتشفّع من أجل الشعب عاكسًا بذلك روح المسيح تمامًا مثلما كان الرب يريد.

"فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: فَيَسْمَعُ الْمِصْرِيُّونَ الَّذِينَ أَصْعَدْتَ بِقُوَّتِكَ هذَا الشَّعْبَ مِنْ وَسَطِهِمْ، وَيَقُولُونَ لِسُكَّانِ هذِهِ الأَرْضِ الَّذِينَ قَدْ سَمِعُوا أَنَّكَ يَا رَبُّ فِي وَسَطِ هذَا الشَّعْبِ، الَّذِينَ أَنْتَ يَا رَبُّ قَدْ ظَهَرْتَ لَهُمْ عَيْنًا لِعَيْنٍ، وَسَحَابَتُكَ وَاقِفَةٌ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ سَائِرٌ أَمَامَهُمْ بِعَمُودِ سَحَابٍ نَهَارًا وَبِعَمُودِ نَارٍ لَيْلاً. فَإِنْ قَتَلْتَ هذَا الشَّعْبَ كَرَجُل وَاحِدٍ، يَتَكَلَّمُ الشُّعُوبُ الَّذِينَ سَمِعُوا بِخَبَرِكَ قَائِلِينَ: لأَنَّ الرَّبَّ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُدْخِلَ هذَا الشَّعْبَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ

لَهُمْ، قَتَلَهُمْ فِي الْقَفْرِ. فَالآنَ لِتَعْظُمْ قُدْرَةُ سَيِّدِي كَمَا تَكَلَّمْتَ قَائِلًا: الرَّبُّ طَوِيلُ الرُّوحِ كَثِيرُ الإِحْسَانِ، يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَالسَّيِّئَةَ، لكِنَّهُ لاَ يُبْرِئُ. بَلْ يَجْعَلُ ذَنْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ إِلَى الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ. **اِصْفَحْ عَنْ ذَنْبِ هذَا الشَّعْبِ كَعَظَمَةِ نِعْمَتِكَ، وَكَمَا غَفَرْتَ لِهذَا الشَّعْبِ مِنْ مِصْرَ إِلَى ههُنَا"** (سفر العدد 14: 13 – 19).

لقد عفا الرب عن الإسرائيليين مما جعلهم يتفادون الآلام والعواقب المباشرة الناجمة عن تمردهم وعصيانهم الأثيم. وعوضًا عن ذلك فكان الرب يعكس للشعب حكمهم وذلك عندما ظلوا يقولون إن الله كان يحاول قتلهم في البرية.

"قُلْ لَهُمْ: حَيٌّ أَنَا يَقُولُ الرَّبُّ، لأَفْعَلَنَّ بِكُمْ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ فِي أُذُنَيَّ. فِي هذَا الْقَفْرِ تَسْقُطُ جُثَّتُكُمْ، جَمِيعُ الْمَعْدُودِينَ مِنْكُمْ حَسَبَ عَدَدِكُمْ مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا الَّذِينَ تَذَمَّرُوا عَلَيَّ. لَنْ تَدْخُلُوا الأَرْضَ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي لأُسْكِنَنَّكُمْ فِيهَا، مَا عَدَا كَالِبَ بْنَ يَفُنَّةَ وَيَشُوعَ بْنَ نُونٍ" (سفر العدد 14: 28 – 30).

يجب أن نتذكر أن الحكم بالموت هذا لم يكن الغرض منه هو ببساطة قتل الناس، بل كان خدمة موت بهدف قيادتهم للتوبة. فلو قبلوا هذا الحكم واعترفوا بخطيتهم لنالوا الحياة الأبدية كما حدث مع موسى. فموسى لم يدخل أرض كنعان لكنه نال الحياة الأبدية. والشيء ذاته كان من الممكن أن يحدث مع بني إسرائيل كلهم في حالة توبتهم وعدولهم عن الخطية.

عندما واجه إسرائيل الشرور التي ارتكبوها، أهاج الشيطان قورح وداثان وأبيرام الذين انتقدوا قيادة موسى ولاموه على كل ما حدث لهم منذ مغادرتهم لمصر. وأخبر الله الشعب من خلال موسى أنهم أشرار، وأنهم بالتأكيد سيرون الموت. كان القصد من ذلك قيادتهم للتوبة ولكنهم عوضًا عن ذلك اختاروا إلقاء اللوم على موسى بسبب الفشل الذي حدث. وأصبحت الإتهامات توجه مباشرةً الآن لموسى.

"أَقَلِيلٌ أَنَّكَ أَصْعَدْتَنَا مِنْ أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلًا لِتُمِيتَنَا فِي الْبَرِّيَّةِ حَتَّى تَتَرَأَسَ عَلَيْنَا تَرَؤُسًا؟ كَذلِكَ لَمْ تَأْتِ بِنَا إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلًا، وَلاَ أَعْطَيْتَنَا نَصِيبَ حُقُولٍ وَكُرُومٍ. هَلْ تَقْلَعُ أَعْيُنَ هؤُلاَءِ الْقَوْمِ؟ لاَ نَصْعَدُ! فَاغْتَاظَ [حَزِنَ] مُوسَى جِدًّا وَقَالَ لِلرَّبِّ: لاَ تَلْتَفِتْ إِلَى تَقْدِمَتِهِمَا. حِمَارًا وَاحِدًا لَمْ آخُذْ مِنْهُمْ، وَلاَ أَسَأْتُ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ" (سفر العدد 16: 13 – 15).

لقد اتهمت الجماعة موسى بأنه يريد أن ينصِّب نفسه رئيسًا عليهم وأنه يريد قتلهم واغتصاب ممتلكاتهم ومقتنياتهم. يمكن ترجمة الكلمة العبرية "اغتاظ" إلى "حَزِنَ". لقد فعل موسى الكثير من أجل هذا الشعب، لدرجة أنه عرض على الرب أن يبذل نفسه وحياته الأبدية لأجلهم. إلا أن الجماعة كلها تقريبًا صدَّقت أكاذيب وضلالات قورح وداثان وأبيرام عوضًا عن التوبة والعدول عن خطيتهم. فأحزن ذلك موسى وجرحه حتى جعلوه ينفذ طاقته بسبب هذا الامتحان. لقد حرَّض قورح كل الجماعة على موسى وبعد ذلك تدخَّل الرب.

"**وَجَمَعَ عَلَيْهِمَا قُورَحُ كُلَّ الْجَمَاعَةِ** إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، فَتَرَاءَى مَجْدُ الرَّبِّ لِكُلِّ الْجَمَاعَةِ" (سفر العدد 16: 19).

ونرى هنا أن موسى يتعرَّض مرةً ثانيةً للامتحان، فهل يا تُرى سيسمح بموت الشعب كله وهلاكه أم أنه سيصلّي ويتوسَّل لأجلهم؟

"وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: افْتَرِزَا مِنْ بَيْنِ هذِهِ الْجَمَاعَةِ فَإِنِّي أُفْنِيهِمْ فِي لَحْظَةٍ. فَخَرَّا عَلَى وَجْهَيْهِمَا وَقَالاَ: اللّهُمَّ، إِلهَ أَرْوَاحِ جَمِيعِ الْبَشَرِ، هَلْ يُخْطِئُ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَتَسْخَطَ عَلَى كُلِّ الْجَمَاعَةِ" (سفر العدد 16: 20 – 22).

لقد حافظ موسى مرة ثانية على أمانته وإخلاصه وصلَّى لأجل الشعب. فروح عظيمة كانت تسكن قلبه، وكم كانت أمانته عظيمة حتى يصلّي ويتضرَّع من أجل الشعب. ثم بعد ذلك نجد أن موسى يتحدث عن إنسان آخر ألا وهو قورح. لقد ازداد الامتحان صعوبة، فقد أمر الرب موسى قائلاً:

"فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: «كَلِّمِ الْجَمَاعَةَ قَائِلًا: اطْلَعُوا مِنْ حَوَالَيْ مَسْكَنِ قُورَحَ وَدَاثَانَ وَأَبِيرَامَ». فَقَامَ مُوسَى وَذَهَبَ إِلَى دَاثَانَ وَأَبِيرَامَ، وَذَهَبَ وَرَاءَهُ شُيُوخُ إِسْرَائِيلَ. فَكَلَّمَ الْجَمَاعَةَ قَائِلًا: «اعْتَزِلُوا عَنْ خِيَامِ هؤُلاَءِ الْقَوْمِ الْبُغَاةِ، وَلاَ تَمَسُّوا شَيْئًا مِمَّا لَهُمْ لِئَلاَّ تَهْلِكُوا بِجَمِيعِ خَطَايَاهُمْ»" (سفر العدد 16: 23 – 26).

لقد أوشك هؤلاء الرجال على الابتعاد تمامًا عن سياج الحماية الإلهية. وعندما أُعطي الأمر بأن يعتزلوا عن خيامهم، كانت أمامهم الفرصة حينئذ للتوبة لكنهم وقفوا بتحدٍ وهم تحت سيطرة روح الشيطان. لقد أحكم الشيطان سيطرته على هؤلاء الرجال، والآن يتحتم عليه أن يجد طريقة لوضع سبب هلاكهم على الله.

"فَطَلَعُوا مِنْ حَوَالَيْ مَسْكَنِ قُورَحَ وَدَاثَانَ وَأَبِيرَامَ، وَخَرَجَ دَاثَانُ وَأَبِيرَامُ وَوَقَفَا فِي بَابِ خَيْمَتَيْهِمَا مَعَ نِسَائِهِمَا وَبَنِيهِمَا وَأَطْفَالِهِمَا. فَقَالَ مُوسَى: «بِهذَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَنِي لأَعْمَلَ كُلَّ هذِهِ الأَعْمَالِ، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ نَفْسِي. إِنْ مَاتَ هؤُلاَءِ كَمَوْتِ كُلِّ إِنْسَانٍ، وَأَصَابَتْهُمْ مَصِيبَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ، فَلَيْسَ الرَّبُّ قَدْ أَرْسَلَنِي. **وَلكِنْ إِنِ ابْتَدَعَ الرَّبُّ بِدْعَةً وَفَتَحَتِ الأَرْضُ فَاهَا وَابْتَلَعَتْهُمْ وَكُلَّ مَا لَهُمْ، فَهَبَطُوا أَحْيَاءً إِلَى الْهَاوِيَةِ، تَعْلَمُونَ أَنَّ هؤُلاَءِ الْقَوْمَ قَدِ ازْدَرَوْا بِالرَّبِّ». فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ التَّكَلُّمِ بِكُلِّ هذَا الْكَلاَمِ، انْشَقَّتِ الأَرْضُ الَّتِي تَحْتَهُمْ، وَفَتَحَتِ الأَرْضُ فَاهَا وَابْتَلَعَتْهُمْ وَبُيُوتَهُمْ وَكُلَّ مَنْ كَانَ لِقُورَحَ مَعَ كُلِّ الأَمْوَالِ،** فَنَزَلُوا هُمْ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُمْ أَحْيَاءً إِلَى الْهَاوِيَةِ، وَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمِ الأَرْضُ، فَبَادُوا مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ" (سفر العدد 16: 27 – 33).

شكك هؤلاء المتآمرون في أحقية موسى في قيادتهم. واتهموه بمحاولة تنصيب نفسه رئيسًا عليهم. لقد انقلبت الجماعة كلها على موسى بسبب عمل قورح ورفاقه. دعونا ننظر مرة أخرى بعناية إلى ما قاله موسى:

"فَقَالَ مُوسَى: «بِهذَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَنِي لأَعْمَلَ كُلَّ هذِهِ الأَعْمَالِ، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ نَفْسِي. **إِنْ** مَاتَ هؤُلاَءِ كَمَوْتِ كُلِّ إِنْسَانٍ، وَأَصَابَتْهُمْ مَصِيبَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ، فَلَيْسَ الرَّبُّ قَدْ أَرْسَلَنِي. وَلكِنْ **إِنِ** ابْتَدَعَ الرَّبُّ بِدْعَةً وَفَتَحَتِ الأَرْضُ فَاهَا وَابْتَلَعَتْهُمْ وَكُلَّ مَا لَهُمْ، فَهَبَطُوا أَحْيَاءً إِلَى الْهَاوِيَةِ، تَعْلَمُونَ أَنَّ هؤُلاَءِ الْقَوْمَ قَدِ ازْدَرَوْا بِالرَّبِّ" (سفر العدد 16: 28 – 30).

لقد رأى الشعب الكثير من الأدلة التي تثبت أن الرب كان يقود موسى في كل ما حدث في مصر وفي البحر الأحمر وفي جبل سيناء. كما كانت هناك أدلة كثيرة على أن موسى قد أرسله الرب. فلو أجرى الرب معجزة في السياق الذي وضعه موسى لها، لكانت تعتبر هذه المعجزة وليدة الشك. لذلك لم يكن الله هو مَنْ صنع هذه المعجزة لأن كل من ليس من الإيمان فهو خطية. عندما سأل الشيطان الرب يسوع عن مكانته بصفته ابن الله، رفض أن يصنع معجزة ردًا على التجربة المرتبطة بقول الشيطان: "إن كنت ....".

"فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ: «**إِنْ** كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا».
فَأَجَابَ وَقَالَ: «مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ»" (متى 4: 3 و4).

وبعد كل ما فعله موسى، مثل الرب يسوع، تركوه جميعًا وهربوا (مرقس 14: 50). فبينما كان موسى يتألم في جسده، دعاه الشيطان للنزول عن هذا الصليب. وجُرِّب أن يطلب معجزةً للحفاظ على مكانته ومركزه. إلا أن المسيح لم يرد ولو لمرة واحدة على تجربة الشك "**إن** كنت". ولم يسبق له على الإطلاق أن يطلب معجزة لإثبات هويته، بل كان يثق من كل قلبه بكل ما قاله له أبيه.

ويوحنا المعمدان أعظم جميع الأنبياء واجه نفس الاختبار وهو في السجن. فنجد أن نفس المبدأ القائم على الشك يظهر في السؤال الذي سأله يوحنا لتلاميذه عندما طلب منهم أن يستفسروا عن الرب يسوع إذ قال التالي:

"أَمَّا يُوحَنَّا فَلَمَّا سَمِعَ فِي السِّجْنِ بِأَعْمَالِ الْمَسِيحِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ" (متى 11: 2 و3).

لم تحدث معجزة مع يوحنا مثلما حدث مع موسى. وقد دُفِن في قبره ممتلئًا ثقة أن المسيح هو حقًا المسيّا المنتظر، فتلاميذ يوحنا رجعوا من مقابلتهم مع الرب يسوع وأعطوا يوحنا التأكيد الذي كان يريده.

عندما أخبر الرب موسى أن يطلب من الشعب الابتعاد والاعتزال عن قورح وداثان وأبيرام، فهل تحمَّل موسى مسؤوليات لم تُعطَى له عندما صرَّح بالأسئلة التي كانت تدل على الشك؟ فإذ أن الله كان مضطرًا لسحب حماية ملائكته عن هؤلاء الرجال الأشرار، جرَّب الشيطان موسى بالأسئلة التي تدل على الشك، وبذلك أظهر الشيطان الكيفية التي كان ينتوي قتل هؤلاء المرتدين وإهلاكهم بها. ولنتذكر أيضًا أن الشيطان قد أحكم سيطرته على هؤلاء الرجال، وضغط عليهم ضغطًا شديدًا ليقاوموا توسلات روح يسوع من أجل التوبة. إن الرب يسوع هو الشافي أما الشيطان فهو المُهلِك، ومن خلال الشكوك التي غرسها في عقل موسى، استطاع الشيطان أن يخفي عمل القتل والهلاك الذي ارتكبه مُظهِرًا إياه وكأنه عقابًا مباشرًا من الله. إنها طريقة بارعة جدًا من الخداع والتضليل، وبدون سُكنى المسيح سيقدر من خلالها أن يضلّ ولو أمكن المختارين.

كان هذا أكثر الاختبارات إيلامًا لموسى وهو درس لنا. لقد تحمَّل موسى ثقل الأكاذيب والاتهامات الموجهة إليه لفترة طويلة، وتوسَّل إلى الرب دفاعًا عن هؤلاء الأشخاص الأشرار مرارًا وتكرارًا. وعندما وصل الأمر إلى هذا الرجل الشرير ورفاقه الذي أضلوا الجميع، فقد أصبح ذلك الاختبار صعبًا للغاية. وهو امتحان لم يستطع إلا عدد ضئيل جدًا من الناس مواجهته منذ ذلك الحين. إذن الشيطان هو الذي فتح الأرض لتبتلع هؤلاء الرجال لكي يُوجَّه اللوم إلى الله ويُتَّهَم بأنه هو مَنْ فعل ذلك. يقدّم لنا الرسول بولس دليلاً قويًا لما حدث في هذه الآية.

"وَلاَ تَتَذَمَّرُوا كَمَا تَذَمَّرَ أَيْضًا أُنَاسٌ مِنْهُمْ، فَأَهْلَكَهُمُ الْمُهْلِكُ" (كورنثوس الأولى 10: 10).

إن كلمة "المهلك" كما أوضحنا سابقًا تعني الحيَّة القاتلة السامة. لقد قاد قورح ورجاله أعمال التذمر على موسى، ويخبرنا الرسول بولس إن الحيَّة القاتلة أهلكتهم. لقد وقعت حادثة ابتلاع قورح ورفاقه أمام أعين الـ 250 رئيسًا، وقد منحهم هذا الوقت ليدركوا أنهم كانوا في خطر كبير، وأنه ينبغي عليهم أن يركضوا إلى مخلصهم هربًا من المُهلِك. لكنهم للأسف لم يتوبوا ودُفِعوا بالكامل إلى الشيطان.

"وَخَرَجَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ وَأَكَلَتِ الْمِئَتَيْنِ وَالْخَمْسِينَ رَجُلًا الَّذِينَ قَرَّبُوا الْبَخُورَ" (سفر العدد 16: 35).

كثيرون سيصرخون قائلين: "لكن الآية تقول وخرجت نارٌ من عند الرب" وسيختارون تجاهل الوصية التي تأمرنا بمقارنة الروحيات بالروحيات وضرورة ترك الكتاب ليفسّر نفسه بنفسه، ويتجاهلون حقيقة أن الرب يسوع المسيح هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد!

أخبر الرب يسوع تلاميذه في لوقا 9: 54 – 56 أن النار التي نزلت من السماء استجابةً لطلبة إيليا لم تكن هي الروح التي يعمل بها. ونعلم من قصة أيوب أن "نار الله" سقطت من السماء وأحرقت أغنام أيوب وخدّامه.

"وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: **نَارُ اللهِ سَقَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ** فَأَحْرَقَتِ الْغَنَمَ وَالْغِلْمَانَ وَأَكَلَتْهُمْ، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ" (أيوب 1: 16).

نحن نعلم أن الشيطان هو الذي أسقط هذه النار المادية فأكلتهم. فلو كانت النار الحرفية المادية هي المقصودة في هذا النص، فإننا نعلم الآن الطريقة التي سقطت بها. ولكن كما أوضحنا في الفصل السابع عشر، "الملائكة المُهلِكة"، فهذه النار ربما إنها تكون تبكيت روح الله الذي أوقع الرعب في قلوب هؤلاء الرجال، مُعلَنَةً (أي النار) بكل قوة ووضوح في هيئة نور خاطف. فالروح كان يضرب ضمائر هؤلاء الرجال بلا تساهل ولا هوادة ليبكتهم على خطاياهم ويحثهم على التوبة والعدول عن مسارهم الخاطئ، ولكن نظرًا لعدم قدرتهم على الإيمان بهذا الإله الرحيم، فقد أكلتهم خطاياهم. وكما رأينا بالفعل، فإن مبدأ النار الساقطة من السماء قد ورد ذكره في عدة فقرات في الكتاب المقدس.

فحين رفض هؤلاء الرؤساء الـ 250 التوبة واضطر الله لأن يسحب حماية ملائكته، فهل أرسل الشيطان نارًا مادية حرفية لتأكلهم، أم أنها كانت مجرد جمر نار بسبب التبكيت على الخطية؟ من الطبيعي أن نظن أنه عندما يقول الكتاب "فخرجت نار من عند الرب وأكلتهم" فإنهم بذلك قد تحوَّلوا إلى رماد. ولكن كما نعلم من قصة ناداب وأبيهو، فالنار التي أكلتهم لم تحرق ولو حتى قميصيهما، إذ نقرأ:

> "فَخَرَجَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ وَأَكَلَتْهُمَا، فَمَاتَا أَمَامَ الرَّبِّ. فَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: «هذَا مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ قَائِلًا: فِي الْقَرِيبِينَ مِنِّي أَتَقَدَّسُ، وَأَمَامَ جَمِيعِ الشَّعْبِ أَتَمَجَّدُ». فَصَمَتَ هَارُونُ. فَدَعَا مُوسَى مِيشَائِيلَ وَأَلْصَافَانَ ابْنَيْ عُزِّيئِيلَ عَمِّ هَارُونَ، وَقَالَ لَهُمَا: «تَقَدَّمَا ارْفَعَا أَخَوَيْكُمَا مِنْ قُدَّامِ الْقُدْسِ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ». **فَتَقَدَّمَا وَرَفَعَاهُمَا فِي قَمِيصَيْهِمَا إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ**، كَمَا قَالَ مُوسَى" (لاويين 10: 2 – 5).

من جميع المبادئ التي تعلمناها، يتضح أن هناك عددًا من التفسيرات التي يمكن عرضها من الكتاب المقدس لإثبات أن الله ليس هو المُهلِك بل الشيطان. إن الفهم الصحيح للعهود المستخدمة جنبًا إلى جنب مع حياة الرب يسوع الكاملة وهو على الأرض يساعدنا على تعقب قصص العنف التي نقرأها في الكتاب المقدس والتعرف على مصدرها، أي ذاك الذي له سلطان الموت وهو إبليس (عبرانيين 2: 14).

لقد كان موسى رجلاً حليمًا ومتواضعًا ووديعًا جدًا، ونعلم أنه عاش حتى زمن المسيح. وقد نُسِبت إليه أخطاء كثيرة بسبب الفهم الخاطئ لمبدأ العهود. لقد خضع لأشد وأشرس التجارب من قبل الشيطان، وبسبب التجارب التي تعرَّض إليها، استطاع الشيطان أن يخفي أعمال القتل والهلاك التي

ارتكبها. أي واحد منا كان عرضة للسقوط في هذه التجارب، ولذلك لا يمكننا إدانة موسى أو محاسبته على ما حدث. ولكننا نرى أيضًا النتائج الفادحة التي يمكن حدوثها عندما يسقط الإنسان في تجربة من تجارب الشيطان، ولا سيما إذا كان الأمر يتعلق بقائد فَقَدَ رؤيته للمسيح. ومن المهم جدًا فهم هذا الدرس كي يتسنى لنا رؤية صورة ثابتة وغير متغيّرة عن شخصية الله وصفاته في الكتاب المقدس. المسيح وحده قادر أن يعطينا هذه الصورة الكاملة. فيجب علينا أن نشكر الله لأجل ذلك المثال حتى نتمكن من قراءة العهد القديم في نوره السني الخالص، وحتى نستطيع تمييز حقيقة وداعة أبينا السماوي التي كان موسى مثالاً ساطعًا لها.

23. إيليا والجزء الأخير من ضلالات الشيطان

"وَحَدَثَتْ حَرْبٌ فِي السَّمَاءِ: مِيخَائِيلُ وَمَلاَئِكَتُهُ حَارَبُوا التِّنِّينَ، وَحَارَبَ التِّنِّينُ وَمَلاَئِكَتُهُ" (رؤيا 12: 7).

لقد لجأ الشيطان للدعاية الكاذبة والترويج ضد الآب السماوي لضم الملائكة إلى صفوفه وضمان حصوله على ولائهم. وبالفعل استطاع أن يضم ثلث الملائكة إليه بفضل أكاذيبه وضلالاته (رؤيا 12: 4 و7). ألقى الشيطان بأفكاره وأيديولوجياته القاسية على الله وبهذه الطريقة تمكن من جذب الملائكة إلى صفوفه. وقد انتهى الأمر بالملائكة الذين صدقوا أكاذيب الشيطان وتبعوه بأنهم صاروا تحت نظام حكمه الاستبدادي الذي كانوا يظنون أنهم يفرون منه. "إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ" (يوحنا 8: 34).

لقد أخفى الشيطان دوافعه الحقيقية وفي الوقت ذاته كان يبرز عكس ما أصبح تمامًا. وكل ما وُهِبَ من حكمة وقدرات فكرية وقوى عند خلق الله له حوَّلها لقمة مخاتلاته لإقناع الكون بعبادته بصفته الأعلى منزلة والأكثر امتيازًا.

لقد سقط الإنسان في فخ التنين من خلال الأكاذيب التي أشاعها الشيطان. وقبل إشاعات الشيطان على الله واحتضن الحيَّة التي كان يعتقد أنه يهرب منها وهو في الجنة. فأصبح الشيطان رئيس الموت ومبتدعه وكان له سلطان الموت كما عرفنا في الفصل الثالث. كانت كذبته الرئيسية تتمثل في أن الله لا يغفر. لكننا نعلم حقيقة هذه الكذبة لأن آدم وحواء وقايين لم يطلبوا الغفران البتة عندما تمت مواجهتهم. فقد تعلّم آدم مهارات الانحراف والزَيَغَان وتوجيه اللوم على الآخرين كسلاح ضد التوبة. واكتشف طريقة يصلّب ويحجِّر بها ركبتيه حتى لا يركع عليهما ويطلب العفو والمغفرة من الله.

عندما يكون الإنسان في هذه الحالة الذهنية، فإنه يفسّر كل عمل يقوم به الله من أجل مساعدته على رؤية مشكلته الكبرى على أنه محاولة منه لإلحاق الضرر والأذى به وإهلاكه. لهذا السبب يفهم الإنسان الطبيعي عطية الصليب على أنها غضب الله الذي يجعله يقوم ويضرب ابنه. تذكر أننا ذكرنا في الفصل العشرين ما يلي:

> "وهذه هي الصعوبة أو الغموض الذي يوجد في الصليب، فهو يُظهِر شخصية الشيطان الشريرة والنتائج الطبيعية المترتبة على حياة الخطية والشر، لكنه يجعلنا نشعر بأن الله، في غضب رهيب، هو من يوقع العذاب على الخاطئ" (أغابي، الفصل العشرون، صفحة 207).

> "فنرى هنا أن قايين يشعر باستذنابه أو دينونته لنفسه، وهذا نتيجة طبيعية لخطيته. وهو يشعر بأن ذنبه أعظم من أن يُغتَفَر. لكننا نرى أيضًا في كلمات قايين أنه يوجه اللوم على الله ويتهمه بأنه المسؤول عن هذه النتائج. وهذان هما وجها الدينونة وأيضًا الجانبان المتعلقان بالصليب" (أغابي، الفصل العشرون، صفحة 208).

يصف الكتاب المقدس العملية المتعلقة بإلقاء صفاتنا وأفكارنا على الله كالإنسان الذي يقرأ كلمة الله ويرى فيها وجه خلقته. ثم أضفنا إلى ذلك طبيعة الصليب ذات الوجهين وطبقناها على الموضوع المتعلق بالعهود:

لو فشلت في فهم العملية المكوَّنة من خطوتين التي تعمل بها العهود، ستنسب شرور الإنسان وخطاياه إلى شخصية الله نفسه وصفاته. الله في صورة إنسان، حاشا لله!

وهذا يعني أن قصص الكتاب المقدس التي تعبّر عن إنتصارات الله العظيمة هي في الحقيقة قصص تعبّر عن انهزام شخصية الله وصفاته لأن هذه القصص تُقرأ من خلال أعين البشر الخطاة ومن خلال صفاتهم المُحِبة لتوجيه أصابع الإتهام واللوم على الآخرين.

لتوضيح هذه الفكرة سنتناول قصتين في هذا الفصل والفصل الأخير، ألا وهما قصة انتصار إيليا على جبل الكرمل وتقديم إسحاق على جبل المُريّا. سنتناول قصة إيليا في هذا الفصل وقصة إبراهيم في الفصل التالي. لقد استخدم الشيطان قصة إيليا لبث الشائعات والأكاذيب عن أبينا السماوي وصفاته، وهي تعد أحد أكبر الأسلحة التي استخدمها الشيطان لذلك الغرض.

فمن خلال مرآة توجيه الإتهام وإلقاء اللوم على الآخرين، فإن الشيطان يجعل النار التي نزلت من السماء على مذبح إيليا أن تخدع وتضل حتى ولو أمكن المختارين. فالاعتقاد الخاطئ والسائد هو أن الله يوجد في النار والريح والزلزلة، أما صوت روح الله المنخفض الخفيف فلا أحد يتحدث عنه، لأن شائعات الحيَّة وأكاذيبها القاسية قد نجحت في إطفائه إذ أن الحيَّة تتعظَّم عداوتها لله بأنفس الناس الساقطة.

إذا تمكنا من العودة حوالي 2600 سنة ووقفنا على جبل الكرمل مع بقية إسرائيل بعد أن نزلت النار على مذبح الرب وأكلت الذبيحة، لشهدنا مواجهة بين فريقين. فقد تم القبض على 850 رجلاً من الرجال الذين قادوا الأمة إلى الارتداد وعبادة الأصنام بأعمالهم البغيضة. لقد قضوا على عبادة الإله الحقيقي، بل وقاموا بدورهم في قتل المؤمنين بيهوه الرب. فاستل إيليا، رجل الله، سيفه وبدأ في العمل المتعلق بتطهير هذا الرجس. لقد قتل كل واحد منهم بحد السيف، ورآهم وهم يسقطون على الأرض يلفظون أنفاسهم الأخيرة.

"فَقَالَ لَهُمْ إِيلِيَّا: «أَمْسِكُوا أَنْبِيَاءَ الْبَعْلِ وَلاَ يُفْلِتْ مِنْهُمْ رَجُلٌ». فَأَمْسَكُوهُمْ، فَنَزَلَ بِهِمْ إِيلِيَّا إِلَى نَهْرِ قِيشُونَ وَذَبَحَهُمْ هُنَاكَ" (ملوك الأول 18: 40).

لقد تناثرت جثث أنبياء البعل على الجبل. لقد سقت دماؤهم الأرض القاحلة حتى ذلك المساء عندما انفتحت السماوات ونزل المطر. يبدو أن المطر دليلاً واضحًا على موافقة السماء على المجزرة التي وقعت في ذلك اليوم.

قبل استكمال هذا الجزء من القصة، دعونا نذهب إلى الآيات التي تسبق مباشرة صعود إيليا إلى السماء في مركبة نارية.

"فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَئِيسَ خَمْسِينَ مَعَ الْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ، فَصَعِدَ إِلَيْهِ وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ. فَقَالَ لَهُ: «يَا رَجُلَ اللهِ، الْمَلِكُ يَقُولُ انْزِلْ». فَأَجَابَ إِيلِيَّا وَقَالَ لِرَئِيسِ الْخَمْسِينَ: «إِنْ كُنْتُ أَنَا رَجُلَ اللهِ، فَلْتَنْزِلْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَتَأْكُلْكَ أَنْتَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَكَ». فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُ هُوَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ" (ملوك الثاني 1: 9 و10).

فما الذي فعله إيليا حتى تتعقبه فرقة مكوَّنة من 51 جنديًا؟ لقد مَرِضَ الملك في ذلك الوقت وأرسل رُسُلاً للاستفسار عن بعلزبوب إله عقرون. اعترض إيليا الرُسُل وأخبرهم أن الملك سيموت. فلم يُسرُّ الملك بذلك بطبيعة الحال، وأرسل رجاله ليقوموا بالقبض على إيليا.

عندما أتى الجنود ليقبضوا على إيليا، أمر بأن تنزل نارًا من السماء لتهلكهم. فربما يتعظ الجنود الآخرين ويلجأون لوسائل بديلة للتفاوض مع إيليا، ولكن للأسف فقد نزلت نارًا من السماء وأماتتهم هم أيضًا. لقد أهلكت النار 102 رجلاً. على ما يبدو أن إيليا نبيًا ذا قدرات خارقة إذ أنه يستطيع إنزال النار من السماء لإبادة أعداء الله. ولكن بعد هذه القصة مباشرة نقرأ التالي:

"وَفِيمَا هُمَا يَسِيرَانِ وَيَتَكَلَّمَانِ إِذَا مَرْكَبَةٌ مِنْ نَارٍ وَخَيْلٌ مِنْ نَارٍ فَصَلَتْ بَيْنَهُمَا، فَصَعِدَ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ" (ملوك الثاني 2: 11).

يرى معظم الناس أن ذلك دليلاً مقنعًا على أن الله أرسل نارًا من السماء وأحرق أولئك الجنود ثم أخذ نبيه البطل الخارق إلى السماء. ويرون أن هذا الحدث المذهل، إلى جانب انتصار إيليا على أنبياء البعل في جبل الكرمل، وكأنه انتصارًا عظيمًا لقضية الحق.

لو ذهبنا إلى الإعلان الكامل للآب في المسيح، سنجد تعليقًا إلهيًا عن هذه القصص إذ نقرأ:

"فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ تِلْمِيذَاهُ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا، **قَالاَ: «يَا رَبُّ، أَتُرِيدُ أَنْ نَقُولَ أَنْ تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُفْنِيَهُمْ، كَمَا فَعَلَ إِيلِيَّا أَيْضًا؟» فَالْتَفَتَ وَانْتَهَرَهُمَا وَقَالَ: «لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا! لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّصَ».** فَمَضَوْا إِلَى قَرْيَةٍ أُخْرَى" (لوقا 9: 54 – 56).

"فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: **رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!**" (متى 26: 52).

"أَجَابَ يَسُوعُ: **مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ.** لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا" (يوحنا 18: 36).

عندما ننظر إلى مجد يسوع أي شخصيته وصفاته، نرى شيئًا مختلفًا عما نراه في القصص المتعلقة بإيليا. لقد أراد التلاميذ تقليد إيليا، لكن الرب يسوع وبَّخهم وقال لهم إن هذا الروح ليس روحه أو طريقة عمله. فيسوع ليس هو المُهلِك بل الفادي والمخلّص. وحقيقة أن الرب يسوع يتحدث مباشرة عن قصة إيليا وإسقاط النار من السماء لتأكل الناس، فهو بذلك يخبرنا أن هذا الروح ليس روحه، مما يعني أننا بحاجة إلى التأمل أكثر في هذه القصة كي نفهم ما حدث بالضبط.

المثير للدهشة هو أن العديد من الترجمات الحديثة للكتاب المقدس تستبعد جزءًا مهمًا مما قاله الرب يسوع:

"فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ تِلْمِيذَاهُ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا، قَالاَ: «يَا رَبُّ، أَتُرِيدُ أَنْ نَقُولَ أَنْ تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُفْنِيَهُمْ، كَمَا فَعَلَ إِيلِيَّا أَيْضًا؟» فَالْتَفَتَ وَانْتَهَرَهُمَا. فَمَضَوْا إِلَى قَرْيَةٍ أُخْرَى" (لوقا 9: 54 – 55).

إن استبعاد عبارة "لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّص" في الترجمة العالمية الجديدة باللغة الإنجليزية تجعل القارئ يتساءل لماذا التفت الرب يسوع وانتهر التلاميذ؟ ربما كان الأمر مجرد مسألة توقيت أو إساءة استخدام قوة الله. ولكن عندما تُدرَج هذه العبارة (كما هو الحال في الترجمة العربية للكتاب المقدس) والتي تتحدث عن القصد من مرسلية المسيح، فإنها لا تخاطب رغائب التلاميذ فحسب بل أيضًا أفعال إيليا.

دعونا الآن نعود إلى صباح اليوم الذي عقب الانتصار العظيم على جبل الكرمل. كانت الملكة إيزابل منزعجة للغاية مما حدث وقامت بإرسال رسالة إلى إيليا.

"وَأَخْبَرَ أَخْآبُ إِيزَابَلَ بِكُلِّ مَا عَمِلَ إِيلِيَّا، وَكَيْفَ أَنَّهُ قَتَلَ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ بِالسَّيْفِ. فَأَرْسَلَتْ إِيزَابَلُ رَسُولًا إِلَى إِيلِيَّا تَقُولُ: **هكَذَا تَفْعَلُ الآلِهَةُ وَهكَذَا تَزِيدُ، إِنْ لَمْ أَجْعَلْ نَفْسَكَ كَنَفْسِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي نَحْوِ هذَا الْوَقْتِ غَدًا**" (ملوك الأول 19: 1 و2).

لم يكن إيليا خائفًا وهو يعلن للملك آخاب أنه لن يكون هناك طل أو مطر طيلة السنوات الثلاث والنصف القادمة والتي حاول آخاب خلالها أن يجده ويقتله، بل كان واثقًا أن الله سيهتم ويعتني به ويوفر له جميع احتياجاته. ولكن بعد أن قام إيليا بقتل أنبياء البعل، تغيّر شيئًا ما وبدأ يهرب لأجل نفسه.

"فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ **قَامَ وَمَضَى لأَجْلِ نَفْسِهِ**، وَأَتَى إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ الَّتِي لِيَهُوذَا وَتَرَكَ غُلاَمَهُ هُنَاكَ. ثُمَّ سَارَ فِي الْبَرِّيَّةِ مَسِيرَةَ يَوْمٍ، حَتَّى أَتَى وَجَلَسَ تَحْتَ رَتَمَةٍ وَطَلَبَ الْمَوْتَ لِنَفْسِهِ، وَقَالَ: قَدْ كَفَى الآنَ يَا رَبُّ. **خُذْ نَفْسِي لأَنَّنِي لَسْتُ خَيْرًا مِنْ آبَائِي**" (ملوك الأول 19: 3 و4).

فما هو الشيء الذي يجعل إيليا يهرب من هذه الامرأة؟ فإننا نعلم أنه وقف على جبل الكرمل وحده في وقت كان يستطيع فيه الملك وكهنة البعل الإمساك به وقتله. لقد كان إيليا واثقًا في حماية إلهه، لكن الإصلاح الذي كان يأمل فيه لم يتحقق. فالشعب لم يتب عن اشتراكه في عبادة البعل، وقد امتلأ قلبه بالخوف وشعر بأنه مضطر لترك منصبه. فما هو سبب التغير المفاجئ في إيليا؟ إن إيليا يمر باختبار مماثل لاختبار قايين بسبب شروعه في القتل.

"إِنَّكَ قَدْ طَرَدْتَنِي الْيَوْمَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، وَمِنْ وَجْهِكَ أَخْتَفِي وَأَكُونُ تَائِهًا وَهَارِبًا فِي الأَرْضِ، **فَيَكُونُ كُلُّ مَنْ وَجَدَنِي يَقْتُلُنِي**" (تكوين 4: 14).

إن الوصايا العشر التي تعكس طبيعة الله وصفاته تصرَّح بكل وضوح "لا تقتل". فعندما يقتل الإنسان أخيه الإنسان، يزداد الخوف في النفس. فما تفعله للآخرين يجعلك تخشى أن يحدث معك الشيء ذاته. وهذا الخوف يزداد لأن الشيطان قد أُعطي قدرة أكبر على تجريب الناس ومضايقتهم. ولذلك يلجأ الناس إلى الجيوش أو المدن المحاطة بأسوار للتعامل مع هذا الخوف.

نطق إيليا بهذه الكلمات المعبّرة عن حزنه الشديد: "خُذْ نَفْسِي لأَنَّنِي لَسْتُ خَيْرًا مِنْ آبَائِي". فما هو يا ترى الصراع الذي كان يدور في قلبه؟ لماذا كان في قمة اليأس والإحباط لدرجة أنه كان يتمنى الموت؟ صحيح أن أمله الكبير في الإصلاح لم يتحقق، ولكن ما الذي دفعه لمقارنة نفسه بآبائه وتمنيه الموت؟

"**كَانَ إِيلِيَّا إِنْسَانًا تَحْتَ الآلاَمِ مِثْلَنَا**، وَصَلَّى صَلاَةً أَنْ لاَ تُمْطِرَ، فَلَمْ تُمْطِرْ عَلَى الأَرْضِ ثَلاَثَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ" (يعقوب 5: 17).

لاحظ ما قاله إيليا للرب عندما سأله عن سبب هروبه.

"وَدَخَلَ هُنَاكَ الْمُغَارَةَ وَبَاتَ فِيهَا. وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَيْهِ يَقُولُ: «مَا لَكَ هٰهُنَا يَا إِيلِيَّا؟». فَقَالَ: **«قَدْ غِرْتُ غَيْرَةً لِلرَّبِّ إِلهِ الْجُنُودِ، لأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ تَرَكُوا عَهْدَكَ، وَنَقَضُوا مَذَابِحَكَ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ بِالسَّيْفِ**، فَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي، وَهُمْ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لِيَأْخُذُوهَا»" (ملوك الأول 19: 9 و10).

نرى هنا أن إيليا يعرض شكواه للرب موضحًا أنه على الرغم من ولائه وإخلاصه له، فقد رأى بعينيه العذاب عندما قُتِل أنبياء الله بالسيف وكان مضطرًا للبقاء وحده. فلو كان إيليا إنسانًا تحت الآلام مثلنا، فهل من الممكن أنه جُرِّب لأن ينتقم نظرًا لما تعرَّض له شعب الله من قتل، وربما أيضًا انتقامًا لأجل أصدقائه المقرَّبين؟ وماذا عنك؟ هل ستُجرَّب بالرغبة في الانتقام إذا قُتِل صديق مقرَّب لك؟ وهل يمكن أن يختبئ أو يحتجب هذا الدافع في أعماق قلبك، بل ويختبئ عنك شخصيًا بسبب غيرة الله؟

عندما كان إيليا يتفقد ساحة الهلاك التي قُتِل فيها أنبياء البعل، هل رأى اِرتسام (ظهور) بذرة القتل هذه في أعماق نفسه؟ هل أصبح على علم بأنه ليس خيرًا من آبائه؟ وعندما هددته إيزابل الشريرة بقتله، هل أصبح بعد ذلك غير متيقين من علاقته مع الله؟ وعندما سأله الله: "مَا لَكَ هٰهُنَا يَا إِيلِيَّا؟"، هل فعل إيليا ما فعله آدم بتوجيه اللوم إلى الله واتهامه بأنه هو المسؤول الحقيقي عن كل ما حدث؟ إن تعبيرات إيليا توحي بالدفاع عن النفس: "فعلت هذا وفعلت ذاك". "الوضع مريب وأنا بقيت هنا وحدي".

يرى بعض الناس أن هذا النوع من التحقيق الذي تعرَّض له هذا النبي الخارق هو بمثابة فعل نجس. وأولئك الذين يرغبون في التغلب على كل الخطايا، فإنهم يرون في اختبار إيليا انكشاف لطبيعتهم كي يتسنى لهم التعرف على كيفية مواجهة أزمة الأرض النهائية. ومن المهم جدًا بنا أن نقرأ هذه القصص بطريقة تساعدنا حقًا على الإرشاد والفهم كي ما يتسنى لنا عندما نتعرَّض لأزمة في حياتنا ونُظهِر سمات شخصية مختلفة عن صفات المسيح، أن تكون لدينا القدرة على الصمود والثبات وألا نطلب الموت لأنفسنا بسبب اليأس وفقدان الأمل. فينبغي أن تكون قراءتنا لهذه القصة قراءة متعمقة لكي نفهم الدروس التي تقدمها لنا في الأيام الأخيرة. لن يحل روح إيليا على شعب الله لإنذار المسكونة فحسب بل لمساعدتهم على رؤية طبيعتهم المُحِبة للقتل وسفك الدماء وهي مُعلنَة. إن لم تتعلَّم هذا

الدرس، ستموت بيأس مُحبِط، أو الأسوأ من ذلك أنك ستبرر السلوك العدواني المُحِب للقتل وسفك الدماء على أنه غضبًا إلهيًا.

ولنعلم يقينًا أن إيليا لم يكن يتمتع باختبار العهد الجديد في ذلك الحين. فاختبار العهد الجديد يحدث عندما تُكتَب شخصية الله وصفاته على القلب. إن شخصية الله وصفاته معلنة في ناموس الله.

"إِذًا النَّامُوسُ مُقَدَّسٌ، وَالْوَصِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ وَعَادِلَةٌ وَصَالِحَةٌ" (رومية 7: 12).

"لأَنَّ هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَعْهَدُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ نَوَامِيسِي فِي أَذْهَانِهِمْ، وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ..." (عبرانيين 8: 10).

هَرِبَ إيليا إلى جبل حوريب (جبل سيناء) وهناك سأله الرب: "ما لك ههنا يا إيليا". فحاول إيليا الدفاع عن نفسه، وأخبر الرب أنه ظل أمينًا له رغم تردي الظروف من حوله للغاية، وأنه بقي وحده، وأن قادة الأمة كانوا يطلبون نفسه ليأخذوها. فأوضح الرب لإيليا أن المشكلة تكمن في فهمه للأمور.

"فَقَالَ: «اخْرُجْ وَقِفْ عَلَى الْجَبَلِ أَمَامَ الرَّبِّ». وَإِذَا بِالرَّبِّ عَابِرٌ وَرِيحٌ عَظِيمَةٌ وَشَدِيدَةٌ قَدْ شَقَّتِ الْجِبَالَ وَكَسَّرَتِ الصُّخُورَ أَمَامَ الرَّبِّ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي الرِّيحِ. وَبَعْدَ الرِّيحِ زَلْزَلَةٌ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي الزَّلْزَلَةِ. **وَبَعْدَ الزَّلْزَلَةِ نَارٌ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي النَّارِ.** وَبَعْدَ النَّارِ صَوْتٌ مُنْخَفِضٌ خَفِيفٌ" (ملوك الأول 19: 11 و12).

لم تُستَعلَن شخصية الله ولم تظهر صفاته في إعلانات الطبيعة القوية، فالنص السابق يخبرنا بكل وضوح أن الله لم يكن لا في الريح ولا في الزلزلة ولا في النار. لقد فُسِّرت النار التي نزلت من السماء وأكلت الذبيحة على أساس أنها استعراض للقوة وهو ما أجاز قتل إيليا لأنبياء البعل بالسيف. لكنه أُخبِر أن الله لم يكن في النار. فما الذي يعنيه هذا؟ كيف يمكن أو يُعقَل أن يرسل الله النار لكنه لا يوجد فيها؟ لقد كان الرب يخبر إيليا أنه قد استجاب في الواقع للطلب المقدَّم إليه ليُظهِر مَنْ الذي كان يخدم الإله الحقيقي. كانت الإجابة بطريقة يفهمها الشعب.

لقد كان الشعب كله في اختبار العهد القديم. وما رأوه بأعينهم كان عرضًا للقوة حسب فهمهم للكيفية التي ينبغي أن يتصرَّف بها الله. وفسَّر الشعب كله ما رأوه أن الله كان في هذه النار. لكن الله أخبر إيليا أنه لم يكن فيها. لقد تحدَّث الله للشعب في مرآة ما كان في قلوبهم. لقد أجرى الله بالفعل معجزة النار، لكنها لم تكن تعبيرًا أو انعكاسًا لشخصيته وصفاته.

لقد أطلق استعراض القوة بذار الانتقام في قلب إيليا. هذا هو عمل الناموس في العهد القديم حيث يسمح الله للخطية أن تَكثُر. وبنفس الطريقة التي أخبر بها المسيح المرأة الكنعانية أنه ليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين ويُطرَح للكلاب، فقد سمح أبونا السماوي باستعراض القوة لاختبار قلوب الشعب. أظهر هذا الاستعراض ما كان في قلب إيليا. لقد سَمِعَ إيليا في المرآة الأمر الذي أراده قلبه، ألا وهو الأمر بقتل أنبياء البعل. وهو ما جعل إيليا يظهر بصفته قاتلاً وأنه ليس خيرًا من آبائه. أما أنبياء البعل فقد عوقبوا أثناء ذلك. فالرب يعمل من خلال العهد القديم ليرسل رسالة إلى إسرائيل مفادها أن خطية الشِرك أو عبادة الأصنام أمر قبيح، لكن شخصيته وصفاته لا تنعكس أثناء هذه العملية.

إن معجزة الريح والزلزلة والنار تبيّن لنا أن إيليا لم يفهم شخصية الله وصفاته. إلا أن الله كان يسعى لإعلان شخصيته وصفاته إليه حتى يتسنى لإيليا رؤية التناقض بين شخصيته وشخصية الله والتوبة عن روح الانتقام التي كانت فيه. وجَّه الله السؤال لإيليا مرة أخرى ليحصل منه على اعترف إذ نقرأ:

"فَلَمَّا سَمِعَ إِيلِيَّا لَفَّ وَجْهَهُ بِرِدَائِهِ وَخَرَجَ وَوَقَفَ فِي بَابِ الْمُغَارَةِ، وَإِذَا بِصَوْتٍ إِلَيْهِ يَقُولُ: «مَا لَكَ ههُنَا يَا إِيلِيَّا؟» فَقَالَ: غِرْتُ غَيْرَةً لِلرَّبِّ إِلهِ الْجُنُودِ، لأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ تَرَكُوا عَهْدَكَ، وَنَقَضُوا مَذَابِحَكَ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ بِالسَّيْفِ، فَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي، وَهُمْ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لِيَأْخُذُوهَا" (ملوك الأول 19: 13 و14).

نجد هنا أن إيليا يكرر دفاعه الأصلي عن النفس. وهذا يدل على أنه غير قادر على تمييز معنى الأحداث التي أُعلِنت له للتو. لقد واجه إيليا أشد الصعاب، وما قاله الرب يسوع للتلاميذ، يقوله أيضًا لإيليا: "أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ". أُخبِر إيليا أن عمله سينتهي قريبًا.

"فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: اذْهَبْ رَاجِعًا فِي طَرِيقِكَ إِلَى بَرِّيَّةِ دِمِشْقَ، وَادْخُلْ وَامْسَحْ حَزَائِيلَ مَلِكًا عَلَى أَرَامَ، وَامْسَحْ يَاهُوَ بْنَ نِمْشِي مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، **وَامْسَحْ أَلِيشَعَ بْنَ شَافَاطَ مِنْ آبَلَ مَحُولَةَ نَبِيًّا عِوَضًا عَنْكَ**" (ملوك الأول 19: 15 و16).

إن بذار الخوف التي ظهرت بسبب قتل أنبياء البعل بقيت في قلب إيليا. كما أن استعداد إيليا للقتل ثانيةً أُظهِر قبل صعوده إلى السماء مباشرةً عندما طلب أن تنزل نارًا من السماء على الرجال الذين جاءوا للقبض عليه. هل يا ترى كان إيليا خائفًا عندما جاء هؤلاء الرجال للقبض عليه؟

"فَقَالَ مَلاَكُ الرَّبِّ لإِيلِيَّا: **«انْزِلْ مَعَهُ. لاَ تَخَفْ مِنْهُ».** فَقَامَ وَنَزَلَ مَعَهُ إِلَى الْمَلِكِ" (ملوك الثاني 1: 15).

نعم. كان إيليا لا يزال خائفًا. عندما جاء رئيس الخمسين الأول لإيليا، دعاه "رجل الله". وهذا يعني أن ذلك الرئيس لم يشك في كونه رجل الله.

"فَأَجَابَ إِيلِيَّا وَقَالَ لِرَئِيسَ الْخَمْسِينَ: **«إِنْ كُنْتُ أَنَا رَجُلَ اللهِ، فَلْتَنْزِلْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَتَأْكُلْكَ أَنْتَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَكَ».** فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُ هُوَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ" (ملوك الثاني 1: 10).

لقد بيَّن الرب لإيليا أنه لم يكن في النار. إذن فلماذا طلب إيليا نارًا؟ بسبب خوفه. ولكن كيف يمكن أن تنزل نارًا من السماء وتأكل هؤلاء الرجال؟ ذلك لأنهم كانوا تحت خدمة الملك الذي سلَّم نفسه لخدمة بعل إله عقرون وعبادته، فأدى ذلك إلى إزالة (انتزاع) سياج الحماية الإلهية. مَنْ الذي أنزل النار على هؤلاء الرجال؟

"فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هُوَذَا كُلُّ مَا لَهُ فِي يَدِكَ، وَإِنَّمَا إِلَيهِ لاَ تَمُدَّ يَدَكَ». ثُمَّ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِ الرَّبِّ ... وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: **نَارُ اللهِ سَقَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَتِ الْغَنَمَ وَالْغِلْمَانَ وَأَكَلَتْهُمْ،** وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ" (أيوب 1: 12 و16).

لماذا يحرق الشيطان الرجال الذين أُرسِلوا للقبض على نبي الله؟

"إلحاق الأذى بالنفس لكسب ثقة العدو" (الحيلة 34 من 36، كتاب فن الحرب، تأليف صن تزو).

عندما طلب إيليا، بسبب الخوف، معجزةً تؤكد له أنه بالفعل رجل الله، فقد فتح الباب أمام الشيطان ليدخل ويضرب. وعندما ضرب الشيطان الرجال الذين كانوا تحت سيطرته، أقنع المسكونة بأن الله هو مَنْ ضرب هؤلاء الرجال وقتلهم.

ابتلع تلاميذ الرب يسوع الطُعم وكانوا يرغبون في اتباع مثال إيليا في قتل السامريين. استطاع الشيطان من خلال هذه الاستراتيجية أن يضمن ثقة أعدائه الأرضيين، وامتلأوا بروحه من خلال هذه الاستراتيجية المغرية. لم يتكلَّف الشيطان سوى 102 رجلاً، لكنه انتصر في معركة الشائعات والأكاذيب التي قام بالترويج بها عن الله وصفاته، وهي الأفكار التي تقبلها المسيحية اليوم في كل أنحاء العالم تقريبًا. وبالطبع فقد استطاع الشيطان أن يفعل ذلك بتأثيره على روح الإنسان الجسدانية،

فالإنسان قبل توبته يحب الإيمان بإله جبّار وغضوب، إذ يجد في ذلك مبررًا لغضبه الشخصي أو إحساسًا بتفوقه الأدبي والأخلاقي على الله فيزداد في عناده وعصيانه. إن هذه القصة هي جزء من الاستقصاء (الاستكشاف) الأخير لشبكة الضلالات المربكة التي نصبها الشيطان للبشر.

عندما يطلب الإنسان أو يستدعي القوة الإلهية من أجل الدفاع عن النفس، فقد انتقل بذلك للعمل مع العدو. يمكن للإنسان أن يغيّر مواقفه في هذه الحرب الروحية دون أن تكون لديه أية فكرة أنه فعل ذلك. بدون الكلمات التي تحدث بها الرب يسوع لتلاميذه عن هذه النار النازلة من السماء، لما عرفنا الحقيقة المختصة بها أبدًا، ولصرنا مقيدين بالاعتقاد أن الله يرسل نارًا من السماء للقتل والهلاك. وهذا الاعتقاد سيضمن سعينا لخدمته بدافع الخوف وليس بدافع المحبة له.

بعد أربعين يومًا من التجربة في البرية، جاع الرب يسوع جدًا. جرَّب الشيطان الرب يسوع حتى يقوم بإجراء معجزة كي ينقذ نفسه. فقال له: "إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا". فأجابه الرب يسوع قائلاً: "مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ". لقد رفض الرد على سؤال الشك الذي وضعه العدو أمامه وتمسَّك بكلمة أبيه. إن أولئك الذين يرغبون في التغلب على مكايد الشيطان وإستراتيجيته المعبَّر عنها تعبيرًا جزيئًا في كتاب صن تزو "فن الحرب"، لا بد أن يفهموا الكيفية التي يعمل بها الشيطان، وهذا شيء لا يمكن فهمه بقراءة الكتب المليئة بالبدع والهرطقات الموحى بها من الشيطان، وإنما بالحكمة المعطاة لنا من الله. وبالسماح للرب يسوع أن يُظهِر لنا عنادنا وعيوب شخصيتنا وصفاتنا، والسماح له أن يصنع تغييرًا فينا ثم بنا. فهو يعطينا واجبًا أخلاقيًا جديدًا قائمًا على إيمان يقيني بأبينا، وبصفتنا ورثة الله ووارثين مع المسيح نسير معه بنفس روح المحبة والبذل التي تجلَّت في خدمة الرب يسوع على الأرض. لأن أبناء الله:

"وَهُمْ غَلَبُوهُ بِدَمِ الْخَرُوفِ وَبِكَلِمَةِ شَهَادَتِهِمْ، **وَلَمْ يُحِبُّوا حَيَاتَهُمْ حَتَّى الْمَوْتِ**" (رؤيا 12: 11).

إن شعب الله لا يتغلب على المحن بسيف يدهم وبقوة قتل الناس. فهم لا يحبون حياتهم حتى الموت.

"مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: **«إِنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ».** **وَلكِنَّنَا فِي هذِهِ جَمِيعِهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا**" (رومية 8: 35 – 37).

فكيف استطاع إيليا أن يصعد إلى السماء؟ إن إيليا يرمز إلى أولئك الذين يصعدون إلى السماء في الأيام الأخيرة دون أن يروا موتًا.

"هأَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ، فَيَرُدُّ قَلْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ، وَقَلْبَ الأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ. لِئَلاَّ آتِيَ وَأَضْرِبَ الأَرْضَ بِلَعْنٍ" (ملاخي 4: 5 و6).

إن البقية الباقية ستواجه الوحش وصورته في الأيام الأخيرة بروح إيليا (رومية 11: 2 – 5 ورؤيا 12: 17). ستمر هذه البقية باختبار مماثل لاختبار إيليا في مواجهة ملوك الأرض بارتدادهم. وهذا الاختبار مُشار إليه أيضًا في قصة يعقوب.

"آهِ! لأَنَّ ذلِكَ الْيَوْمَ عَظِيمٌ وَلَيْسَ مِثْلُهُ. **وَهُوَ وَقْتُ ضِيقٍ عَلَى يَعْقُوبَ، وَلكِنَّهُ سَيُخَلَّصُ مِنْهُ.** وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ، أَنِّي أَكْسِرُ نِيرَهُ عَنْ عُنُقِكَ، وَأَقْطَعُ رُبُطَكَ، وَلاَ يَسْتَعْبِدُهُ بَعْدُ الْغُرَبَاءُ" (إرميا 30: 7 و8).

ولكن قبل أن يتمكن إيليا من الصعود إلى السماء، كان ينبغي عليه أن يكسر نير الخطية بالكامل، وأن ينتصر على أهوائه وشهواته التي كانت تسيطر عليه قبل الذهاب إلى السماء. إن قصة إيليا مرتبطة بالأحداث الأخيرة من تاريخ الأرض.

"وَيَصْنَعُ آيَاتٍ عَظِيمَةً، **حَتَّى إِنَّهُ يَجْعَلُ نَارًا تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الأَرْضِ قُدَّامَ النَّاسِ، وَيُضِلُّ السَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ بِالآيَاتِ الَّتِي أُعْطِيَ أَنْ يَصْنَعَهَا أَمَامَ الْوَحْشِ،** قَائِلًا لِلسَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَصْنَعُوا صُورَةً لِلْوَحْشِ الَّذِي كَانَ بِهِ جُرْحُ السَّيْفِ وَعَاشَ. وَأُعْطِيَ أَنْ يُعْطِيَ رُوحًا لِصُورَةِ الْوَحْشِ، حَتَّى تَتَكَلَّمَ صُورَةُ الْوَحْشِ، وَيَجْعَلَ جَمِيعَ الَّذِينَ لاَ يَسْجُدُونَ لِصُورَةِ الْوَحْشِ يُقْتَلُونَ. وَيَجْعَلُ الْجَمِيعَ: الصِّغَارَ وَالْكِبَارَ، وَالأَغْنِيَاءَ وَالْفُقَرَاءَ، وَالأَحْرَارَ وَالْعَبِيدَ، تُصْنَعُ لَهُمْ سِمَةٌ عَلَى يَدِهِمِ الْيُمْنَى أَوْ عَلَى جَبْهَتِهِمْ" (رؤيا 13: 13 – 16).

إن وضع قصة إيليا والنار النازلة من السماء في سياق نبوة ملاخي 4: 5 و6 ورؤيا 13: 13 – 16 يربط أحداث الأيام الأخيرة باختباره. لقد كان على الخوف الموجود في قلب إيليا أن ينهزم، وبواسطة اختبار النفس الشديد استطاع إيليا أن يكسر النير عن عنقه. كان إيليا رجل صلاة. لقد صلَّى بحرارة

ليسقط المطر في اليوم الذي وقعت فيه حادثة جبل الكرمل، متمسكًا بالإيمان ومنتظرًا ظهور الغيمة الصغيرة التي كانت قدر كف إنسان (ملوك الأول 18: 41 – 45). وفي الأيام الأخيرة سيصلي شعب الرب أيضًا بلجاجة عندما يختبرون وقت ضيق يعقوب ويطلبون منه الانتصار على الوحش وصورته.

"وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ يَقُومُ مِيخَائِيلُ الرَّئِيسُ الْعَظِيمُ الْقَائِمُ لِبَنِي شَعْبِكَ، وَيَكُونُ زَمَانُ ضِيقٍ لَمْ يَكُنْ مُنْذُ كَانَتْ أُمَّةٌ إِلَى ذلِكَ الْوَقْتِ. وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ يُنَجَّى شَعْبُكَ، كُلُّ مَنْ يُوجَدُ مَكْتُوبًا فِي السِّفْرِ" (دانيال 12: 1).

كما يظهر اختبار إيليا في حياة يوحنا المعمدان. كان يوحنا يواجه أزمة إيمان كبيرة قبل استشهاده.

"أَمَّا يُوحَنَّا فَلَمَّا سَمِعَ فِي السِّجْنِ بِأَعْمَالِ الْمَسِيحِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَقَالَ لَهُ: **أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟**" (متى 11: 2 و3).

أشار الرب يسوع ليوحنا المعمدان على أنه إيليا الثاني.

"وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا، فَهذَا هُوَ إِيلِيَّا الْمُزْمِعُ أَنْ يَأْتِيَ" (متى 11: 14).

إن أزمة الإيمان التي اختبرها يوحنا بشأن الإيمان بالمسيح باعتباره المسيا جعلت العناصر التي كان ينبغي أن تُهزَم في شخصيته وصفاته تظهر وتصعد إلى السطح. وكما كان الحال مع يوحنا المعمدان، كان ينبغي على إيليا أن يتغلب على هذه الأشياء. إن قلوب البشر الممتلئة خطية تنكشف في كور المشقة، وفي نفس المكان يزداد بر الرب يسوع جدًا.

"وَأَمَّا النَّامُوسُ فَدَخَلَ لِكَيْ تَكْثُرَ الْخَطِيَّةُ. وَلكِنْ حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا. حَتَّى كَمَا مَلَكَتِ الْخَطِيَّةُ فِي الْمَوْتِ، هكَذَا تَمْلِكُ النِّعْمَةُ بِالْبِرِّ، لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا" (رومية 5: 20 و21).

ذهب إيليا إلى السماء معتمدًا ومتكلاً على بر المسيا وحده. ولم يذهب كنبي خارق أو كسافك لدماء أعدائه. ذهب كخاطئ لا حول له ولا قوة واثقًا في نعمة الله وحدها وفي وعد الخروف.

عندما نضع كلاً من قصة يعقوب وإيليا ويوحنا المعمدان وروح إيليا الذي يتجلى في شعب الله في الأيام الأخيرة معًا، سنرى أنهم جميعًا اقتيدوا للتوبة لكي ينالوا إكليل الحياة. وسنرى أنهم جميعًا

تعرضوا لأزمات ومواقف صعبة في حياتهم حتى ينكشف مصدر الخطية في طبيعتهم البشرية الضعيفة.

إن عمل التوبة لا يُرى لقارئ الكتاب المقدس في حياة إيليا، إلا أن كلمات الرب يسوع تبيّن لنا أن الروح الأولى التي كانت في إيليا لم تكن هي روح المسيح. فمن المؤكد أنه تاب قبل صعوده إلى السماء. كما أن افتقار يوحنا المعمدان للإيمان بالمسيح يعني أنه كان بحاجة إلى التوبة لكي ينال الحياة الأبدية. إن التجارب والاختبارات التي مرَّ بها هذين الرجلين ستتكرَّر مرة أخرى في حياة البقية الباقية في الأيام الأخيرة. فالبعض منهم سيصعدون للسماء دون رؤية الموت (تسالونيكي الأولى 4: 15 – 17)، لكنهم قبل ذلك سيواجهون ضيقة لتنقية الزَغَلِ من شخصيتهم وصفاتهم. والبعض الآخر سيتعرضون للقتل كيوحنا المعمدان. لكنهم جميعًا سيقتادون للتوبة التي لا داع للتوبة عنها.

"لأَنَّ الْحُزْنَ الَّذِي بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يُنْشِئُ تَوْبَةً لِخَلاَصٍ بِلاَ نَدَامَةٍ، وَأَمَّا حُزْنُ الْعَالَمِ فَيُنْشِئُ مَوْتًا" (كورنثوس الثانية 7: 10).

أما يعقوب فقد أعلن أخيرًا استسلامه، وأخضع شخصيته الواثقة بالنفس والمُحبة لحماية الذات والخداع بعد صراعه طوال الليل مع ابن الله، رافضًا أن يتركه حتى تيقن من نيل البركة الإلهية، ووضع ثقته الكاملة في الله الذي رعاه كل أيام حياته (تكوين 48: 15).

أما حادثتا القتل اللتان وقعتا في حياة إيليا وراح ضحيتهما 952 رجلاً، فقد برهنتا على روح القتل والانتقام والخوف التي كانت تسكنه ولم يعلم بوجودها.

غامر يوحنا المعمدان بتشكيكه في عمل المسيا مما كان سيؤثر على آلاف الناس. ومع ذلك فقد تغلب كلاهما على حالتهما بالتوبة والثقة وحدها في استحقاقات مخلصنا. إن اختبار شعب الله في الأيام الأخيرة سيكون مماثلاً. إنه الجزء الأخير من عمل التوبة ومواجهة النفس والتغلب على ضلالات الشيطان.

لا يوجد هناك أنبياء أبطال، بل يسوع المسيح وإياه مصلوبًا. لا يوجد سوى بر المسيح وحده القادر أن يمنح الخلاص. لقد فعل الله أمور عظيمة في هذين النبيين، ولكن الشيء الأعظم هو مساعدتهما على إدراك حاجتهما للخلاص التي لا تختلف عن حاجة أي إنسان آخر.

عندما نفهم هذه الحقيقة وندرك أنه ليس من يعمل صلاحًا ليس ولا واحد، فإن ضلالات الشيطان ستفقد قوتها وسلطانها علينا.

إن الشيطان يريد من الناس أن يقرأوا الكتاب المقدس قراءة سطحية ويؤمنوا أن أفعال النبي التي تعكس شخصيته وصفاته العنيفة ينبغي أن تفهم على أنها شخصية الله وصفاته. عندما يجعل الله الإنسان يمر باختبار العهد القديم ليرى نفسه، فإن الشيطان يقنع الإنسان أن يُلقي بالأفعال البشرية الضعيفة المكشوفة على الله ويتهمه بأنها إعلانًا لشخصيته وصفاته. ولذلك فعندما تعتبر أفعال الإنسان مقدسة وأنها بأمر مباشر من الله، فإن ذلك يؤدي إلى تبرير روح القتل والانتقام والعنف والرغبة في إبادة الأعداء.

فلننظر إلى المسيح وحده باعتباره المثال الكامل للآب. لا يمكننا سماع صوت الله المنخفض الخفيف وتمييزه من الريح والزلزلة والنار إلا عندما ندرس شخصيته وصفاته. فعلينا ألا نجرح الله بسوء فهمنا له، لأنه بهذه الطريقة يُرفَض الحق ويُحتَقر من الناس. "وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى **أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا**، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ" (إشعياء 53: 9).

24. إبراهيم ورجسة الخراب

"وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهُ: «يَا إِبْرَاهِيمُ!». فَقَالَ: «هأَنَذَا». فَقَالَ: «**خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً** عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ»" (تكوين 22: 1 و2).

بعد كل ما تم الحديث عنه، ينبغي أن يتضح الآن أن هذه الفقرة يمكن قراءتها بطريقتين مختلفتين على الأقل. إحداهما تُظهِر محبة الله بطريقة مذهلة، فاستعداد إبراهيم للتضحية بابنه إسحاق يرمز لمحبة الله لنا واستعداده لبذل ابنه من أجلنا حتى نرى اسم (شخصية) ابن الله ونؤمن به ونخلص. أو أننا على النقيض، وبالنظر إلى مرآة العهد القديم، نرى صورة الله وهو يختبر ولاء إبراهيم بامتحان لا يمكن تصوره في أحسن حالاته، وأمر بقتل ابنه في أسوأ حالاته.

لماذا يطلب الله من إبراهيم أن يُصعِد ابنه الموعود به محرقةً؟ فهذا المطلب يبدو وكأنه يتوافق تمامًا مع فكرة الإله الغضوب الذي يروي عطشه بالقتل. وهذا هو حال كل الديانات الوثنية، فعقيدة استرضاء الإله بتقديم الذبائح له هي قلب الوثنية. فلماذا يصوّر الكتاب المقدس الله في هذا النور؟

دعونا نرجع في البداية وننظر إلى أصل الذبيحة في الكتاب المقدس.

"وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا" (تكوين 3: 21).

لا يخبرنا الكتاب المقدس عن الطريقة التي صُنِعت بها الأقمصة. من المحتمل جدًا أن أحد الحيوانات أو مجموعة من الحيوانات قُتِلت حتى يتم توفير الأقمصة. أو من المحتمل أن الله قام بخلق هذه الأقمصة دون الحاجة لقتل حيوان، إلا أن هذه ليست إلا تكهنات لأننا ببساطة لا نعلم مصدر هذه الأقمصة من هذه الآية. النص الأول الذي يتحدث عن الذبيحة موجود في الأصحاح التالي من سفر التكوين.

"وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ أَنَّ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ، **وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا.** فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ" (تكوين 4: 3 و4).

تشير هذه القصة إلى أن القرابين كانت مطلوبة وأنه بدون تقدمة الحمل لم تعتبر العبادة مقبولة.

"وَلكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ. فَاغْتَاظَ قَايِينُ جِدًّا وَسَقَطَ وَجْهُهُ. فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ: لِمَاذَا اغْتَظْتَ؟ وَلِمَاذَا سَقَطَ وَجْهُكَ؟ **إِنْ أَحْسَنْتَ أَفَلاَ رَفْعٌ؟** وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيَّةٌ رَابِضَةٌ، وَإِلَيْكَ اشْتِيَاقُهَا وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا" (تكوين 4: 5 – 7).

لذلك يبدو أن الله طلب من البشر التضحية بالحيوانات كجزء من عبادتهم له. لكن قايين رفض أن يُحضِر ذبيحة حيوانية وتدهورت الأمور معه لدرجة أنه ارتكب أول جريمة قتل. والأمر الأكثر أهمية هو أنه في حين أن قايين لم يعترف بذبيحة الحمل أو يقبلها، فقد وجد بديلاً في قتل أخيه لإرضاء غضبه.

وهذا له علاقة هامة بقصة تقديم إسحاق التي كانت تشتمل أيضًا على فكرة تقديم ذبيحة بشرية بغرض الكفارة. بالنسبة لموقف الرب من الذبائح، نلاحظ التالي باهتمام كبير.

"كَثِيرًا مَا جَعَلْتَ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي **عَجَائِبَكَ وَأَفْكَارَكَ مِنْ جِهَتِنَا. لاَ تُقَوَّمُ لَدَيْكَ.** لأُخْبِرَنَّ وَأَتَكَلَّمَنَّ بِهَا. زَادَتْ عَنْ أَنْ تُعَدَّ. **بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ. أُذُنَيَّ فَتَحْتَ. مُحْرَقَةً وَذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لَمْ تَطْلُبْ"** (مزمور 40: 5 و6).

والترجمة التفسيرية لهذا النص تقول: **"أيها الرب إلهي، ما أكثر أعمالك العجيبة.** إن تحدثت عن خططك الرائعة لنا فلن أقدر أن أحصيها. زادت عن أن تعد. **لم ترد أو تطلب ذبائح ومحرقات عن الخطيئة، لكنك وهبتني أذنين صاغيتين مطيعتين".**

إن المرنم بوحي الروح القدس يقول أن الله لم يُسرَّ بتقدمة أو ذبيحة. ويصرّح بعد ذلك بعبارة لا تُصدَّق ألا وهي أن الله لم يرد أو يطلب ذبائح ومحرقات عن الخطية. في البداية تبدو هذه الفكرة متناقضة تمامًا مع المكتوب في بقية أسفار العهد القديم. فالتعليمات التي أعطاها الله لموسى بشأن طريقة تقديم الذبائح كانت تحتوي على تفاصيل واضحة جدًا، وهو ما يوحي بأن هذا هو بالضبط ما أراده الله. إلا أننا نقرأ مرة أخرى:

"لأَنِّي لَمْ أُكَلِّمْ آبَاءَكُمْ وَلاَ أَوْصَيْتُهُمْ يَوْمَ أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ مُحْرَقَةٍ وَذَبِيحَةٍ. بَلْ إِنَّمَا أَوْصَيْتُهُمْ بِهذَا الأَمْرِ قَائِلًا: اسْمَعُوا صَوْتِي فَأَكُونَ لَكُمْ إِلهًا، وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي شَعْبًا، وَسِيرُوا فِي كُلِّ الطَّرِيقِ الَّذِي أُوصِيكُمْ بِهِ لِيُحْسَنَ إِلَيْكُمْ. فَلَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يُمِيلُوا أُذُنَهُمْ، بَلْ سَارُوا فِي مَشُورَاتِ وَعِنَادِ قَلْبِهِمِ الشِّرِّيرِ، وَأَعْطَوْا الْقَفَا لاَ الْوَجْهَ" (إرميا 7: 22 – 24).

إن ذلك يبدو فيه تناقض تام. فالنبي إرميا يكتب بوحي من الروح القدس أن الله لم يكلّم شعبه ولا أوصاه من وجهة محرقة وذبيحة. لكن كتابات النبي موسى تقدم لنا الكثير من الوصايا حول هذا الموضوع.

"وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلًا: إِذَا أَخْطَأَتْ نَفْسٌ سَهْوًا فِي شَيْءٍ مِنْ جَمِيعِ مَنَاهِي الرَّبِّ الَّتِي لاَ يَنْبَغِي عَمَلُهَا، وَعَمِلَتْ وَاحِدَةً مِنْهَا: إِنْ كَانَ الْكَاهِنُ الْمَمْسُوحُ يُخْطِئُ لإِثْمِ الشَّعْبِ، يُقَرِّبُ عَنْ خَطِيَّتِهِ الَّتِي أَخْطَأَ ثَوْرًا ابْنَ بَقَرٍ صَحِيحًا لِلرَّبِّ، ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ. **يُقَدِّمُ الثَّوْرَ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ أَمَامَ الرَّبِّ**، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الثَّوْرِ، وَيَذْبَحُ الثَّوْرَ أَمَامَ الرَّبِّ" (لاويين 4: 1 – 4).

"وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: **أَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: قُرْبَانِي، طَعَامِي مَعَ وَقَائِدِي رَائِحَةُ سَرُورِي، تَحْرِصُونَ أَنْ تُقَرِّبُوهُ لِي فِي وَقْتِهِ.** وَقُلْ لَهُمْ: هذَا هُوَ الْوَقُودُ الَّذِي تُقَرِّبُونَ لِلرَّبِّ: خَرُوفَانِ حَوْلِيَّانِ صَحِيحَانِ لِكُلِّ يَوْمٍ مُحْرَقَةً دَائِمَةً. **الْخَرُوفُ الْوَاحِدُ تَعْمَلُهُ صَبَاحًا، وَالْخَرُوفُ الثَّانِي تَعْمَلُهُ بَيْنَ الْعَشَاءَيْنِ"** (سفر العدد 28: 1 – 4).

دعونا نتذكر إحدى النقاط الرئيسية التي ناقشناها في الفصل الحادي والعشرين من هذا الكتاب.

عندما يتعامل الله مع البشر في الميثاق (العهد) القديم أي وهم في حالتهم الطبيعية، فإن الأوامر التي يصدرها والتي تتعارض مع حياة الرب يسوع على الأرض تدل على عمل المرآة الإلهية.

لنرجع إلى اللحظة التي اقترب فيها الله من آدم في جنة عدن وسأله إذا قام بالأكل من شجرة معرفة الخير والشر. لم يندم آدم على أفعاله ولم يتب عنها بل ألقى باللوم على الله واتهمه بأنه السبب في المشكلة. لم يدرك آدم أن بذار الرغبة في القتل وسفك الدماء كانت توجد في قلبه. وبحصوله على النصيحة من الحيَّة، احتضن آدم روح الشيطان الذي يقول عنه الكتاب أنه قتالاً للناس من البدء (يوحنا 8: 44). وحتى يتسنى لآدم التوبة عن خطيته، كان بحاجة لأن يدرك خطورة ما فعله بتناوله من ثمر الشجرة المحرَّمة.

لقد ناقشنا هذه الحقيقة في الفصل التاسع عشر من هذا الكتاب والذي كان بعنوان، "مجروح لأجل معاصينا". نكرر هذه النقطة:

> "وعندما سقط آدم وحواء في الخطية أصبحا مثل الشيطان في الطبيعة. وروح المسيح الذي كان فيهما طُعِن وسُحِق كالبذرة التي تدق وتُسحَق. إن روح المسيح في الإنسان هو الذي يمنحه الحياة. وهو النور الذي ينير كل إنسان آتٍ إلى العالم (يوحنا 1: 9). لو تخلى المسيح عن آدم وتركه لمات آدم. لقد انسحق روح المسيح في آدم، إلا أن المسيح لم ينسحب ويتركه رغم أن بقائه كان يسبب له ألمًا وعذابًا. ومن آلام المسيح، الصخرة، خرج الماء الروحي الذي أبقى آدم على قيد الحياة" (أغابي، الفصل التاسع عشر، صفحة 194).

لم يكن آدم على دراية بأن بذار العنف والقتل كانت توجد في قلبه. ولم يدرك أن أحداث الصلب التي وقعت بعد مرور 4000 سنة كان مصدرها فيه. لقد كان على الرب أن يُظهِر لآدم ما هي المشكلة حتى يتسنى لآدم ادراك حالته الميئوس منها والاستجابة لروح المسيح والتوبة.

كان النظام المتعلق بتقديم الذبائح مرآة لما يشعر به الإنسان بطبيعته تجاه المسيح. إن نظام الذبائح هو مؤدب يجتذب الناس إلى المسيح، ولكن كما ذكرنا سابقًا، فالبشر يسلّطون هذه المرآة على الله ويُلقون بشخصيتهم وصفاتهم عليه. ولذلك فالاعتقاد الذي يكاد أن تجمع غالبية الناس عليه هو أن الله

كان يطلب الذبائح، والنتيجة المترتبة على ذلك هي أن الناس بقصد أو بغير قصد يؤمنون بأن الله قتل ابنه.

نشأ إبراهيم في بابل - أرض الكلدانيين (تكوين 11: 31). نشأ في ثقافة كانت التضحيات بالبشر أمرًا شائعًا فيها. إن المبادئ التي ظهرت في قايين عندما قتل أخيه أصبحت السمة المميزة لكل ديانة وثنية. إن القتل الذي يحدث للملايين من الحيوانات والذي يتعرَّض له آلاف البشر ينبع من قلب الإنسان المليء بالغش والخداع، ورغبته في إلقاء طبيعته المُحبة للعنف والغضب على الله. لكن الإنسان عوضًا عن قبول الذبيحة باعتبارها انعكاسًا لنفسه وطبيعته الفاسدة، يقلبها بحيث يصبح الأمر يبدو وكأن الله هو الذي يطلبها لإرضائه.

"فَقَالَ صَمُوئِيلُ: هَلْ مَسَرَّةُ الرَّبِّ بِالْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ كَمَا بِاسْتِمَاعِ صَوْتِ الرَّبِّ؟ هُوَذَا الاسْتِمَاعُ أَفْضَلُ مِنَ الذَّبِيحَةِ، وَالإِصْغَاءُ أَفْضَلُ مِنْ شَحْمِ الْكِبَاشِ" (صموئيل الأول 15: 22).

أخفق إبراهيم في الوثوق بأن الرب سيباركه بالابن الموعود به الذي كان يريده من كل قلبه. فطلب من الرب أن يقبل أليعازر خادمه الأمين (تكوين 15: 2). ثم سَمِع إبراهيم لقول زوجته سارة بأن يدخل على جاريتها هاجر لينجب منها ابنًا، وبالفعل أنجبت هاجر إسماعيل.

أدى ضعف إيمانهما إلى العديد من المشاكل وخلق بيئة عائلية سلبية، وأجبر إبراهيم على طرد هاجر وإسماعيل من بيته. فأدرك إبراهيم إخفاقاته وهو في حالة من اليأس الشديد، ونرى أن التجربة المتعلقة بالتضحية بشيء ما لاسترضاء الله قد ازدادت. إن الاختبارات التي مرَّ بها إبراهيم أثناء طفولته ممتزجة ببذار ميراث آدم الجسداني، ضغطت على إبراهيم حتى يطلب التكفير بالاسترضاء.

وفي هذا السياق يضع الله مشكلة إبراهيم في المرآة. فالأمر الذي أُعطي لإبراهيم هو انعكاس لتفكيره الخاص ورغبته في استرضاء الله.

وفي نفس الوقت نلاحظ بعناية أن الله في الواقع لم يأمر إبراهيم بقتل ابنه إسحاق، وإنما طلب منه أن يقدّم محرقة من أجل إسحاق. فالأمر الذي أعطاه الله لإبراهيم جعله قادرًا على قراءته بطريقتين مختلفتين.

عندما تكلّم الرب يسوع مع الامرأة التي طلبت منه أن يشفي ابنتها، قال لها: "لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ". لم يخبرها أنها كلبة. لقد نطق بالفكر الذي كان في أذهان التلاميذ وأفكارها الشخصية بشأن آراء اليهود عنها. لقد استطاعت أن تفهم أنه يقول عنها إنها كلبة من خلال إجابتها، إلا إنها كانت تقدر أن تخبره بكل سهولة أنها ابنة الله.

نفس الشيء يحدث في قصة إبراهيم. لم يطلب الله من إبراهيم سوى أن يقدّم ابنه محرقة. لم يأمره صراحةً بقتل ابنه. وربما يكون السبب في ذلك هو مساعدة إبراهيم على التخلي عن أية رغبات لم تكن متوافقة مع إرادة الله لابنه. ولكن بسبب الطريقة التي نشأ بها إبراهيم وفكر الاسترضاء الذي كان متمسكًا به، فهم إبراهيم أن الله يريد منه أن يقتل ابنه. كان الله يعلم أن ذلك سيحدث. لقد كان من الضروري أن يرى إبراهيم فهمه اللاشعوري بأن الله بحاجة للاسترضاء، وفي نفس الوقت مساعدته على الوثوق الكامل في الله. لقد استطاع الله أن يجلب إبراهيم إلى العهد الجديد القائم على الإيمان بالروح والحق، بواسطة مجد العهد القديم (كورنثوس الثانية 3: 7 – 9).

"فَنَادَاهُ مَلاَكُ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «إِبْرَاهِيمُ! إِبْرَاهِيمُ!». فَقَالَ: «هأَنَذَا» فَقَالَ: «لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ، فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي». فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكًا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ، فَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْكَبْشَ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضًا عَنِ ابْنِهِ" (تكوين 22: 11 – 13).

إذا استنتجنا من هذه القصة أن الله لا يريد منا أن نقتل أبنائنا لاسترضائه، لكنه لا يمانع الاسترضاء بقتل ابنه، فإن الوثنية لا تزال مترسخة فينا، وأفكارنا لا تختلف كثيرًا عن أفكار شعب الأزتيك في أمريكا الوسطى. الفرق الوحيد هو ابن مَنْ الذي تريد الآلهة منه أن يموت، وأن ذبيحة ابن الله لها قيمة واستحقاق أكبر مقارنةً بذبائح الوثنيين الأقل قيمة.

إن محاولة استرضاء الله بتقديم القرابين والذبائح كانت سببًا لحزن الله المستمر على مر القرون. فهو لم يرد من الإنسان أن يسترضيه بذبح الحيوانات على الإطلاق.

"وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ. وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَمِنْ كُلِّ الطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ، فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: لاَ

أَعُودُ أَلْعَنُ الأَرْضَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الإِنْسَانِ، لأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الإِنْسَانِ شِرِّيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ. وَلاَ أَعُودُ أَيْضًا أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ" (تكوين 8: 20 و21).

القراءة السطحية لهذا النص تجعل الإنسان يعتقد أن استرضاء الله يتم بواسطة تقديم الذبائح والمحرقات. عندما يقول الكتاب أن الله "تنسَّم رائحة الرضا" فهذا يجعله يتعهد بعدم لعنة الأرض مجددًا. الحقيقة هي أن كلمة "تنسَّم" هي في الواقع كلمة "رواش". إنها أصل الكلمة التي نحصل منها على كلمة "روح" أو "روح الله". وهذه الكلمة تعني:

"ينفخ بشكل صحيح، أي يتنفس؛ فقط (حرفيًا) للشم أو (مجازيًا) يتوقع ويستمتع – يقبل، يشم، يلمس، يفهم فهمًا سريعًا".

وفي بداية العدد الحادي والعشرين نرى حرف العطف "و" في كلمة "وقال الرب...". هذا الحرف لا يوجد في النص العبري. فاسترضاء الله لم يتم بتقديم الذبائح والمحرقات. لقد قبل توبة نوح الذي كان يريد القول من خلال هذا الفعل: "إنني عالم أنني بلا قيمة أو استحقاق في نفسي، وأقر بذنبي في قتل ابنك". إن الرب برحمته العظيمة نفخ بروحه على الأرض، وبفضل نعمته أعاد الحياة مرة أخرى على الأرض. عندما نقرأ الكتاب المقدس في نور شخصية المسيح وصفاته، فإن نصوص الاسترضاء المظلمة ستُشرِق بنورها في وجه يسوع المسيح (كورنثوس الثانية 4: 6). ما كان دم الثيران والتيوس كافيًا يومًا ليشبع ويرضي الله.

"لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا. لِذلِكَ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: **«ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا لَمْ تُرِدْ، وَلكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَدًا. بِمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُسَرَّ.** ثُمَّ قُلْتُ: هنَذَا أَجِيءُ. فِي دَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي، لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا أَللهُ». إِذْ يَقُولُ آنِفًا: «إِنَّكَ ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا وَمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُرِدْ وَلاَ سُرِرْتَ بِهَا». الَّتِي تُقَدَّمُ حَسَبَ النَّامُوسِ. ثُمَّ قَالَ: «هنَذَا أَجِيءُ لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا أَللهُ». يَنْزِعُ الأَوَّلَ لِكَيْ يُثَبِّتَ الثَّانِيَ" (عبرانيين 10: 4 – 9).

إن القلب المنكسر والمنسحق هو ما يُرضي الله. إن الإيمان برحمة الله وغفرانه هو ما يجلب هذا الانسحاق.

"ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اَللهُ لاَ تَحْتَقِرُهُ" (مزمور 51: 17).

عندما تؤخذ الذبيحة الحيوانية في هذا السياق حينئذ نفهم لماذا هي مقبولة ومرضية عند الله. يواصل داود حديثه من الآية السابقة ويقول:

"أَحْسِنْ بِرِضَاكَ إِلَى صِهْيَوْنَ. ابْنِ أَسْوَارَ أُورُشَلِيمَ. **حِينَئِذٍ تُسَرُّ بِذَبَائِحِ الْبِرِّ، مُحْرَقَةٍ وَتَقْدِمَةٍ تَامَّةٍ. حِينَئِذٍ يُصْعِدُونَ عَلَى مَذْبَحِكَ عُجُولًا**" (مزمور 51: 18 و19).

وبولس الرسول يخبرنا في العهد الجديد ما هي رائحة الله الطيبة. يأخذ بولس الرمز المُشار إليه في العهد القديم ويقوم بتطبيقه على ذبيحة قلب الإنسان وعبادته.

"وَتُوقِدُ كُلَّ الْكَبْشِ عَلَى الْمَذْبَحِ. هُوَ مُحْرَقَةٌ لِلرَّبِّ. **رَائِحَةُ سَرُورٍ، وَقُودٌ هُوَ لِلرَّبِّ**" (خروج 29: 18).

"وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضًا **وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، قُرْبَانًا** وَذَبِيحَةً للهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً" (أفسس 5: 2).

"فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ **أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ**، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ" (رومية 12: 1).

"وَلكِنِّي قَدِ اسْتَوْفَيْتُ كُلَّ شَيْءٍ وَاسْتَفْضَلْتُ. قَدِ امْتَلأْتُ إِذْ قَبِلْتُ مِنْ أَبَفْرُودِتُسَ الأَشْيَاءَ الَّتِي مِنْ عِنْدِكُمْ، **نَسِيمَ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ، ذَبِيحَةً مَقْبُولَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ**" (فيلبي 4: 18).

لكننا نتذكر أنه بدون أن يرسل الله روحه أولاً ليمنح الإنسان عطية التوبة، فليس للإنسان القدرة على تقديم قلبه قربانًا ذا رائحة طيبة لله. وبهذا المعنى فإن المسيح "أسلم نفسه لأجلنا، قربانًا وذبيحة لله"، ليس ليغيّر قلب الله بل ليغيّر قلوبنا نحن، وبذلك يسمح لنا برؤية خطايانا ويقودنا بانسحاق قلب للتوبة.

"هذَا رَفَّعَهُ اللهُ بِيَمِينِهِ رَئِيسًا وَمُخَلِّصًا، **لِيُعْطِيَ إِسْرَائِيلَ التَّوْبَةَ وَغُفْرَانَ الْخَطَايَا**" (أعمال 5: 31).

لم يكرّس قايين قلبه لله، بل إتخذ المبادئ التي تقوم عليها عبادة الاسترضاء وتقدّم بها خطوة أخرى نحو عبادة الطبيعة. لقد أزال الحَمَل الذي كان يرمز لقلبه المُحِب للقتل وسفك الدماء وقدَّم ببساطة من أثمار الأرض. لقد أصبحت أشياء الأرض مخلّصه بمحاولته هذه لاسترضاء الله. أضاف قايين لهذه العبادة قتل أخيه وهكذا ظهرت أصول العبادة الوثنية. وقد تجلّى هذا في الأديان الوثنية بعبادتهم في بساتين الأشجار الممتزجة بالذبائح البشرية. لقد جلب هذا النوع من العبادة حزنًا مستمرًا ويوميًا لله، فقد شوَّه الشيطان أثمن الحقائق التي صممت كي تعرّف البشر عن معنى الذبيحة، وجعلهم يحاولون استرضاء الله.

"تُخْرِبُونَ جَمِيعَ الأَمَاكِنِ حَيْثُ عَبَدَتِ الأُمَمُ الَّتِي تَرِثُونَهَا آلِهَتَهَا عَلَى الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ، وَعَلَى التِّلاَلِ، وَتَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ. وَتَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ، وَتُكَسِّرُونَ أَنْصَابَهُمْ، وَتُحْرِقُونَ سَوَارِيَهُمْ بِالنَّارِ، وَتَقْطِّعُونَ تَمَاثِيلَ آلِهَتِهِمْ، وَتَمْحُونَ اسْمَهُمْ مِنْ ذلِكَ الْمَكَانِ. لاَ تَفْعَلُوا هكَذَا لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ" (تثنية 12: 2 – 4).

الطريقة التي كان من المفترض أن تُخرِب بها إسرائيل مرتفعات الوثنية وتهدم بها مذابحها هي بتوقفها عن فكر الاسترضاء الذي كانت عبادتها مبنية عليه، وسماحها لله أن يتنسَّم بروحه عليها (وليس رائحة الدخان الصاعد من الذبائح المقدَّمة).

كانوا يظنون أن الله شبههم، وكانوا يظنون أنهم يعطون الله ما يطلبه، أي الدم، كبرهان للحياة المُضحَّى بها لتروي العطش الإلهي. لكن الله قال أنه سيعطي الدم.

"لأَنَّ نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ، **فَأَنَا أَعْطَيْتُكُمْ إِيَّاهُ** عَلَى الْمَذْبَحِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ نُفُوسِكُمْ، لأَنَّ الدَّمَ يُكَفِّرُ عَنِ النَّفْسِ" (لاويين 17: 11).

إذا استمعوا لصوت الله، لقاموا بتحطيم هذه المذابح التي كانت تقطن (تسكن) في أذهانهم.

"لأَنَّنَا وَإِنْ كنَّا نَسْلُكُ فِي الْجَسَدِ، لَسْنَا حَسَبَ الْجَسَدِ نُحَارِبُ. إِذْ أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، **بَلْ قَادِرَةٌ بِاللهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ. هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللهِ**، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ" (كورنثوس الثانية 10: 3 – 5).

الدليل على أن إسرائيل لم تهرب بالكامل من مبدأ العبادة القائم على الاسترضاء يظهر في حقيقة أن المرتفعات بقيت في إسرائيل طيلة الوقت تقريبًا، حتى في عهد الملوك الذين كانوا صالحين في عيني الرب.

"وَأَحَبَّ **سُلَيْمَانُ** الرَّبَّ سَائِرًا فِي فَرَائِضِ دَاوُدَ أَبِيهِ، إِلاَّ أَنَّهُ **كَانَ يَذْبَحُ وَيُوقِدُ فِي الْمُرْتَفَعَاتِ**" (ملوك الأول 3: 3).

"**وَأَمَّا الْمُرْتَفَعَاتُ فَلَمْ تُنْزَعْ**، إِلاَّ إِنَّ قَلْبَ **آسَا** كَانَ كَامِلًا مَعَ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِهِ" (ملوك الأول 15: 14).

"وَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ سِرًّا ضِدَّ الرَّبِّ إِلهِهِمْ أُمُورًا لَيْسَتْ بِمُسْتَقِيمَةٍ، وَبَنَوْا لأَنْفُسِهِمْ مُرْتَفَعَاتٍ فِي جَمِيعِ مُدُنِهِمْ، مِنْ بُرْجِ النَّوَاطِيرِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُحَصَّنَةِ. **وَأَقَامُوا لأَنْفُسِهِمْ أَنْصَابًا وَسَوَارِيَ عَلَى كُلِّ تَلّ عَال وَتَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ. وَأَوْقَدُوا هُنَاكَ عَلَى جَمِيعِ الْمُرْتَفَعَاتِ مِثْلَ الأُمَمِ** الَّذِينَ سَاقَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِهِمْ، وَعَمِلُوا أُمُورًا قَبِيحَةً لإِغَاظَةِ الرَّبِّ. وَعَبَدُوا الأَصْنَامَ الَّتِي قَالَ الرَّبُّ لَهُمْ عَنْهَا: لاَ تَعْمَلُوا هذَا الأَمْرَ" (ملوك الثاني 17: 9 – 12).

أما الملكان اللذان أزالا المرتفعات فهما حزقيا ويوشيا.

"**هُوَ أَزَالَ الْمُرْتَفَعَاتِ، وَكَسَّرَ التَّمَاثِيلَ، وَقَطَّعَ السَّوَارِيَ**، وَسَحَقَ حَيَّةَ النُّحَاسِ الَّتِي عَمِلَهَا مُوسَى لأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِلَى تِلْكَ الأَيَّامِ يُوقِدُونَ لَهَا وَدَعَوْهَا «نَحُشْتَانَ»" (ملوك الثاني 18: 4).

"**وَكَذَا جَمِيعُ بُيُوتِ الْمُرْتَفَعَاتِ الَّتِي فِي مُدُنِ السَّامِرَةِ** الَّتِي عَمِلَهَا مُلُوكُ إِسْرَائِيلَ لِلإِغَاظَةِ، أَزَالَهَا يُوشِيَّا، وَعَمِلَ بِهَا حَسَبَ جَمِيعِ الأَعْمَالِ الَّتِي عَمِلَهَا فِي بَيْتِ إِيلَ. وَذَبَحَ جَمِيعَ كَهَنَةِ الْمُرْتَفَعَاتِ الَّتِي هُنَاكَ عَلَى الْمَذَابِحِ، وَأَحْرَقَ عِظَامَ النَّاسِ عَلَيْهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أُورُشَلِيمَ" (ملوك الثاني 23: 19 و20).

كما أن سفر الشريعة تم العثور عليه في عهد يوشيا، وبدأ الشعب يلتزم بفرائض الرب ويحفظ أعياده مرة أخرى (أخبار الأيام الثاني 35: 1). ولكن للأسف فيوشيا قُتِل في معركته ضد نخو ملك مصر،

فارتد إسرائيل ثانيةً إلى العبادة الوثنية، وبعد فترة قصيرة سبيوا إلى بابل. تتجلى رغبة إسرائيل في عبادة آلهة الاسترضاء المحيطين بهم بشكل واضح في رؤية حزقيال إذ نقرأ:

"فَجَاءَ بِي إِلَى دَارِ بَيْتِ الرَّبِّ الدَّاخِلِيَّةِ، وَإِذَا عِنْدَ بَابِ هَيْكَلِ الرَّبِّ، بَيْنَ الرِّوَاقِ وَالْمَذْبَحِ، **نَحْوُ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا ظُهُورُهُمْ نَحْوَ هَيْكَلِ الرَّبِّ وَوُجُوهُهُمْ نَحْوَ الشَّرْقِ، وَهُمْ سَاجِدُونَ لِلشَّمْسِ نَحْوَ الشَّرْقِ**" (حزقيال 8: 16).

وبما أن شعب إسرائيل ولا سيما قادتهم كانوا مستعبدين لعبادة الشمس مثل الأمم الوثنية، فلا عجب أنهم سيتعرضون في نهاية المطاف للاستعباد الفعلي من قبل الأمم الوثنية. صلّى دانيال وهو في السبي في بابل ليساعده الله على معرفة ما سيحدث لشعب الله. في رؤية دانيال الأصحاح السابع، رأى مجموعة من الحيوانات (الوحوش) النجسة الخارجة من البحر لتحكم المسكونة. ورأى الاضطهاد والظلم الواقع على شعب الله بواسطة هذه القوى الحاكمة. كما أنه رأى شعب الله مشتتًا بسبب هذا الاضطهاد، إلا أن كل هذا قد حدث بسبب رفض إسرائيل إزالة المرتفعات من عبادتهم القائمة على الاسترضاء والتوبة عن خطاياهم وقبول بر الله في المسيح.

"وَإِنْ كُنْتُمْ بِذلِكَ لاَ تَسْمَعُونَ لِي بَلْ سَلَكْتُمْ مَعِي بِالْخِلاَفِ، فَأَنَا أَسْلُكُ مَعَكُمْ بِالْخِلاَفِ سَاخِطًا، **وَأُؤَدِّبُكُمْ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ حَسَبَ خَطَايَاكُمْ**، فَتَأْكُلُونَ لَحْمَ بَنِيكُمْ، وَلَحْمَ بَنَاتِكُمْ تَأْكُلُونَ. **وَأُخْرِبُ مُرْتَفَعَاتِكُمْ، وَأَقْطَعُ شَمْسَاتِكُمْ**، وَأُلْقِي جُثَّتَكُمْ عَلَى جُثَثِ أَصْنَامِكُمْ، وَتَرْذُلُكُمْ نَفْسِي. **وَأُصَيِّرُ مُدُنَكُمْ خَرِبَةً، وَمَقَادِسَكُمْ مُوحِشَةً**، وَلاَ أَشْتَمُّ رَائِحَةَ سُرُورِكُمْ. وَأُوحِشُ الأَرْضَ فَيَسْتَوْحِشُ مِنْهَا أَعْدَاؤُكُمُ السَّاكِنُونَ فِيهَا. **وَأُذَرِّيكُمْ (أشتتكم) بَيْنَ الأُمَمِ**، وَأُجَرِّدُ وَرَاءَكُمُ السَّيْفَ فَتَصِيرُ أَرْضُكُمْ مُوحَشَةً، وَمُدُنُكُمْ تَصِيرُ خَرِبَةً" (لاويين 26: 27 – 33).

لا يتسع المجال هنا لمناقشة معنى عبارة "وأؤدبكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم". ولكن السبعة أضعاف المذكورة هنا لها علاقة نبوية بتعرف شعب الله على الإنجيل الحقيقي.

لقد كانت خطة الرب لإسرائيل أن تكون قائدة للأمم، وأن تأتي الأمم المجاورة لإسرائيل لتتعرَّف على الإله الحقيقي وطرقه. ليتهم استمعوا إلى صوته وميزوا العهد الأبدي وابتعدوا عن لاهوتهم القائم على الاسترضاء. ولما كانت هناك حاجة لقيام هذه الممالك الوثنية العظيمة بالطريقة التي

ظهرت بها. كانت هذه الممالك تمجيدًا لقلب الإنسان الخاطئ حتى يتمكن البشر من تمييز مدى الطغيان والظلم والإخفاق الذي تتسم به طرق الإنسان.

"مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ عَشَرَةَ لِيُوشِيَّا بْنِ آمُونَ مَلِكِ يَهُوذَا إِلَى هذَا الْيَوْمِ، هذِهِ الثَّلاَثَ وَالْعِشْرِينَ سَنَةً، صَارَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَيَّ فَكَلَّمْتُكُمْ مُبَكِّرًا وَمُكَلِّمًا فَلَمْ تَسْمَعُوا. **وَقَدْ أَرْسَلَ الرَّبُّ إِلَيْكُمْ كُلَّ عَبِيدِهِ الأَنْبِيَاءِ مُبَكِّرًا وَمُرْسِلًا فَلَمْ تَسْمَعُوا وَلَمْ تُمِيلُوا أُذُنَكُمْ لِلسَّمْعِ،** قَائِلِينَ: ارْجِعُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيءِ وَعَنْ شَرِّ أَعْمَالِكُمْ وَاسْكُنُوا فِي الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَاكُمُ الرَّبُّ إِيَّاهَا وَآبَاءَكُمْ مِنَ الأَزَلِ وَإِلَى الأَبَدِ. **وَلاَ تَسْلُكُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لِتَعْبُدُوهَا وَتَسْجُدُوا لَهَا، وَلاَ تَغِيظُونِي بِعَمَلِ أَيْدِيكُمْ فَلاَ أُسِيءَ إِلَيْكُمْ. فَلَمْ تَسْمَعُوا لِي، يَقُولُ الرَّبُّ، لِتَغِيظُونِي بِعَمَلِ أَيْدِيكُمْ شَرًّا لَكُمْ.** لِذلِكَ هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: مِنْ أَجْلِ أَنَّكُمْ لَمْ تَسْمَعُوا لِكَلاَمِي هأَنَذَا أُرْسِلُ فَآخُذُ كُلَّ عَشَائِرِ الشِّمَالِ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَإِلَى نَبُوخَذْرَاصَّرَ عَبْدِي مَلِكِ بَابِلَ، وَآتِي بِهِمْ عَلَى هذِهِ الأَرْضِ وَعَلَى كُلِّ سُكَّانِهَا وَعَلَى كُلِّ هذِهِ الشُّعُوبِ حَوَالَيْهَا، فَأُحَرِّمُهُمْ وَأَجْعَلُهُمْ دَهَشًا وَصَفِيرًا وَخِرَبًا أَبَدِيَّةً" (إرميا 25: 3 – 9).

إن الممالك الأربع التي رأها النبي دانيال في رؤياه هي بابل ومادي وفارس واليونان وروما. كان لكل هذه الممالك معابد خاصة للعبادة وتقديم الذبائح لآلهتهم. مركز حرب الشيطان ضد الله هو الترويج المستمر لفكر الاسترضاء بتقديم الذبائح والقرابين. كانت هذه الممالك تقدم الذبائح كل يوم. توجد على إسطوانة كورش (538-529 قبل الميلاد) كتابة منقوشة تتحدث عن الذبائح والقرابين التي كانت تقدّم كل يوم لآلهتهم. فيما يلي جزء من هذه الكتابة:

"كان يخطط كل يوم وفي عداوة سمح بوقف التقدمات والقرابين. عيَّن (....) أقام داخل المدينة".

يذكر هذا الاقتباس وقتًا تعطل فيه تقديم الذبائح والقرابين. وهذا يخبرنا أن تقديم الذبائح والقرابين كان جزءًا من خدمتهم وعبادتهم. وإذ استمر دانيال في التساؤل عن المستقبل والاضطهاد الواقع على شعبه، اندهش لدرجة اليأس عندما سمع وهو في رؤياه كائنين سماويين يتحدثان:

"وَمِنْ وَاحِدٍ مِنْهَا خَرَجَ قَرْنٌ صَغِيرٌ، وَعَظُمَ جِدًّا نَحْوَ الْجَنُوبِ وَنَحْوَ الشَّرْقِ وَنَحْوَ فَخْرِ الأَرَاضِي. وَتَعَظَّمَ حَتَّى إِلَى جُنْدِ السَّمَاوَاتِ، وَطَرَحَ بَعْضًا مِنَ الْجُنْدِ وَالنُّجُومِ إِلَى

الأَرْضِ وَدَاسَهُمْ. وَحَتَّى إِلَى رَئِيسِ الْجُنْدِ تَعَظَّمَ، وَبِهِ أُبْطِلَتِ [روم، أي ارتفعت أو تعظَّمت أو ألغيت] الْمُحْرَقَةُ الدَّائِمَةُ، وَهُدِمَ مَسْكَنُ مَقْدِسِهِ. وَجُعِلَ جُنْدٌ (القرن الصغير) عَلَى الْمُحْرَقَةِ الدَّائِمَةِ بِالْمَعْصِيَةِ، فَطَرَحَ الْحَقَّ عَلَى الأَرْضِ وَفَعَلَ وَنَجَحَ. فَسَمِعْتُ قُدُّوسًا وَاحِدًا يَتَكَلَّمُ. فَقَالَ قُدُّوسٌ وَاحِدٌ لِفُلاَنٍ الْمُتَكَلِّمِ: **«إِلَى مَتَى الرُّؤْيَا مِنْ جِهَةِ الْمُحْرَقَةِ الدَّائِمَةِ وَمَعْصِيَةِ الْخَرَابِ، لِبَذْلِ الْقُدْسِ وَالْجُنْدِ مَدُوسَيْنِ؟»** فَقَالَ لِي: «إِلَى أَلْفَيْنِ وَثَلاَثِ مِئَةِ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، فَيَتَبَرَّأُ الْقُدْسُ»" (دانيال 8: 9 – 14).

لا يسع المجال الخوض في كل التفاصيل المتعلقة بهذه الفقرة. النقطة الأساسية التي نرغب في توضيحها هنا هي أن نظام العبادة اليومي كما يمارسه الوثنيون سيتم إزالته وإبطاله ويحل محله نظامًا مسيحيًا. لقد قامت القوة التي ظهرت بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية بأخذ ذبيحة المسيح وصياغتها بلغة البدلية العقابية. وأصبحت ذبيحة المسيح تقدم إلى العالم باعتبارها استرضاءًا للإله الغاضب الذي يطالب بعقوبة الموت. هذا هو الجزء الذي يصعب فهمه. إن مصدر إلهام رسالة الإنجيل التي يُكرَز بها في معظم الكنائس هو في الواقع من المفاهيم الوثنية للعبادة.

بينما كان دانيال يفكر في فظاعة هذه الأحداث، شعر بالذهول والتعب الشديد.

"فَرُؤْيَا الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ الَّتِي قِيلَتْ هِيَ حَقٌّ. أَمَّا أَنْتَ فَاكْتُمِ الرُّؤْيَا لأَنَّهَا إِلَى أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ. **وَأَنَا دَانِيآلَ ضَعُفْتُ وَنَحَلْتُ أَيَّامًا، ثُمَّ قُمْتُ وَبَاشَرْتُ أَعْمَالَ الْمَلِكِ، وَكُنْتُ مُتَحَيِّرًا مِنَ الرُّؤْيَا وَلاَ فَاهِمَ"** (دانيال 8: 26 و27).

عندما أراد دانيال أن يفهم كيفية حدوث ذلك، أُرسِل الملاك جبرائيل ليشرح له المزيد عن الرؤيا السابقة. قام جبرائيل أولاً بإعطاء دانيال نقطة البداية للنبوة المتعلقة بفترة السبعين أسبوعًا التي تتحقق بمجيء المسيح الرئيس. ثم قال جبرائيل شيئًا مهمًا جدًا:

"وَيُثَبِّتُ عَهْدًا مَعَ كَثِيرِينَ فِي أُسْبُوعٍ وَاحِدٍ، **وَفِي وَسَطِ الأُسْبُوعِ يُبَطِّلُ الذَّبِيحَةَ وَالتَّقْدِمَةَ، وَعَلَى جَنَاحِ الأَرْجَاسِ مُخَرِّبٌ** حَتَّى يَتِمَّ وَيُصَبَّ الْمَقْضِيُّ عَلَى الْمُخَرِّبِ" (دانيال 9: 27).

والترجمة التفسيرية لهذه الآية تقول: "ويبرم عهدًا ثابتًا مع كثيرين لمدة أسبوع واحد، **ولكنه في وسط الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة (التقدمة المتعلقة بالطعام)، ويقيم**

على جناح الهيكل رجاسة الخراب، إلى أن يتم القضاء، فينصب العقاب على المخرب".

تتحدث هذه الآية عن عمل المسيح على الأرض. فعندما مات الرب يسوع، توقفت الذبائح ولم تعد جزءًا من عبادة الله. وعندما مات المسيح، انشق حجاب الهيكل لنصفين مشيرًا بذلك إلى انتهاء نظام تقديم الذبائح الأرضي.

لهذا النص معنى ومغزى أعمق ولكن من المؤسف أنه يغيب عن غالبية الناس. نحن نعلم أنه بعد موت المسيح على الصليب، استمر تقديم الذبائح الحيوانية على الرغم من عدم وجود أهمية لها. *الحقيقة الأعمق لعمل المسيح هي أن التوقف عن تقديم الذبائح ليس مجرد شيئًا ماديًا.* عندما تُفهَم حقيقة الصليب فهمًا صحيحًا ودقيقًا، فإن المبدأ القائم على لاهوت الاسترضاء سيتوقف في قلب المؤمن. وعندما يُفهَم العهد الأبدي الحقيقي، فالبشر سيتوقفون عن الاقتراب من الله بذبائحهم وقرابينهم لاسترضائه. وهذه هي الحقيقة الأعمق للنص "وَيُبَطِّلُ الذَّبِيحَةَ وَالتَّقْدِمَةَ". وعندما يتم تقدير العهد الأبدي تقديرًا كاملاً، فإن اللاهوت المبني على فكر الاسترضاء سيتوقف، والحقائق الكتابية الثمينة ستعمل ضد انتشار الرجاسات التي أجردت الإنجيل من صفات المحبة التي تتسم بها شخصية الله الحقيقية. يمكن كتابة كتاب بأكمله حول هذا الموضوع، ولكن الصلة واضحة. إن الفهم الحقيقي للصليب سيفضح ويهزم رجسة الخراب.

واليوم عندما يتحدث معظم الناس عن صليب المسيح، فإنهم يتحدثون عنه في سياق إرضاء غضب الله وإشباعه. هذا التفكير لن يقود إلا إلى الرجسة التي تُخرب القلب. وأي مشاعر لدى أي شخص تجاه الله ستخرب سرًا عندما يظن أن الله يمكنه أن يقتل ابنه من أجل إرضاء أو إشباع غضبه. فتُترَك نفسه في حالة اليبوسة والجفاف بفكرة أن الله كان عليه أن يسن أمرًا بالموت لا يشبعه إلا قتل ابنه. إن التعاليم الكاثوليكية هي أكبر تعبير عن هذا النظام القائم على الاسترضاء. فبحضورك للقداس على الأقل كل يوم أحد والاعتراف بخطاياك لكاهن أرضي، وإيمانك بعقيدة الثالوث، وإتكالك على استحقاقات القديسين الكاثوليك (التشفع بهم)، يمكنك تجنب غضب نيران الجحيم الإلهية.

أما الحقيقة فهي ببساطة ما يلي:

إن الذبيحة والتقدمة تتوقف فقط مع أولئك الذين يثبّت (يُبرم) المسيح معهم العهد.

إن مجرد إزالة الذبائح الحيوانية بحد ذاتها لا تلغي الرغبة في استرضاء الله بواسطة هذه الذبائح. واليوم نسمع صوت مثل إبراهيم ينادينا ونحن على وشك غرس السكين في أعز علاقاتنا معتقدين أن هذا سوف يرضي الله.

أما جميع المبشرين بالإنجيل الذين يضحّون بعائلاتهم ليبشروا بالرسالة التي يشعرون أنهم مدعوون لمشاركتها، فالدعوة مقدمة إليهم ليستمعوا لهذا الصوت: "لست بحاجة لاسترضاء من أحد! أعمالك في الوعظ والتبشير لا تكفّر عن خطاياك. وقبولك لأية عقيدة تقودك لاتهام الآخرين ووصفهم بأنهم زنادقة أو مهرطقين وأنه ينبغي الابتعاد عنهم وإدانتهم يجب أن يتوقف".

إن أبانا السماوي يريد منا أن نتحرر من أفكارنا الوثنية. وهو يريد منا أن نؤمن بمحبته الحقيقية لنا، لأنه هو المحبة (أغابي). لا يوجد شيء يمكننا فعله أو قوله يجعله يحبنا أكثر من محبته لنا الآن. تأمل في هذه الأفكار الثاقبة لهذا الكاتب المسيحي:

> إن الفكرة المتعلقة بالكفارة أو الذبيحة تتمثل في وجود غضب ينبغي إشباعه وإرضاؤه. ولكن انتبه فنحن من نطلب الذبيحة وليس الله. فهو الذي يوفر الذبيحة. إن الفكرة التي مفادها أن غضب الله ينبغي إرضاؤه وإشباعه لا يوجد ما يبررها ويؤكد على صحتها في الكتاب المقدس. ومن قمة الغرابة والحماقة الاعتقاد بأن غضب الله تجاه البشر شديد جدًا لدرجة أنه لن يمنحهم غفرانه ما لم يتم توفير أو تقديم شيء لإرضاء وإشباع غضبه، ولذلك فهو مَنْ يوفِّر لنفسه التقدمة حتى يُرضي من خلالها غضبه هذا.
>
> إن الفكرة الوثنية التي غالبًا ما يتبناها أولئك الذين يزعمون كونهم مسيحيين، هي أنه يتعين على البشر توفير الذبيحة لاسترضاء غضب إلههم. وبذلك تكون كل عبادة الوثنين مجرد رشوة لآلهتهم ليكسبوا رضاهم واستحسانهم ...
>
> إن الاضطهاد الذي وقع في ما يسمى بالبلدان المسيحية في العصور الماضية وحتى في الوقت الحاضر إلى حد ما، ما هو إلا بروز لهذه الأفكار الوثنية عن الكفارة. فالقادة الكنسيون يتخيلون أن الخلاص يتم بالأعمال، وأن الإنسان بالأعمال يمكنه التكفير عن الخطية. ولذلك كانوا يقدمون الشخص الذي كان في اعتقادهم متمردًا

كذبيحة لإلههم وليس للإله الحقيقي الذي لا يُسرّ ولا يريد مثل هذه الذبائح أو القرابين" (إي جي واجنر، الحق الحاضر، 30 أغسطس 1894).

لو كنا أمناء ورأينا حقيقة صفات الله وشخصيته المُحِبة، فسوف يُشعِل ذلك في قلوبنا إحساسًا عميقًا بالتوبة.

"إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً، وَمَعْرِفَةَ اللهِ أَكْثَرَ مِنْ مُحْرَقَاتٍ" (هوشع 6: 6).

إن نظام الذبائح المبني على فكر الاسترضاء هو من آخر الوسائل التي يلجأ إليها الإنسان للتهرب من تحمل مسؤولية الانضمام إلى الشيطان وملائكته في قتل ابن الله. وعندما نواجه الجزء الأخير من ضلالات الشيطان، فهذا هو ما سيحدث.

"وَأُفِيضُ عَلَى بَيْتِ دَاوُدَ وَعَلَى سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ رُوحَ النِّعْمَةِ وَالتَّضَرُّعَاتِ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ، الَّذِي طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى وَحِيدٍ لَهُ، وَيَكُونُونَ فِي مَرَارَةٍ عَلَيْهِ كَمَنْ هُوَ فِي مَرَارَةٍ عَلَى بِكْرِهِ" (زكريا 12: 10).

إن تبكيت الضمير والشعور بالذنب الذي كان باستطاعة آدم تقديمه لله اعترافًا منه بخطيته يمكن أن يكون اختبارنا اليوم عندما نفهم شخصية الله وصفاته المُحبة فهمًا صحيحًا. إن الله لا يطلب ذبيحة لاسترضائه وتقدمة لإشباعه. هذه هي الذبيحة التي يطلبها:

"ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اَللهُ لاَ تَحْتَقِرُهُ" (مزمور 51: 17).

"لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الْعَلِيُّ الْمُرْتَفِعُ، سَاكِنُ الأَبَدِ، الْقُدُّوسُ اسْمُهُ: فِي الْمَوْضِعِ الْمُرْتَفِعِ الْمُقَدَّسِ أَسْكُنُ، وَمَعَ الْمُنْسَحِقِ وَالْمُتَوَاضِعِ الرُّوحِ، لأُحْيِيَ رُوحَ الْمُتَوَاضِعِينَ، وَلأُحْيِيَ قَلْبَ الْمُنْسَحِقِينَ" (إشعياء 57: 15).

إذا كنت على استعداد لتفتيش الكتاب المقدس بعناية في ضوء المبادئ المقدَّمة في هذا الكتاب، ستتعرَّف على الحق الذي يوجد في الكلمات التي قالها الرب يسوع لفيلبس:

"قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ ...." (يوحنا 14: 9).

وبالنسبة لي، فإنه لمن دواعي سروري أن أستيقظ كل صباح وأنا كلي يقين بمحبة الآب السماوي لي. لقد أثرت فيَّ بشدة حقيقة استعداده الكامل أن يُرسِل ابنه ليعلن لنا شخصيته وصفاته الحقيقية. ورغم كل المخاطر وعلمه السابق بأن البشرية ستقوم بتحريف كل شيء، إلا أن الرب يسوع جاء طوعًا واختيارًا ليرينا الآب وحتى نعلم أنه ليس عدونا. فهو أبونا، أبونا الغالي الذي يحب أبنائه. لا توجد كلمات يمكنها أن تعبّر عن عمق محبته الكاملة والباذلة والمضحية لنا.

أصلي من كل قلبي أن ننضم معًا للدخول إلى ذلك المكان المقدس الذي يسوده السلام التام، وأن نصغي لهذه الكلمات في ملئها:

"وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلًا: هذَا هُوَ ابْني الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ" (متى 3: 17).

"لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ" (أفسس 1: 6).

تقدم لنا حياة المسيح الذي سار على الأرض منذ 2000 عام نموذجًا للمحبة الباذلة غير الأنانية التي جلبت السلام لملايين لا حصر لها. بالنسبة لأولئك الذين يهتمون بكلمة الله، فإن التباين بين أوصاف الله في الكتاب المقدس وحياة المسيح، أدى إلى خلق صعوبة في فهم بعض العبارات التي صرّح بها السيِّد المسيح. لكن الرب يسوع في إحدى اللحظات المُحَرِّكة لِلمَشَاعِر قال لأحد أتباعه: "اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ".

كيف يعقل هذا؟ أيمكن حقًا أن يكون الله رؤوفًا ورحيمًا وكثير الإحسان كما أعلنته حياة الرب يسوع وهو على الأرض؟ وكيف يمكن التوفيق بين هذه الأوصاف وما ورد عن الله في العهد القديم؟ في يدك الآن مفتاح سيساعدك على حل هذا اللغز.